

كتاب الأماير العرب

قبل الإسلام

لأبي عبيدة

٢٠٩ هـ

ملقطات من الكتب والمخطوطات

القسم الأول

دراسة مقارنة للأصم الأماير العربية

والدكتور

عبد الله جعفر البغدادي

١٩٧٦

ساعات جامعة بغداد على نشره

كتاب الأمير العربي

قبل الاسلام

لأبي عبيدة

٢٠٩ هـ

ملقطات من الكتب والمخطوطات

القسم الأول

دراسة مقارنة للأصم الأيام القرية

الدكتور

عبدون جعفر

ساعات جامعة بغداد على نشره

١٩٧٦

مطبعة دار الجاحظ للطباعة والنشر - بغداد

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغداد ٧٠٩ لسنة ١٩٧٦

الملاحم العبرية

مقارنات في ضوء الاساطير والملاحم الكونية
السومرية والسامية

المقدمة

ان الشروع في تشييد بناء جديد ، ليس امراً هيناً ، فالمسألة اقتضت منذ البدء ، ارساء اسس مدروسة ، وفق عمليات رصد وتصميم حكيمتين . ولم نكن لنأمن العثرات ، ولا نزعم اننا اتقيناها ، بل كان في المقدور تطويعها وتحويلها الى ارادة ، ربما كانت هدفا في الوصول الى جزئيات العمل المرجو من بعض كلياته . مثل لها ، ما اعترضنا من مئات النصوص ، المفسرة - ظاهراً - لغير مصلحة العمل ، الا ان الصبر ، ثم التأمل الطويل ، وتطبيق المنهج من وجهه الصائب الخلاق ، احالت كل الجهود المضنية الى ثمار تشير نحو آفاق رجة جديدة .

ولا يوجد منهج في العالم ، تتخذه دليلاً ، او وسيلة الى غاية علمية ، يلين لك جانبه ، بل التوقعات واحتمالات الرفض ، هي اعلى الارقام في الحساب .

واذا كان هذا شأن البحوث المعاصرة ، مع ما يدعمها من ثراء موفور وعطاء دائم فان ثقل القضية ، سقط كله على صدر الدراسات ، ذات الاهتمامات ، الكلاسيكية . انك - وانت تعالج صلابة النص - لتشعر بمرارة الدواء الذي وضع امامك ، وليس لك الا ان تتذوقه ، لكي تتم في داخلك عمليات تمثل وتغير مستمرة .

ان سيلاً عراً من الرواية الادبية والشعر ، مع مجهولية الاصل ، فاقداً لوعيه لفرط ما نخسه العلماء والباحثون ، القدامى والمحدثون ، بالابر الذهبية ، ومفتقداً لهوية يتذكر هو عن طريقها نفسه ، وتذكره

نحن الارباب والورثة الشرعيون ، لم يعد قادراً على ايصال مضامينه
كما كان قد فعل في عصر انبعاثه ، ازاء نهر الحياة الكبير الذي يحضر
مجراه عبر قرون ليست ببعيدة ، لكن التحولات العظيمة وتوالي
الاحداث ، تركت الرواة وعلماء الاخبار والاشعار مندهشين ، ماذا
يمكن ان يؤدي لهم هذا السيل ؟

ومع ذلك فهذا كتاب ابي عبيدة في « ايام العرب » في صورة
من صوره المتعددة ، ماثل بين ايدينا ، برغم ما قيل وما يقال ، فهو على
اقل اعتبار ، محمول الينا من زمن لا يقل عن الف عام ، ان لم نقل
احد عشر قرناً ، فان لم يحو ثرا جاهلياً ، فهو شعر جاهلي ، وان لم
يحو الاصل من النوعين ، فالصورة على الاقل ، ولا نزع منها في قوة
الاصل . فاذا افتقدنا هذا وذاك ، فهو محمول الينا في اوعية قادمة
من عهد بعيد جداً ، وهي كافية ان تجعل منه اثراً نفيساً ، وتجعلنا
نشعر بالاعتزاز ، لانتنا نعيد الى العالم ادبا شبه مفقود .

وكان مدار الدراسة في الباب الاول حول مصادر الايام
ورواتها ، والتكوين الثقافي للرواة .

ولقد مضى زمن لم تلق فيه الكنوز الادبية السجينة وراء أسوار
الكتب الصفر والمخطوطات اية عناية ، بل كل الذي نالته ، هو
الاعراض والرمي وراء الظهور ، على انها مادة موضوعة مقحمة على
العصر الجاهلي ، وليست منه . ان الامم تعنى بما قيل قبل مائة سنة ،
وتعتبره اثراً ، فكيف بما قيل اكثر من الف سنة . وهو ان لم يؤثر
عن الجاهلية بلفظه ، فقد روى بمعناه على اقل تقدير وان احداً اذا
تطلع الى هذه العوالم الغريبة الزاخرة في اعماق « الايام » والتي

ساهمت في خلقها عشرات القرائح والمواهب ، ليشعر انه ازاء حياة
تغاير منهج وواقع الحياة في القرنين الاسلاميين : الاول والثاني .
واذن فهؤلاء يصورون وجدان امة زائلة ، لا امة ماثلة . وانهم
يحاولون ان يعيدوا الى الازهان نشاط القلب الانساني لرجل العصر
الجاهلي ولنمط السلوك والعيش والصراع ، ومن ثم الموت .

وقد وجدت النفاذ الى دراسة الايام عن طريقين عريضين ممكنا ،
ثم تتفرع عنهما الطرق : الاول ، يتعلق بالاصل والنشأة ، باعتبارها
المحيط الخارجي ، بما في ذلك تاريخها وتأليفها وجمعها وترتيبها ،
ودور الرواة في ايصالها الى جمهرة العلماء ، ودور العلماء في ايصالها
الى الناس . ثم مدى ارتباط هذه الملاحم بالحلقات الملحمية السامية
القديمية ، باعتبارها دورة من دوراتها . والطريق الثاني ، يتعلق
بالخلق والتكوين ، وهو الايغال في داخل الايام وسبر اعماقها . حيث
تتناول منابع ثقافتها البدائية ، واساطيرها الاولى ، وآلهتها
ومعبوداتها ، ثم رموزها ومدلولاتها ، وعرضنا الصراع الداخلي من
خلال هذه المظاهر الشعرية البارزة او اثناءها .

وقد وجدنا ان هذه الايام ، في اطرها الجميلة ، حفظت القيمة
الفنية لادب العرب خلال العصر المتعاقبة ، ومن ثم فهي قد حفظت
القيمة اللغوية للمفردات داخل العمل نفسه .

وبرزت في الايام مهمات كبيرة فوق ما يقال عنها : وقائع وغارات
كان الباب الثاني قد تعرض لها بصورة دقيقة جدا حيث فسر الفصل
الاول مدلول كلمة « يوم » وبرهن على بطلان القول الشائع بانهم

يريدون به : النهار فقط ، وعرف بالأيام . ثم في الفصل الثاني كان البحث وراء التاريخ والاسطورة وامتزاجهما في الأيام ثم في الفصل الثالث حديث عن لغة الأيام الشعرية . فلكل أمة موروثة من الفنون والآداب ، تبرز من خلالها مسيرة جماهيرها ، وفاعلية هذا الموروث تتجسد في نشاطات الأفراد لدى الخلق والابداع ، وقد برزت في معطيات القرون التالية ، حيث كان تكرار هذا الوجود في تاجات الأدباء ورجال الفكر ، وحتى الساسة . وعندما ترسم الصورة الفنية لأدب القرن الهجري الأول والثاني ، موشاة ومحلة بتكرار الأحداث وتمثل الصور المحتشدة في ضمير الأيام ، فإن هذه العملية تعد - بحده ذاتها - خلقا لموقف كان في يوم من الأيام شاخصا في وجدان هذه الأمة ، وهو في انتظار أن يبعث في النصوص بعثا جديدا ، ليوصل إلى النفس تأزم جيل وتفاعله مع حياة الأمة على امتداد وجودها في الماضي والمستقبل فكان الانتقال إلى موقع الأيام من الشعر العربي وأوليته وموقف الإسلام من شعر الأيام ، هو الباب الثالث بفصوله الثلاثة .

وكان البحث عن أول واضح لفن الأيام ، أمرا هو الغاية في الصعوبة ، ذلك أن المعالم التي تهدينا إلى الحقيقة ، قد طمست تماما .

وامر آخر وراء هذه الصعوبة ، هو البت في أولية الشعر وأسبقيته ، مع أن الكلام في هذه الحقيقة يمكن أن يكون حاضرا في الذهن أو أن تبين معاملة ، والأيام أقدم مظهر أدبي وشعري في البلاد . وهو حكم رجال الأدب والفكر الأوائل .

لكن الامر الذي ظل يثير في النفس رغبة التطلع الى البعيد، هو ان نعرف لهذه الايام صانعا ، كما ليس غريبا ان نبت في مسأله خطيرة كمسألة اسبقية الشعر ، وان تتردد في البت في عزو « الايام » لواقع مع قدم الشعر على الايام ، لان الدلائل في الشعر موجودة على بعده ، وفي الايام غير موجودة على قربها ، وكان لدينا من ملاحم البابليين والآشوريين مثل واضح ، حيث عثر عليها متكاملة ومدونة ، ولم نعثر على ايام العرب ، وبينهما آلاف السنين ، لظروف جاءت مناسبة مع الملاحم الاولى وغير مناسبة مع الملاحم الاخيرة ، ولت « الايام » كتبت على الواح من طين ، اذن لكنت بين ايدينا اليوم مثل شقيقاتها . ومع ذلك ففي النفس بقية من تطلع لا ينتهي ، هل انبعث هذا الفن وانبثق على ايدي رواة وعلمائه ، هكذا فجأة ، أم له وراء هذا الخلق بذرة الوجدد الاولى . فليس معقولا ان تنفق مواهب الرواة والعلماء مرة واحدة ، لتحدث في فن واحد . وان التاريخ يحدثنا عن اشخاص يمتد بهم الزمن الى العصر الجاهلي نفسه ، كانوا اوعية لعلوم ، منها اخبار العرب وايامهم . بل ان بعضهم عاش وهلك في العصر الجاهلي ، ولم يدرك الاسلام ، وكان عالما بأيام العرب .

واذا كانت الآداب السامية القديمة ، تركت بصمات واضحة في جسد الرواية العربية الجاهلية ، فإن الادب العربي كان بالنسبة اليها بعدئذ ، على مفترق طرق . وهو مفترق واسع ، كان يزداد ، ويعظم ، كلما اوغلت تلك الآداب عنه في ضمير الزمن ابتعادا ، وجدّ هو في المسير نحو حياة عربية جديدة ، كانت بداياتها المائة الاولى المتأخرة

للاسلام ، ثم ظهر الاسلام ليصبح الادب عنصرا بالغ الاهمية في الدعوة ومفاهيمها وقيمها الحضارية ، فتأكد بذلك ما نالت تنزع اليه العقلية العربية في احتواء كل مقومات الواقع العربي في حركة شعرية وثرية واسعة ، فكان حديثنا عن « الاسلام ، وشعر الايام » وكان في حقيقته عملية دقيقة حاولنا ان نعمق في قاع العصر ، لنبلغ النتائج العلمية المنشودة ، وبرهنا على ان الرسول صلى الله عليه وسلم لم يكن ضد الشعر لكن ضد شعراء كانوا ينشرون مفاهيم فكرية مغلوطة .

وهذا المفترق الذي قصدناه هو محور الباب الرابع برموزه وتحليله لشعر الايام . وكان منصبا على جوهر مضامينه ، فلقد اصابت الادب عملية تحول كبيرة ، لا نعرف متى وكيف ، اخرجته من عوالم الملاحم والاساطير الكونية ، وغلفته باسطورة الواقع البشري ، فاذا بالآلهة وطقوسها ولوازم عباداتها ، تتحول الى رموز ، يلتزم بها البدوي في رواياته ولا يفقه لها اصلا . وبعد ، فاتنا درسنا ركنا مهما من اركان الادب الجاهلي وشعره ، المتمثل في « الايام » على الطبيعة ، فلقد تعودت الدراسات الكلاسيكية ، ثم تابعتها الدراسات المعاصرة ، ان تنقل كبريات الاعمال الادبية الى غرف مختبرية ، كما يفعل العالم البيولوجي مع « الزهور المقطوعة » ، وان تشبه القصائد في ايدي انباحثين بالزهور المقطوعة فكرة طريفة ، وان كانت ، بحد ذاتها ، صورة محزنة . ونحن انما درسنا الشعر الجاهلي في « الايام » داخل حدائقه ، وعلى اغصانه مع الابقاء على الجذور ، وفي الهواء الطلق والنور ودفء الشمس ، وكان للانسان نصيب كبير في هذه الدراسة . ليست الجذور هي العالم الروحي الذي امسك الازهار

الجميلة بالغذاء ، ثم منحها الكون الواسع الريح ، النور والهواء .
وهي جميعها في امتزاج غامض محبب مع الانسان ؟!!

ولم اجاول ان اقدم سجلا اثروبوجيا ، لكنني طوعت هذا
السجل لخدمة بحثنا النظري في ابعاده النظرية ، وكانت النتائج
بالرغم مما يشعر الانسان من قلق فكري اصيل - مشجعة
وجذابة . ومع اني دققت كثيرا في فحص الجذور ، وانا معذور ،
لكنني لم اعدم من الاشارة ، ولو عرضا ، لبعض عناصر الزهرة ،
فكنت المح الى مكونات اجزائها وأنبه مرارا الى ان هذا الجزء
الجميل منها ، بحاجة الى اعادة نظر في ضوء الدراسات المتطورة ،
النامية ، والتي بدأت تزود المسافر الى مدن العلم ، بمتاع ..
ما ادهشه من متاع !!

ولقد سارت فصول الدراسة في سبيلين : الاولى اندرجت تحت
الشكل الخارجي . او المظهر ، والثانية تحت النسيج الداخلي او
المحتوى . فالمظهر يبحث في أصل الايام ونشأتها ، والمحتوى في
خلقها وتكوينها . وكان الباب الاول من الدراسة في مصادر الايام
برواتها وفي التكوين الثقافي لاولئك الرواة . وقد قام هذا الباب
على فصلين ، اولهما ضم حديثا وتحليلا لروايات الايام ، وبالاخص
روايات ابي عبيدة ، وآخر يدور حول رواة الايام فقط مع معالجة
لثقافة الرواة واسباب العداء المستحكم بين بعضهم والبعض الآخر .
ووجدنا اسبابا كامنة وراء هذا العداء ، من بينها ، ان رواة الاشعار
والاخبار يستشيرون عالما شعريا اسطوريا يمقته رواة الحديث
والمفسرون والفقهاء .

وأما الباب الثاني ، فهو الذي يكشف لنا « حقيقة الايام » وفيه
 تفسير لمدلول كلمة « يوم » ، وتعريف معمق بالايام ، ورأسي حول
 ما قيل عنها بانها مجرد غارات وحروب تتحلى بروح قتالية عالية ليس
 غير . وعقدنا فصلا للملاحم الاسطورية والوقائع التاريخية في الايام .
 مع اجراء المقارنات في ضوء الدراسات العلمية لمعرفة التاريخ والاساطير
 وتواجههما في « ايام العرب » ، فأصدرنا احكاما دقيقة في ذلك .
 ثم تحدثنا عن لغة « الايام » الشعرية ، وركزنا حديثنا حول النثر
 والامثال ، واجلينا مسألة هامة حول الاساس الشعري لهذا النثر .
 وحاولنا ان تبين موقع « ايام العرب » من الشعر العربي باعتبارها
 أقدم نص ادبي يصل إلينا في العصر الجاهلي ، وذلك في الباب الثالث
 من الدراسة . ولقد عقدنا له ثلاثة فصول ، كان الاول منها قد بحث
 في اصل كلمة « شعر » وأوليتها ، مستدلين من اقوال القدماء حول
 الشعر في « ايام البسوس » وحول مظاهر القصيدة العربية في
 الاغراض التقليدية : المديح والرثاء والهجاء وغيرها ، فدللتنا هذه
 الظواهر الشعرية على الاصل الديني القديم لها ، ثم الاصل الملحمي
 للشعر ، باعتباره اناشيد ترقل او تنشد في المناسبات المختلفة : دينية
 وغير دينية . فكان هذا الفصل افتتاحا على دراسة جديدة للملاحم
 العربية الكونية التي يرقى عصرها الى عهود الساميين الاوائل في آشور
 وبابل خالقي الملاحم العربية القديمة : جلجامش والانوما اليشن
 وغيرها ، وجعلنا نربط الايام بالملاحم الاولى ، فكانت تؤول مصيرها
 اليها . ولقد ظهر لنا ان جميع هذه الملاحم العربية : جلجامش والايام
 وغيرها قد ارتطمت بحكم تكوينها الفكري ، بالديانات السماوية ،
 فعالجنا هذه القضية ، معالجة دقيقة جدا .

واستقل تحليل الشعر ، بآخر ابواب الرسالة ، وهو الرابع ،
فقدمنا له بفصل صغير اطلقنا عليه اسم : الاطار العام ، يوضح المقصود
من هذا التحليل ، وهو ايضا يعتبر استشارة للعالم الشعري الاسطوري ،
الكائن في الايام ، لان تحليل شعر الايام اقتصر على اشد جوانبه
غموضا ، وهي دلالات الرمز فيه ، حيث باتت تؤدي مدلولاتها في
صورة تستغل على الفهم اذا لم يتوفر لها الايضاح التام لجوانبها
المنظمة منذ ازمان سحيقة جدا ، فانتخبنا في الفصل الثاني من هذا
الباب رمز الثور والحية والناقة ورموزا اخرى تتعلق بالنبات والجماد
والكواكب ومثلثات الوثنيين . ولقد ذهبنا الى بعث هذه الرموز ،
من خلال اساطيرها ، ومن جذورها الميثولوجية الذاهبة . وربطناها
باشعار الايام ورواياتها المتعددة ، فظهرت لنا جلية واضحة لم يسبق
لاحد ان تناولها وفق هذا المنهج العلمي الجديد . ووقع بنا التنقيب في
كتاب « الايام » عند ظاهرة قوية تنبض فوق صفحات الكتاب ،
استغرقت منا وقفة طويلة في الفصل الثالث ، تتعلق بالملوك والكهان
والرؤساء الذين تزخر الايام بهم ، وحرصنا على ان نقول فيهم رأيا
ينطلق من حقيقة هذه الظاهرة بالعودة الى المنابع التي خرجت منها
هذه الطقوس الغامضة ، فبرزت ادوارهم داخل الايام ، وارتباطهم
ببعضهم في ضوء ممارساتهم لمراسيم تنصيب الملوك وعزلهم . وتقديس
الرؤساء وتعظيمهم وتأليه الكهان والخضوع لارادتهم . وربطنا
المظاهر المتعددة في الايام وشعرها باصولها وما وصل اليه البحث والتنقيب
اليه ، ثم كانت لنا اطلالة جديدة على شخصية امرئ القيس وموقعها
من الآداب العالمية . واما الفصل الرابع ، وهو الاخير في الرسالة
فقد كان استعراضا لعالم ايام العرب حيث ربطنا كيان الايام الخارجي

— المظهر — بالنسيج الداخلي لها — المحتوى — فتجسدت لنا كتلة واحدة من الفاعلية الملحمية ، تنتظم الاحداث ، في صراع يعكس فلسفة امة مع مبررات وجودها وعناصر تكوينها في البطولة ومعاييرها : الكرم والمروءة والوفاء وكل القيم والمثل العربية المعروفة في مجتمع العصر الجاهلي .

وبعد ، فالجدة في هذه الدراسة تتمثل في اخراج « الايام » محققة تحقيقا علميا ، وفي بحثها بحثا لم يسبق اليه ، فدراستنا في الماجستير عن « الشعر في حرب داحس والغبراء » لم تتناول هذا الوجه المخفي والغامض منها ، وكذلك دراسة الاخوان الذين اعقبوني في الولوج الى عالم « الايام » ، حيث عقب على دراستي المذكورة باحث آخر عن « ايام البسوس » وثالث في جامعة بغداد عن « ايام العرب » وآخر في جامعة القاهرة في نفس الموضوع ، وكانوا جميعا يدورون في نفس العوالم ولم يخرجوا « الايام » محققة ولا تناولوا اوليتها ورموزها ، لكن درسوها من جوانب اخرى لم اتطرق انا اليها ، بل اكتفيت بما وصلت اليه بحوثهم القيمة ، واتممت ما كانوا عرضوا عنه ، وعسى ان نكون قد فعلنا شيئا يثري فكرنا العربي ويسدي خدمة لامتنا العربية المجيدة .

وبالمناسبة ، فان صفة الوفاء في الانسان ، هي التي تدفعني ان اقف بين يدي استاذي الدكتور لطفي عبدالبدیع رئيس قسم اللغة العربية بكل اعتزاز ، واجزل الشكر له ، لعظيم فضله عليّ وجميل صنيعه معي ، فكان لي اخا وصديقا قبل ان يكون استاذاً ومشرفاً ، طوال اقامتي في وطني الثاني ارض الكنانة ، بعيداً عن الوطن الاول .

واقتهز فرصة الشكر هذه ، لاتقدم الى اساتذتي اعضاء لجنة
الناقشة بشكر مثله •
وشكراً لمن شاركني قلقي وهمي •

عادل جاسم البياتي

القاهرة في ٨-٨-١٩٧٣

الباب الاول

مصادر الايام ورواتها

الفصل الاول : روايات الايام

الفصل الثاني : التكوين الثقافي لرواة الايام

الفصل الاول

روايات الايام

يتحدث المصنفون القدماء ، حديثا عابرا عن كتاب لأبي عبيدة،
معمر بن المثنى التيمي (٢٠٧هـ) في « ايام العرب » سقط من يد
الزمن ، فلم يصل الينا . ثم لم يزيدوا على ان ذكروا اسمه بين الكتب
المنسوبة له ، وهي مائتا كتاب ، ليس لدينا منها سوى كتاب في اللغة
والنحو ، يقال له « المجاز »^(١) .

ثم من الكتب التي نسبت اليه « شرح نقائض جرير والفرزدق » ،
والرجل لم يشرح شعرا ، ولا صنع في النقائض كتابا ، بل كان منهجه
في الشعر ، منهج المفضل الضبي يثبته من غير شروح^(٢) ، وربما فسر
غريب بعض المفردات على ما بينه ذلك في مقدمة « الايام » من الجزء القادم .
وابن النديم^(٣) هو اول من اشار الى كتاب « الايام » لأبي
عبيدة وجاء ياقوت الحموي^(٤) . فبين اثناء حديثه عن مؤلفات أبي

(١) راجع الاحصاء التحقيقي لمؤلفات أبي عبيدة في مقدمة كتابه :
العققة والبررة ضمن نوادر المخطوطات (٣٣٨/٢ - ٣٤٩) . وانظر
ما قاله الدكتور محمود غناوي حول كتاب النقائض المنسوب لأبي
عبيدة في كتابه : نقائض جرير والفرزدق (رسالة دكتوراه) .

(٢) تراجع مقدمة الايام في الجزء القادم .

(٣) الفهرست ٨٠ (طبع الرحمانية ١٣٤٨ هـ) او ما سوف نشر
اليه في الهامش . ومعجم الادباء - ياقوت (ترجمة حياة أبي
عبيدة) .

(٤) معجم البلدان ١٥٤/١٩ (طبع دار المأمون) او بحسب ما يذكر
في الهامش . ونقل البكري في معجم ما استعجم مادة (واردات)
خبر يوم وقال : هكذا قال أبو عبيدة في كتاب الايام .

عبيدة ، وعن كتاب « الايام » بالذات انهما كتابان • اولهما ، وهو
الكبير ، على ما ذكر ابن خلكان^(٥) ، يضم الفا ومائتي يوم • والثاني ،
وهو الصغير ، يضم خمسة وسبعين يوما •

وهذه الاشارات هي اقدم ما انتهى اليها من خبر « الايام » وكل
ما نقل عنها انما نقل عن الكتاب الصغير الذي صنعناه ، بعينه ان
استقيناه روايته من مصادرها القديمة في صورة ملتقطات من بطون
الكتب والمخطوطات •

وكان التقدير ، ان نجمع روايات الايام كلها ، فلما قابلنا الاخبار
المعزوة الى ابي عبيدة بسواها من الاخبار المنسوبة الى المفضل الضبي
(١٦٨ هـ) ، او ابن الكلبي (٢٠٤ هـ) او الاصمعي (٢١٦ هـ) ،
وجدنا ان ابا عبيدة ، يفوز منها بأكبر نصيب ، وان الرواة جميعا ،
لا يبلغون في مروياتهم ثلث ما يروي •

ولا يؤثر عن المتقدمين تصنيف في « الايام » ، فكل ما روى عن
ابي عمرو بن العلاء (المتوفي سنة ١٥٤ هـ) ويونس بن حبيب
(١٨٣ هـ) ومحمد بن السائب الكلبي (١٤٦ هـ) والمفضل الضبي
وغيرهم ، انما نقله رجال الطبقة الثانية ، وهي طبقة ابي عبيدة
والاصمعي ، لكن يذكر لحماة الرواية كتاب في احاديث العرب ، هو
« يوم الصفقة »^(٦) وللهمداني ايضا كتاب يعرف بكتاب « الايام »^(٧)
وما يقال من ان لأبي الفرج صاحب الاغانى كتابين يضم اكبرهما الفا

(٥) وفيات الاعيان (ترجمة ابي عبيدة ٣٢٣/٤) وعنه نقل حاجي
خليفة في كشف الظنون ٢٠٤/١ •

(٦) الاغانى ٣١٩/١٧ •

(٧) الاكليل : ٢١٦/١ •

وسبعمائة يوم^(٨) ، فانما ينبغي ان يحمل على انهما قول من كتابي
أبي عبيدة ، على ما تشهد بذلك رواياته في الاغاني ، فهو انما ينقل
عنه وعن سواه .

اما مظان هذه الروايات فهي : نقائض جرير والفرزدق لمحمد بن
حبيب (٢٤٥ هـ) ، والاغاني لأبي الفرج الاصفهاني والعقد الفريد
لابن عبد ربه ، والفاخر للمفضل بن سلمة بن عاصم ، وشرح المفضليات
لابن الانباري وشرح الحماسة للتبريزي ، والامثال للميداني والكمال
في التاريخ لابن الأثير ، ونهاية الارب للنويري وخزانة الادب
للبيدادي . فهذه الكتب اثبتت غير قليل من رواية ابي عبيدة ، واما
المصادر اخرى فجلها يختصر الرواية ، ويسوق الاخبار بعبارة اخرى
مغايرة لعبارة ابي عبيدة . ويلتقي القارىء في متن الرواية باسماء
المخطوطات التي اوردت الرواية .

ولابي عبيدة في الايام كتب اخرى اشار الى بعضها ابو منصور
الازهري^(٩) وغيره ، ولكن لعلها لاتعدو ان تكون رسائل صغيرة او
قطعا من كتابيه اللذين اسلفنا ذكرهما ، وهي في : ايام بني مازن
واخبارهم^(١٠) ، ومقاتل الفرسان^(١١) ، وكتاب

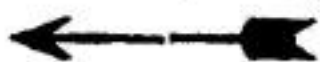
(٨) كشف الظنون : ٢٠٤/١ .

(٩) تهذيب اللغة (المقدمة) ص ١٤ .

(١٠) معجم البلدان ١٦٩/٧ .

(١١) الفهرست ٨٠ والمصدر السابق وكشف الظنون ٢٠٤/١ ، ٢٠٥ .

وذكره المسعودي في كتابه التنبيه والاشراف ٨٩-٩٠ وقال لدى
الكلام عن شهربراز ، الملك الفارسي : وقد اتينا على خبره ،
وسبب مقتله ، ومقتل غيره من فرسان العرب وشجعانهم على
طبقاتهم من الملوك وغيرهم ، ممن اجمع على تقديمه وتفضيله



الفهارات^(١٢) وكتاب الاوس والخزرج^(١٣) وايسام بني يشكر
واخبارهم^(١٤) ، وخبر البراض^(١٥) .

ولهشام بن محمد بن السائب الكلبي (٢٠٤ هـ) تصنيف في
الايام على ما ذكر صاحب الفهرست^(١٦) فقد اثبت له كتاب داحس
والغبراء^(١٧) وكتاب ايام فزارة ووقائع بني شيان وكتاب وقائع
الضباب وفزارة^(١٨) وايام بني حنيفة وكتاب الايام . ولم يصلنا من
كتبه الا قطعة لا بأس بها ، ليوم كبير من ايام العرب هو « يوم

وشجاعته ، ومقاماته المشهورة ، وايامه المذكورة ، بكتاب لنسا
ترجمناه بكتاب « فرسان المعجم » معارضة لكتاب ابي عبيدة
معمر بن المثنى في « مقاتل فرسان العرب » وتوجد منه نصوص
في شواهد المغنى للسيوطي ١٩٣ ، ٢٤٣ ولسان العرب ٣٥٥/٥
وخزانة الادب ٣٠٤/٣ .

(١٢) المصادر السابقة .

(١٣) ابن النديم وابن خلكان (نفسيهما) .

(١٤) ابن النديم ، نفسه .

(١٥) ابن خلكان ٣٢٦/٤ ويراجع خبره في الاجزاء القادمة (يوم
الفجار) .

(١٦) ابن النديم الفهرست ١٤٢ .

(١٧) اشار ابن الانباري في شرح المفضليات (ص ١١٠) في اثناء
حديثه عن ايام داحس والغبراء ، الى ان حديثها « مر بتمامه في
كتاب داحس » لكن هذه الاشارة جاءت عرضا ، في حديث عن
رواية ابي عبيدة .

(١٨) لاحظ ان ايام فزارة اخذت من اهتمام ابن الكلبي في هذا الكتاب
والذي قبله : (ايام فزارة) وكذلك خرب داحس والغبراء ، التي
هي في الاصل بين عبس وفزارة ، وحتى كتابه الاخير في : « الايام »
يضم ايام فزارة مرة اخرى .

البسوس » عنوانها « حروب بكر وتغلب »^(١٩) ، ولا يبعد ان يكون جزءا من كتابه « وقائع بني شيان »^(٢٠) .

ويذكر اصحاب التراجم والطبقات ، لدى تدوين سير بعض الرواة ، انهم كانوا علماء في مادة « الايام » وقد يذكر لبعضهم تأليف فيها ، ويستطيع الباحث وهو يقلب صفحات هذه المصادر ، ان يجد مثل هذه الاشارات بصورة متفرقة .

والكتب التي ألت بأيام العرب على تفاوتها في ذلك كثيرة نذكر منها :

١ - كتب « شروح الشعر » المختلفة : مثل القصائد الطوال والمقطعات وايات المعاني وعلى رأسها نقائض جرير والفرزدق الذي جمعه محمد بن حبيب ، ونسبه الناس خطأ لابي عبيدة(*) ، وشرح المفضليات لابن الانباري ، وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي ، وشرح ديوان الحماسة ايضا للتبريزي وشرح البسامة لابن عبدون وشرح قصيدة ابن زيدون المعروف بسرح العيون لابن نباته وشرح الشواهد الكبرى للعيني ، وشرح شواهد المغنى للسيوطي ، ويجري مجراها كتاب معاني الشعر لابن قتيبة على قلة رواياته .

(١٩) مخطوطة بدار الكتب المصرية برقم (٢٠ ش) ادب .
(٢٠) « بكر وتغلب » كتاب مخطوط بدار الكتب المصرية برقم ٢٣ ش ادب ومطبوع بالهند ، مطبعة نخبة الاخبار (١٣٠٥ هـ) وطبعة الاستاذ سلمان الصفواني ببغداد ، وتوجد نسخة مخطوطة بخزانة كتب آل عيسى العطار بالعراق ويعزى لمحمد بن اسحاق (وهو غير ابن اسحاق صاحب السيرة على ما اعتقد) .
(*) تراجع مقدمة الايام في الجزء الثاني من هذا الكتاب ويراجع كتاب الدكتور غناوي : نقائض جرير والفرزدق .

٢ - كتب الادب: كتاب العقد الفريد لابن عبد ربه ، والاغانى
لابي فرج والامالي لابي علي القالي ، والامالي للشريف المرتضى
وسمط اللآلي للبكري ، ونهاية الارب للنويري ، وبلوغ الارب
للأوسي .

٣ - كتب الامثال : كتاب امثال العرب للمفضل الضبي
والفاخر للمفضل بن سلمة ومجمع الامثال للميداني والمستقصى من
امثال العرب للزمخشري .

٤ - كتب التراجم مثل الموشح للمرزباني والمؤتلف والمختلف
للأمدي ومعجم الادباء لياقوت .

٥ - كتب التاريخ والسيرة والبلدان : ومنها تاريخ الطبري ،
والكامل لابن الاثير ، وسيرة ابن هشام وكذلك كتاب التيجان من
ملوك حمير لوهب بن منبه (٢١) ومعجم ما استعجم للبكري ومعجم
البلدان لياقوت وصفة جزيرة العرب للهمداني والمسالك والممالك
للاصطخري .

(٢١) يوصف وهب بن منبه بانه عمدة المؤرخين في اخبار الانبياء
والملوك الماضين . كانت ولادته بصنعاء ونشأته باليمن ، وفيها
العرب واليهود ، وآثار السلف ، وقد صاحب ابن عباس ثلاث
عشرة سنة . وكان يقول : قرأت من كتب الله تعالى اثنين
وسبعين كتابا ولا غرابة في ذلك ، فقد كان يحسن قراءة الكتابات
القدمية الصعبة ، وانه كان يتقن اليونانية والحميرية ، (انظر
مروج الذهب للمسعودي ١٥١/٢ ط . عبدالرحمن محمد وارشاد
الاريب لياقوت ٢٣٢/٧ نشر مرجليوث . والمعارف لابي قتيبة
ص ١٥٨ ط . مصر ١٣٠٠ هـ والمفصل في تاريخ العرب قبل
قبل الاسلام ، جواد علي ٨٤/٥ ط . بيروت ١٩٦٨ مات في ١١٢
هجريه .

وقد تنوقلت اخبار الايام جيلا بعد جيل ، حتى انتهت الى هذه الكتب المدونة ، وكان اول من نقلها ، رجال الطبقة الاولى من علماء اللغة والشعر ، وهم ابو عمرو بن العلاء ، ويونس بن حبيب ومحمد بن السائب الكلبي وحماد الراوية وخلف الاحمر .

وهذه اخبار تلامذتهم النابھين ، تتحدث عن ذلك ، فالمفضل الضبي وابو عبيدة يرويان قطعة كبيرة من يوم داحس عن الكلبي (٢٢) . وابو عبيدة يروي عن ابي عمرو ابن العلاء يوم خزاز (٢٣) . بل ان الاسناد في كثير من الروايات اليهم ، اذ كانوا اقرب عهدا برواة هذه الاخبار ونعني بهم ابناء البادية الذين كانوا يهدون على الامصار الاسلامية ، وفي مقدمتها البصرة .

ومما قاله ابو عبيدة عن ابي عمرو بن العلاء : كانت عامة اخباره عن اعراب ممن ادركوا الجاهلية . مثال ذلك ما نقله عن ابي رجاء العطاردي حين سألته ما تذكر ؟ قال : اذكر قتل بسطام بن قيس . ثم انشد يثا رثى به : (٢٤)

فخر على الألاء لم يوسد كأن جبينه سيف صقيل

ولما ذكر جرير في شعره « نقا الحسن والغبيط » وهما يومان لقوم بسطام بن قيس ، في قوله :

(٢٢) انظر امثال العرب للمفضل الضبي ٢٦ ط . الجوائب ١٣٠٠ هـ والنقائض ٨٣/١ ط . اوربا نشر بيفان .

(٢٣) كتاب النقائض ١٩٠٤/١ والعقد الفريد ٢٤٥/٥ .

(٢٤) النقائض ١٩٠/١ والحماسة ٣٥/٣ (التبريزي) المعارف ١٨٩ وطبقات ابن سعد ١٠٠/٧ (والالاء شجر) .

فما شهدت يوم النقا خيل هاجر
ولا السيد اذ يطحن بالأسل السمر

ولاشهدت يوم الغيظ مجاشع
ولانتقلان الحي من قنتى نسر

وكان شيخ معمر قد ادرك الجاهلية يقال له : النخار بن العقار،
كبير قد شد حاجباه ، وقد سقطا على عينيهِ ، حاضرا ، قال : «ولاكليب
والاجل ماشهدت . ولاكنا الا سبعة فوارس من بني ثعلبة» (٢٥) .

وروى ابو عبيدة ايام عامر وغطفان ، عن ادرك شأس بن
زهير المقتول في يوم منعج (٢٦) قتلته غني ، قبيلة من هوازن . وكان
الاصمعي ينزل في غني ، وكانوا مجتورين ، هم وقبائل من بني عامر ،
فيحضر ناديا لهم ، وفيهم شيخ لهم طويل الصمت ، عالم بأشعارهم ،
فاذا سمع الشعر الجيد ، قرع الارض قرعة ، بمحجن في يده ، فينفذ
حكمه بكرر للمنشد ، واذا سمع مالا يعجبه ، قرع رأسه بمحجنه ،
فينفذ حكمه بشاة ان كان ذا غنم ، وابن مخاض ان كان ذا ابل ، فاذا
اخذ ذلك ذبح لاهل النادي (٢٧) . وروى ابن الكلبي عن اشياخ
ادركوا الجاهلية ، فضلا عن شيخه الشرقي القطامي واياه (٢٨) . وكان
يحدث عن محمد بن عبدالرحمن الانصاري ، عن عمرو بن الصامت

(٢٥) الموشخ للمرزباني ١٢٥ (السلفية ١٣٤٣) .

(٢٦) الاغانى ١١/٧٥-١٠٦ .

(٢٧) امالي القالي ٢/٢٦٤ وانظر خبرا آخر لهذا الشيخ في الموضوع
نفسه .

(٢٨) نزهة الالباء ص ٢٣ (نشرة علي يوسف) .

ابن شداد بن يزيد بن مرداس السلمي ، عن اشياخ من بني تميم
ادركوا الجاهلية (٢٩) .

واذا نحن دققنا اكثر من هذا ، وحاولنا ان نعرف المنابع الاولى
التي يستقي منها رواة القبائل ، وعلماءها وشيوخها ، ملاحظهم ،
اتصل بنا الحديث الى مسألة اخرى ، لاتقل عن قضية الرواية فسي
خطورتها ، بل ان البحث فيها اجدي من البحث في اصل الرواية
ومنابعها ، وتلك هي مسألة اصل الايام ، وهل لها مؤلف او هي من
وضع اجيال من البشر . وايضاح هذه المسألة يستدعي النظر في
الملاحم السامية التي سبقتها وخاصة تلك التي يطلق عليها « الايام »
مثل سفر « الايام » : الاول والثاني ، من اسفار الكتاب المقدس ، او
العهد القديم ، فالثابت ان « العبريين صنفوا » (٣٠) اخبار « الايام » في
الكتابين اللذين يوردان صورة مكملية موازية ، عن تاريخ مملكة
يهوذا ويتضمنان مختصر التواريخ المقدسة ، من ابتداء الخليقة الى
رجوع اليهود من سبي بابل ، وذلك عبارة عن (٣٤٦٨) سنة ، كتبها
عذرا (عزرا) بعد الرجوع من السبي ، معتمدا في كثير منهما على
سفري صموئيل ، وسفري الملوك . وهما يشتملان على (١٦٥)
اصحاحا ، يندرج في اربعة فصول كبار ، يتضمن اولهما جداول
مواليد ، والثاني تاريخ بني اسرائيل ، ويهوذا منذ انفصال الاسباط
الى سبي بابل ، في ايام داود وسليمان ، والرابع تاريخ سبط
يهود (٣١) .

(٢٩) معجم ما استعجم للبكري ٣٢٤/١ .

(٣٠) الحضارات السامية ١٥٩ .

(٣١) دائرة هارف البستاني ٨٠٢/٤ .

وقد عرض الأستاذ طه باقر لهذه المسألة وهو بصدد ملخضة
جلجامش فقال : « من ياترى كان مؤلف او مؤلفي هذه الملخضة
الخالدة ؟ » ثم اجاب : « لعل هذا سؤال من قبيل تساؤلنا : من ألف
ألف ليلة وليلة ، او الالياذة والاولديسة ؟ واذا كانت خلاصة الاجابة على
كلا السؤالين ، هو اننا نعرف بالضبط مؤلف او مؤلفي مثل هذه
الانواع من النتاج الادبي ، الا انه من المفيد ان نضيف بهذا الصدد
ملاحظة موجزة عن مسألة التأليف والمؤلفين في حضارة وادين الرافدين .
فما يقال بوجه عام ، اننا اذا استثنينا الادب الاغريقي ، والادب
اللاتيني ، فان القاعدة العامة في الحضارات القديمة ، هي ان يندر
ذكر اسم مؤلف الاثار الادبية ، وانه اذا جاءتنا بعض النصوص
الادبية ، وهي مزيلة باسماء بعض الاعلام ، كما هو الحال في بعض
مجاميع مكتبة اشور بانيبال الشهيرة ، فالغالب على هؤلاء الاشخاص ،
انهم من النساخ ، والذي نعرفه لحد الان ، انه لا توجد لهذه القاعدة
العامة ، سوى استثناءات قليلة ، ونذكر منها مؤلف الاسطورة المعروفة
بأسم (ايرا) (اله الطاعون) حيث ورد اسم المؤلف بهيئة (كيتي -
ايلاتي - مردوخ) ومعنى اسمه « مردوخ امجد الآلهة » ولكن حتى
في هذه الحالة ، يذكر لنا هذا المؤلف ، او الجامع ، ان الاله نفسه ،
ظهر له في الرؤيا ، وأملي عليه نص القصيدة ، وانه لما استيقظ
استذكرها ، ودونها بدون ان يضيف اليها او ينقص منها شيئاً ، مما
أملاه عليه الاله .

ومؤلف اخر ورد اسمه في قطعة مشهورة من النصوص الدينية ،
بهية « ساكل - كيثام - اوب » بيد ان هذا المؤلف ، لم يذكر
اسمه صراحة بالطريقة المألوفة ، بل اثبتته عن طريق تلك الصناعة

اللفظية التي سبق ان نوهنا بها (٣٢) Alleteration, Acrostic

والتي بموجبها ، اننا اذا اخذنا المقاطع الاولى من القطعة الادبية ، وجمعناها ، بعضها الى بعض ، فانها تؤلف اسما او دعاء خاصا للالهة ، اما في حالة النساخ والجامعين ، فنعرف عنهم اسماء كثيرة قد جرت العادة في النسخ الادبية ، ان نذكر اسماء مثل هؤلاء بعبارة (طبق نسخة فلان بن فلان) وعلى هذا الوجه ، ذكر احد جامعي ملحمة جلجامش ، سلسلة جلجامش طبق نسخة « سين - ليفي - اونتي » ومثل اسم الناسخ البابلي لقصة « اتراحاسيس » المشهورة ، حيث جاء اسمه بهيئة « كو - آي » Ku - Aya في عهد الملك البابلي « عمي - صادقا » .

ويقول سبتينو موسكاتي (٣٣) : « والحق انه يمكن القول ان فكرة الملكية الادبية كانت غريبة كل الغرابة عن عقلية الشرق الادنى القديم ، ومنه ارض الرافدين . فاسم المؤلف نفسه ، لم يكن امرا ذا بال ، ولهذا كان الانتاج الادبي في الغالب ، مجهول الصاحب » . ان قضية التأليف والمؤلف ، لم تظهر الا بعد ان نشطت حركة التدوين الاسلامية ، وظهرت كتب « المغازي والسير » ، وهي ضرورة أملتھا المرحلة التي كانت الامة العربية تجتازھا ، وبشكل خاص بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وعندما اخذ عصر الخلفاء الراشدين يجنح الى الافول ، في سرعة محزنة . ولا نستبعد ان يكون هذا اللون

(٣٢) اراد تدبيل اسم الناسخ مما يوهم انه المؤلف . وذكر الباحث بعد المصطلح شرحا للعبارة .

(٣٣) الحضارات السامية ص ٨٢ .

من فن الكتابة قد ظهر مع نشوء « علم التفسير » ، او انه ضرب من « التاريخ » في اوليته ، الا انه ليس ضرورة املتها المرحلة العلمية ، التي اجتازها علم التفسير ، وان كنا نلاحظ جيدا ، ان المغازي والسير كانت من بين المواد التي اتخذها المفسر في تقريب الآيات من اذهان الناس ، نظرا لما يتصل بالاية ، من ظروف يوضح نزولها .. وربما حادثة او غزوة .

لذلك انفرد بعض كتاب المغازي والسير في التأليف للتاريخ الخالص ، بعيدا عن مؤثرات المفسرين واحتياجاتهم ، فخصصوا كتاباتهم لاغراض هذا العلم الجديد^(٣٤) ، لذلك قيل عن عروة بن الزبير ، انه اول مؤلف في هذا الباب^(٣٥) .

الا ان الملاحظ في روايات الايام ، ان نسيجا واحدا خاصا ، صنعت منه ، وهو مادة روايات الايام . وكأن المؤلف او الراوية او المنسق لها ، قد وسمها بميسم عبقريته .

ولا شك ان الرواة هم الذين اخرجوا « الايام » الى حيز الوجود . لذلك تلونت بانماط السلوك الذي جروا عليه ، واتخذت اشكال المجتمعات التي وجدت في شبه الجزيرة ، وامتلات بالمحتوى الرمزي الديني لثقافتهم . وبالتالي تفردت بهذا الطابع القومي الذي لسم تشاركها به الامم المجاورة . على ان البطولة ومعاييرها ، ابرز وجه متطلع فيها ، وهذه الظاهرة تفسر واقعا فكريا ، لادب العرب ، ضمن حلقة الاداب السامية القديمة ، المستمدة من التماس الخلود في الحياة

(٣٤) الطبري - تاريخ ١/١١٨٥ - ١٢٨٤ - ١٦٣٤ (ط . بريل) .

(٣٥) كشف الظنون ٥/٦٤٦ .

قبل الموت وبعده ، بخلاف المفاهيم الكبيرة التي ارساها الفكر الاسلامي ، واستقر في تكوينه الفلسفي والادبي ، وذلك باستحالة الخلود في الحياة ، وحتمية الموت ، والفناء لحياتنا الاولى ، وابدية الحياة الثانية ، والخلود بعد البعث ، حتى تجلى ذلك في اشعار العرب بعدئذ ، وهي ظاهرة ندرسها في الباب الاخير .

اما انتهاء « الايام » الى اصول رسمية ، بسير وروايات شعبية ، لانعرف لها مؤلفا ايضا ، فهي ظاهرة سليمة ، ومصير تؤل اليه جميع الملاحم ، بل هو تطور طبيعي لها ، ونحن اذا بالغنا في البحث عن الجذور لجميع الروايات والسير الشعبية ، وجدنا اصولها الاولى ممتدة الى الروايات المثقفة ، ان لم تكن تشير بصراحة كالذي وقع ليومي البسوس وداحس والغبراء ، فهما من اصل مثقف بعد تحر وتحقيق^(٣٦) ولا تقتصر هذه الظاهرة على ادبنا ، بل لها نظائر في الملاحم العالمية والاداب القومية جميعا^(٣٧) .

ومن ينظر في « السير » ، يستغرب من عشرات التغيرات في

(٣٦) تنعكس قصة الحارث بن ظالم في « ايام عامر وغطفان » من كتاب « الايام » ، على الاسطورة الشعبية المسماة « بناقة بروديس » التي يتداولها سكان المنطقة القريبة من العراق ، المتاخمة للشام ، وهي نفس المنطقة التي دارت فيها احداث الرواية المثقفة ، في عصر الملوك الفسانيين والحارث بن ظالم ، وتمتد هذه الاسطورة الشعبية الى جهات من الشام ، اي في مسرح الاحداث . نقل الي هذا الحديث عن الناقة الاخ الدكتور خاشع المعاضيدي . وبردويس اسم الحارث الفساني لدى الاغريق . وانظر خبره في الفصل للدكتور جواد علي .

(٣٧) الكزاندراب - علم الفلكور (ص ٧٦) .

اسماء المواضع والمعارك والاشخاص، ولكن « سيرة الزير سالم وسيرة
عنتر » ، لم تطمس معالمهما تماما ، اذا قورنتا بيومي البسوس وداحس
والغبراء ، وهي الاصول المثقفة لهما . وملحمة جلجامش استقرت بعد
ذلك في المأثورات الشعبية ، ثم اصبحت فنا قوميا في اصقاع مختلفة
من العالم (٣٨) .

وقبل ان اتحول الى دراسة « جمع هذه الروايات وتدوينها » ،
لابد لي من الاشارة الى رأي « بلاشير » في روايات « ايام العرب »
عندما اعتبرها « مقدمات ثرية طويلة ، كمعلومات يضعها العالم
للقصيدة » وقال ايضا « كان العلماء يثبتون مقدمات للقصائد ، خوفا
من ان ينسى الابناء احداثها ، ونجد مثل هذه المقدمات عند الاوريين
في ادب الجواله (التروبادور) » (٣٩) فهو بذلك ، يجعل من العلماء
في العصور الاسلامية ، مؤلفين لروايات الايام ، وهو تعليل ابطلته
الروايات الكبيرة ، التي وردت في كتاب « الايام » لابي عبيدة ، مروية
بسند يمتد الى علماء القبائل ورواتها ، واحيانا الى اشخاص ادركوا
الجاهلية .

جمع الروايات وتدوينها :

ولانستبعد ان قدرا كبيرا من روايات الايام وسواها من التراث
الادبي القديم الذي انتهى اليها انما كان مدونا في كتب او صحائف
ولا عبرة بما يقال اخذا من عبارة ابن سلام حول حماد الرواية ، من

(٣٨) انظر مقدمة ملحمة جلجامش (بقلم طه باقر) ص ٢١ وما بعدها
ومقدمة ساندروز للملحمة ص ٤١، ١٣ .

(٣٩) انظر تاريخ الادب العربي ص ١٢٦ .

انه « كان اول من جمع اشعار العرب ، وساق احاديثها . . » (٤٠) ان الجمع معناه الاستظهار بالذاكرة دون التدوين فليس في كتب اللغة والادب ما يشير الى مثل هذا المعنى (٤١) . بل الذي بين ايدينا ، ينفي كل شك حوله ، فقد روى ان الخليفة الوليد بن يزيد ، ارسل الى حماد بمائتي دينار ، وأمر يوسف بن عمران ان يحمله اليه على البريد . قال حماد : « فقلت لايسألني الا عن طرفيه : قريش وثقيف ، فنظرت في كتابي قريش وثقيف ، فلما قدمت عليه ، سألني عن اشعار بلي ، فأنشدته منها ما استحسنته » (٤٢) . واستعار منه الوليد كتبه حين اراد ان يجمع ديوان العرب واشعارها واخبارها وانسابها ولغاتها (٤٣) . ويضاف الى ذلك ما قيل من وقوعه على كنز من الكتب ، استملاها وتحفظها ، فبلغ في العالم ما بلغ (٤٤) ، وعلى ان ذلك لا ينفي ان العرب شأنهم في ذلك شأن الشعوب القديمة جميعا قد وعت في صدورهم كثيرا من اخبارها واشعارها وتناقلتها الاجيال شفاه .

وقد كانت عملية الجمع من الضخامة بحيث ان العلماء والرواة انطلقوا الى اعماق المجتمع العربي الكبير ، يجتمعون ويدونون وهم ينتقلون من بلد الى بلد ، ومن قرية الى قرية . وفلاة الى فلاة ، وهي اكبر عملية ميدانية ، خرجت فيها البعث العلمية ، تنفض الاطراف

(٤٠) طبقات الشعراء ص ٧ .

(٤١) بلاشير ١٠٨ .

(٤٢) اثنان ٦/٦٤ .

(٤٣) الفهرست ١٣٤، ١٣٥ وقال ابن سلام « واستعار ايضا كتب جناد

ابن واصل ، وكان جناد اعلم الناس باشعار العرب وايامها .

(٤٤) اثنان ٦/٨٧-٩٤ .

والاعماق ، وتجمع المأثور الشعبي العظيم قبل ان يندثر « وكانوا ربما
اختلفوا وهم بالشام في بيت من الشعر او خبر او يوم من ايام
العرب ، فيبردون فيه بريدا الى العراق » (٤٥) فهؤلاء الرواة ، باحثون ،
علماء ، جمعوا هذا الموروث ، في لغة فصيحة وادب رفيع وكان
جمعهم له ، ودراستهم اياه ، وفق منهج نهضوا له بقابليات مذهلة
بلغت حد المعجزة . لذلك يعد دورهم في الفكر العربي دورا على
جانب من الاهمية ، فانجزوا اخطر المهمات في ادق الظروف ، واهرج
المراحل ، حيث كان ينظر الى كل عمل نظرة تحرج وحذر ، قياسا
الى فروع الدراسات الاسلامية ، يومئذ ، حيث اصحاب كميات هائلة
منها ، شفرات « النقد والتجريح » الحادة .

ولم يقتصر رواة الجيل الثاني على التدوين والجمع ، بل كانوا
ربما يستشيرون دفائن الماضي البعيد والقريب في الوثائق المودعة في
اماكنها التي كانت معروفة الى ذلك العصر . فقد استشير قبر وخرج
منه شعر كان صاحبه قد كتبه بيده ، وطلب ان يدفن معه (٤٦) . ووقع

(٤٥) انظر : التصحيف والتحريف للعسكري ص ٤ وقال كان قتادة
اجمع الناس ، فكان الرجلان يختلفان في يوم ، فيبعثا براكب
يسأل قتادة ، وينتهي الخلاف . وقدم رجل من عند اولاد بعض
الخلفاء يسأله عن يوم قضية ، ومن الذي قتل عامرا وعمرا
التغلبين ، فقال : « جحدر بن ضبيعة ، قتلها جميعا ، اعتوراه فطعن
هذا بالسنان ، وهذا بالزج » وانظر ايضا طبقات ابن سـلام
٥١-٥٢ « يوم قضية » من ايام البسوس .

(٤٦) المعمرون والوصايا - السجستاني ص ٦ .

هشام الكلبي ، على بعض وثائق الحيرة ، ونقل عنها اخباره ، (٤٧) وذهب نكلسن ، وهو يتحدث عن هشام الكلبي « وارشيات » الحيرة ووثائقها ، الى القول . (٤٨) بانه لم تكن مصادر البحث ، لدى المؤرخين العرب والمسلمين محدودة ، تحديدا زمنيا مضبوطة لفترة ما قبل الاسلام ، بل كانت تضم مقاطع اسطورية الى حد ما بطبيعتها عن ملوك الحيرة . وكانت الاشارات العارضة الى الحوادث المعاصرة ، عند الكتاب السريانيين والبيزنطيين الذين يصفون مارأوه عيانا ، قيمة للغاية ، لتثيت تسلسل الحوادث التي تفتقد في كتب المؤرخين العرب . ويمكن لفت الانتباه الى المعلومات المستقاة من هشام الكلبي المحفوظة في الطبري . وكان هشام قد توصل الى الوثائق المحفوظة في كنائس الحيرة ، ويدعي انه استخلص منها عدة تفاصيل ، تتعلق بالانساب والتواريخ الخاصة باللخمين . (٤٩) ، وقد اظهرت الكشف والحفريات وغيرها صحة بعض ماذهب اليه هشام الكلبي . (٥٠)

ومن هذا الباب ماذكره ابن سلام عن ديوان شعر العرب الذي كان عند النعمان بن المنذر ، وصار الى بني مروان (٥١) . ثم الخبر

(٤٧) الطبري ٣٧/٢ ط . مصر ١/٧٧٠ (بربل) قال هشام « كنت استخرج اخبار العرب وانساب آل نصر بن ربيعة ، ومبالغ اعمار من عمل منهم لآل كسرى وتاريخ سنيهم ، من بيع الحيرة ، وفيها ملكهم وامورهم كلها » .

(٤٨) تاريخ العرب الادبي ص ٨٠ .

(٤٩) دائرة المعارف الاسلامية ٤/٤٨٥ مادة تاريخ وانظر مقدمة كتاب الاصنام (١٢-١٨) وانظر ، العرب قبل الاسلام ١/٤٧-٤٨ .

(٥٠) انظر المصادر في الهامش السابق .

(٥١) طبقات فحول الشعراء ص ٢٣ (المعارف) .

الوارد عن حماد من (٥٢) ان النعمان امر ، فمسخت له اشعار العرب
في الطنوج - وهي الكراريس ، ثم دفنها في قصره الابيض ، فلمسا
كان المختار بن ابي عبيد ، قيل له ، ان تحت القصر كنزا ، فأحفره ،
فأخرج تلك الاشعار ، فمن ذلك ان اهل الكوفة اعلم من اهل البصرة
في الشعر » •

اما الرواية الشفوية فانها جمعت عن اعراب واشياخ ادركوا
الجاهلية ، فقد (روى ابو عمرو بن العلاء عامة اخباره عن اعراب
ادركوا الجاهلية) (٥٣) واشياخ من نجد (٥٤) ، وروى المفضل خبر
« يوم عشاش » عن اسناد متصل بالجاهلية (٥٥) . وكان ابو عبيدة
ينقل رواياته عن غير واحد من هوازن ، من اولى العلم ، وادرك
بعضهم آباء اجداد بعضهم في الجاهلية (٥٦) . وتتردد اسماء كثير من
البدو وغيرهم من الرواة القادمين من اعماق الصحراء ، ينقل عنهم
ابو عبيدة ، فهم منابع روايته الاولى : مسحل بن كعب ، عمارة بن
عقيل ، أيوب بن كسيب ، ابو منيع الكلبي ، ابو بسطام العدوي (٥٧) .
وكذلك كان يفعل الاصمعي (٥٨) ورفع ابن الكلبي اسناد حديثه عن
ليد والنعمان في خبر الربيع بن زياد العبسي الى عبدالله بن مسلم

(٥٢) ابن جنى - الخصائص ٣٩٢/١ (ط . الهلال ١٩١٣) .

(٥٣) البيان والتبيين ٣٢١/١ .

(٥٤) السيرافي - اخبار النحويين البصريين ٢٩ (نشرة كرتكو ١٩٣٩) .

(٥٥) المرزباني - الموشح ٧٥ ط . السلفية ١٣٤٣ .

(٥٦) امالي القالي ٢٧٦/٢ .

(٥٧) النقائض ٣٠/١ ، ١٠٤٥ ، ١٠٤٧ .

(٥٨) امالي القالي ٢٧٦/٢ .

البكائي ، وهو احد الذين ادركوا الجاهلية (٥٩) .

ان المحصلة التي في ايدينا من هذه النصوص ، هي حقيقة تؤكد وتؤيد ان العلماء الرواة جمعوا رواية « ايام العرب » جمعا ميدانيا من منابعها الاصيلية ، ثم انجزوها انجازا متكاملا ، بالرغم من شكوى ابي عمرو بن العلاء حول ضياع اكثر الشعر الجاهلي . وقد ضاعت الايام ايضا ، بعد ان جمعها ابو عبيدة ، فلم نثر الا على رواياته في كتاب « الايام الصغيرة » .

ونستنتج ان هذه المرحلة هي نفس مرحلة جمع الايام . الى ان هيالها القدر من (هوميروس) ليجمعها جمعا ادبيا منسقا ويخرجها في اطارها الملحمي المعروف . ان ظروفنا صعبة ومتشابكة احاطت بالايام فلم تدعها تأخذ طريقها نحو النضج والكمال ، سنذكرها في الفصول القادمة ، مع فارق كبير بين السمة الاسطورية للايام والسمة الواقعية للايام .

(٥٩) امالي المرتضى ١/١٣٧ ط . الحلبي ١٩٥٤ .

الفصل الثاني

التكوين الثقافي لرواة الايام

لا يستطيع باحث ، مهما أوتى من وسائل البحث العلمي ، ان يزعم ، انه قادر على اقتحام عالم الرواة الغامض ، مالم يفتح مغاليق شخصياتهم ، فهي الاساس في هذا الفهم العميق ، لان العقول الكبيرة الصانعة لاجمل اناشيد هذه الامة ، واسمى علومها ، ترجو منا ذلك .

لكننا وفق منهج سليم ، لن نفرق محصولنا ، او الناتج النهائي لعملية الجمع الطويلة ، لهذه المواد ، بسير وتراجم شخصية قد لاتنفع كثيرا ، وانما سنحاول ان ندرج بعض جوانب الحياة اليومية للرواية والعالم ، مسبوكة داخل فكره واعماله ، بحيث نضع الرواة على طريق رحلتهم الطويلة المضنية ، التي لم يكن لهم شغل شاغل فيها سوى الجمع والكتابة ، حتى بلغت كتب ابي عمرو بن العلاء سقف بيته^(١) . وكان الطلبة ينتقلون الى يونس بن حبيب ، فيحصلون من علمه ، عبر سنوات طوال ، فلا ينضب^(٢) . وقيل عن ابي عبيدة انه ظل يكتب الى ان مات^(٣) .

ولست ازعم انني استوفي هذا الجانب ، فهو وعر ، والروايات حوله مضطربة على كثرتها . وربما شابها الغموض ، فلا يعرف المرمى الحقيقي لها اللهم الا التشهير كالذي قيل عن عيسى بن عمر من ان

(١) البيان والتبيين ٣٢١/١ .

(٢) انباه الرواة ٢٧٧/٣ وابن خلكان ٣٢٥/٤ .

(٣) طبقات النحويين واللغويين - الزبيدي ١٩٢ .

يوسف بن عمر بن هبيرة ضربه بالسياط لقوله « ان كانت الا أثيابا في اسيفاط ، قبضها عشاروك »^(٤) ، فمن يصدق ان عالما يجلد بالسياط ، لاجل تقعره في كلامه !! وما قيل من ان ابا مهدية المنتجع الاعرابي ، كان به عارض من مس . قال ابو عبيدة : كان ابو مهدية يعلق عليه صوفا وقذرا ، فنقول له : ماتريد الى تعليق هذا عليك ؟! فيقول : انجاس ، حتى يتنجس مني الموت ، فلا يقدر علي^(٥) وهل يعقل ان رجلا يأخذ عنه العلماء ، يفعل مثل هذا الصنيع ؟! وليس ادل على ذلك من الفتية الذين يجلسون الى ابائهم العلماء ، فيحسون من ابائهم جهلا بحقيقة النص ، وابتعادا في تفسيره عن روح الاصل ، فيقول احدهم لاصحابه « قم واضربهم .. وابدأ بابي ! »^(٦) . ان الغموض يشوب كثيرا من الروايات لكننا نجمع اشتاتها ، لنقول في أمر الرواة ، وتكوينهم الثقافي ، مع نقص الروايات ، كلمة ترضي طموح البحث وتشبع شهوة الباحث عن الحقيقة .

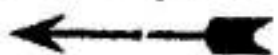
وازاء التطور السريع في الاحداث ، وظهور القضايا اللغوية الملتبهة ، لجأ العلماء الى رواية الشعر الجاهلي ، واستقصاء اخباره والاستشهاد به في التفسير والحديث ، حتى بات الاستشهاد بالشعر الجاهلي لتفسير موضع من مواضع القرآن الكريم او الحديث الشريف أمرا مألوفا في الكتب^(٧) . فتشدد بعض العلماء بالرواية ،

(٤) المعارف لابن قتيبة . ٥٤٠ .

(٥) طبقات النحويين واللفويين ١٧٥ .

(٦) نفسه ص ٩٢ .

(٧) انظر ابن هشام ١٥٤/١ والطبري - تفسير - ٤٦٢٤٥/١٤



فلم يكونوا يستشهدون بغير شعر جاهلي ، ويرفضون ماوردت تسميته على لسان ابي عمرو بن العلاء بانه : شعر محدث^(٨) .

لقد كان اوائل العلماء ، تحت تأثير مرحلي ملح ، جماعين فحسب . لذلك لانستغرب ان يقال عن ابي عمرو بن العلاء ان مؤلفاته بلغت سقف بيته^(٩) ، وان حماد الرواية ، اذا سئل عن شعر قبيلة ، نظر في كتب القبائل التي جمعها بين يديه^(١٠) . ولم تكن عملية الجمع منصبة على الشعر فقط ، بل ظل هؤلاء الانسانيون الكبار ، يعيدون الى كثير من اعمال الفكر الجاهلية اعتبارها ، ويعثون معها مقومات نهوضها ، ففارقت اكفانها اساطير واخبار ، كان يظن انها مضت الى غير رجعة . حتى قيل عن ابي الكلبى ، انه كان يطلع على « ارشيفات » الحيرة ووثائقها التي حوت مقاطع اسطورية الى حد ما بطبيعتها ، عن ملوك الحيرة^(١١) .

استشهد الاول بشعر لامية بن الصلت ، وهو احد المعادين للاسلام ، واستشهد الثاني ببيت للعجاج ، وهو لم يدرك عصر القرآن . وانظر بلاشير ص ١٢٠ .

(٨) البيان والتبيين ٣٢١/١ قال الاصمعي : جلست الى ابي عمرو ابن العلاء عشر حجج ما سمعته يحتج ببيت اسلامي . وقال ابو عمرو : لقد كثر هذا المحدث وحسن حتى لقد هممت ان آمر فتياننا بروايته . يريد شعر جرير والفرزدق وغيرهما .

(٩) البيان والتبيين ٣٢١/١ .

(١٠) الاغانى ٩٤/٦ .

(١١) انظر تاريخ العرب الادبي - نكلسن ص ٨٠ وعبارة ابن الكلبي في تاريخ الطبري : سجلات .

ولما تقدم العصر قليلا ، تحول الرواة من اناس وادعين ينشدون الشعر ، ويرددون ملاحم الايام واخبار الاعصر الماضية ، الى علماء ذوي اختصاص ، استقطب الشعر الجاهلي والادب القديم وايام العرب ، جمهرة منهم ، واستقطبت علوم الدين المختلفة : القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف ، والسنة ، والفقه ، جمهرة اخرى . ومن ذلك الراوية او « الآثر » (١٢) ، الفنان ، الموغل في القدم ، ولد رواية القرن الهجري الاول ، او الراوية العالم بادق تعبيره . وبذلك اصبح مدلول « الراوية العالم » اوسع بكثير من مدلول راوية الشعر .

ولم تظهر الخصومات حادة في اول امرها ، بل اشتدت بين تلامذتهم ابناء الجيل الثاني . وان كان مايروي عن ابي عمرو بن العلاء ، وكان ممن يقولون : بالارجاء ، بانه دخل مع المعتزلة في محادثات كلامية ، واشكالات لغوية وفكرية (١٣) فكان ان لقي مثل هذا العنت ، تلامذته الذين عرفوا او اشتهروا بافكار العصر يومئذ . فقل عن ابي زيد الانصاري مثلا انه كان يقول بالجبر ، وان ابا عبيدة كان خارجيا ، وقيل قدريا ، بل حتى قالوا عنه : كان ابا ضيا ايضا (١٤) . ان هذا الجانب ، وان كان في كتب التراجم والطبقات ، عبارة عن شذرات من اخبار خاطفة ، يرسلها لمصنفون من وراء

(١٢) وردت هذه التسمية للرواية في كتاب ابي زيد القرشي - المقدمة وهي في اعتقادنا اوسع مدلولاً ، لانها تضيف عليه صفة عالم آثار فضلا عن اللغة .

(١٣) مراتب النحويين - ابو الطيب اللغوي ص ٧٠ .

(١٤) طبقات النحويين واللغويين ص ١٩٢ .

العصور ، الى الاجيال ، دون ان نعرف ما يحيط بها ويجري فسي داخلها . فيقال فقط ، ان فلانا كان يتخفى من الوالي الفلاني ، او ان المفضل الضبي خرج مواليا للثورة الفلانية ، او ان ابا عمرو بن العلاء ، تقرا « اي تنسك » مرة ، اثر ازمة زهدية مرت به ، ثم عاد الى علمه الذي احرقه في اثناء تلك الازمة ، فلم يكن يرجع الا الى ما حفظه على ظهر قلبه^(١٥) وهكذا تدور الاقوال السريعة ، لكن الحكايات الباطلة ، المتضمنة شتم العلماء والرواة والصاق التهم بهم ، وتدوين الخصومات ، تطول في كتب التراجم والطبقات ، فاعتبر الهيثم بن عدي^(١٦) مثالا على جلالة علمه مارقا لانه كان متهما بانه خارجي .

ولا يغرب عن البال ان الجيل الثاني ، ابا زيد والاصمعي وابا عبيدة ، تركزت فيهم قضايا عصرهم ، وتمثلوا ثقافات انكثير من الامم القديمة ، واستلهموا ثقافة العرب الاولى ، فاجتازوا آفاق الاوائل ، بل ان المقارنة بين الاباء والابناء تمتنع احيانا . ويؤكد كلامنا هذا ، في تطور العقلية العلمية للرواة ، وتقدم التلاميذ على الاساتذة ، مذكره ابن سلام قال : سمعت ابي يسأل يونس بن حبيب عن ابن ابي عمير وعلمه ، فقال يونس : « هو والبحر سواء » اي هو الغاية . قال : فأين علمه من علم الناس اليوم ؟ قال « لو لم يكن في الناس اليوم احد لا يعلم الا علمه يومئذ ، لضحك منه ، ولو كان فيهم من له ذهنه وتقاده وصبره ونظره ، لكان اعلم الناس^(١٧) ، وهذه وثيقة

(١٥) البيان والتبيين ٣٢١/١ .

(١٦) انباه الرواة ٣٦٦/٣ وترجمته في هذا الموضع المشار اليه براءة له عن كل مثلية تلصق به .

(١٧) طبقات النحويين واللفويين ص ٢٦ .

اعتراف ، عالية جدا ، لفضل المتقدمين على المتأخرين ، وهي ايضا
تقييم اعمال السلف في مقياس نقدي سليم ، وثالثا : شهادة تدعم
القول الذي نقله السيوطي (١٨) « كان في العصر ثلاثة هم أئمة الناس
في اللغة والشعر وعلوم العرب ، لم ير قبلهم ولا بعدهم مثلهم ، عنهم
اخذ جل ما في ايدي الناس ، من هذا العلم .
ومما لا شك فيه ان رواة الاخبار والاشعار وايام العرب ، كانوا
يلاقون لجاجا من رواة الحديث ، وعلماء الفقه ، وارباب التفاسير ،
يؤكدده اقدم ابي عمرو بن العلاء على احراق كتبه ، ثم تنسكه ،
وقيام ابي عمرو الشيباني باستنساخ مصحف وايداعه احد الجوامع ،
كلما انجز ديوان قبيلة من القبائل (١٩) ومر خلف الاحمر بنفس الازمة ،
وكان الاصمعي محررا جدا ، ولا عجب اذا تخرج من جاء بعدهم من
رواية الشعر واخباره والعمل في حقل « الايام » لان انظار رجال
الحديث موجهة اليهم شزرا .
ويخيل الى ان العصر الاموي ، كان بالنسبة لرواة الاخبار
والاشعار ، عصرا ذهبيا ، فقد كانت هذه الروايات تلقي القبول
والعطف من الخليفة الاموي معاوية ابن ابي سفيان ، عندما استقدم
سحارا العبدى ، وعبيد بن شربة ، أمر غلمانهم ان يقيدوا كل علم
وخبر ورواية تخرج من هذين الرجلين ، ثم يضعونه في كتب . وكان
عبيد نموذجيا غريبا من مزيج (اسطورة وشعر وروايات) فكان معاوية
معجبا به اعجابا كبيرا .
فالعصر الاموي هو عصر الازدهار الادبي من جهة ، والبحث

(١٨) المزهري ٤٠١/٢ اراد بالثلاثة ابا زيد والاصمعي واما عبيدة .

(١٩) الفهرست ١٠١ (المكتبة التجارية ١٣٤٨) .

العلمي من جهة اخرى ، لذلك لم ينسح حماد الراوية ولاءه لعباسي ، بعد ان رأى بعينه زوال الامويين ، فاعتزل الحياة والناس الى ان مات . وليس ادل على ذلك ، من قول ابن الكلبي يعتذر عن المخالفات التي ظهرت في بعض كتبه « بالخوف من السلطان » وروى قصته مع خالد القسري وتحويره في نسب جدته التي كانت بغيا في بني اسد^(٢٠) والنضر بن شميل ، وقد كان مقربا من الخليفة هشام بن عبد الملك ، حتى اودع اليه مهمات كبيرة^(٢١) ، ولما صار الحال الى العباسيين ، ضاقت به المعيشة ، فهجرت البصرة ، ونفسه فيها ، حيث قال في خطبة توديعهم وقد خرجت مظاهرة من العلماء ، يقدرها ابو عبيدة بثلاثة الاف عالم : « تعز على مفارقتكم ، والله لو وجدت كل يوم كيلجة^(٢٢) من باقلا مفارقتكم » فلم يكن احد يتكفل له بذلك ، حتى وصل الى خراسان ، فأفاد اموالا عظيمة^(٢٣) .

وكان في عصر الامويين محدثون ومفسرون وكتاب سير ومغازي ، وكان في هذا العصر ايضا ، رواة ايام واشعار ، لكن لم تكن بينهم وبين رواة الحديث وعلماء الفقه خصومة ، ولا تشنيع . فظهرت هذه البوادر بعد ان ارتقت الحياة المعاصرة ، فخرجت عصبية القبائل الناهضة من مراقدها ، ودخلت في تكتلات المدن ، فكان لرجال العلوم الدينية شأن ، لان الفكر الديني للاسلام يتميز بفاعلية وشمولية نحو جميع القضايا الانسانية ، فالتزم الخليفة

(٢٠) الاغانى ٥٨/١٩ .

(٢١) انظر خزانة الادب ٥١٩/٢ .

(٢٢) الكيلجة (كيل معروف عند اهل العراق يزيد على الرطلين) .

(٢٣) طبقات النحويين واللفويين ص ٥٣ .

العباسي ، جانب المحدثين وعلماء الفقه ، وضعف شأن رجال الادب والشعر والاخبار والايام ، بل اللغة والنحو والعروض والبلاغة فاصبحت في المرتبة الثانية ، ودخلت افلاكا ظلت تدر فيها الى اليوم . ثم كانت غيرة رجال الحديث على عملهم ، وكان المحدثون ينظرون الى رجال الادب وعلماء الشعر وايام العرب نظرة ريبة . ويعتبرونهم مجرحين ، لم تتوافر فيهم الشروط المنصوص عليها في الرواية عندهم ، وقد نبه على ذلك احمد زكي باشا^(٢٤) فقال « فلا عجب اذا رأينا اهل الحديث يجرحون ولا يرضون عن ابن الكلبي ، ولا عمن نحا نحوه من التاريخيين والاخباريين ، لالشيء سوى انهم تعرضوا لرواية الآثار ، دون ان تتوافر فيهم الشروط اللازمة ، فيمن يتصدر الاملاء الحديث ، فحطوا من اقدارهم ، لانهم اقدموا على تدوين الآثار المزوجة ببعض الاساطير والقصص ، وهذا هو الذي دعا اصحاب الحديث ، المتعانين في خدمته ، المتعاهدين على صيافته الى الطعن على امثال اولئك المصنفين ، والتحذير من الاخذ باقوالهم . . » .

ونحن نعلم ان هؤلاء الرواة الكبار ، وخاصة ابا عبيدة والاصمعي وابن الكلبي - الحلقة الثانية في طبقات الرواة - روى الحديث ايضا ، لذلك هب رواة الحديث ، المنقطعين اليه وفق الشروط المطلوبة ، نائرين في وجه اهل الرواية الادبية ، مع انهم لا يستحقون كل هذا العداء . قال الاستاذ احمد زكي باشا عن ابن الكلبي^(٢٥) . « ولا نريد جعله في عداد اهل الحديث ، ولكنه احد جهابذة العلماء ،

(٢٤) مقدمة كتاب الاصنام ص ١٣ .

(٢٥) مقدمة كتاب الاصنام ص ١٣ .

تفتخر بهم الحضارة العربية ، قيد كثيرا من الشوارد والاوابد ،
ومبدؤه في نقل الاخبار ، كانت له منها حيلة وحذر كبيرتان ، ولا
ندري من اين جاء تجريحه في الحديث ، فمن ذلك قوله : « الاسناد
في الخبر ، مثل العلم في الثوب » . ذكر ياقوت هذا المبدأ ، وعقب
عليه « فأما انا فمازلت احب الساذج من كل شيء » . « لاجرم انا
نعمه من اركان النهضة الشرقية ، واساطين العلم ، الا ان المؤرخ
والاخباري ، قلما يخلو من السقطات ، لاسيما عندما يتعرض لرواية
الاخبار القديمة » .

وازاء هذا المناخ غير الملائم ، وامام جميع الهجمات ، كانت
صدور الرواة تمتلئ غيظا ، فكان بعضهم يؤثر السلامة ، ويقلل من
روايته ، لدرجة انه يتخرج في كل مايقول ويكتب . بينما استمر
اخرى ، صامدين ، يكتبون بغزارة ، مع ان الخصوم سموا الاجواء
عليهم . وكان على رأس الواقفين على اقدامهم : ابو عبيدة بعد ان
رأى بعينه استاذة ابا عمرو بن العلاء يحرق مؤلفاته بيده ، وينتهي
متمسكا في زاوية . ورأى خلف الاحمر عقب ازمتة الزهدية ، يؤثر
أن يتوارى ، حتى لم تبق فيه بقية من معصية^(٢٦) ، بعد ان كان اكبر
عقلية في عصره ، ملما بكثير من البدايات الاسطورية لانواع الاداب
والعلوم ، وتفصح لنا عبارته التي نقلها الينا الاصمعي حول شعر
المديح في العصر العباسي عن هذه العقلية ، ذات المزيج العجيب ،
حيث يقول : « كنت أظن ان رقية الحية ، اطول رقية ، فاذا رقية

(٢٦) طبقات النحويين واللفويين ١٧٩ (وكان حدثت له عبادة في آخر
ايامه ، حتى لم تكن له سيئة) .

المدح اطول منها» . فأي ربط فذ للتعاويد والرقعي بمطولات المديح، ونحن نعلم ان اصل شعر المديح ، كان يقال لمدح الشعراء انفسهم في الزمن الغابر (٢٧) ، وكانوا كهانا وخداما في بيوت الآلهة ، ولم يعد خافيا بعد هذا سبب مطولات المتنبي في المديح ، وعرفنا ايضا - الان - لماذا كان يختص باكبر نصيب من هذه المطولات ، بمدح نفسه هو ، فقد كان هؤلاء - المتنبي ومن سبقه - على صلة مباشرة باكبر معطيات العصور القديمة ، وانواع ثقافتها . وكان فريق كبير من هؤلاء العلماء الانسانيين ، يعانون صراعا داخليا ، فاسكتوا الصوت في داخلهم ، بما رأوه يناسب الموقف ، والعاطفة النبيلة التي فيهم (٢٨) .

ولم يكن علماء الحديث والمفسرون باسعد حالا من علماء الشعر ، بل كانت حالتهم النفسية اسوء بكثير ، لتحرجهم ، وخوفهم من التزيد والوضع والكذب ، لقول النبي صلى الله عليه وسلم : « اللهم لا اهل لهم ان يكذبوا » « من كذب علي فليتبوأ مقعده من النار » (٢٩) ، فقال المنقع بن الحصين (فلم احدث بحديث عن النبي (ص) الا حديثا نطق به كتاب او جرت به سنة ، يكذب عليه في حياته ، فكيف بعد موته » (٣٠) وقال سعد بن ابي وقاص « اخاف ان احدثكم واحدا ، فتزيدوا عليه المائة » (٣١) ونقل الاصمعي لخلف

(٢٧) فن الشعر - ارسطو ص ١٣ وانظر هامش المترجم رقم ٢ .

(٢٨) نريد بذلك ابا عمرو الشيباني ، المتقدم ذكره ، وكان يكتب مع

كل ديوان شعر مصحفا يودعه احد الجوامع (الفهرست ١٠١) .

(٢٩) طبقات ابن سعد ٧ : ٤٣ ، ٣ : ٧٥/١ ، ١٠٢ (بريل) .

(٣٠ ، ٣١) المصدر السابق نفسه .

قوله : « اذا كان الحديث موضوعا ، كان على مايشتهي الناس ، فاذا كان حقا ، كان على مايشتهون وعلى مايكرهون » (٣٢) وكان عمران بن الحصين (٣٣) يكثر من انشاد الشعر، ويمتنع عن الحديث ، ويقول: « ان لكم في الاعاريض لمدوحة عن الكذب » . وكان يقول ايضا : « والله ان كنت لأرى لو شئت فحدثت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يومين متتابعين ، ولكن بطأني عن ذلك ، ان رجالا من اصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) سمعوا كما سمعت ، وشهدوا كما شهدت ، ويحدثون احاديث ، ماهي كما يقولون ، واخاف ان يشبه لي ، كما شبه لهم » . وابو خليفة الفضل بن الحباب ، كان من اجلاء اصحاب الحديث ، بل كان اهل الحديث يأتونه ، يقرأون عليه ، فاذا اتاه اهل اللغة تحول اليهم ، وترك اهل الحديث وقال : « هؤلاء غثاء » (٣٤) وكان شعبة اذا ضجر من الحديث ، تحول الى الشعر القديم . ورمى بطرقه يوما فرأى سعيد بن اوس في اخريات الناس ، فقال ، ياأبا زيد :

واستعجمت درامي ماتكلمنا والدار لو كلمتنا ذات اخبار
الي ياأبا زيد . فجعلا يتناشدان الاشعار ، فقال بعض اصحاب الحديث لشعبه : ياأبا بسطام ، تقطع اليك ظهور الابل ، لنسمع منك حديث رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فتدعنا وتقبل على الاشعار؟! فغضب شعبة غضبا شديدا ، ثم قال : يا هؤلاء ، انا أعلم

(٣٢) طبقات النحويين واللفويين ص ١٧٩ .

(٣٣) صحابي متوفى سنة (٥٢ هـ) انظر طبقات ابن سعد .

٢/٤ : ٢٦ .

(٣٤) طبقات النحويين واللفويين ١٩٤ .

بالأصلح لي ، انا والذي لا اله الا هو ، في هذا اسلم مني في ذلك^(٣٥) وكان يقال : « رواة الشعر اعقل من رواة الحديث ، لان رواة الحديث يروون مصنوعا كثيرا ، ورواة الشعر ساعة يشدون المصنوع ينتقدونه ويقولون : هذا مصنوع^(٣٦) » .

وهذه النصوص تغني عن كثير من الكلام ، حول مقدار الشكوك الاخذة بخناق اهل الحديث ، وحجم القلق المطبق عليهم ، لان الكذب على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) شيء يفوق التصور ، وان خوفهم ظاهرة طبيعية ، تدل على اصالة وحب حقيقي ، ولو لم يفعلوا ذلك ، ما وصل الينا هذا الفيض الالهي ، بمثل هذا النقاء .

ولم تقتصر الخصومات الفكرية ، المتحولة الى دوافع شخصية ، وغير علمية ، وحرص ديني نبيل ، بين اهل الحديث ورواة الشعر ، بل كانت تدور بين علماء الطائفة نفسها ، فمن ذلك خصومات اللغويين والنحويين والاختباريين ، وكذلك الخصومات المعروفة بين ارباب العلوم الدينية .

ويهمني ان اعرض رأي الباحثين في مثل هذه المواقف ، وما يرونه في ادب العصر الجاهلي ، فقد جعل بعضهم هذا الادب عرضا من اعراض الدنيا ، يرتزقون بروايته ، وذكر اخباره حيناً ، وينتشون بما فيه من امتاع فني حيناً آخر ، ويجد فيه اهل الحديث متنفساً ، حيث

(٣٥) نزهة الالباء ٨٩ (نشر علي يوسف) وابن سعد ٢/٧ : ٣٨ .

(٣٦) امالي القالي - الذيل ص ١٠٥ .

لا جرح ولا اثم (٣٧) . ولا يمكن ان يوجه الكلام في الادب الجاهلي
ولا رواته ، هذا التوجيه ، ولا نستطيع ان نقل من شأن اصله هذا
التقليل ، فما علاقة « عرض الحياة الدنيا » بالادب الجاهلي ؟ انه
ثقافة ، تزخر فيها حياة امة على امتداد زمني بعيد ، وميراث بين عراقة
شعب ، وان حقيقة الامر تتجلى في كون الادب الجاهلي ، كان يسير
في طريق ، غير طريق العلوم ، وان الجمع بينهما خطأ يرفضه واقع
القضية ، لان العلوم المنبثقة من صميم الفكر الاسلامي ، اخذت
طريقها نحو وجهة غير وجهة الشعر الجاهلي ، فكان لنا من ذلك ثلاث
مجموعات من العلماء الرواة ، يعملون في ثلاثة حقول كبيرة وخطيرة ،
لكن طبيعة العلم والعلماء ، واتحاد اللغة ، وهي الاداة والوسيلة ،
واتحاد الثقافة : وهي الهدف ، ثم الامة الواحدة والامتداد التاريخي
الواحد ، كان يجمعهم . اما المجموعة الاولى ، وهي احداث
المجموعات ، فهي المتمثلة برجال العلوم الاسلامية ، تفسير وحديث
وفقه وشريعة وغيرها ، وكانت حاجتها الى الشعر القديم قائمة .
والمجموعة الثانية ، وقد اشتغلت في النحو واللغة ، وافادت من الشعر
القديم كثيرا وبخاصة عند الاستشهاد . واما المجموعة الثالثة من
الرواة ، فهم موزعون بين من اختص بالادب الجاهلي ، وبعضهم
مختص بالادب الاسلامي ، وغالبيتهم جمعت بين الحقلين .

ومن هذا الاساس ، يمكن ان نتطرق الى توزيع واضح للرواة ،
والعلماء ، ومن هذا المنطلق ، ارتفعت الحواجز ، ونشأت معها
الخصومات ، والعداوات العقائدية المعقدة . واما قول الباحث ، في

(٣٧) ناصر الدين الاسد - مصادر الشعر الجاهلي ٢٧٦ .

كون رواية الحديث ، مالوا الى رواية الشعر وانشاده حيث لا حرج ولا اثم^(٣٨) فربما كان صحيحا ، اذا قيس الى تخرجهم بالنسبة للحديث ، لكن يجب ان لا يغيب عن بالنا ، بان هذا الشعر الذي نميل اليه هو شعر جاهلي ، واخبار اساطير ، كان تحريكها في مخيلة الناس امرا لا يخلو من خطر ، لان قرب العهد بها لا يشجع على ذلك ، واثنا نتذكر ، قبل قليل ، بأن الكلبى اتهم لهذا السبب ، لكنهم قد يحققون في انفسهم هذه الرغبة ، او هذا الميل ، استنادا الى قول من قال : « حنانيك بعض الشر اهون من بعض »^(٣٩) واما نحن اليوم ، حيث نعالج هذه المخاطر بشيء من التفتح ، فسيبه ان الايمان راسخ

(٣٨) المصدر السابق نفسه .

(٣٩) هذا شطر من بيت قيل في يوم البسوس ، وتمامه :

ابا منذر افنيت فاستبق بعضنا حنانيك بعض الشر اهون من بعض

وابو منذر هو الحارث بن عباد الذي كان معتزلا هذه الحرب ، فقتل مهلهل ابن ربيعة ابنا له صغيرا دون ذنب اقترفه ، فلم يغضب الحارث ، بل قال : لعله في دم ولدي بواء بدم كليب ، ويصطليح القوم . فلما قيل له ان مهلهلا عندما قتله قال : يؤ بشسع (نعل) كليب ، غضب الحارث وقال :

قربا مربط النعامة مني لقتت حرب وائل عن حيالي

وكان اقسام الا يصلح تغلب حتى تكلمه الارض . فشقوا نفقا في الارض ، وادخلوا فيه رجلا يتغنى بالبيت المذكور سابقا ، ليسمعه الحارث فيبر بقسمه .

انظر العقد الفريد ٢٢١/٥ وشرح البسامة ١١٧ . ونهاية الارب ٤٠٤/١٥ وعجزه (حنانيك ان الشر اهون من بعض) والبيت لطرفة في ديوانه ١٤٢ .

في نفوسنا ، وان الكشوفات العلمية ، اعطت الدليل القاطع على تطور الفكر الاسلامي ، وعلميته الواضحة .

وقبل ان أفض قضية التكوين الثقافي للرواة، ومواقفهم الفكرية ازاء عصرهم ، ومواقف غيرهم منهم ، بل هم انفسهم من بعضهم ، اريد ان اشير الى قضيتين بارزتين في صحف اعمالهم . والقضيتان تنضويان تحت عبارة : التقييم ممتازا في العلم والسلوك الاجتماعي . باعتبار العالم يتصرف تصرفا مسئولا ، لذلك تتأرجح اقوال المصنفين بين « التنزيه » وبين « الاتهام والادانة » وان امثلة بسيطة لبعضهم ، يمكن ان تعد نماذج منتقاة لاكثرهم . واما التبلبل الرئيسي في هذه الشهادة المنقولة مع توفر قناعة الكاتب ، وسلامة نيته ، فمردها - كما تقدم - الى خصومات ، ثارت بها غيرة رجال الحديث بالدرجة الاولى على عملهم ، واستكبارهم على رجال الشعر والادب وايام العرب ، حين وجدوهم يتصدرون للتحدث ، دون اي شرط متوفر في شخصهم او عملهم ، اما بالنسبة لشخصهم فهي اباحة المحظور لانفسهم كالخمر ، واما العلم ، فهو التنقيب في المأثور كالاساطير . والسبب الاخر بعثهم لشعر أباده اسلام ، ومنع روايته ، واعتكاف قسم منهم على كتابة « الايام » وروايتها ، وهي تتضمن خلاصة الثقافة العربية الاولى ، ممتزجة باساطير وقصص ، لا يرى رجال الحديث حاجة في بعثها يومئذ ، لان فيها اضعافا لوازع الضمير الديني الموحد وايقاظا لشعور جاهلي ، اساسه العصبية ، والاستقلالية الفردية لا بعد مداها ، والاستهتار ببعض القيم الشعورية ، فضلا عن التشريع والنظام الجديدين ، فاعتبروا ذلك كله ، خطرا يهدد ، او على اقل تقدير ، يبدد ما جمعته يد الاسلام بعد توضحيات جسام .

ولم يلق الاوائل فالحق تلامذتهم ، ولا كان الجميع في موقف واحد . ولا بلغنا ان ابا عمرو بن العلاء ، وهو اول شخصية علمية موسوعية ، متعددة الجوانب ، لحقته تهمة معينة ، ولعل كونه احد القراء ، منحه تحصينا خاصا ، ضد كثير من التهم والافتراءات التي كانت ستثار ضده . ومع ذلك فالأخبار افادتنا بنسكه . واكثر من هذا لم يشع عن ابي عمرو ، ولا قيل في حبيب بن يونس شيء ، لان الرجل آثر السلامة كما سوف يؤثرها تلميذه الاصمعي ، مع انه ثاني استاذ لابي عبيدة بعد ابي عمرو ، كان ينقل الواحة ويذهب اليه ، يملئ من عمله طوال اربعين عاما^(٤٠) فلن نستغرب ان لم تصل اليه شائعة ، لكن ، كما رجحنا ، آثر النحو واللغة ، وفضلهما على غيرهما ، فهما اللذان حصناه ضد شائعات العصر وتزديدات المصنفين واصحاب التراجم والطبقات . واما حماد الراوية ، فأقل ما قيل فيه انه كان كاذبا . ولكنه باعتراف خصومه كان عالما ، واسع الرواية ، وان اكثر هذه النعوت ، تصدى لها الباحثون في هذا العصر وخطؤها ، واظهروا وجوه ضعفها وتهافتها^(٤١) . ويستتبع هؤلاء نخبة اخرى من العاملين في حقل الادب ، والمأثورات و « الميثولوجيا » منهم : محمد بن السائب الكلبي والشرقي القطامي ، وهشام لابن محمد الكلبي ، وخلف الأحمر الذي هو ايضا مرت به عاصفة الزهد التي هبت في تلك

(٤٠) انباه الرواة ٢٧٧/٣ وابن خلكان ٣٢٥/٤ .

(٤١) انظر مصادر الشعر الجاهلي (ص ٤٣٨-٤٥٠) وانظر بلاشير

ص ١١٦ واشارته الى مقالة مرغليوث في (اصل الشعر العربي)

والتهم التي وجهها الى حماد ، ودفاع برونليش لتبرئته ، ومقالة

يعقوب بكر في مجلة الرسالة - القاهرة ، الاعداد ٦٤٣-٦٤٧

سنة ١٩٤٥ .

الحقبة من العصر العباسي ، واجتاحت في طريقها صديق خلف ، أبا
ثؤاس الشاعر ، حيث غسل كل سيئات العمر بدموع ندمه الطويل ،
الا ابا عبيدة ، فقد مكث واقفا كهدف يرمى ، بشتائم المناوئين
والخصوم . . الى ان مات . .

ولا اريد ان اكثر من ذكر الاسماء وما أدينت به ، لكن يمكن
ان يقال ، ان جميعهم خرجوا متهمين ، اما بالشعوية ، او الشبهة
بالمعتقد والدين ، او الجهل بطرف من اطراف العلوم ، او الطعن
بالناحية الاخلاقية . ونحن نستعرض تحليلا عاما لهذه العناصر في شيء
من الكلام ، منبهين قبل كل شيء على امرين :

(أ) ان التهم تركزت في الجيل الثاني بحكم العصر الذي يعيشونه ،
لان هذا الجيل عاش اكثر عمره في العصر الاموي الذي
احتضن هذا النمط من الدراسة والعلوم .

(ب) ان الرواة الذين عاشوا عصرين - امويا وعباسيا - حمادا
مثلا ، لم يذكر عنه انه كان يكذب ويروي شعرا منحولا
ويتزيد ، بل كل اتهام موجه اليه ، اصله في العصر العباسي .
وهذا يقوي عندنا ، رأينا الذي قدمناه ، في كون رواة الادب
والشعر وايام العرب ، كانوا اوفر حظا في العصر الاموي منهم في
العصر العباسي .

ونبدأ بتهمة الشعوية التي وجهت الى قسم من الرواة ، ومن
خلالها ، نجمل الحديث في التهم الاخرى .
ان ظروفنا صعبة احاطت بهذه التهمة ، وهي ظروف مناسبة
للشائعة ، تنبعث من صميم حياة الرواية نفسه او العالم ، هي التي

ساعدت على هذا الجو الملائم فمرت الشتائم بين الناس • ومن ينظر في صفيحة سيره أي راوية ، في أي كتاب من كتب الطبقات ، يندهش من كلمة « مولى » المتكررة في اغلب الصفحات ، حتى ليس السى انكارها سبيل ، فلما كان التأليف في المثالب ، سمة عصرية ، فلقد ارتبطت الظاهرتان ببعضهما ارتباطا عضويا • واذا كان بعضهم متهما حقا ، فهؤلاء لانعد انفسنا غير منصفين اذا اتهمناهم ، لكن الخطر كامن في استغلالها ضد اخرين ابرياء • والزمن يومئذ ، كما رأينا ، يزخر بخصومات لا أول لها ولا آخر • وليس علينا الا ايضاح الموقف الادبي لاصطلاح « المثالب » ، ولن ندخل في اصطلاح الشعوية ، لانه لا يؤثر على طبيعة البحث ، ولا هو منه •

كانت القبائل العربية منذ العصر الجاهلي ، تتبوأ مكانها الاجتماعي ، بصدد ما يروى لها او عنها من « المناقب » وهو المصطلح الذي يقف على النقيض من « المثالب » وذلك امر عرفه العرب فيما بعد ، عندما اقبلت الاموال في الاسلام من كل حذب وصوب ، وكان على اولى الامر والسلطة ، ان يوزعوا هذه الغنائم ، بحسب منازلهم •

وقبل الاسلام ، كانت « المناقب » تمنح القبلية حق الاولوية في كل امر : مواسم الحج ، والاسواق ، وعند الغارات ، وبين يدي الملوك ... وكانت المنافرات والمفاخرات ، من بين وجوه هذه الظاهرة ، حيث لم يكن تسجيل ولا تدوين لوجه النشاط الانساني في شبه الجزيرة (٤٢) ، وكانوا في كل مفاخرة او منافرة ، يعيدون الى الازهان

(٤٢) ارجو الا يفهم من كلامي ان الكتابة لم تكن معروفة في العصر



المناقب والمثالب ، فتعدد القبيلة ما تفخر به وما تعبس به وجه عدوها من
المثالب .

واما في الاسلام ، فالخليفة هو الذي يقرر ، لكن في ضوء ما يقال
عن كل قبيلة ، فكان اكثر ما يحزن الرجل ، ان تكثر مثالب قبيلته ،
وتقل مناقبها ، حتى ان رجلا جبارا مثل الحجاج بن يوسف الثقفي ،
يعتصره الالم عندما لا يجد من يعيد الى ذاكرة الناس اشعار امية بن
ابي الصلت الثقفي ، وكان الشعر من مناقبهم ، لذلك كانت تقام للشاعر
مواسم ، تشبه المواسم الدينية ، ساعة ينبع ، وتتدفق عليه الشاعرية .
ولقد اعتلى الحجاج بن يوسف الثقفي المنبر ، وسأل عمن يروي شعر أمية
بن ابي الصلت ، والناس لا تروى شعر أمية ، لانه كان يحسد الرسول
ويعاديهِ ومات ولم يؤمن ، فيقول الحجاج في كثير من المرات :
« ذهب قوم يروون شعر أمية ، وكذلك اندارس الكلام » (٤٣) فبماذا
نفسر عصبية هذا الامير ، تجاه شاعر اعرض عن الاسلام أسوء
اعراض ، وكان يحسد الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، ويرثي
قتلى بدر من مشركي قريش ؟!!

ان النظام الاقتصادي الاسلامي الجديد ، خلق الحاجة الى
تنظيم علمي جديد ، عرف بـ « الانساب » . وهو لا يعني ايراد
سلاسل النسب فحسب ، بل رواية القصص والاخبار والوقائع ،

الجاهلي ، بل كان ثمة تسجيل في حدوده المعروفة كالمواثيق او
ما وجدت تحت انقاض قصور الحيرة وما عثر عليه من نقوش في
بصرى والعلا واليمن والمدينة ، وانما اردنا بان الكتابة لم تنشر
انتشارها في العصور اللاحقة .

(٤٣) الاغانى ٣/ ٣٣ .

خلال السند الطويل لكل قبيلة • وهي في اساسها كاذبة ، لم تلق التشجيع من احد ، في اول امرها ، بل ان الرسول كذب النساين ، وكان يقول « اذا بلغ نسبه الى عدنان او ادد » من هنا كذب النسابون^(٤٤) لذلك امتلأت سلاسل النسب باسماء آلهة ومعبودات ، او موجودات مقدسة ، لكن الحاجة كانت اقوى ، فلم يجد الخليفة الثاني مناصا من دعوة النساين ليكتبوا الناس على منازلهم ، ويبدأوا ببني هاشم^(٤٥) .

وأقدم نسبة نسمع باسمه ، هو الاقرع بن حابس ، احد الافذاذ القلائل في العصر الجاهلي^(٤٦) . وابو جهم بن حذيفة ، ومخرمة بن نوفل ، وهما من اعظم نسابي الجاهلية ايضا ، وادركوا الاسلام ، وكانا عالمين بأيام العرب^(٤٧) .

وكان عقيل بن ابي طالب ، يجتمع اليه في مسجد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وكانت له طنفسة تطرح ويتحدث في علم النسب وايام العرب ، وكان اكثر النساين ذكرا لمثالب الناس ، وتعداد مساويهم ، فكان يلقي العداوة في كل وجه^(٤٨) .

(٤٤) طبقات الفحول لابن سلام ص ١١ - القاهرة ١٩٥٣ محمود محمد

شاكر - (وادد) من الهتهم في الجزيرة ، وهو اله قديم يمتد

الى السومريين والساميين ، فلا غرابة من انكار الرسول له .

(٤٥) طبقات ابن سعد ١/٣ : ٢١٢ .

(٤٦) النقائض ١٤١ .

(٤٧) نسب قريش ٢٦٥ (دار المعارف) ، ٣٦٩ ونكت الهميان للصفدى

٢٨٧ «مصر» ، والثاني توفي في المدينة سنة ٥٤ هـ .

(٤٨) نكت الهميان للصفدى ٢٠٠ .

وكلمة « المثالب » التي ردها القدماء ، في اثناء حديثهم عن « الانساب »^(٤٩) هي التي اعطت تاريخ هذا العلم ، وعرفتنا بهويته ، ورسمت لنا بدايات التأليف فيه . فالكتب المصنفة في المناقب والمثالب هي في نظرهم اضافات ضرورية لكتب الانساب . بل تعتبر ملحقات وشروحا اساسية لهذه الكتب . ومثلما عرضت عن حديث « الشعوية » اكتفي بالحديث عن النسب ، ولا اريد ان استرسل فيدخل ضمن علماء النسب ، خليفتان راشدان : هما الشيخان : ابو بكر وعمر رضي الله عنهما^(٥٠) ، بل اجتريء ، فأذكر اول تأليف في المناقب والمثالب يودع الناس أمره الى زياد بن أبيه . ويعلمون اسبابه ، ويردونها الى الشبهة المحومة حول شرعية ولادته . قال ابو عبيد الله البكري : كتاب « مثالب العرب » اصله لزياد بن أبيه ، فانه لما ادعى ابا سفيان ابا ، علم ان العرب لا تقر له بذلك ، مع علمهم بنسبه ، فعمل كتاب المثالب ، والصق بالعرب كل عيب وعار باطل ، وافك وبهتان ، ثم ثنى على ذلك الهيثم بن عدي ، وكان دعيا فاراد ان يعز اهل الشرف ، تشفيا منهم ، ثم جدد ذلك ابو عبيدة ، معمر بن المثنى ، وزاد فيه لان اصله كان يهوديا ، أسلم جده على يدى آل أبي بكر ، فاتمنى الى ولاء تيم ، ثم نشأ غيلان الشعوبي الوراق ، وكان زنديقا ثنويا لا يشك فيه ، فعمل لطاهر بن الحسين كتابا خارجا عن الاسلام ، بدأ فيه بمثالب بني هاشم ، وذكر مناقبهم وامهاتهم ، ثم بطون قريش ، ثم سائر العرب ، ونسب اليهم كل كذب

(٤٩) البيان والتبيين ٣٢٤/٢ والمصادر المتقدمة في الهامشين السابقين .

(٥٠) البيان والتبيين ٣٠٣/١ ، ٣٠٤ والفائق ٦٠٨-٦٠٩ - القاهرة

١٩٤٥ - .

وزور ، ووضع عليهم كل افك وبهتان ، ووصله عليه طاهر ثلاثين ألفاً (٥١) .

ونحن لانريد ان نحجب الاتهام ونرده عن جميع من ذكرهم ابو عبيد البكري في هذا النص ، لكنني قبل اية مناقشة له ، احب ان اذكر القارئ ، بما قدمنا حديثه عن خروج « المناقب والمثالب » من علم النسب ، وقضية توزيع الثروة على أساسه ، واعدود لأعيد الى ذهن القارئ ، ظاهرة العداء المستحكم بين الرواة ، والعلماء انفسهم ، ثم ارجع الى التهمة الموجهة الى ابي عبيدة ، ودليل ابي عبيد البكري ومن سبقه في الرواية ان كان مسبوقا اليها ، بانه ينتمي الى جد كان في اول الدعوة الاسلامية يهوديا ، ثم اسلم على يد ابي بكر الصديق ، وانجب اولادا مسلمين ، عقبوا خلفا ، فكان من احفاد احفاده ، ابو عبيدة . نحن تتساءل : هل في « حشيات » الحكم او الاتهام اللذين اعهما المصنفون في كتبهم الكثيرة ضد العلماء والرواة ، أردأ من هذا الكلام ؟! ماذا يدل خروج يهودي من دينه ، يومئذ ، ودخوله ، على يدى صحابى كبير ، الى الاسلام ؟ وهل كان الاسلام مفتقرا الى اسلام يهودي ، فيقبله على علاته ؟ ام كان اليهودي مكرها على اسلامه ؟ مع ان الملة اليهودية ، بقيت على دينها ، بل ومارست كل انواع القهر والتكيل بالمسلمين ، واساءوا الى الرسول (صلى الله عليه وسلم) مع انه كان يحسن اليهم ويغفر لهم اغلاطهم واساءاتهم . فلعل الرجل أسلم يومئذ ، عن ايمان ، وما علاقة جد بعيد مات ولم يعد احد يعرف عنه شيئا ، برجل عالم كان ينظر الى

(٥١) خزانة الادب ٥١٩/٢ .

القرآن الكريم نظرتة الى ربه وفروضه الخمسة فكان يقول (٥٢) :
« من زعم ان في القرآن لسانا سوى العربية ، فقد اعظم على الله
القول ، واحتج بقوله تعالى : « انا جعلناه قرآنا عربيا » (٥٣) . واما
الهيثم بن عدي ، فقد ذكرته كتب الطبقات بان اياه كان من خير
الناس ، وان الهيثم تعرض لمعرفة اصول الناس ، ونقل اخبارهم ، كما
فعل عقيل بن ابي طالب من قبل ، فوردت معايب القوم مستورة ،
فكره لذلك . وذكر العباس بن عبدالمطلب بشيء ، فحبس عدة سنين ،
وقد كان اقول فيه تليسا على الهيثم ، لبسه قوم صاهرهم فلم
يرضوه ، وكان يرى رأى الخارج ، كما كان على صدقات بني فزارة ،
وحدث كثيرا ، وبعض احاديثه مرفوعة لعروة بن الزبير ، وهو صحيح
النسب في طي ، مات سنة (٢٠٦ هـ) (٥٤) وهذه الترجمة تعطي دليلا
جديدا على ان كتب المثالب والمناقب ، خرجت من علم النسب
وتوسعت فيه ، وان الذين يضعهم الخلفاء على صدقات الناس والقبائل ،
كانوا ينتخبون من بين العلماء والرواة الذين لهم تصانيف في الانساب
والمثالب والمناقب .

ثم لا يلبث ابو عبيد البكري ان يفصح بالحقيقة في تأليف هذه
الكتب ، حيث يقول « واما كتاب « المثالب والمناقب » الذي بايدي
الناس اليوم ، فانما هو للنضر بن شميل الحميري وخالد بن سلمه
المخزومي ، وكانا انسب اهل زمانهما ، أمرهما هشام بن عبدالمك ان

(٥٢) الجواليقي - المعرب ص ٥٢ .

(٥٣) سورة الزخرف آية ٣ .

(٥٤) الجواليقي - المعرب ص ٥٢ . واوردت المصادر انه يرفع القول

لابن عباس .

يبينا مثالب العرب ومناقبها، وقال لهما، ولمن ضم اليهما « دعوا قريشا
بما لها وما عليها » فليس لقريش في ذلك الكتاب ذكر « (٥٥) . وكلام
البكري هنا هو الوضع الصحيح للمناقب والمثالب . وما ذكره أولا ،
غيرة وحماسة للعرب يشكر عليهما البكري ، لكن لا تقبل منه ان
يطعن في رجال انعلم بسببها ، او يكون الدفاع مصحوبا بقذف علماء
أبرياء .

ولأجل هذا التوجيه المغلوط للقضية ، وردت الاتهامات لبعض
الرواة ، وان كنا لا نذكر ائخرين ، قد يكون النعت فيهم صادقا .
وقبل ان اغلق باب المثالب احب ان ألفت نظر القارئ الى كلمات
النص المذكور ، وماورد فيه عن النضر بن شميل الحميري ، وخالد
بن سلمة المخزومي ، بانهما انسب اهل زمانها ، مما يزيد من ارتباط
المثالب بالانساب ، واشتقاقها من هذا العلم .

وقد جمعت كلمات البكري ، عناصر الاتهام الاربعة التي توجه
الى العلماء الرواة عن طريق واخر ، او فيما بينهم ، فزياد متهم بأبيه،
وغيلان الشعوي زنديق ثنوي ، وابو عبيدة من اصل يهودي ، والهيثم
بن عدي دعي يريد ان يعر اهل الشرف تشفيا منهم ، وقلنا انها
اتهامات قد تصدق ، وقد تتخطى الواقع فيما تزعم . الا ان الفجعية
تكمن في هذه النعوت القاسية ، الموجهة الى رواة وعلماء ، عرفوا
بالغزارة والعطاء .

الباب الثانى

حقيقة الايام

- الفصل الاول : مدلول كلمة يوم ، وتعريف بالايام .
- الفصل الثانى : احداث الايام بين التاريخ والاسطورة .
- الفصل الثالث : لغة الايام الشعرية .

الباب الثاني

الفصل الأول

مدلول كلمة يوم

اطلق العرب « الايام » ، منذ العصر الجاهلي القديم ، على « الملاحم » التي وصلت اليها والتي تزخر مضامينها بحياة امتنا العربية وثقافتها ، وهي تشكل ، بالنسبة لذلك العصر ، اروع تراث شعري ، خلال الحقبة السابقة للاسلام ، والتي اعتاد المؤرخون ، اذا استظهروا غاية الاستظهار ان يقفوا بها ، عند حدود القرن الخامس الميلادي ، او مائتي سنة قبل الاسلام^(١) . وبهذا ندفع ان يكون مصطلح « الايام » ، قد اطلقت الروايات العربية على الحروب التي قامت بين اقباط في العصر الجاهلي^(٢) لأن المقصود بالروايات ، هي « الايام » نفسها ، وقد رويت منذ العصر الجاهلي ، وان كلمة « يوم » كانت تتردد في أشعارهم ، داخل الملحمة نفسها .

(١) الجاحظ ٧٤/١ (ط . الحلبي) وانظر الفصل الاول من الباب الثالث بعد هذا الباب ، وفيه حديث تفصيلي ، حاولنا اجلاء هذه المشكلة الادبية .

(٢) هذا التعريف وارد في دائرة المعارف الإسلامية ٣/١٨٠

قال عمرو بن كلثوم في ايام قومه^(٣) :

وايام لنا غر طوال عصينا الملك فيها ان ندينا

وممن ذكر عنه في أدب الساميين القدماء ، كان يتناقل نوعا من الملاحم ، او الاقاصيص يقال لها « اخبار الايام » ، ملك اوروك ، بطل ملحمة جلجامش نفسه ، حيث حصلنا على ذلك من مقطع في الملحمة هذا نصه :

« ثلثاه اله ،

وثلثه آدمي .

يرى جميع الأشياء ، ولو كانت في أطراف العالم .

كابد كل شيء ، وعرف كل شيء ،

ورأى ما كان خافيا ،

وكشف الغطاء عما كان مغطى ،

وجاء باخبار « الايام » التي كانت قبل الطوفان^(٤) :

(٣) البيت في معلقته .

(٤) نقلا عن قصة الحضارة لديورانت - ترجمة محمد بدوان (ص ٢٣٩ الجزء الثاني من المجلد الاول) وهو مأخوذ من النص البابلي لقصة الطوفان في ملحمة جلجامش . وقد ترجمها ساندروز ص ١٥ « قصة الايام » . ويبدو ان اخبار « الايام » التي في اشعار العهد القديم ، وسندكرها بعد قليل ، نهجت سبل هذه الايام التي كان يرويها ملك اوروك . والعبريون معروفون بسطوهم على نتاج الساميين الاوائل ، وسوف نعالج هذه النقطة المهمة في حديثنا عن الملاحم في لباب الثالث .

وكذلك ممن ذكر عنهم في الجاهليين انهم كانوا يروون « أخبار الأيام » ، هو الحارث بن ظالم المري ، بطل أيام غطفان وعامر وهي أشهر أيام العرب^(٥) مثله مثل جليجامش الذي ذكرناه قبل قليل بأنه كان يروي « أخبار الأيام » .

ولقد ابدت لنا دراستنا للرواية والرواة ، ان العلماء كانوا يستقون أخبار ملاحمهم من سند طويل ، يصل الى عمق من العصر الجاهلي المتأخر للإسلام^(٦) . وما أكثر ما ينصون في رواياتهم على كلمة « علماء » يطلقونها على بعض رجال القبائل ، الذين يحملون هذه الروايات . واما ما يقال من ان المقصود بالأيام الحروب التي قامت بين القبائل العربية ، فهو قول يتهافت ازاء ما كشفت « الأيام » عن مضامين فكرية ، تصبح الحرب تجاهها ، هدفا ساميا ، ينشد الخلود في هذه الحياة القصيرة ، وذلك بابتداء ضروب البطولات التي لاتقف عند حدود القتل ، بل تتعداه الى صفات المقاتلين الأخرى^(٧) .

ولم نحصل من قدماء الرواة ولا العلماء ، على تعريف واضح ، لكلمة « يوم » لكن « ابن السكيت » فسر « الأيام » بمعنى الوقائع ،

(٥) انظر خبره في كتاب « الأيام » أيام عامر وغطفان المقدمة لمجموعته الشعرية في مجلة كلية الآداب ببغداد العدد (١٥) سنة ١٩٧٢ قال الفضل بن سلمة في كتاب الفاخر ص ١٦٥ : كان الحارث من احسن الناس حديثا واعلمهم بأيام الناس . وكان الملك النعمان بن المنذر يقبل عليه بوجهه .

(٦) راجع الفصل السابق في سند الرواية واتصالها بالعصر الجاهلي .

(٧) راجع الفصل الخامس بادب وادي الرافدين والملاحم السامية وتفسيرنا لقضية الخلود في العصر الجاهلي ، وهو الفصل الثاني من الباب الثالث .

وتابعه غيره في ذلك ، قال : جاءت الايام بمعنى « الوقائع والنعم »
وانما خصوا الايام ، دون ذكر الليالي في الوقائع ، لان حروبهم كانت
نهارا ، فاذا كانت ليلا ذكروها . وأنشد^(٨) :

ليلة العرقوب حتى غادرت جعفر يدعى ورهط ابن شكل^(٩)
واستادا الى هذا الدليل ، جعل الباحثون المحدثون لكلمة
« الايام » في هذا الاستعمال المجازي ، جملة احتمالات ، نوجزها
بما يأتي^(١٠) .

أ - ان يكون قولهم « ايام العرب » اصله « ايام وقائع العرب »
ثم حذفت كلمة « وقائع » اختصارا ، بسبب كثرة تداولها ، وهو
استعمال شائع ، نظير قوله تعالى : « واسأل القرية » والمقصود :
اهل القرية وهو من مجاز الحذف .

ب - ان الموقعة ، اظهر حدث في « اليوم » ، فسمى اليوم كله
بها . كما لم يكن شيء آخر سواها في هذا اليوم ، وهذا شائع
ايضا . نقول : يوم النصر ، ويوم اللقاء .

ج - المقصود باليوم « وقت الشدة » مثل قول الشاعر معمر
بن المكبر في يوم الكلاب الثاني^(١١) :

-
- (٨) لسان العرب مادة « يوم » .
(٩) ليس في مصادرنا يوم باسم : « ليلة العرقوب » ولعلها وقعة
صغيرة مثل مئات الوقعات التي تذكر في ملاحم الايام ، لكن لم
نعرف لها تسمية مع يوم آخر .
(١٠) انظر على سبيل المثال شعر الحرب للدكتور علي الجندي
ص ٢١-٢٢ (الطبعة الثانية - مكتبة الانجلو المصرية) .
(١١) البيت في النقاظ ٢٥٥ وانظره في كتاب « الايام » مع اختلاف
بسيط .

ساروا إلينا وهم صيد رؤسهم فقد جعلناهم يوما كأيام
هـ - تسميته باليوم ، متأتية من ان القتال كان يحدث في يوم
واحد فقط ، الا بعض استثناءات ، مثل يوم الكلاب الثاني (١٢) . امتد
يومين ، وفيه الريح ، « ثلاثة ايام » (١٣) .

و - اليوم كرمز تاريخي ، يؤرخون به الزمن ، فكان يقال :
حدث ذلك « يوم كذا » و « زمن الواقعة الفلانية » ثم استغلت
الواقعة للتاريخ . والى هذا ذهب كثير من الباحثين في العصر الحديث
متابعة للقدماء من ان الجاهليين استعملوا كلمة للموقعة قال بعضهم :
« وظاهر من قصص الايام ، انهم كانوا يقصدون من اليوم في هذا
الاستعمال معنى النهار فقط ، لامعناه الذي يشمل الليل
والنهار .. » (١٤)

وهذا المعنى يخرج عما اشار اليه القدماء في صدد « الايام » ،
وقد نوهنا به آنفا ، ونفصل الكلام فيه مستقبلا ، فهي لدى الباحثين ،
قدماء ومحدثين ، محض وقعات حربية ، ولسنا نستغرب هذا التحديد
من ابن السكيت وغيره ، لكننا نستغرب ان يأخذ المحدثون كمسلمات
او فرضيات علمية ، بعد ان تقدمت وسائل البحث العلمي الدقيق ،
وامتلأت ايدينا بعشرات الكشوف والدلائل والقرائن الاثرية . وان
ما يشجعنا على رد هذا المعنى ايضا ، عدم وروده من الاوائل ، ارباب
هذا الفن ، امثال ابي عمرو بن العلاء المازني ويونس بن حبيب وابي
عبدة وابي سعيد الاصمعي وهشام بن محمد الكلبي وآخرين .

(١٢) النقائض ١٥١ « والايام » يوم الكلاب الثاني .

(١٣) النقائض ٤٧٠ و « الايام » يوم حفيف الريح . وقد استمر ثلاثة
ايام بلياليها .

(١٤) شعر الحرب ٢٢

والليالي عند العرب كما قال البيروني^(١٥) هي الاصل » ومنها يبدأ الحساب ، وذلك ان شهورهم مبنية على مسير القمر ، مستخرجة من حركاته المختلفة وأوائلها مقيدة برؤية الالهة لا الحساب ، وهي ترى لدى غروب الشمس ، ورؤيتها عندهم اول الشهر ، فصارت الليلة عندهم قبل النهار » . قال : « واحتج لهم من وافقهم على ذلك ، بان الظلمة اقدم في المرتبة من النور ، وان النور طارئ على الظلمة ، فالأقدم اولى بان يتبدأ به ، وغلبوا السكون لذلك على الحركة ، باضافة الراحة والدعة اليه ، وان الحركة لحاجة ضرورية ، وبعكسهم الروم والفرس ، فالنور هو الاقدم ، والحركة هي الاصل » ثم ينتهي البيروني من ذلك الى قوله معقبا على تفسير الآية الكريمة : « احل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم » : « وما كانوا يعدون صومهم يوم وبعض ليلة ، بل كانوا يذكرونها اياما باطلاق ، فأن قيل انه اراد بذلك تعريفهم اول النهار للزم ان يكون الناس قبل ذلك جاهلين بأول الايام والليالي ، وذلك ظاهر المحال » .

وهذا التصور للزمان وان الليل مقدم على النهار اصيل عند العرب منذ خروجهم من شبه الجزيرة ، واستيطانهم التخوم ، وهو ايضا شائع عند البابليين فلقد كان « نانا » او « سين »^(١٦) يعتبر رب النجوم ، وكان اله الشمس « اوتو » من سلالته هو وقرينته « نينكال » ، والقمر عند اغلب الساميين — ولا فرق عندنا بين ان نقول « سامي » وبين ان نقول « عربي » — رمز الذكورة ، والشمس مؤنثة .

(١٥) الاثار الباقية ص ٥ - ٦ (ليبزك ١٩٢٣) .

(١٦) Nanna or Sin = Moon Good

ثم ان « اليوم » ذاته ، يبدأ عند قدماء العرب ، بمغيب الشمس ، ولم يكن يقسم عندهم الى اربع وعشرين ساعة^(١٧) . اما تقسيم الاسبوع الى ايام سبعة فبالامكان اثباته عند العرب الجاهليين منذ عصر قديم^(١٨) .

ولفظه اليوم^(١٩) من معانيها : « الدهر » قال الشاعر في يوم اليمامة^(٢٠) .

شر يومها واغواه لها ركبت عنز بحدج جملا
وايضا : من معانيها الكون . و « النعمة والنعمة » ، قال تعالى :

« وذكرهم بأيام الله »^(٢١) اي ذكرهم بنعم الله التي انعم فيها^(٢٢) عليهم ، وبنقمه التي انتقم فيها من قوم نوح^(٢٣) وعاد وثمود . وهذا يذكرنا باليوم الذي نسب الى عبيد بن الابرص ، وهو يوم البؤس ويوم النعيم ، الذي اشتهر خبره في العصر الجاهلي وفي معنى النعمة ايضا جاء قوله تعالى : « لا يرجون ايام الله »^(٢٤) قال مجاهد :

(١٧) دائرة المعارف الاسلامية ٣٧٤/١٠ مادة (زمان) .

(١٨) المصدر السابق والبيروني - الآثار الباقية ص ٦٤

(١٩) لسان العرب مادة (يوم) .

(٢٠) لم ينسبه ابن منظور لقائل ، وهو في فصل المقال للبكري ص ١٠٤

منسوب لحسان بن تبع قاله « يوم اليمامة » وانظر شرح المقامات

للشريشي ٤٠٦/٢ والبغدادى ١٥٥/١ بروايات اخرى تختلف

قليلا عن رواية اللسان .

(٢١) سورة ابراهيم آية ٥

(٢٢) لعلها : « بها » . نقلا عن اللسان .

(٢٣) كذا ولعله اراد : قوم نوح . ولم ترد هذه الكلمة في اللسان .

(٢٤) اللسان : نفس المادة .

أي نعمته ، ومنه قولهم : يوماء : يوم نعم ويوم بؤس • وفي المدح قال
يوماء ، يوم ندى ويوم طعان
وقد يكونان بمعنى الدهر • ثم اليوم يراد به الوقت مطلقا •
قال ابن عبدل (٢٥) :

بيناهم بالظهر قد جلسوا يوما بحيث تنزع الذبح
فاذا ابن هند في مواكبه تهدي به خطارة سرح

قال ابن جني في اعراب الحماسة « الا ترى انه لا يعني باليوم ،
المقدار المعروف ، من طلوع الشمس الى غروبها ، وانما يريد الوقت
مبهما ، لا يخص به مقدار من الزمان ، وقد يكون برهة من الدهر ،
تشتمل على الايام والليالي .. » (٢٦) وهو يقطع بأن « اليوم »
لا يقصد به : الوقعة او النهار • فقد ذكر الشاعر كلمة الظهر ، واتبع
بعدها كلمة اليوم •

ويذهب فيشر الى ان « النهار يرجع الى الحساب السامي الاول
الذي كان يجعل اليوم من الغروب الى الغروب ، بينهما يرجع الليل
الى التقويم المتأخر الذي يجعل اليوم من المساء الى المساء ، لما له
من صلة بالنسبة القمرية • وقد شعر العرب بان اليوم اصطلاح شامل ،
فقدموه واخروا النهار ، لانهم ادركوا انه تعبير عام على الزمن ،
لا يصبح يوما الا اذا ضم اليه الليل • وهذا هو الوضع الصحيح
الذي ارتأوه » . (٢٧)

(٢٥) خزانة البغدادى ١٧٨/٣

(٢٦) المصدر السابق نفسه •

(٢٧) دائرة المعارف الاسلامية مادة (تاريخ) ٤٧١/٤

والعرب ليسوا وحدهم هم اصحاب « الايام » بل يوجد سفران كبيران في « اخبار الايام » للعبريين يصوران مملكة يهوذا بعد رجوع اربابها من السبي البابلي^(٢٨) . فضلا عن « اخبار الايام » التي كان يرددها جلعامش ، عن احداث ما قبل الطوفان . فهل بعد هذا دليل على رد ما قيل بشأن اليوم ، بانه غارات كانوا يشنونها نهارا ، ثم يتحاجزون عند هبوط الظلام ؟! على ان الايام امدتنا بطائفة من ملاحظتها ، فيها نص على اقائهم ليلا ، مع ابقاء كلمة « يوم » دون كلمة « ليلة »^(٢٩) .

التعريف بأيام العرب :

كانت معالجتنا لمدلول كلمة « يوم » قد انصبت على تخليصها من تفسيرات اللغويين . وتحديدات مفسري الشعر الذين لم تؤد

(٢٨) دائرة معارف البستاني ٨٠٢/٤ والحضارات السامية سبتيانو ص ١٥٩

(٢٩) اللسان مادة (يوم) وجاء في شرح المفضليات للتبريزي ٢٧٥/١ في تفسير احد ابيات المفضلية (٨) قول متمم بن نويرة (ويسروي البيت لابي ذؤيب الهذلي في اول قصيدة من ديوان الهذليين) :
ولياتين عليك يوم مرة يبكي عليك مقنعا لاتسمع

قال التبريزي : « يشير بقوله « يوم » الى الحدث ، لا الى وقته ، وعلى هذا قولهم : « ايام العرب » . والمراد الوقعات » واذن فالتبريزي معنا في ان الكلمة لاتدل على النهار الذي هو وقت الغارة ، خلافا للزعم الذي رفضناه ، بل هو الحدث الموهل في ضمير الزمن بما للكلمة من عمق في المدى البشري . البعيد ، عبر اجيال ماضية متعاقبة ، تتوارث وتتناسل ، والزمن مثل خرافة او اسطورة ، ينظر بعين العداء لكل ميراث ونسل . فالتفسير بالوقت المحدد بالنهار ، ان هو الا قتل لروح النص الملحمي للايام .

محاولاتهم الا الى تفريغ الكلمة من محتواها الدرامي ، واوضحنا
ايضا ، ان هذا المصير الذي آلت اليه الكلمة ، انما جرّها اليه ،
التعريف المغلوط لايام العرب ، عندما ابعدوا هذه الملاحم ، المنشدة
لأجل اغاني الامة العربية ، من اطارها الادبي ، ووظيفتها الملحمية ،
وربطوها بالتاريخ لتعود الى القارىء محض وثائق عسكرية ، تتحدث
عن وقعات حربية ، تصور روحا قتالية مستمرة . فاختفى صوتها
الايداعي ، المنبثق من وجدان الامة ، عبر سفر طويل دائم ، قادم من
مجاهيل ، ويغذ السير راسما مستقبل الاجيال . وترتب على ذلك
ايضا ، اختفاء « الايام » من كتب الادب ، وظهورها في كتب التاريخ،
مع شذرات منها ، او من مختصراتها ، في كتب اللغة والسيرة والطبقات
والتراجم والمعاجم ، وكتب التاريخ على ماينبأ .

وقد احتجبت الايام وحقيقتها بعد ان كانت اعلى الانماط
الادبية في العصر الجاهلي وزمن الرسول (صلى الله عليه وسلم)
والصحابه رضوان الله تعالى عليهم اجمعين ، وحتى اواخر عصر بني
امية^(٢٠) . ولذلك يقرر احد علماء القرن الهجري الثاني ، وهو ابو
عاصم بن النبل فيقول : « كان دهرنا الادب والشعر وايام العرب
وانما وقعنا الى الاحاديث اليوم »^(٢١) . وكان لنا في الرواية والرواة
فضل حديث لهذا الجانب الهام من الادب الجاهلي .

(٢٠) انظر العقد الفريد ص ٦١ (القاهرة ١٣٠٢) وطريق الميثولوجيا
عند العرب ، لمحمود سليم الحوت ص ١٩٢ حيث نقل كلام ثتشر
Thatscher من — Enc. Brit. 2 قال « لا يوجد

بين القصص المتداولة في زمن الرسول ذات قيمة الا « ايام
العرب » وانظر دائرة المعارف الاسلامية ١٨١/٣ .
(٢١) انظر طبقات النحويين واللغويين ص ٥١

وكذلك يدخل في اختفاء الايام عامل اخر ، لا يقل عن الاول في اهميته ، هو تحول « الايام » الى ثمر ، بعد ان كانت اشعارا وقصائد يتداولها الرواة . وهي نتيجة حتمية اصابته كثيرا من ملاحم العالم ، وذلك بأن تتحول من قوالب الشعر الى لغة النثر التي تستقر فيها .
والدليل على انها شعر في اصلها كثرة الشعراء الذين حفلت بهم ، بل ان كل فرد في « الايام » يتكلم بشعر ، واقدام الشعر العربي وأوله ، قيل فيها بل ان بعضهم لا يوجد له شعر في غيرها ، فلمست ترى قصيدة « مهلهلية » او بيتا واحدا يعزى لمهلهل بن ربيعة ، الا وله مكان في يوم البسوس ، ومجموعة الحارث بن ظالم ، وقيس بن زهير ، والربيع بن زياد ، الشعرية احتوت اشعارا « ايامهم » وليس لهم شعر في غيرها^(٣٢) . وتكفي نظرة الى المعلقة لبيان ذلك ، فمعلقتا عمرو بن كلثوم ، والحارث بن حلزة في ايام البسوس ، ومعلقتا زهير وعنترة ، في يوم داحس . ولا نبالي ان نقول ان ما وصل الينا من الشعر الجاهلي ، ان هو الا اصدااء لذلك البناء الشامخ ، فجميع ما يروى من الشعر الجاهلي القديم ، قصائد او مقطعات ، ينضوي تحت هذا اللون من الادب العربي ، الذي احتوى كل اعمال الجاهليين الادبية ، واستوعب المأثر والبطولات ، فهذا « يوم حجر »^(٣٣) ضم مأساة امرئ القيس من تنويع ابيه الى مقتله ، الى موت الشاعر نفسه .

(٣٢) انظر مجموعاتهم الشعرية في جريدة المصادر من هذه الدراسة .
(٣٣) انظر الاعاني ٧٩/٩ وابن قتيبة : الشعر والشعراء « ترجمة امرئ القيس » والفاخر ١٣٩ والميداني ٢٠/٢ ، ٤١٧ (طبع السعادة ١٩٥٩) وانظر ايضا الكامل في التاريخ لابن الاثير ٣٠٥/١ وشرح البسامة (١١٨ - ١٢٠) .

ويوم ذي قار ضم حياة عدي بن زيد العبادي وشعره^(٣٤) ويوم
داحس والغبراء^(٣٥) احتوى سيرة عنتره ، وايام « عامر وغطفان »^(٣٦)
تعد ملحمة كبيرة لحياة الحارث بن ظالم المري ، الشاعر الفارس ،
المعروف بوفائه وفتكه .

ويخيل الى ان الايام القريبة من الاسلام ، وهي التي رواها
علماء القرن الثاني الهجري ، نقلا عن شيوخهم ، او من التقوا بهم من
رجال القبائل ، تعد حلقة جديدة ، وتكرارا لايام سبقتها ، ولم يبق
منها الا اصداء .

ولسنا نسمي الوقعات الاسلامية « اياما » وانما وقعت لها هذه
التسمية تأثرا بما سبقها .

وان الايام التي وصلت اليها ، اصداء لايام متكاملة في سلسلة
من الاحداث الدرامية المترابطة ، ومن امثلة ذلك « يوم اليمامة »
و « يوم جذيمة الابرش » و « اخبار خزيمة بن نهد واخبار ورقاء »
بنت زهير الكاهنة ، وحديثها عن الغراب الذي بساقيه حلقتان من
ذهب ، يقف على النخلة السحوق ، الطويلة^(٣٧) ، فهي ليست الا
اصداء لاساطير اندثرت ، ولم يعرف عنها العلماء الا الشيء القليل .
لذلك ، لا يعد شيئا ، قولنا ان هذه الوقائع لها وجود حقيقي ،
وقد عاش هذا الادب الملحمي في ضمير الامة العربية ، يستمد كيانه

(٣٤) انظر « ايام العرب » ص ٤٢٠ والمصادر المذكورة هناك وخاصة
الاجاني ١٣٢/٢٠ (ساسي) ٥٢٠/٢٣ (ثقافة) .

(٣٥) ايام العرب ص ١٤١

(٣٦) نفسه ص ٨٩

(٣٧) الاجاني ٧٨/١٣

من خصوبة فكرها ، واصالة وجودها ، وتستمد هي منه واقعا ممكنا في المستقبل .

ولست اعرف لنفسي وللقارىء صورة نعرف عن طريقها هذا المزيج من الواقع والاسطورة والملحمة ، داخل الاطر الشعرية ، اصدق من هذا الخبر : فقد روى انه اجتمع عند الوليد بن عقبة سماره ، والوليد يومئذ امير على الكوفة ، وفيهم لييد بن ربيعة الشاعر ، فسأل الوليد لييدا عما كان بينه وبين الربيع بن زياد العبسي عند الملك النعمان بن المنذر في يوم فاثور ، فقال له لييد : « هذا كان من امر الجاهلية ، وقد جاء الله بالاسلام » ، فقال له : « عزمت عليك » وكانوا يرون لعزمه الامير حقا فجعل لييد يحدثهم ، فحسده رجل من قبيلة غني ، فقال : « ما علمنا بهذا » . فقال لييد « اجل يا بن اخي ، لم يدرك ابوك مثل ذلك . وكان ابوك ممن لم يشهد تلك المشاهد فيحدثك » . (٣٨)

(٣٨) الاغاني ٣٦٧/١ ، ٣٦٥/١٥ ، ١٨٦/١٧ وامالي المرتضى ١٣٦/١ وابن الانباري - شرح السبع الجاهليات الطوال ص ٥٠٩

الفصل الثاني

الايام : بين التاريخ والاسطورة

لقد عالجت ملاحم الايام ، جملة من القضايا التاريخية السي جانب « الاساطير العربية القديمة » . وبعض هذه المعالجات ، وقائع التاريخ القديم ، ومنها قصص تروى ، وبعضها اخبار تعود لشعوب وامم بادت ، وعلق في اذهان الاجيال عنها بعض ذكريات موروثية . ولا تخلو الايام من حكايات خارقة لافراد، حاول المؤرخون ان يخلقوا لهم وجودا محددا بزمان ومكان ، لانهم يرون ان كثيرا من هذه القصص والاخبار ، هي في حقيقتها احداث واقعة فعلا ، وان الشعوب تحتفظ عادة في ذاكرتها ببقايا الاحداث الكبيرة ، وخاصة المدمرة ، وتترك اثرها في نفوسها على شكل طقوس او شعائر او تقاليد منقولة عبر اجيال بعيدة جدا ، مثل ظاهرة « جفاف عظيم » نتيجة انهيار سد او طوفان كاسح ، حيث تتخذ لهذه الاحداث مع مر الزمن ، شعائر تدرا عنهم الحدث الشبيه او القريب منه .

لذلك وجدنا « الايام » زاخرة باشارات ورموز حول اثار الوقائع الماضية ، والشخص الاسطورية المنقرضة ، والممالك والبلدان الطامسة . مثل العماليق في « يوم اليمامة » والمعمرين في « يوم البسوس » ، وتأثير انهيار سد مأرب في « ايام الأوس والخزرج » واليمامة ايضا ، وحياة مملكتي « الحيرة وغسان » في « يوم حليلة » او « عين اباغ » وحياة مملكة كندة في ايام « البردان » و « الكلاب الاول » و « حجر » ، وكذلك اخبار الحصون والقصور والقلاع

العظيمة ، كما في يوم « المشقر » ، واما الحروب فلدينا حولها امثلة كثيرة ومتعددة ، اهمها : « يوم ذي قار » . واخيرا لدينا يوم جذيمة الابرش ، وسوف نرى بعد دراسته ، انه في وجوده التاريخي مغاير لوجوده الاسطوري من جهة ، ومشابه له من جهة اخرى ، لكن هذين الوجودين مجتمعان في ملحمة واحدة .

وقبل ان تتحول الى شيء من التفريق بين اختلاط التاريخ والاسطورة في الايام نحب ان نلقي نظرة على هذا الجانب بالنسبة لملاحم الساميين واصلها الاسطوري والتاريخي ، وكيف تحولت الى شكلها الادبي الذي استقرت عليه ، فهذا النسق يفسر لنا ما حدث في صياغة الايام .

تقص الملاحم الكونية الكبيرة ، واساطير الالهة في ارض الرافدين ، فهي تحكي لنا البدايات الاولى لخلق الانسان ، والمآل الاخير له ، او ماينتظره وراء القبر . فأسطورة « الخلق » العظيمة ، وهي قصيدة اكدية طويلة ، وتسمى ايضا : « أنوما اليش » Enuma Elish

كان يراد بها تمجيد مردك ، وتصويره كبيرا للالهة ، وخالقا للكون ، ومعنى الكلمة الاولى من اسم الملحمة : « عندما » والكلمة الثانية « فوق »^(١) وهذه الملحمة جمعت الى حد كبير من افكار سومرية ، مع تطبيقها على الاله الجديد الذي فرضته الدولة على ارض الرافدين^(٢) . ويقرر الاستاذ كرامر : ان الدراسات دلتنا على ان ملحمة جلجامش ، ربطت بين عدد من الافكار السومرية ، وصاغتها في

(١) انظر الصفحات المتقدمة حيث عالجنا هذه التسمية هناك .

(٢) انظر سيتينو موسكاتي . تاريخ الحضارات السامية ص ٨٣

اطار منتظم^(٣) . ولعل كون هذه الملاحم ، تقص اخبار الملوك الماضين ، هو السبب الذي جعل ارض الرافدين لم تنتج ادبا تاريخيا وانما كل مالدينا هو حوليات او قوائم بالقاب لمختلف الملوك ، وحملاتهم السياسية في السنوات المختلفة ، وكان الملوك يسجلون اعمالهم الفذة في نقوش رسمية^(٤) . لكن منذ عصر حمورابي ، لم تعد تذكر الحملات الحربية في النقوش ، بل كانت تدون الاعمال السلمية فقط ، مثل حفر القنوات واقامة المعابد ويقول ساندرو^(٥) (واذا كان جلجامش هذا اميرا حقيقيا اكثر من كونه ذكرى شعبية متوارثة ، فمن المحتمل ان تكون شخصيته هي واحدة من تلك الشخصيات غير العادية ، التي لم تكن في حياتها اكثر من حاكم محلي ، لكنها كانت تملك مغناطيسية ، لم تبق بعد موتها مدة طويلة فحسب ، بل زادت واجتذبت الى اسمها قصصا عديدة ، مختلفة الانواع ، بعضها من باب الفصل البطولي والبعض الاخر من باب الاساطير الخالصة ، وجلجامش باعتباره حاكما حقيقيا ، يذكر اول ما يذكر من حيث هو بناء وقاض عادل . » وفي خارج نطاق مجموعة اشعار جلجامش ، بقيت هناك قصيدتان سومريتان ، على صورة ناقصة كما هي العادة ، تهتمان بمن يدعى انركار ، وهو احد اسلاف جلجامش على عرش اوروك ، وتجعله قائمة الملوك السومرية ، الثاني في الترتيب من بعد حلول الطوفان ، وتصور اشعار انركار ، هذا الملك مشتبكا في صراع مع

(٣) نفسه ص ٨٥ وكتاب اساطير العالم القديم . للدكتور كريم ص ٧٧

(٤) نفسه ص ٨٩

(٥) ملحمة جلجامش ، المقدمة ص ٢١ .

ملك دويلة اخرى ، واقعة الى الشرق من مرتفعات فارس ، تسمى
أرانسا .^(٦)

وبالنسبة للطوفان ، لا يستبعد الباحثون ما قد يكون له من
اساس تاريخي ، فأرض الرافدين الجنوبية ، سهل رسوبي معرض
للفيضانات يدل على ذلك ، آثار الترسبات الغرينية التي وجدت وهي
تفصل بين دوري مايسى « جمدة نصر » وبين أوائل عصر فجر
السلالات ، في جملة مدن قديمة مثل « كيش » « تل الاحير » الان ،
والوركاء وشروباك « فارة الآن » .

واما التاريخ الاسطوري في ملاحم الايام ، فأول ما نمثل له
بقصة الزباء ، وقد ذكرها المفضل الضبي في امثاله^(٧) ، ورواهما
صاحب الاغانى عن ابن حبيب^(٨) ، عن المفضل ، ونقلها صاحب خزنة
الادب^(٩) عن الاغانى ، وأما الشرشي^(١٠) وابن الاثير^(١١) ، فانهما
نقلا رواية ابن الكلبي .

وجميع الروايات تتقارب في احداثها ، الا ان رواية المفضل
الضبي ، تمتاز بمطابقتها للنقوش التي عثر عليها العلماء .
وكان جذيمة من الأزد ، وأول من ملك قضاة بالحيرة ، وهو
من افضل الملوك رأيا ، وابعدهم مغارا ، واشدهم نكاية ، وهو اول
من استجمع له الملك بأرض العراق ، فقصد في جموعه عمرو بن

(٦) المصدر السابق ص ١٩

(٧) امثال العرب ص ٦٤-٦٧

(٨) الاغانى ٢١٢/١٥

(٩) البغدادى ٢٧١/٣ ، ٤٩٨

(١٠) شرح المقامات ٣/٢ (طبعة بولاق) .

(١١) الكامل في التاريخ : ١٩٦/١

الظرب بن حسان العاملي ، من عاملة العماليق ، فجمع عمرو جموعه
ولقى جذيمة ، فقتله جذيمة وفض جموعه ، فانفلتوا وملكوا عليهم
ابنته الزباء^(١٢) ، وكانت من احزم الناس ، فخافت ان تغزوها ملوك
العرب ، فأخذت لنفسها نفقا في حصن كان لها على شاطئ الفرات ،
وسكرت^(١٣) للفرات في وقت قلة الماء وبنت ازجا^(١٤) من الآجر
والكلس ، متصلا بذلك النفق ، وجعلت نفقا اخر في البرية متصلا
بمدينة لأختها ، ثم اجرت الماء عليه ، فكانت اذا خافت عدوا دخلت
النفق . فلما اجتمع لها امرها واستحكم ملكها اجمعت على غزو
جذيمة ثائرة بأبيها ، فقالت لها اختها وكانت ذات رأي وحزم : انك
ان غزوت جذيمة فانه امرؤ له ما يصده ، فان ظفرت اصبت ثأرك ، وان
ظفر بك فلا بقية لك ، والحرب سجال ولا تدرين كيف تكون ، ألك
أم عليك ، ولكن ابعثي اليه فاعلميه انك قد رغبت في ان تتزوجيه
وتجمعي ملكك الى ملكه ، وسليه ان يجيبك الى ذلك ، لانه ان اغتر
ففعل ظفرت به بلا مخاطرة . فكتبت الزباء في ذلك الى جذيمة تقول
له : انها قد رغبت في صلة بلدها ببلده ، وانها في ضعف من سلطانها
وقلة ضبط لملكها ، وانها لم تجد كفتا غيره ، وتسأله الاقبال عليها
وجميع ملكها الى ملكه . فلما وصل ذلك اليه استخفه وطمع فيه
فشاور اصحابه فكل صوب رأيه في قصدها واجابتها ، الا قصير بن
سعد بن عمرو بن جذيمة بن قيس ابن هلال بن نمارة بن لخم ، فقال :

(١٢) في امثال العرب للضبى « ابنة الزبا » وهو الاسم المطابق للنصوص ،
وسنذكره بعد قليل .

(١٣) سكر النهر سكر : سده .

(١٤) الازج : البيت يبنى طويلا .

هذا رأي فاتر وغدر حاضر ، فان كانت صادقة فتقبل اليك والا فلا
تسكنها من نفسك فتقع في حبالها وقد وترتها في أيها . فلم يوافق
جذيمة ما قال له : « الت امرؤ رأيك في الكن لافي الضح » (١٥) .
ورحل فقال له قصير في طريقه : انصرف ودمك في وجهك . فقال
جذيمة : « بقة قضى الأمر » فارسلها مثلاً . ومضى حتى اذا اشارف
مدينتها قال لقصير : ما الرأي ؟ قال : « بقة تركت الرأي » . فقال :
فما ظنك بالزباء ؟ قال : « القول رداف ، والحزم عيرانة
لاتخاف » (١٦) . واستقبله رسلها بالهدايا والالطاف فقال : يا قصير ،
كيف ترى ؟ قال : « خطر يسير في خطب كبير » ، وستلقاك الخيول ،
فان سارت امامك فالمرأة صادقة ، وان اخذت في جنبك واحاطت بك
فالقوم غادرون . فلقيته الخيول فأحاطت به ، فقال قصير : اركب
العصا فانها لاتدرك ولا تسبق - يعني فرسا له كانت تجنب - قبل
ان يحولوا بينك وبين جنودك . فلم يفعل ، فجاء قصير في ظهرها
فمرت به تعدو في اول اصحاب جذيمة . ولما احيط بجذيمة التفت
فرأى قصيرا على فرسه العصا في اول القوم فقال : « لحازم من يجري
العصا في اول القوم » . فذكر ابو عبيدة والاصمعي انها لم تكن

(١٥) الكن : ما يرد الحر والبرد من الابنية والمساكن ، والضح : كل ما
اصابته الشمس .

(١٦) الرداف جمع الردف وهو الذي خلف الراكب . والعيرانة : الناقة
السريعة في نشاط ، اراد ان الحزم يمضي في شأنه ولا يعاب بالقول ،
بل ربما حطمه . وفي كتاب المعتالين لابن حبيب ١١٤ عشراته بدل
عيرانة .

تقف ، حتى جرت ثلاثين ميلا ثم وقفت فبالت (١٧) هناك ، فبنى على ذلك الموضع برج يسمى العصا - واخذ جذيمة فادخل على الزباء فاستقبلته قد كشفت عن فرجها ، فاذا هي قد ضفرت الشعر عليه ، فقالت : يا جذيم اذات عروس ترى ؟ قال : بل ارى متاع امة لكعاء غير ذات خفر . ثم قال : بلغ المدى ، وجف الثرى وأمر غدر أرى . قالت : والله ما ذلك من عدم مواس (١٨) ، ولا قلة أواس (١٩) ، ولكنها شيمة ما اناس . ثم قالت لجواربها : حذن بعضد سيدكن ، ثم دعت بنطع فاجلسته عليه ، وامرت برواهشه فقطعت في طست من ذهب يسيل دمه فيه ، وقالت له : يا جذيم لا يضيعن من دمك شيء فاني اريده للخبل . فقال لها : وما يحزنك من دم اضاعه اهله . وانما كان بعض الكهان قال لها : ان نقط من دمه شيء في غير الطست ادرك بثأره . فلم يزل دمه يجري في الطست حتى ضعف ، فتحرك فنقطت من دمه نقطة على اسطوانة رخام ومات .

قال : والعرب تتحدث في ان دماء الملوك شفاء من الخبل . قال

المتلمس :

من الدارميين الذين دماؤهم شفاء من الداء المجنة والخبل (٢٠)

قال : وجمعت دمه في برنية وجعلته في خزائنها ، ومضى قصير الى عمرو بن عبدالحر التنوخي فقال : اطلب بدم ابن عمك والا

(١٧) كذا في الاغانى والشرى ٣/٢ ولعلها « ماتت » وفي الطبري ٧٥٠/٢ بريل وابن الاثير ١٩٦/١ نقتت .

(١٨) جمع موسى : التي يحلق بها .

(١٩) الاواس : جمع آسة وهي كناية عن الخائن بلغة البادية .

(٢٠) المخبة : الجنون .

سبتك به العرب . فلم يحفل بذلك ، فخرج قصير الى عمرو بن عدي ابن اخت جذيمة فقال : هل لك في ان اصرف الجنود اليك على ان تطلب بثأر خالك ، فجعل ذلك له ، فأتى القادة والاعلام فقال لهم : اتم القادة والرؤساء وعندنا الاموال والكنوز . فانصرف اليه منهم بشر كثير فالتقى بعمرو التنوخي فلما صافوا القتال تابعه التنوخي ومالك بن عمرو بن عدي ، فقال له قصير : انظر ما وعدتني في الزباء . فقال : وكيف وهي امنع من عقاب الجو ، فقال : اما اذ ايت فاني جادع انفي واذني ، ومحتال لقتلها ، فأعني وخلاك ذم . فقال له عمرو : وانت ابصر . فجذع قصير انفه ثم انطلق حتى دخل على الزباء فقالت : من انت ؟ قال : انا قصير ، لا ورب البشر ما كان على ظهر الارض احد انصح لخدمته مني ولا اغش لك حتى جذع عمرو بن عدي انفي واذني ، فعرفت اني لن اكون مع احد اثقل عليه منك . فقالت : اي قصير تقبل ذلك منك ، نصر لك في بضاعتنا . واعطته مالا للتجارة ، فأتى بيت مال الحيرة فاخذ منه بأمر عدي ماظن انه يرضيها ، وانصرف اليه به ، فلما رأت ما جاء به فرحت وزادته ، ولم يزل حتى انست به فقال لها : انه ليس من ملك ولا ملكة الا وقد ينبغي له ان يتخذ نفقا يهرب اليه عند حدوث حادثة يخافها .

فقالت : اما اني قد فعلت واتخذت نفقا تحت سريري هذا ، يخرج الي نفق تحت سرير اختي . وارته اياه ، فاظهر لها سرورا بذلك ، وخرج في تجارته كما كان يفعل ، وعرف عمرو بن عدي ما فعله ، فركب عمرو في النفي دارع على الف بعير في الجوالق حتى اذا صاروا اليها تقدم قصير يسبق الابل ودخل على الزباء فقال لها : اصعدني

في حائط مدينتك فانظري الى مالك ، وتقدمي الى بوابك فلا يعرض
لشيء من اعكامنا ، فاني قد جئت بمال صامت . وقد كانت امته
فلم تكن تتهمه ولا تخافه ، فصعدت كما امرها فلما نظرت الى ثقل
مشي الجمال قالت :

ماللجمال مشيها وئيدا أجنديلا يحملن ام حديدا
ام صرفانا باردا شديدا (٢١) ام الرجال جثما قعودا

فلما دخل اخر الجمال نخس البواب عكما من الاعكام بمنخسه
معه ، فاصابت خاصرة رجل فضرط ، فقال البواب : « شر والله عكتم
به في الجوالقات » (٢٢) فثاروا بأهل المدينة ضربا بالسيف ، فانصرفت
راجعة فاستقبلها عمرو بن عدي فضربها فقتلها ، وقيل بل مصت خاتمها
وقالت : « بيدي لا بيد عمرو » ، وخرجت المدينة وسييت الذراري ،
وغنم عمرو كل شيء كان لها ولايتها واختها ، وقال الشعراء في ذلك
ما كان من قصير في مشورته على جذيمة ، وفي جدعه انفه ،
فاكثروا . (٢٣)

ويؤخذ من الاساس التاريخي لهذه القصة في ضوء البحوث
الاثرية ومقارنتها بما دونه الرحالة اليونانيون ان سابور الاول لما
دحر فالريان الروماني ، زحف شيخ عربي في تدمر ، يدعى اذنيه على
رأس قوة كبيرة ضد سابور ، واخرجه من الشام ، ثم تعقب فلول
جيشه الى اسوار « المدائن » (٢٦٥ م) ، واقتحم عاصمته ، حتى

(٢١) الصرفان : الرصاص وانظر اللسان مادة (صرف) .

(٢٢) ويقال لهذا الضرب من الاوعية جواليق ايضا .

(٢٣) انظر الاغاني ٣١٢/١٥ وما بعدها . والطبري ٧٥٠/٢ (بريل)

والشريشي ٣/٢ (طبعة بولاق) وابن الاثير ١٩٦/١

أخذ شهرة واسعة ، فلقبه الامبراطور جليانس الروماني على انجازاته
 البارعة بلقب « العظيم » Augustus وسمى « ملك الملوك »
 لكنه قتل غيلة سنة (٢٦٧ م) لأسباب لم تزل غامضة ، ثم تولى
 بعده ابنه « وهب اللات » وكان قاصرا ، فوجد الامبراطور في شخص
 « زنوبيا »^(٢٤) زوجة أذينة المقتول وأم « وهب اللات » النبيلة
 الطموحة ، خلفا يضطلع بمهمة بناء الامبراطورية لكنها لم تحز على
 افضل مما حازت عليه كليوباترا في مهمة مماثلة . واعتبر « بلاشير »
 ظهور الملك اذينة ومحاولة زنوبيا جعل « تدمر » حازر اصطدام بين
 روما وفارس ، لحظة خالدة للصراع بين الشرق والغرب في القرن
 الثالث للبلاد ، ذلك ان ظهور الساسانيين في فارس ، حوالي ٢٢٦ م
 أوقد نار العداوة الوراثة بين ايران وبين العالم الروماني ، فنصب
 الساسانيون ايضا أمراء العرب ملوكا ، واشركوهم في محاربة عدوهم
 في البحر المتوسط ، ومع ذلك فلا يزال تاريخ هؤلاء الملوك غامضا
 ومجهولا . . .^(٢٥) ولذلك قادها اورليان Aurelian أمام عربته
 اسيرة في شوارع روما^(٢٦) . ودخلت هذه الملكة العظيمة دورة
 اسطورية حملتها اجنحة الخيال الى آفاق بعيدة .

ولقد عثر العلماء على نقوش باللغة الآرامية ترجع الى عام
 (٢٧١ م) ، ورد فيها اسم « زباي » قائد خيالة « تدمر » و « سبتيموس »

(٢٤) هذه التسمية يونانية ، وعند العرب « زينب » ومعناها باليونانية
 عائشة تقريبا .

(٢٥) تاريخ الادب العربي - العصر الجاهلي - ص ٥٧

(٢٦) تاريخ العرب الادبي - تكلسن ص ٧٥ وتاريخ العرب قبل الاسلام -

جواد علي ١٦/٣

زبدا» قائد الخيالة الأكبر ، وسبتموس أدينت « اذينة » ملك الملوك
ومصلح المدينة كلها ، كما ورد اسم « سبتيم بنت زباي ، الفاضلة ،
والصديقة المألوفة » (٢٧) .

فزباي في النقش ، وهو اسم الملكة ، يطابق ماتضمنته رواية
المفضل الضبي ، وماورد في شعر المخيل السعدي من قوله (٢٨) .

طلب ابنة الزبا وقد جعلت له دور ومسربة لها اتفاق
والمفضل وان كان لم يذكر خبر اليوم بكامله ، الا انه يتفق مع
الروايات الاخرى في أن الزباء قتلت جذيمة وهو في ضيافتها ، كأن
ذلك كان صدى لقتل أذينة وما كان من عداة بين مدينتي تدمر
والحيرة (٢٩) .

ويوم اليمامة مثل آخر نسوقه لبيان اختلاط التاريخ بالأسطورة،
وامتزاجهما في « الايام » فله صلة بجذيمة الأبرش المقتول على يد
الزباء ، وذلك عندما هاجم حسان بن تبع حصون اليمامة ، وحاول
جذيمة ان يتصدى لحسان بعد ان اوقع بطسم وجديس ، فلم يستطع
شيئا (٣٠) . ويتردد في هذا اليوم صدى عادة اقطاعية قديمة هي حق
السيد المطاع، وهي التي تقابلها في ملحمة جلجامش، عملية الاغتصاب

(٢٧) انظر الامثال القديمة . د. عبد المجيد ص ٣٨ - ٤١
(٢٨) امثال العرب ص ٦ (وكانت زنوبيا قد جعلت اتفاقا ومساواة بين
قصرها وبين قصر اختها الكائن على الجانب الثاني من نهر الفرات،
وتعمر الاتفاق تحت النهر .
(٢٩) تاريخ العرب قبل الاسلام ٤٢/١ - ٤٣ والامثال العربية القديمة
ص ٤٠

(٣٠) تاريخ الطبري ٧٧١/٣ (بريل) وفصل المقال ص ١٠٤ والكامل
لابن الاثير ٢٠٤/١ وشرح البسامة ص ٦٢ - ٦٤

التي كان يمارسها ايضا ، السيد المطاع ملك اوروك - جلجامش ، قبل ان يصارعه انكيديو ، بسبب هذه العادة . ويأتي تفصيل حديثها في الباب القادم من هذا البحث . والسيد الطسمي هو عمليق بن سام بن نوح ، قبل ان يجيء اليه السيد الجديسي : الاسود ابن غفار . الا ان انكيديو لم يصرع سيده جلجامش ، واما الاسود فيصرعه ، او يقتله غيلة ، وينتهي متوحشا في جبلي طي ، وحيدا بين وحوش الصحراء والجبل ، بخلاف انكيديو الذي بدا متوحشا ، وحيدا بين وحوش الصحراء والجبل ، ثم انتهى صديقا ومرافقا لجلجامش في رحلته البعيدة الى جبال الارز (٣١) .

والكلام عن يوم « حليلة » (٣٢) و « عين اباغ » (٣٣) و « يوم ذي قار » (٣٤) ، يتطلب الحديث عن مملكة الحيرة القريبة من بابل

(٣١) انظر ملحمة جلجامش ص ٥١ (طبعة وزارة الاعلام بغداد ١٩٧١)
(٣٢) انظر المفضليات ١٨٧ وابن الاثير ٣٢٨/١ ومجمع الامثال ٢٠٢/٢ ، ومعجم البلدان ٣٣٠/٣ وخزانة الادب ٣٠٣/٣ وثمار القلوب ٢٤٨ ، ورغبة الامل للمرضفى ٣٣/١ وهذا اليوم للحارث بن جبلة على المنذر .

(٣٣) انظر ديوان الحماسة ٣٤٦/٣ وابن الاثير ٣٢٦/١ ومعجم البلدان ٦٨/١ وهذا اليوم للحارث بن جبلة الاعرج ملك العرب بالشام على المنذر بن ماء السماء ملك العرب بالحيرة وانظر لسان العرب ٢٩٨/١ .

(٣٤) خبر يوم ذي قار كاملا في الاغاني ١٣٢/٢٠ (ساسي) ٢٢٠/٢٣ (ثقافة) وهذا القسم متعلق ببدايات تأسيس الحيرة ، وقدوم العباديين اليها الى تنصيب النعمان بن المنذر وقتل الشاعر عدي بن زيد العبادي ، واما القسم الثاني من يوم ذي قار فهو في الاغاني ٩٧/٢ يبدأ بقتل النعمان وثورة العرب .

والكوفة ، وعن مملكة غسان في الشام ، لان يوم « حليمة » ويوم « اباغ » هما قمة صراع هاتين المملكتين ، وأما يوم « ذي قار » فيمثل بدايات التأسيس ، وابتداء النفور الفارسي عليها ، وانتفاضات الرفض العربية الكبرى ، ضد هذا النفوذ ، كما كانت غطفان تنتفض ضد الغساسنة ، وتقع أحداث كبيرة ، فيمضي النابغة الذبياني متوسطا لقومه لدى ملوك غسان . واذن « فيوم ذي قار » ابتداء من نزول العباديين في الحيرة ، و انتهاء بهزيمة الفرس ، يروي قصة النفوذ والهزيمة الفارسية في البلاد العربية . « وقد كانت تحيط ببلاد العرب ، حوالي منتصف القرن الثالث للميلاد ، من الشمال والشمال الشرقي امبراطوريتا الروم والفرس ، وصحراء الشام وان كانت حدودا طبيعية لهما ، الا انها لم تكن تحميهم من غارات البدو ، الذين كانوا يتدفقون الى اقاليم التخوم ، فعملت الامبراطوريتان على جعل عدد من القبائل المغيرة ، في الجيش الامبراطوري ، واتخاذ مملكتين غربي الفرات ، واحدة تحكمها اسرة عربية من اللخمين ، والاخرى تحكمها اسرة عربية ايضا من الغساسنة ، وكانت حاجزا للصحراء ، يقي الفرس والروم من غارات القبائل » (٣٥) .

« وقد وقعت الواقعة بين اللخمين في الحيرة ، والغساسنة في سوريا ، ودام العداء بينهما مدة قرن ، دافعت السلالتان عن مصالحهما الخاصة ، فضلا عن مصالح اسيادهما في فارس والبحر المتوسط . وشبه بهذا عندما ابى الحارث الغساني السماح للمنذر اللخمي سنة ٥٣٠م بالوصول الى المراعي قرب مكان يدعى « سراط ديو لكسيانا -

وربما تدخل اباطرة البيزنطيين

Lastrata Diolectina

وفارس للتفريق بين العدوين المتناحرين . وكان الملك الفسائي قد رفع من قبل امبراطور البيزنطي الى رتبة بطريق « فيلارك » وظل مدة حكم جوستنيان على نفوذه (٥٢٧ - ٥٦٥ م) حتى ازداد اكثر في زمن جوستنيان الثاني (٥٦٥ - ٥٧٨) فخشي الامبراطور ، الملك الفسائي ان يثور ، كما فعلت « زنويا » منذ ثلاثة قرون خلت ، فهل كن جوستنيان مدفوعا في اضطهاده المنذر ، بدافع ديني ، هو القضاء على مذهب اليعاقبة^(٣٦) الذي يدين به المنذر ويتعصب له ؟ وكانت النتيجة ان قبض على المنذر ، ونفي الى صقلية (٥٨١ م) فثار ابنه النعمان ، فلقى مصير ابيه ، فانقرضت سلالة الفساسنة ، وحل محلها أمراء محليون^(٣٧) ، ولم يذكر بلاشير كيف توفر له ان يحكم بذهب المنذر اليعقوبي ، مع انهم كانوا وثنيين ، فقد ذكر ابن الكلبي ان احدهم اهدى الى اصنام الحجاز سيفين ، هما اللذان صارا الى الامام علي بن ابي طالب فيما بعد .^(٣٨) « واقترب الساسانيون الخطأ ذاته ، فلم يخلص اللخيمون للفرس ايضا ، فني سنة (٤٠٢ م) خلع احدهم بتهمة العصيان ، كما ان قباذ ملك الفرس ، خلع المنذر (٥١٠ - ٥٥٤ م) على الرغم من الخدمات الطيبة التي اداها له ، وقام مكانه ملك من كنده^(٣٩) وهذا هو اساس خبر « يوم الكلاب

(٣٦) مذهب اليعاقبة : هو مذهب القائلين بطبيعة واحدة في المسيح .

(٣٧) بلاشير (٥٩ - ٦٠) .

(٣٨) الاصنام ص ١٥

(٣٩) بلاشير ص ٦٠

الاول « وبدايته^(٤٠) » وذلك عندما اعتلى العرش الفارسي « قباد » الملك ، وطبق مبادئ مزدك الاباحية ، وصادف ان غزا الحارث بن عمرو الكندي العراق ، خلال الفترة من سنة ٥٠٥ الى ٥٢٩ م فاستغل قباد خروجه ، واستعاض به عن الملك المنذر ، كما تذكر رواية « اليوم » نفسه ، لكن بصورة مؤقتة ، ثم اعيد الى الحكم قبل مجيء ابو شروان الى حكم البلاد ، فاقام مجزرة جماعية لاتباع مزدك (٥٢٨ م) وبقيت في نفس المنذر المذلة التي تحملها ، والثار انقاسي الذي اعقب ذلك ، فلم ينسه .

وتشهد حياة امرىء القيس واشعاره العداء الوراثي المستحكم بين الكنديين واللمخيين^(٤١) ، وتجمع هذه الاحداث ايام عديدة ، اهمها « الكلاب الاول وحجر » الاول مات فيه اعمام امرىء القيس ، كما مات ابوه ، وانتهى هو ايضا في يوم حجر . وتصاعد القتل بين المنذر اللخمي والحارث بن جبلة الغساني ، وان المنذر أسر ابنا للحارث ، ثم قدمه قربانا « للعزي » لكنه بوغت في « يوم حليلة » وقتل بخديعة^(٤٢) حرية .

والمنذر هو صاحب يومي « البؤس والنعيم » أشهر ايام العرب ، حيث كان يجلس كل عام ، ليقدم ضحايا البشرية للآلهة ، وكان من بين الضحايا عبيد بن الأبرص الشاعر ، وكان النابغة يرهب هذه العائلة رهبة غامضة ، لم يجد الباحثون الى الآن تفسيراً حقيقياً لها ، ولا ذوا تحت اشكال ظاهرية من التعليل ، واطلقت على القصائد

(٤٠) الاغانى ٦٠/١١ وما بعدها العقد ٣٢٢/٥

(٤١) نكلسن ص ٨٦

(٤٢) نفسه ص ٨٧

تسمية « الاعتذاريات » وهي تسمية سطحية ، تذوب امام هول
ماكان النابغة الذبياني يتصور ، ويتوقع ، وكان كأنه يهرب مشهدا
دمويا كان يراه امام عينيه ، ويستفطعه ، ويخشى ان يكون من بين
ضحاياه . واشرس هذه العائلة ، الملك عمرو بن هند ، قاتل طرفة ،
وصاحب الأخدود الذي كان يشعل فيه النيران ويلقي به الناس ، كما
فعل في « يوم أواره »^(٤٣) ، وكان عاطفيا تخشاه العرب وتمقته ، وفيه
يقول الشاعر العجلي :^(٤٤)

ابي القلب ان يهوى السدير واهله
وان قيل عيش بالسدير غرير
فما أنذروا الحي الذي نزلوا به
واني لمن لم يأت به لنذير
به البق والحمى وأسد خفية

وعمر بن هند يعتدي ويجور
وقد ازدهر الشعر في الحيرة لعهد وزار بلاطه المشاهير من
الشعراء الجاهليين : عبيد بن الأبرص والنابغة الذبياني وعدي بن زيد
وطرفة بن العبد .

وجدير بالذكر ، ان الحيرة خلفت بابل في مكانها ، كما خلفت
الكوفة الحيرة ، ولكل منها تاريخ طويل في اللغة والآدب .

« وبلغ تخرج الاحوال أقصاه ، زمن ابي قابوس النعمان
(٥٨٠ - ٦٠٢ م) الذي قتله كسرى انوشراون ، فعاد كسرى الى

(٤٣) خبره في النقائض . ومخطوطة الانوار ومحاسن الاشعار
للشمشاطي الورقة ٦٤ مصورة من نسخة طوبقبو ٢٣٩٢ .

(٤٤) المصدر السابق وانظر الاغاني ١٩٤/٢١ ولطرفة بن العبد شعر في
ذم هذا الملك الطاغية .

سيرة ضرب القبائل العربية ببعضها ، فانتهى الأمر بثورة بني بكر في
الفرات الاسفل ، وانتصارهم على الفرس في وقعة ذي قار في منطقة
الكوفة الحالية (٦١١ م) (٤٥) فكانت هذه الاصقاع ابوابا مفتوحة ،
فكان ذلك ارهاصا لانتصار العرب في ظل الاسلام ، وذلك قول
الرسول صلى الله عليه وسلم « اليوم انتصف العرب من العجم ،
وبي نصروا » . (٤٦)

ويرتبط يوم اليمامة أو طسم وجديس بالاداب العالمية ، فيما
يتعلق بزرقاء اليمامة ، وقوة بصرها ، عندما تحصن جيش « حسان
بن تبع » بأشجار اقتطعها الجند وحملوها معهم على نحو يذكر بغابة
« برنام » في الفصل الخامس من مسرحية « مكبث » لشكسبير ،
عندما أخبره حارس الغابة ، انه رآها تتحرك (٤٧) ، فقد أخبرتهم
زرقاء اليمامة بتحرك غابة من الاشجار ، تتوجه اليهم .

وحادثة سد مأرب ذات آثار كبيرة في كيانات الايام . فقد
عجت بطاقات بشرية هائلة ، تمثلت في حركة الهجرة الكبرى التي
غمرت شمال الجزيرة ، وكانت بداية حقيقية لتاريخ جديد ، هو
تاريخ العرب المستعربة . ومن قدومهم ، نشأ يوم اليمامة ، وايام
الأوس والخزرج .

وقد خرجت قبيلة طي ، يقودها جمل اسطوري ، كان يقدم

(٤٥) بلاشير ص ٦٠

(٤٦) النقائض ٦٣٨ وحديث الرسول (ص) مذكور على هذا الوجه :
« اليوم انتصفت العرب من العجم بي » وجعلها ابو عبيدة من
علامات النبوة . خبر هذا اليوم في النقائض .

(٤٧) نكلسن ص ٦٣

اليها ، في واديهها « طريب » من ارض الجنوب ، كل عام ، فلا يشعره
القوم به الا قادما ، فلما رحلت الأوس والخزرج ، فرغ الوادي
الرهيب من البشر واستوحشوا ، وكان الوادي مسبعة ، فقرروا
الهجرة ، وتبعوا الجمل ، فنزل بهم جبلي اجا وسلمي ، وصار يعرف
فيما بعد باسم جبلي طي ، ونسوا الوادي الذي كانوا فيه ، وقال
شاعرهم يومئذ (٤٨) :

اجعل طريبا كحبيب ينسى لكل قوم مصبح ومسي
وصادفوا في الجبل الاسود بن غفار هاربا من « يوم اليمامة »
بعد ان قتل عمليق بن سام ، فقتلوه واستوطنوا الجبل ، وكذلك
كانت هجرة الأوس ، والخزرج (٤٩) .
وتتردد اصداء الاساطير في اسماء القلاع والقصور والمدن
وابطالها الاسطوريين من عرب الجنوب ، مثل التبع ، اسعد كامل
(ابو كريب) ، كما يعرف احيانا ، والذي يقول عنه نكلسن « وقد
بقيت ذكراه حية في الوقت الحاضر ، على مايقول فون كريمر ، ولا يزال
شبحه في خرائب بلاطه في ظفار ، وليس ثمة من يقرأ اغنية مغامراته ،
او الكلمات التي وجهها من فراش الموت الى ولده حسان ، يمكنه
ان يهرب من الاعتقاد ، باننا هنا امام شعر شعبي حقيقي ، ومقتطفات

(٤٨) انظر الاغاني ١٦٨/١١ وطريب كما ذكره الهمداني في صفة جزيرة
العرب ص (٢٥٣) ط . لندن ١٨٨٤ م موضع طي الذي انتجموا
منه الى الجبلين .

(٤٩) انظر ابن الاثير في الكامل في التاريخ ٤٠٠/١ ولم ينسب الرواية
لاحد ، وارجح ظني انها لابي عبيدة ، لان الفصل الذي دونه ابن
الاثير عن ايام العرب منقول عن كتاب ابي عبيدة ، ويؤيد ماذهب
اليه كتاب مفقود لابي عبيدة يدعى : ايام الاوس والخزرج .

من دورة اسطورية ، للجنوب العربي ، تصل بداياتها دون شك ، الى
ايام سحيقة في القدم . (٥٠)

فالايام ليست وثيقة تاريخية وانما هي عالم ينبض بالاساطير
التي تصور حياة الامة العربية في شبه الجزيرة ، فنحن مع الايام
كما يقول بلاشير (٥١) تجاه حكايات وقصص ، ولسنا تجاه تاريخ ،
وتظهر دوما النزعة الى الاحتفاظ بالخبر المؤثر ، والنادرة الغريبة ،
وبكلمة مختصرة : بكل ماثير ويدعم السامع الميل الى القصص
انجيل ، اكثر منه الى الحقائق ، ونجد الاسطورة تؤخذ بعين الاعتبار ،
بمجرد ظهورها . حتى انها تشكل امتداد للحقيقة التاريخية ، كما
هو شأن اسطورة الزباء ، حيث نجد منها صورة « زنوبيا » وقد
تشتق على العكس من الادب العالمي ، كحياة امرىء القيس الذي
مات من تأثير حلة مسمومة ، واحيانا تستمد من قصص : « الحب
والموت » . ونضرب صفحا عن تضارب التاريخ : في بعض الجزئيات
فان علماء العراق كغيرهم من علماء القرون الوسطى ، يؤرخون
الماضي بواسطة استعارات مأخوذة من عصورهم فالاشارات
المتضمنة احداثا معينة ، قد تعطينا تاريخا جد تقريبي ، وقد تتناقض
احيانا حتى لتؤدي عندما مانحاول التوفيق فيما بينها الى نتائج غير
معقولة ، فربما تفرض في آن واحد ، صحة القطعة وحقيقة المسلمات
التاريخية ، غير ان الناحيتين ، تستند احدهما على الاخرى ، ويكفي
لكي ينهار البناء ، ان تكون احدهما غير صحيحة . (٥٢)

(٥٠) تاريخ العرب الادبي ص ٥٦

(٥١) تاريخ الادب العربي ص ١٧٠ - ١٧١

(٥٢) نفسه ص ١٧٣

واذن فاستبطان الايام للتاريخ لم يكن مقصودا لذاته ، فكما ان
الايام لاتفرز اساطير ، فهي لاتفرز تاريخا ، بل تمتصها لتمثلها ،
والامتداد الاسطوري داخل الايام له وجود طبيعي اكثر من التاريخ
لذلك اطلق بلاشير هذا الحكم الخطير في « ايام العرب » ناعيا على
المؤرخين العرب غفلتهم ، فلم يلتفتوا الى خطورة هذا اللون الادبي
الذي يعد « نقطة انطلاق حلقات اسطورية ، كما انه اكثر اهمية في
مجال التأثيرات من الاجواء الحربية في تاريخ الادب » (٥٣)

(٥٣) المصدر السابق ٣٤

الفصل الثالث

لغة الايام الشعرية

طالعنا حالة فريدة في ملاحم « الايام » لم تظهر في سواها من ملاحم العالم ، وكانت السبب في صرف انظار الباحثين عنها ، واضلتهم ، فلم يعرفوا الطريق الصحيح اليها ، وهو هذا المنشور الرائع ، الداخلى في ثنايا الرواية ، يسد فراغا هائلا ، فهو يملأ « خانات » هامة كبيرة في الرواية ، لا يقل عن الشعر تعبيرا وتأثيرا ، او تحركا في خدمة النص . وهو الذي سار « بالايام » الى باب التاريخ الكبيرة ، فالمؤرخ ، وقد طوع الشعر ، سهل عنده بعد ذلك ، تطويع النثر لمهمته . لكن الشعر بلغته الداخلية المتميزة استطاع ان يتحصن من ايدي المؤرخين ، وبقي النثر ، لطبيعة في تكوينه ، هدفا سهلا للتاريخ . ومع ذلك ظهرت ملاحم « الايام » ينثرها الجميل ، ولغتها الداخلية في النص ، فاستعلت على التاريخ ، وبرهنت على انها باقية ، بقاء الشعر ، كما سنلاحظ بعد قليل . لان هذه اللغة هي نفس لغة الشعر ، مع ان النثر طوع لمهمات تاريخية . وقد حافظ على كيانه لانه ليس كلام الناس ، بل افكار الشعراء ، وادى جمع وتحقيق كتاب « الايام » ظهر النثر بأسلوبه المؤثر ، ورموزه البعيدة ، وتراكيبه اللغوية الخلاقة .

ولما كان العلماء قد اصططحوا على ان الملاحم ، قديمها ومتأخرها لا تكون الا شعرا ، فلم يصح عندهم اقسام « ايام العرب » وحشرها مع تلك الاعمال !! وهو حكم خاطىء لان العبرة ليست بالوزن وانما بالخيال الشعري الذي تبض به الايام .

ويقرر لنا لودفكو كاستسلفترو^(١) : « ولئن كان الوزن ضروريا
كما يبدو من واقع الحال ، فانه ليس كل شيء ، فالوزن لغة الشعر ،
ولكن الوزن دون الاختراع ليس بشيء . والاختراع هو سر الشعر ،
واشق الامور على الشاعر ، وبه يسمى الشعر شعرا ، والشاعر
شاعرا » . فمسألة الوزن في الشعر ثانوية ، بعد ان تقدمت عليها
الظاهرة التي تضفي على العمل صفة « الشعرية » وهي نفسها تبعد
ايضا عن هذه الصفة . فاذا كان ارسطو انكر اعمالا كثيرة كتبت في
قوالب شعرية ، فنفاها عن عوالم الشعر الحاملة والرهية ايضا ،
فأجدر بنثر الايام ، المتضمن الشعر ، « والاختراع » الذي اشار
اليه « لودفكو » ، ان تفتح له ابواب هذه العوالم الواسعة .

والمجاز هو الملاذ الذي احتفى الانسان بين احضانه ، محققا عن
طريقه اسمى رتب الخيال ، ولست ترى حقيقة ملموسة او محسوسة ،
الا ولها مكانها في مسميات المجاز ، حتى اصبح عالما قائما بذاته ،
تسبح فيه خيالات الانسان البعيدة عن واقع ممقوت ، يلتصق بأرضه
جسد الكائن ، وتنعدم فيه الصفة المتسامية والمبدعة في البشر .
ونحن اذا استقصينا هذه الظاهرة بالتبع والاستقراء في حياة اللغة ، مع
المشاهدة والتطبيق ، خرجنا بنتائج عالية جدا في تصعيد هذا البحث ،
واهميته العلمية .

وللتدليل على ذلك اسوق هذا النص من « يوم الوقيط »^(٢) ،
وهو حوار بين اسير ، وبين آسريه الذين ارادوا الغارة على قومه ،

(٢) احد الايام التي رواها ابو عبيدة وسترد في كتابه .

(٢) ايام العرب لابي عبيدة ٣٦٣

فاختلس السمع اليهم ، وعزم على ان ينذر قومه ، وجعل يخلق الوسيلة
الى انذارهم فقال لآسريه :

• اعطوني رسولا ارسله الى اهلي ، وأوصه ببعض حاجتي •
وكان اشتروه من بني ربيعة بن ذهل بن شيبان فقالت له بنو اسد :

• ترسله ونحن حضور •

وذلك مخافة ان ينذر قومه • فقال :

• نعم •

فاتوه بعلام مولد • فقال :

• ايتيموني باحق •

قال الغلام :

• والله ماأنا بأحق •

فقال الأعور :

• اني اراك مجنونا •

قال :

• والله ماي من جنون •

قال :

• فالنيران اكبر ام الكواكب •

قال :

• الكواكب ، وكل كثير •

قال :

• انك لغبي أحق ، ومااراك مبلغا عني •

قال :

• بلى لعيري ، لابلغن عنك •

فملاً الأعور كفه من الرمل ، وقال :

— كم في كفي ؟ .

قال :

— لا أدري ، وانه لكثير ، مأحصيه .

فأوماً الى الشمس يده ، وقال له :

— وماتلك ؟

قال :

— هي الشمس .

قال :

— ماأراك الا عاقلاً طريفاً ، اذهب الى اهلي ، فأبلغهم عني

التحية والسلام ، وقل لهم ليحسنوا الى أسيرهم ويكرموه

فأني عند قوم يحسنون الي ، ويكرموني .

وكان حنظلة بن طفيل المرثدي في أيدي بني العنبر .

— وقل لهم : فليعروا جملي الاحمر ، ويركبوا ناقتي العيساء ، ويرعوا

حاجتي (يعني : ينظروا) في أييتي مالك ، واخبرهم ان

العوسج قد اوراق ، وان النساء قد اشتكت ، وليعصوا

همام بن بشامة ، فانه مشئوم ، محدود ، وليطيعوا هذيل

بن الاخنس ، فانه حازم ميمون .

فقال له بنوقيس :

— من أيينو مالك ؟ !

قال :

— بني أخي .

وذكروا من وجه اخر ، ان ناش بن بشامة رأى راكباً ،

فقال :

- اين تريد ؟؟

قال :

- موضع كذا .

فقال لبني سعد بن مالك :

- ان طريق هذا عن اهلي ، فهل انتم تاركي ، فأحمله حاجة

اليهم ، وأوصيهم بحنظلة .

قالوا :

- لا ، والا ونحن نسمع .

قال :

- واتم تسمعون .

فتركوه ، وهو معهم .

قال للراكب :

- اذا اتيت أم قدامة ، فقل لها انكم قد اسأتم الى جملي

الاحمر ، فنهكتموه ركوبا ، فاعفوه ، وعليكم ناقتي الصهباء

العافية ، فاقتعدوها .

فلما أبلغها ما قال ، قالت لابنها :

- ان الأعور يأمركم ان تركبوا الدهناء وتعرفوا الصمان .

فأتاهم الرسول ، فأخبرهم وأبلغهم ، فلم تدر عمرو بن تميم ،

ما الذي ارسل به اليهم الأعور . وقالوا :

- مانعرف هذا الكلام ، ولقد جن الأعور بعدنا ، مانعرف له

ناقة يختصها ، ولاجملا ، وان ابله عنده لباج واحد فيمما

نرى .

فقال هذيل بن الابخس للرسول :

— اقتص عليّ اول قصته •

فقص عليه ما كلمه به الاعور ، وما رجعه اليه ، حتى أتى
على آخره • فقال هذيل :

— أبلغه التحية اذا أتيت ، وأخبره انا سنوصي بما أوصى به •
فشخص الرسول • ثم نادى هذيل :

— يا للعنبر ، قد بين لكم صاحبكم ، ان الرمل الذي جعل في
يده ، فانه يخبركم ، انه قد اتاكم عدد لا يحصى ، واما
الشمس التي اوما اليها ، فانه يقول : ان ذلك اوضح من
الشمس ، واما جملة الاحمر ، فالصمان ، يأمركم ان تعرفوه ،
يعني ترتحلوا عنه ، واما ناقته العيساء ، فانها الدهناء ، يأمركم
ان تتحرزوا فيها • واما اينو مالك ، فانه يأمركم ان تنذروهم
ما حذركم ، فان القوم قد اكتسوا سلاحا ، واما اشتكاء
النساء ، فيخبركم انهن قد عملن الشكاء ، يريد خرزن لهم
شكاء وعجلا يغزون بها •

وهكذا تمضي رواية اليوم في طريقها الى النهاية •

وليس « يوم الوقيط » وحده يحمل هذه الرموز الكبيرة ، بل
توجد ايام عديدة تحمل مثل هذا الرمز : « يوم جبلة » مثلا (من ايام
ناحس) ويوم النفراوات (من ايام عامر وغطان) ويوم رحرحان ،
عشرات الايام • ولقد لاحظنا اللغة وطبيعتها ، وخاصة الحوار الدائر
بين الشخصين •

وتصلنا هذه القضية في لغة الايام ، بمسألة الامثال ، الواردة
فيها • وهي قطع قصيرة وصغيرة من النثر المنغم بموسيقى اللغة

التي تتميز بها ايام العرب ، تختزن في اعماقها ، تجارب امة عـبر
اجيال ، على مدى الالف السنين ، تنتقل من جيل الى جيل ، ومن
لهجة الى لهجة ، في حدود قومية واحدة ، منبثقة من عروبة شبه
الجزيرة واطرافها ، منذ اول موجة منهم في آشور وبابل ، حتى عصر
الايـام .

والمثل عند ارسطو ، حكاية او اسطورة ، تترجم احيانا الى
اسم « المثل »^(٣) . وهو ايضا اصطلاح يدور في كتب الثقافة العربية
القديمة ، حول بعض المضامين الشعرية . لذلك كان ذا اهمية كبرى
في هذا الفن ، اذ بغيرها يفقد بعده المجاري الذي لا غنى له عنه
مطلقا .

والحكاية او الاسطورة عند ارسطو « تأليف من الافعال » ثم
تدخل هذه المضامين ، الى الحكاية والاسطورة ، في شعر الملاحم
والمأساة . واستبعد ارسطو ما يسمى بالشعر الغنائي ، لانه ادخله
في فن الموسيقى^(٤) وهذا ملاحظ في امثال العرب القديمة ، حيث
نجدتها تدور في ملاحم الايام ، وتصل الى مستوى الحوار ، وان
مفسري الامثال ، ملئوا كتبهم بالاساطير وحكايات الشعوب القديمة،
وملاحم الايام . فكلام ارسطو ينطبق تماما على ملاحمنا ، ويزيد
في البرهان على ملحمة الايام .

ويرى ب . هاويت ان الصلة بين المثل والشعر قديمة في تاريخ
الاداب الانسانية . وان اقدم الامثال التي وصلت الينا في النقوش

(٣) فن الشعر ص ٣

(٤) فن الشعر ص ٣

السومرية ، واسفار التلمود ، كانت في الغالب الأعم موزونة العبارات على الطريقة الشعرية السامية التي يطلق عليها توازن الاشطار^(٥) . ولما قاس عليها نظام توازن الاشطار في المثل ، أي انه يتألف من شطرين متساويين ، رجح وجود علاقة بين المثل والشعر ، وذهب الى ان منشأ هذه التسمية راجع الى معنى التسوية بين شطري العبارة ، واستند الى معنى المساواة الذي يفهم من استعمال اللفظ في اللغة والى اللفظ الاشوري Mislami الذي يدل على (الاجزاء) ، فمن هذا الاستعمال ، اطلق الساميون لفظ مثل على الشطر او البيت من الشعر الذي يتألف من شطرين متساويين .

ونسوق نموذجين ننتخبهما من « ايام العرب » تظهر فيهما قوة النبض الملحمي من خلال المثل ، ويوضحا ن في الوقت ذاته اصول هذا النثر الشعري في « الايام » دعما لما تقدم بيبانه وتفصيله ، سواء أكان هذا النثر مثلاً او حكمة قديمة او عبارة ثرية فنية ، واما الالغاز والاحاجي ، فأن يوم حجر وسيرة امرئ القيس خير مثال لها ، يمكن ان يراجعها القارئ في مظانها .^(٦)

ونبدأ بالنموذج الاول ، وهو يتصل بيوم « جذيمة الأبرش »^(٧) ، عندما وصل جذيمة الى الزباء ، وقد انطلت عليه خدعة عسكرية ، وكان وزيره « قصير » الوحيد بين وزرائه الذي عارض سفره وزواجه من الزباء . فلما بلغ جيش الملك منتهاه ، عند حصن الزباء ، وشعر

(٥) الامثال في النثر العربي القديم ص ١٥

(٦) الاغانى ١٠١/٩

(٧) نقلا عن كتاب « اسماء المغتالين » لابن حبيب ص ١١٤ « نوادر المخطوطات » .

جذيمة بجيش الملكة يطبق عليه من الجانبين ، قال لقصير :

— ما الرأي ؟

قال :

— بيقة تركت الرأي •

قال :

— فما ظنك بالزباء •

قال :

— القول رداف ، والحزم عثراته لا تخاف •

فلما استقبلوه بالهدايا قال :

— يا قصير ، كيف ترى ؟!

قال :

— خطر يسير ، في خطب كبير •

فلقيته الخيول ، فقالت الزباء :

— يا جذيمة ، اذات عروس ترى ؟

قال :

— بلغ المذى ، وجف الثرى ، وأمر غدر أرى •

فقالت الزباء :

— والله ما بنا من عدم مواس ، ولا قلة أواء ، ولكنها شيمة

ما أناس •

ثم اجلسته على نطع ، وسقته الخمر ، وأمرت بقطع راهشيه ،

فجعل دمه يسيل في طست من ذهب •

فلما رأى دمه ، قال :

— لا يحزنك دم أهراقه أهله^(٨) .

وأما النموذج الثاني فنختاره من أيام داحس والغبراء^(٩) ، حيث فرج قيس بن زهير ، وحذيفة بن بدر الفزاري ، ينظران الى خيلهما كيف انطلقا ، وقد اركضاها في سباق على رهان تحول الى سباق دموي ، كانت الدماء تجري فيه اسرع من جري فرسي رهان . وكانا متخاصمين ، متنافسين ، وبسببهما وقعت احداث هذه الملحمة العظيمة التي اخذت من كتاب الايام لأبي عبيدة مساحة واسعة جاوزت مائتي صفحة .

« ثم ان حذيفة بن بدر ، وقيس بن زهير أتيا المدى الذي ارسلت منه ، ينظران الى الخيل كيف خرجا منها ، فلما أرسلن ، عارضاهما . قال حذيفة :

— خذعتك يا قيس .

فقال :

ترك الخداع من اجري من مائة فارسلها مثلاً .
ثم ركضت ساعة ، فجعلت خيل حذيفة تبر^(١٠) ، وخيل قيس تقصر .

(٨) يريد انه هرق دم جسده بنفسه ، وساعده على ذلك مجلس وزرائه .

(٩) يجده القارئ في الجزء القادم من كتاب الايام . وينظر كتابنا : الشعر في حرب داحس والغبراء . ط . الاداب بالنجف ١٩٧٢ .

(١٠) تبر : تلب وتسبق .

فقال حذيفة :

— سبقت ياقيس •

فقال قيس :

— جرى المذكيات غلاب •

فأرسلها مثلاً •

ثم ركضا ساعة ، فقال حذيفة :

— انك لا تركض مركضا •

فأرسلها مثلاً •

ثم قال :

— سبقت خيلك ياقيس •

فقال :

— رويد يعلون الجدد^(١١) •

فأرسلها مثلاً •

ولا يكاد يوم من ايام العرب يخلو من مثل • بل تكاد كتب
الامثال العربية القديمة مستمدة جميع مادتها من كتب الايام • ولا يبي
عييدة كتاب في الامثال جاوز الالف ورقة ، وقد تقدمت الاشارة اليه
في « ثقافة الرواة » •

(١١) الجدد : الارض الغليظة •

الباب الثالث

اين تقع الايام من الشعر العربي

الفصل الاول : اولية الشعر العربي

الفصل الثاني : الملاحم العربية القديمة واسباب اختفائها ..

الفصل الثالث : الاسلام وشعر الايام ..

الباب الثالث

اين تقع الايام من الشعر العربي

الفصل الاول

اولية الشعر

اجتهد العلماء في ايجاد اصل لكلمة « شعر » العريضة ، فلم تسترح نفوسهم الى الآن ، لأصل يؤيده العلم ، والاكتشافات الثابتة .
حقا ان كلمة « شير » العبرية القديمة ، تستعمل بمعنى الشعر ، فرجح العلماء في ضوءها ، ومنهم كرنكو F. Kirenkow ان الكلمة مشتقة منها^(١) . لكن اعترفوا ايضا ، ان كلمة « شير » العبرية ، تعني بالضبط : الترتيلة الدينية .^(٢) وهذا الأمر سوف ينفعنا ايضا ، عندما نبحث في هذا الأصل الذي لم يتقرر بشكل ثابت ، الا ان الابحاث قطعت فيه شوطا علميا ، تمكن الباحث من تقرير امر بشأنه . وتقضي المناسبة ان نذكر ، بأن كلمة « مشورر » العبرية ايضا ، تعني : مغن أو شاعر .

وعلى هذا ، فإن كرنكو يبدو في غاية الحذر ، فلا يحكم بالقطع ، لكن ويرجح ، ثم يعود ويؤكد بان اصل الكلمة ضاع في طوايا الماضي السحيق » ومع انه لا يوجد ، فيما بلغ اليه علمي ، أي نقش عربي

(١) انظر دائرة المعارف الاسلامية ، مادة شاعر ٦٩/١٢ وانظر ايضا

الساميون ولغاتهم ٩١

(٢) الدائرة : نفس المادة .

(٣) نفسه ص ٩٩

قديم ، يشتمل على ابيات مامن الشعر ، فلا يتخذ ذلك حجة ، على ان الشعر لا يوجد في هاتيك الايام ، لوجود الحقيقة القائمة ، وهي ان شواهد الشعر العربي التي نستطيع ان نحكم بانها صحيحة واصيلة ، كانت تسير بالفعل على قواعد من البحور والقافية^(٤) . فهو يريد ان يؤكد بان الشعر العربي وجد في شبه الجزيرة ، بشكل مغاير لشكله الذي وصل الينا ، وهي حقيقة نوضحها بعد قليل .

ويحسن بنا ، مادمنا وجدنا آثار لكلمة « شعر » في اللهجات واللغات السامية القديمة ، او امتدادا ساميا لها ، مهما كان اثره ، ان ننظر في اصل هذا الشعر نفسه ، كفن من اقدم الفنون العربية ، حملوه الى العالم ، وحمله العالم عنهم ، في شكل ملاحم لم يعرف البشر قبلها مثلها ، مثل ملحمة الخلق وجلجامش .

لقد استطاع الباحثون ان يصلوا الى جانب هام من الحقائق العلمية ، بخصوص السومريين ، الشعب الذي الهم الساميين ، وبالأخص الاشوريين ، ملاحمهم العظيمة . ولقد برهنت التنقيبات انهم رمزوا في عصور ما قبل الكتابة الهجائية ، الى كلمة « شعر » بواسطة الكتابة التصويرية ، برمز « ابريق خمر » وبواسطة صورة الابريق نفسه رمزوا الى كلمتي : اغنية ، وعيد . وكان ذلك في عصور البشرية الاولى ، عندما كان الكاتب ، اذا اراد ان يدون شيئا رسمه ، فكانت الاشياء المادية تستقيم مع هذه الطريقة ، الا ان الصعوبة في تصوير المعاني . فاستعانوا بالرمز يسجلون به المعاني . وهكذا اظهرت الحفريات ، ان صورة « الابريق » المذكور تفسر ثلاثة معاني مرتبطة

(٤) دائرة المعارف الاسلامية ، مادة (شاعر) .

بعضها ارتباطاً عضوياً هي : الشعر والأغنية والأعياد^(٥) . وطبيعي
أن المقصود بالأعياد : المواسم الدينية والاحتفالات التي ترافقها .
وكان من مستلزماتها الضرورية : الغناء الذي يؤدي به الشعر الملحمي ،
وتحمل الخمرة اليهم في إباريق نحاسية ، فكان هذا الوعاء أبرز ظاهرة
لهذه الأخوات الثلاث . وهي حقيقة انسحبت على كل الأصول
الشعرية في العالم ، ولا تتغير هذه الحقيقة العلمية من حيث أصولها ،
لكن ربما تغيرت من وجهة مظهرها فقط .

فالملاحم ، طقوس تؤدي في مناسبات دينية وغير دينية سواء في
الساحات أو في أماكن العبادات المخصصة . وهذه القضية تقال عند
الحديث عن الملاحم ، وإنما اقحمت هنا ، لارتباط ظاهرة الشعر في
الأعياد بأصون دينية للشعر القديم ، وهي حقيقة ، أكدتها «حيثيات»
الشعر الجاهلي وأرباب صنعته ، وبقايا القصائد الأثرية ، مع أن كرنكو
أنكر أن تكون للكهانة رابطة تربطها بالشعر الجاهلي ، بل اعتبر
الشعر ظاهرة أرستقراطية ، مارسها أناس لهم جاه ، ولم يكن الوقت
قد حان ليمارسه فقراء مثل الحطيئة . ودلل على قوله ، بأن الشعر
العربي في عهوده القديمة ، كان ينأى عن الأمور الدينية ، وحجته أنه
التزم أشد الالتزام بالأمور الدنيوية^(٦) . لكن النتائج المدروسة في
ضوء النصوص ، دحضت رأي كرنكو ، وأكدت أن أصل الشعر ،
عبارة عن ممارسة طقوسية دينية : كهانة أو سحر .
ولسنا نعلم لهذا الأصل الديني جذوراً بعيدة ، لأننا لا نعرف

(٥) (طبيعة الأدب السومري ونشأته) مقالة في مجلة الأعلام

العراقية بقلم الدكتور فوزي رشيد العدد ٩ سنة ١٩٧٣

(٦) دائرة المعارف الإسلامية مادة (شاعر) .

شعر اجاهليا اقدم من القرن الخامس الميلادي^(٧) ، لكننا نعرف ان الشعر العبري كانت تتخذ منه تراثيل دينية ، وان الملاحم العريية القديمة ، كانت تنشد او تغنى في مناسبات الأعياد الدينية ، تتضمن تمجيذا للآلهة واعمالهم وبطولاتهم .

« ولفظة شاعر - كما يدل الاسم - شخص انعم عليه بمعلومات خارقة ، او ساحر على صلة بالجن او الشياطين ، معتمدا عليها في القوى السحرية التي يظهرها ، وتتجلى هذه النظرة الشخصية ، بشكل غريب في قصة (شاب رفض ذوو حبيته تزويجها منه ، لانه لم يكن شاعرا ولا كاهنا ولا عرافا) وقد تطورت فكرة الشعر فنا ، فيما يعده فقد كان الشاعر كاهن قبيلته وهاديها الى السلم ، وبطلها في الحرب ، فأليه يرجعون في جميع شؤون حياتهم ، حتى العطشى المتعبون المتجولون ، عندما يجدون بئرا يشربون منها ويغتسلون »^(٨) .

وأصدق مثل تتجلى فيه هذه النظرية عن أولية الشعر العربي ، هو الرثاء والهجاء . وكانت غاية الرثاء الاصلية : السحر ، فقد كان غضب المرثية يطفىء غضب المقتول ، وتنتهى ان يرجع الى الحياة ، فيلحق الاضرار بالأحياء الباقين . ولكن هذا المعنى تلاشى تقريبا في الجزيرة العربية ، وتطور الى الشعور الانساني بالحزن الممض ، على ان اظهار الحزن لم يكن يناسب رجال القبيلة ، كما كان لاثقابنسائها ، وخاصة بالأخوات .^(٩)

ولدينا أمثلة كثيرة في الرثاء ، اوضحها ايات الريمع بن زياد

(٧) المصدر نفسه مادة (شعر) ٣٠٤/١٣

(٨) تاريخ العرب الادبي ١٢٧

(٩) بروكلمان - تاريخ الادب العربي ص ٤٨

العبسي في يوم داحس والغبراء ، وهو يصف نساء القبيلة يضربن وجوههن ، بينما الرجال يشدون على خيولهم وقد غير ارتداء الدروع الحديدية مدة طويلة ، الوان وجوههم^(١٠) ، وتعد الخنساء قصيدة رثاء ممتدة من العصر الجاهلي الى بدايات الاسلام ، حول اخيها صخر بن عمرو بن الشريد ، المقتول في يوم « ذات الائل »^(١١) .

وربما كان الهجاء أوثق الأغراض الشعرية بهذه الصلة الدينية، لان القدماء صرحوا بذلك . ويضربون لنا مثلا بحادثة ليلى بن ربيعة الشاعر ودخوله على الملك النعمان في اغرب زي : فرق شعر رأسه من الوسط ، ودهن شقا واحدا منه ، واحتذى فردة نعال واحدة ، وترك عباءته متراخية ، تتدلى من كتف واحدة ايضا ، لتكون اعناته على المهجو ، وهو الربيع بن زياد العبسي ، اشد وأوقع ، وقد جرى ذلك كله في يوم فائور^(١٢) .

واننا اذ نربط اولية الشعر باصول غيبية ، لن ننسى انه مع هذه الاصول ، كان مرتبطا بالغناء ايضا ، وفق التقسيم الآتي^(١٣) :

- أ - اغاني الينايع .
- ب - اناشيد الحرب .
- ج - تراويل الأصنام .

(١٠) ايام العرب لابي عبيدة يوم داحس والغبراء ومجموعته الشعرية في مجلة كلية الاداب العدد ١٤ .

(١١) العقده ١٦٦/٥ والاغاني ٧٧/١٥ .

(١٢) اشريف المرتضى (غرر الفوائد ودور القلائد) المعروف بالامالي

١٣٦/١ تحقيق ابو الفضل ابراهيم - مصر ١٩٥٤ وابن الانباري

شرح السبع الطوال الجاهليات ص ٥٠٩

(١٣) تاريخ العرب الادبي ١٢٧

واما بالنسبة لأغاني الينابيع ، فانها ذات عراقه وقدم ، فهناك
امثلة لاغاني الاستسقاء من العيون والآبار في كتاب الاغاني (١٤)
وفتوح البلدان للبلاذري (١٥) والطبري (١٦) . ومما يؤيد ماذهب اليه
بروكلمان (١٧) في اغاني الاستسقاء ، انهم يستدلون على ابارهم
باشعارهم ، فمن ذلك قول امرئ القيس : (١٨)

ولما رأت أن الشريعة وردها

وان البياض من فرائصها دامي

تممت العين التي جنب ضارج

يفىء عليها الظل عرمضها طامي

وقد كان مأوهم نقد ، فاستدلوا على العين بهذا الشعر ، فالتغني

بها هو من قبيل التغني بالآبار .

وان ما يقال في الحرب ، والتغني بشعرها كثير ، واقرب مثل

الينا في « ايام عامر وغطان » قول العجلي ، يصف الحارث بن ظالم ،

وكان استجار بهم في حربه ضد الملك النعمان (١٩) :

ونحن أجرتنا حارثا بسيوفنا فظل يغني آمنا في خبائنا

وغنى شاعر بأبيات ، يصف فيها للملك عمرو بن هند كيف قتلت

بنو تميم ابنه في يوم « أواره » ، قال (٢٠) :

(١٤) المصدر السابق وانظر الاغاني ٩٥/٢ (ط ٢)

(١٥) المصدر نفسه وفتوح البلدان ص ٤٩

(١٦) نفسه وتاريخ الملوك ٧١/٣

(١٧) تاريخ الادب العربي ص ٤٥ ، ٤٩

(١٨) جمهرة اشعار العرب ص ١٧ وانظر البكري (مادة ضارج) .

(١٩) اغاني ١١٦/١١

(٢٠) خبر هذا اليوم والابيات في النقائض ص ٦٥٢ (اوربا)

من مبلغ عمرا بسا
ن المرء لم يخلق مباره
وحوادث الأيام لا
تبقى لها الا الحجاره
ها ان عجزه أمه
بالسفن أسفل من أواره
تسنى الرياح خلال كشم
حيه وقد سلبوا أزاره
فاقتل زراره لأرى
في القوم او في من زراره

فبكى الملك لما سمع غناه . وقد وردت كلمة نشيد في قول
الشاعر عبد يفوث بصورة صريحة . (٢١)

وكانت النسوة من القبائل ، تشد ، لتحسن الجند على القتال
في يوم ذي قار .

واما ترايل الاصنام ، فليست ارى تفسيراً لدخول القصائد
السبع الى الكعبة ، وهي حرم ديني معروف المكانة في نفوسهم ، الا
من قبيل اتخاذها ادعية او تعويذات ترتل امام الاصنام . وربما بلغ
حرصهم على قدسية الشعر وترتيله امام الاصنام ، ان عمدوا الى
تنظيف اجسامهم ، كأنهم مقبلون على صلاة . قال ابو عمرو بن

(٢١) راجع يوم الكلاب الثاني في الايام الجزء الاول .

العلاء : كانت العرب اذا ارادت ان تشد قصيدة المتلمس ، توضئوا لها (٢٢) ، ومطلعها :

تعرني أُمي رجال ولن ترى أخا كرم إلا بان يتكرما
كان ذلك أيعالا برفق في اعماق ماضي الشعر العربي خاصة ،
والسامي بوج عام • ونقول الآن كلمتنا في مجموع الشعر الجاهلي
نفسه ، وأوليته ، ومعرفة ابعاد شخصيته •

(٢٢) طبقات النحويين واللفويين ص ٣٣ وانظر القصيدة في الاصمعيات
٦٤/١ وبعض ابياتها في الاغاني ١٢٣/٢١ وهي في ديوانه ص ٣ -
(تحقيق حسن كامل الصيرفي ١٩٧٠ : والبيت المذكور اعلاه هو
المطلع ، يقول بعده :

ومن كان ذا عرض كريم فلم يصن
له حسبا كان اللئيم المنعما
احارث انا لو تشا ط دماؤنا
تزيلن حتى لايمس دم دما
وفيها يذكر قتلهم للملوك :

وكنا اذا الجبار صعر خده
اقمنا له من ميله فتقوما
لذي الحاتم قبل اليوم ماتقرع العصا
وما علم الانسان الا ليعلمنا
اخذه الفرزدق فقال :

وكنا اذا الجبار صعر خده ضربناه حتى تستقيم الاخادع
ديوانه ٥١٩ والنقائض ٧٠ •
واخذه بشار ايضا :

اذا الملك الجبار صعر خده مشينا اليه بالسيوف نعاتبه
ديوانه ٣١٧/١

وانظر الفصل الذي افردناه عن قتل الملوك وتقديسهم وقتلهم ،



والواقع ان الشعر الدائر حول ازمان الهجرة ، بعدها او قبلها
 بقليل ، يمكن ان نطمئن الى حكم يوثق روايته ، او الى شيء مثل
 هذا . لكن اذا بدأت الشقة تكبر ، والزمان يوغل في القدم ، وعلى
 حد تعبير كرنكو ، قبل قليل ، بعدم وصول اي نقش اثري فقد لف
 الضباب اجزاء كبيرة منه ، واصبح الحكم بمطلق صحته ، مجازفة
 خطيرة فليس من السهولة بمكان نقل الاقدام الى خطوة جديدة ،
 داخل هذه الظلمة ، لذلك ، نحن لا تخرج من ترشيح شعر كثير
 لمخضرم مثل لييد بن ربيعة ، او حتى زهير والأعشى ، لكننا نجد
 صعوبة كبيرة في قبول مجموعات من الشعر الجاهلي : امرؤ القيس ،
 طرفة ، الحارث بن حلزة ، عمرو بن كلثوم ، الا ان هذه الصعوبات
 تتحول الى استحالات ، واثيانا تغطي النص الشعري علامة استفهام
 كبيرة : المهلهل بن ربيعة ، الحارث بن عباد ، البراق بن روحان ، بل
 حتى المثقب العبدى والشنفري ، اولئك الذين يتعدون عن زمن
 الهجرة ، بقرن ونصف قرن او قرنين ، ولانعطي ولانقبل حوالهم حكما

ومنه قول عمرو بن حنى التغلبي ، جاهلي ايضا :

نعاطي الملوك الحق ما قصدوا بنا

وليس علينا قتلهم بمحرم

انفت لهم من عقل عمرو بن مرثد

اذا وردوا ماء ورمح ابن هرثم

وكنا اذا الجبار صعره خده

اقمنا له من ميله . فتقوم

اي - تقوم انت . (المرزبانسي ٢٠٧ القدسي - ١٣ الحلبي)
 وقصيدة الشاعر بن المتلمس وابن حنى في الملك عمرو بن هند ،
 قاتل طرفة الشاعر . وانظر ابن النديم ١٣٢ (الرحمانية) حول
 شعر كانت العرب تقوله في صلاتها على موتها .

مقطوعا . لان انكارهم قد يكون مخالفة مقصودة لمنهج البحث العلمي،
ومفاجئات التنقيب ، وقبولهم عموما ، دون دليل وثائقي يرقى السى
عصورهم ، يشكل ابتعادا واضحا عن نفس المنهج !!

كان هذا تصور الباحثين ، عرب ومستشرقين حول المسألة .
فماذا جر هذا التصور ؟!

الذي لاحظناه ، ان كل شعر ، ينسب الى المتقدمين جدا ، وخاصة
الاشخاص الاسطوريين ، مصنوع بضعف ملحوظ ، اساسه ، كتاب
المغازي والسير واخبار الماضين بالدرجة الاولى ، وكان ابن اسحاق
ذكيا في اعتذاره .

وفي رأينا ان هذا الشعر الضعيف نفسه ، داخل الاساطير
والقصص ، لا يعدو ان يكون صدى او تقليدا رديئا لشعر جاهلي
متقدم عليه جدا ، وكان ايضا اصداء للغات ولهجات مندثرة ، كان
يتكلم بها هؤلاء الابطال الاسطوريون ، قبل زمن متقدم على الجاهلية
نفسها ، لكن لا يخلو من ملامح اسطورية ، ومأثورات شعبية . الا
ترى في بقايا « الثموديات » و « العاديات » شعبية الماعات لنقاط
صغيرة ، تدور حول احداث اسطورية ، كانت عظيمة جدا ، وليت هذا
الشعر الضائع ، وكذلك كتاب ابن اسحاق ، قد سلم من يد ابن هشام
واخرين ، اذن لحل اشكالات كبيرة حول الذهنية الثقافية الاولى ،
وانعقدت فصول دراسة قيمة بهذا الصدد .

وهذا التصور لشعر الايام نفسه ، ينسحب على الايام ايضا .
ومن منطلق ان الشعر الذي يروى في مغازي وسير الكتاب
الاوائل ، هو تقليد زدىء لشعر متقدم عليه ، لم تستوعبه الذاكرة ،

اعتبرنا نثر الايام شعرا ادركه القدم ، فنثر ، مثل سائر الملاحم القديمة ،
وحديث هذه الظاهرة مر في موضعه .

لكن الملاحظ على شعر الايام ، في الغالب ، هو اتماؤه السى
مجسوة الشعر الذي تتأخم حدوده الزمنية حدود الاسلام . وان ثره
من الجودة والشاعرية لا يقترن بنثر ارباب الحرف الكتابية : اصحاب
السير والمغازي والتاريخ بجانيه : العلمي والاسطوري . لان هؤلاء
يكتبون تاريخا فحسب ، واولئك - رواة الايام - يروون ملاحم
شعرية ، ترسم ابعاد الامة ، يشوبها الواقع والاسطورة والفن ، في
مزيج خلاق .

ان هذه الحقبة التي سبقت المرحلة الاخيرة للعصر الجاهلي .
لا بد ان تكون طويلة ، وموغلة في القدم . وهي ظاهرة ملحوظة في
تاريخ البشرية ، فكلما ابتعدنا متجهين نحو فجر الانسانية الاول ،
راينا مراحل تطورها تطول . فاذا اقتربنا من عصورنا القريبة ، اصبح
سلم التطور قفزات ، حتى ان الدهول يصيب انسان لفرط ما يشاهد
من سرعة المنجزات في انحقول العلمية والانسانية وهذا هو الذي ولد
في الذات الانسانية ظاهرة اغترابها ، داخل مجتمعاتها المعقدة . مع ان
الانسان هو الذي صنع هذا التعقيد ، فلما لم يقدر على استيعاب
تطوره السريع ، اغترب تجاهه .

ان الحقيقة التي تقدمت على العصر الجاهلي المتأخر ، كان لها
ايضا شعرها « وكان على الارجح شعرا ، بعضه غنائي ، واكثره
ملحسي ، والغنائي منه كان على اوزان عروضية ، مما نعرف من عروض
الخليل بن احمد ، وفي مقدمتها الرجز ، وربما كانت معه اوزان قليلة
اخر من الابرار الوحيدة التفعيلة اما الشعر الاخر ، هو الذي اندثر ،

وقورن به القرآن الكريم ، بعد تقادم عهد كفار مكة به ، وعدم معرفته اياه ، ليس الا أصداء خافتة ، بقيت تطن في رؤوسهم من القرون الاولى (٢٣) . وهذا الشعر الملحمي كان يجري على نهج شعر الساميين الاوائل ، الذين كانوا يودعون الجرس الموسيقي في ثنايا اللفاظ لحاملة لعناصر الفكرة ، مقسمة تقسيما كميا ، لا من حيث اللفظ ، ولكن من حيث المضمون . وهذا النوع من الشعر شائع عند الاكاديين الكنعانيين والعبريين ، ولا شك انه كان هكذا ، او بصورة مقاربة ، عند العرب الاوائل الذين عاصروا تلك الامم ، ولم يكتبوا شيئا من تراثهم على حد عملنا الى الان (٢٤) وحتى لو دونوه وعثرنا عليه ، فان كثيرا من الباحثين ، يعتقدون باننا لن نحقق امالنا كمالا نريد ، بل قد تكون النتيجة مخيبة للآمال ، فلعله يأتي زمن — بالنسبة للشعر العربي القديم جدا يتوصل فيه الباحثون في « عاديات » الايام الخوالي الى اكتشاف شيء مما قد يكون علق منه لغرض . لكن افتراض حصول ذلك قليل الجدوى ، بالنظر الى لغة الشعر العربي من عهد شعراء الجاهلية المعروفين ، حتى يومنا . لانه لو وجد سيكون بغير لغة امرىء القيس ، مما يسبب فهمها علينا اشكالا مغلقا (٢٥) . ومع ذلك فالباحثون لم يعدموا الوسيلة ، فهم لا يستبعدون « ان العرب قد جروا منذ الحقبة السحيقة على الشعر باوزانه السامية القديمة ، التي لم تكن اوزانا بحساب الحركات والسكنات الدقيق ، الذي في عالم العروض ، وانما كانت نوعا من التقسيم في عناصر الفكرة ، او الصورة ، او المعنى

(٢٣) الساميون ولغاتهم ١٨٠

(٢٤) الساميون ولغاتهم ١٨٠

(٢٥) مقدمة الاياد لسليمان البستاني ١٠٨

يترتب عليه بالضرورة تقسيم في الالفاظ المعبرة عن ذلك ، على قسم
اقل رتبة وتكرارا في اوزان العروض المعروفة . هكذا كان شعر
البابليين في ملاحمهم والكنعانيين فيما عثر عليه من اساطيرهم في رأس
الشجرة (٢٦) .

ومما استشهدنا به لايتجاوز الافتراض العلمي . لذلك ، قبل
ان نمضي الى مسألة المهلهل بن ربيعة والصورة الاخيرة للقصيدة
الجاهلية على يده ، لابد لنا ان نؤكد حقيقة هؤلاء الشعراء الذين
مضوا ، ولم نعرف عنهم شيئا ، او الذين تحدث عنهم بعد قليل ، بأن
تراجيحهم ، كما ترد في المظان ، لاتلقى بالا منا ، بقدر ماتعينا تتاجات
قرائحهم « فليس لدينا مادة لكتابة تراجم الشعراء الذين سنهتم بهم ،
فكل شيء عنهم يظل غامضا ، مبهما ، مربيا ، ولنعتبر انفسنا سعداء
اذا توصلنا الى التأكيد من انهم ليسوا أبطال روايات ، وجل ماتبقى
منهم شبح او خيال ، ظهر في زمن مشكوك فيه » . (٢٧) وهذا الحكم
يقرب لنا فكرة منشودة ، وهي ان القصائد الطوال من شعر الايام ،
كانت في مواضعها المناسبة من الرواية ، وان اشعار الايام ، هي في
الاصل قصائد الشعر الجاهلي الموزع في الدواوين والكتب ، اي ان
عملية تبديد او بعثرة اصابت ملاحم الايام ، لانعلم من اين أتت ،
والعملية لاتتعدى القرن الاول والثاني الهجريين . وليس ادل عليه ،
من دخول معظم المعلقات والقصائد الطوال في ملاحم الايام ، معلقتا
زهير وعنترة تدخلان في حرب داحس والغبراء ، ومعلقتا الحارث بن

(٢٦) تعرف باوجاريت ، وهي قرب اللاذقية . راجع كتاب اوغاريت
للشيخ نسيب وهيبة الخازن . ط . بيروت ١٩٦١ .

(٢٧) بلاشير ١٩٢

حلزة وعسرو بن كلثوم تدخلان في شعر البسوس ، ودواوين : الخنساء
وقيس بن الخطيم وامرئ القيس ، ومجموعات شعر : قيس بن
زهير والربيع بن زياد والحارث بن ظالم ، فضلا عن القصائد الطوال
العديدة التي يضيق الموضع بها .

يعد هذا كله ، هل نستطيع ان ثبت للشعر الجاهلي اقدم
اشكاله ؟ الواقع انه يصعب ذلك على وجه الدقة . وان كان القدماء
قالوا كلمتهم الاخيرة فيه ، وثبتوا لنا الاشكال الاولى لهذا الشعر .
بل ان بعضهم شغلته القضية ، فسأل عنها الرواة ، وعلماء القبائل .
قيل لأبي عبيدة : هل قال الشعر أحد قبل امرئ القيس ؟ قال : نعم ،
قدم علينا رجال من بادية بني جعفر بن كلاب ، فكنا نأتيهم ونكتب
عنهم ، فقالوا ممن ابن خدام ؟ قلنا ما سمعنا به . قالوا : بلى ، سمعنا
به ، ورجونا ان يكون عندكم منه علم ، لانكم أهل امصار ، ولقد
بكى في الدمن قبل امرئ القيس ، ولقد ذكره امرؤ القيس في شعره
حيث يقو :

عوجا خليلي الغداة لعنا نبكي الديار كما بكى ابن خدام (٢٨)

(٢٨) جمهرة اشعار العرب ص ٢٤ وفي القاموس : ابن خدام ككتاب :
شاعر او هو بالذال . ووردت للبيت روايات اخرى اشهرها ،
تلك التي في ديوانه ص ١١٤ ط : دار المأمون :

عوجا على الطلل المحيل لاننا نبكي الديار كما بكى ابن خدام

وانظر ابن رشيق ٥٤ ورواه المرزباني ص ١١ والتبريزي في شرح
الحماسة ٣٨٠/٢ ابن حمام ، وهو شاعر معاصر لمهل . ثم اشار
الى الرواية الاولى ايضا . وبالمناسبة ، فان كتب القدماء تذكر
شعرا كثيرا لامم ابدت ، ولا يعرف لها اسم ولا رسم . بل ان
بعضهم ذكر شعرا لآدم ونوح وعاد وشمود وآخرين ، كالذي في



وابو عبيدة الذي ذكر هذا الخبر القيم ، هو نفسه قال عن عدي بن ربيعة الذي لقبه المهلهل : « انما سمي مهلهل ، لانه هلهل الشعر ، يعني سلسل بناءه ، كما يقال : ثوب مهلهل اذا كان خفيفا » (٢٩) . ولم يقل ان مهلهل بن ربيعة اول من قال الشعر بوضعه الحالي ، فكيف حمس الاقدمون كلامه على هذا المضمون فعده الجاحظ مع ابن اخته امرؤ القيس بن حجر ، سكندي اول من نهج سبيل الشعر ، وسهل الطريق اليه (٣٠) . وقال ابن سلام : وكان اول من قصد القصائد وذكر

مقدمة جمهرة اشعار العرب لابي زيد القرشي ، والشعر والشعراء لابن قتيبة . والغريب ان بعضهم يعرف ان لهذا الشعر قائلًا اخر ، مع ذلك يزعم انه قيل قبل الاسلام بخمسائة عام . فقد ذكر البغدادي ٢٤٣/١ ان احد شواهد سيبويه ينسب لضمرة بن ضمرة :

عجب لتلك قضية واقامتني فيكم على تلك القضية اعجب

ثم جعلها في ضميمة ابيات ، وقال ايضا : ونسبها ابو رياش لهبام بن مرة اخى جساس ، قاتل كليب يوم البسوس . وزعم ابن الاعرابي انه قيل قبل الاسلام بخمسائة سنة واورد البغدادي اقوالا اخر في نسبه . وابن الاعرابي يعلم قبلنا ، ونحن نعلم ايضا من الجاحظ في كتابه : الحيوان ٧٤/١ (ط . الحلبي) حيث قال : اما الشعر فحدث الميلاد ، صغير السن ، اول من نهج سبيله ، وسهل الطريق اليه ، امرؤ القيس بن حجر ومهلهل بن ربيعة . . . فاذا استظهرنا الشعر وجدنا له الى ان جاء الاسلام ، خمسين ومائة عام ، واذا استظهرنا بغاية الاستظهار فماتني عام « . ويريد به الشعر الموجود بين ايدينا والا فان عمر الشعر العربي يتعدى الاسلام لالف عام واكثر .

(٢٩) النقائض ٩٠٥ - ٩٠٧

(٣٠) الحيوان ٧٤/١ (ط . الحلبي - اولي) .

الوقائع ، المهلهل بن ربيعة التغلبي في قتل اخيه كليب ، وكان اسم المهلهل عديا ، وانما سمي المهلهل لهلهمة الثوب ، وهو اضطرابه واختلافه ٩ (٢١)

وهكذا تتابع القول في هذه انقضية (٢٢) . على انا ، مع حكمنا بابتعاد هذه الروايات عن الحقيقة التي كانت معروفة لدى الرواة الاوائل ، تؤكد ان الشعر متقدم على ما جاءنا من المرحلة القريبة من الاسلام . وانه - كما قررنا قبل قليل - كان مزدهرا من عهد متقدم جدا ، وان كان في لغته ، مغايرا للغة واشكال الشعر الذي وصلنا ، يحمل اسم امرئ القيس واخرين .

ومما يفسد تقولاتهم المتقدمة في مهلهل بن ربيعة ، مقواة اخرى ذكروها ، بانه سمي بالمهلهل لبنت قاله : (٢٣)

لما توغل في الكراع هجينهم هلهلت أثار جابرا او صنبلا

(٢١) طبقات الشعراء ص ٣٣ وفي النقائض : عدي وامرئ القيس وسالم . وقد ظهر اسمه الاخير في الملحمة الشعبية : الزير سالم .

(٢٢) ذكر ابن دريد في الاشتقاق ص ٣٣٨ (تحقيق عبدالسلام هارون) قال الاصمعي : سمي مهلهل لانه كان يهلهل الشعر ، اي يرققه ولا يحكمه . وقال ابن الاثير في الكامل في التاريخ ٣١٧/١ مهلهل ابن ربيعة اول من هلهل الشعر ، وعنوا بذلك ارقه . وقيل طول به في قصيدته : اليلتا بذى حسم انيري .

(٢٣) العمدة ص ٨٧ والمرزباني ص ١١ ورواه (توعر) بدل (توغل) وانظر التبريزي شرح الحماسة ٣٨٠/٢ وأشار صاحب العمدة الى رواية : توغل .

ومعنى هلهل في اللغة ، رجع الصوت (٣٤) ، مثله في ذلك مثل
اتفعل « ههل » . قال الخطيب التبريزي : سمي المهلهل مهلهلا لانه
اول من ارق الشعر وهلهله . وانكر قوم هذا ، وقالوا : كيف يكون
هذا ، ومهلهل احد شعراء العرب ؟! قال ابن الكلبي : انما سمي
مهلهلا بيت قاله ، وذكر البيت على هذا الوجه :

لما توغل للكراع هجينهم هلهلت اثار مالكا او صنبلا
والكراع انف الحرة ، وهلهلت رجعت الصوت . (٣٥)

وهذه الطريقة في التلقيب او التسمية متبعة عندهم منذ اقدم
شاعر ، مثال ذلك : اعصر بن سعد بن قيس عيلان ، وهو الجد
التقليدي لقبائل قيس عيلان ، وكان اسمه منبه بن سعد ، وهو ابو
(غني وباهلة وطفافة) : قبائل عربية . وسمى اعصر لبيت قاله : (٣٦)

قالت عميرة مالرأسك بعدما
تقد الشباب اتى بلون منكر
أعمير ان اباك شيب رأسه
مر الليالي واختلاف الأعصر

وهكذا استمر هذا التقليد فأمتلأت كتبهم بالقاب الشعراء من
سبب بيت قاله . فظهر التأليف لدى القدماء وبعض المحدثين في كتب

(٣٤) انظر اللسان مادة (ههل) حيث يذكر معنى اخر للفعل (هلهل)
وهو كاد وقارب ، يؤيده ابو العلاء المعري في رسالة الغفران في
محاورة خيالية طريفة بينه وبين الشاعر المهلهل حول هذه
التسمية .

(٣٥) شرح الحماسة ١٩٦/٢ (التبريزي) .

(٣٦) الشعر والشعراء ١٠٤/١

بهیئة معاجم احتوت جداولاً باسماء الشعراء ممن عرفوا باللقاب اشتهروا
بها ، مع تعريف مبسط بتراجمهم •
وان فكرة اول من قال الشعر ورققه ، وهلhel نسجه جاءت في
جميع المصادر من بيت قاله الفرزدق ، فجرى العلماء والناس مجراه ،
ولانعلم من اين جاء بها الفرزدق ، وكيف وقعت له : (٣٧)

وهب القصائد لي النوابع اذا مضوا
وابو يزيد وذو القروح وجسول
وانفحل علقمة الذي كانت له
حلل الملوك ، كلامه لانحل
واخوبني قيس ومن قتلنه
ومهل الشعراء ذاك الاول

وكذلك ذكره سراقه البارقي ، احد معاصري الفرزدق ، في لاميته
ايضا ، لكن لم يشر صراحة الى اوليته ، وانما تفهم من اشارته التي
لمح بها ضمنا ، ومن تقديمه على غيره ، وتفضيله اياه (٣٨)
ولقد اصبحت من القريض طريقة اعيت مصادرها قرين مهمل
واعتاد قدماؤنا ، عندما يتطرقون لهذه الأولیة الشعرية ، ان
يوزعوا الشعر على خارطة القبائل ، بشكل قسري ، واحيانا تعسفي .
لكي ينقلوا المواهب الشعرية بين القبائل ، وفق مواسم اذا اقبلت على
منطقه ، انحسرت عن اخرى ، ولست قائلاً في رفضها اكثر مما

(٣٧) ديوانه ٧٢٠

(٣٨) ديوانه ص ٦٤ تحقيق الدكتور حسين نصار . ط . لجنه
التأليف ١٩٤٧ وقرين المهمل : شيطانه .

قلت ، لان الشعر في الامة الواحدة لا يقبل التجزئة (٣٩) .

ومهما قيل عن حقيقة المهمل ، والتوزيع الجغرافي والبشري وأولية الشعر ، فلن تتورط بما ذكره بروكلمان ، من ان الشعر العربي (٤٠) « كان فنا مستوفيا لاسباب النضج والكمال منذ ظهر العرب على صفحة التاريخ (٤١) ، ولاتستطيع رواية مأثورة ان تقدم لنا خبرا صحيحا عن اولية الشعر ، واذن فلا يسعنا الا ان نستخلص من الملابس المشابهة عند شعوب بدائية اخرى نتائج يمكن تطبيقها على العرب » لانه يتوهم هنا بان صفحة التاريخ العربي ، بدأت مع بداية الشعر المروري بالعربية الفصحى التي هي قيد الاستعمال الآن ، لذلك هو ينتظر رواية مأثورة من الاخباريين التقليديين ، يحل عن طريقها وبواسطتها ، جميع هذه الاشكالات المعلقة ، متناسيا ان ظهور العرب على صفحة التاريخ ، كان منذ الالف الاولى قبل الميلاد ، عندما ورد اسم امير عربي في نقش آشوري ، ولا نتظر ان تكون عريتنا اليوم ، هي لغتهم التي نطقوا بها ، ولا التي في القرنين السابقين للاسلام . بل ان عرية الجاهليين ، وان شابهت عريتنا ، التي نتمي بكليتنا اليها ، قد لاتكون في مدلولاتها اللغوية على المعاني ، نفس مدلولات كلامنا اليوم . وهذا امر انتهى من تأكيده العلماء .

(٣٩) انظر على سبيل المثال العمدة : باب تنقل الشعر في القبائل ص ٨٧ وافادت هذه الظاهرة المرفوضة الدكتور طه حسين في كتابه المشهور حول الشعر الجاهلي .

(٤٠) تاريخ الادب العربي ٤٤

(٤١) بدرت مثل هذه الملاحظة من لدن المستشرق العلامة أرنست رينان عندما قرر بان اللغة العربية لاطفولة لها . (الساميون ولغاتهم ١٠١) .

على ان مشكلة العلماء ، كانت يومئذ تنحصر ، لا قبل كل شيء في البحث عن شكل القصيدة القديم ، قبل ان تكون فنا مستوفيا لاسباب النضج والكمال . وهي التي يصفها بروكلمان نفسه : « مؤلفة على نظام دقيق ، ينبغي استهلالها بالنسيب ، والحنين الى الحبيبة النائية ، ذلك الحنين الذي يعتري الشاعر عند رؤية اطلالها الدائرة ، وهو راكب في القفار . . » ونظامها الدقيق ، بانشطارها الى شطرين والتزامها الروي او القافية المشتركة . ومن ثم ما ذكره عن افتتاحيات القصائد الطوال : الطللية او الغزلية . ولست ابتغي البحث عن اصل لهذه التسمية ، لكن ربط « أهلورت » للفظه القصيدة بالفعل (قصد) اي « كسر » باعتبار الشطرين المنقسمين ، ربط بعيد (٤٢) . وان تفسير اللغويين العرب في العصر العباسي ، على انها تعني (القصد الفني) يعتبر اكثر توجيها ، لكن الاختلاف حول فهم « القصد الفني » أدى بعضهم ان يجعلها الأساس في احراز جائزة نخبة ، مقابل المديح والتملق (٤٣) . وما اظنهم اصابوا الحقيقة ، فالكلمة قديمة جدا في الاستعمال ، عرفها الشاعر الجاهلي نفسه ، مثل قول عنترة (٤٤) :

(٤٢) تاريخ العرب الادبي - تكلسن ١٣٣ واعتبر القصيدة ، النموذج الكامل الوحيد للشعر ، ذلك الذي وجد في ما يمكن ان يسمى - لعدم توفر تسمية افضل - بالعصر الكلاسيكي للادب العربي ، ولما تقل ابائتها عن خمسة وعشرين بيتا . وليست القافية عندهم مجرد حلية ولا قيودا مرهقا بل جو القصيدة ، فالشعر المرسل مخالف لمزاجهم .

(٤٣) تاريخ العرب الادبي ١٢٣

(٤٤) الاعلام الشنتمري - مجموع الشعر الجاهلي ١٥٠/٢ ت : عبد المنعم خفاجي . ويحتديكم يطلبكم وتروى ايضا : يجتديكم .

سيأتيكم مني وإن كنت نائبا
دخان العلندي حول يتي مذود
قصائد من قيل امرئ يحتد بكم
واتم بجسمي فارتدوا أو تقلدوا

وننتهي من هذا ، الى ان الاشكال الشعرية المألوفة ، بلغت حدا
من الاتقان والكمال ، لدرجة لا يمكن التغافل عنها « فالشعراء الاوائل
هم أساتذة ماهرون في فنهم مقدما . قال « لائل » فعدد المقاييس التي
يصطنعونها وتعقيدها ، والقواعد الكمية المقررة ، والقافية والطريقة
المنسقة التي يستلهمون بها موضوع قصيدتهم . كل ذلك يشير الى
دراسة طويلة مسبقة ، وانماء لفن التعبير ولقابليات لغتهم ، وهي دراسة
لم يبق منها اليوم أثر ، فليس يبعد ان يكون فجر العصر الذهبي
للشعر العربي ، يتفق مع السنوات العشر الاولى ، للقرن السادس بعد
الميلاد ، وهو تاريخ « يوم البسوس » ووصول اقدم شعر منها ، حيث
حفظت لنا قدرا لا يستهان به من الشعر في أوج أوارها ، ولدينا من
المهمل اول قصيدة رثاء قالها في أخيه الشيخ كليب « (٤٥) »

وكون الشعراء الجاهليين اساتذة ماهرين في صنعتهم ، حقيقة
تؤكدها النصوص ، وان كنا لانغفل دور الرواة المصلحين للشعر ،
أمثال خلف الأحمر ، وأبي تمام في ديوان الحماسة . لكن مسألة
اضطرب الشعر الجاهلي ، وقد لفتت اليها انظار الدارسين القدماء ،
لاتطعن الآن في صحته عند القدماء ، وان غالى قسم من الباحثين ، اليوم
ايضا ، فانكر هذه الثروة ، لانها متقنة ومتكاملة ، بخلاف ما صرح

(٤٥) تاريخ العرب الادبي ١٢٣ .

به نكلسن وغيره حول الاستاذية والمهارة ، واذن ، فالقدماء في كتبهم ،
 مثل ابن سلام ، عابوا هذا الشعر لأنه ذاهب مضطرب ، دون التفات
 الى سبب اضطرابه وأوليته ، والمحدثون رفضوه لأنه متقن كامل
 الصنعة ، ولو كان قديما حقا لكان ذاهبا مضطربا . ولانعلم ماذا
 ستقول الاجيال القادمة بعد الف سنة اخرى .
 وهذه النقطة تحتاج الى جلاء اكثر . فانها ، كما يبدو لي ،
 سببت ارباكا في فهم حالة الشعر الجاهلي . فما هو بالفاظ ، كلما
 امعنت في اغترابها عن مجتمع الناس ، حملت دليل صدقها ، ولا
 بعروض كلما كثرت علله وزحافات ، زادت الثقة في اصالتها . لا ، وانما
 لدينا مجموعات من هذا الشعر ، كأنها تحمل في داخلها ، طابع قدمها
 معها ، فهي غريبة بالفاظها وليس لعروضها اسم بين أبحر الخليل ،
 مثل قصيدة المرقش الاكبر الميمية الساكنة (٤٦) .

هل بالديار ان تعيب صمم لو كان رسم ناطقا كلم

وبائية عبيد بن الأبرص (٤٧)

أقفر من أهله ملحوب فالقطيات فالذنوب

وتوجد امثلة اخرى في شعر امرئ القيس وعدي بن زيد
 وغيرهما (٤٨) .

ومما قيل في خصائص شعر امرئ القيس العروضية ، كثرة
 استعماله للضرب المقبوض في البحر الطويل ، والتصريع في غير المطلع ،

(٤٦) المفضليات ٢٣٧ (ط . دار المعارف) والافاني ١٢٧/٦

(٤٧) ديوان عبيد بن الأبرص . وهي مذكورة في المعلقات العشر
 وغيرها .

(٤٨) انظر تاريخ الادب في العصر الجاهلي - شوقي ضيف ١٨٤

ومعلقته خير مثل ، وكذلك اختلاف حركة القافية ، وهو واضح في شعر « الايام » واكثر وضوحا في شعر متم بن نيرة ، ويطلق عليه العلماء مصطلح « الاقواء » ، وعلل بعضهم هذا الاختلاف ، بأن احدهم اذا انشد الشعر بالركبانية ، وقف عليه كما يوقف على مقاطع العروض الساكنة^(٤٩) ، وهو تعليل مستمد من واقع هذه الملاحم ، فهي اذا كانت تنشد ، لايبالي صاحبها ، ان تكون حركة القافية مضمومة او مكسورة ، فالانشاد ، هو احد اسباب هذا الاضطراب .

نفهم بعد هذا ، ان « الايام » تمثل اقدم نموذج فني في ادب الجاهلية ، تقع في مدى مائتي عام حتى تبلغ عصر الهجرة النبوية الشريفة ، انطلاقا من ايام البسوس ، حيث تبدأ بالمهلل والحارث بن عباد ، ويتسلمها منهما الحارث بن حلزة وعمر بن كلثوم ، وانهاء بايام داحس والغبراء ، حيث تبدأ بقيس بن زهير والربيع بن زياد وغنرة ، وتنتهي بزهير بن أبي سلمى حيث يقول فيها معلقته الكبيرة . فما يقال بخصوص أولية الشعر ، انما يقال في شعر الايام ، وما يقال في فترة نضجه واكتماله ، يقال في الايام ايضا .

ونفهم ايضا ، ان القدم هو الذي جعل الايام اناشيد على السنة الرواة في العصر الجاهلي ، واخبارا وروايات في العصر الاسلامي ، وهذا دأب جميع الملاحم في العالم ، تعيش حياتين : الاولى انشادية في المواسم ، على فم الأمة التي أوحى بها لشعرائها ، والثانية : ملحمية تروى ، فتتذوقها اجيال متعاقبة . وهو مصير محتوم لها . وخلودها في حياتهم الثانية ، اما المرحلة الاولى . فهي حياتها الدنيا ، ارتبطت بها

(٤٩) النقائض ١/٤٢

ثم انتهت بانتهاء الأمة التي كانت تحملها في صدورها كتابا مقدسا ،
لأملاحم يتذوقها الناس فحسب . وان جلعامش جمعت في عهد
متأخر ، ثم عثر عليها في خزانة كتب اشور بانيبال وقبلها كانت اناشيد
دينية لأمة انقرضت . فهل بعد هذا نستغرب من مقولة ابي عمرو بن
العلاء التي ذكرناها قبل صفحات قليلة ، بانهم كانوا لا ينشدون قصيدة
المتلمس الا وهم على طهر . وما ذكره ابن النديم عن الشعر الذي كان
يقال في الصلاة على الموتى (٥٠) .

واذن ، مادمنا قد لمحنا في ملاحم الايام أصلا دينيا ، شأن الملاحم
القديمة التي نهجت الايام نهجها ، فلا مناص من الدخول في قضيتين
حيويتين كبيرتين : تتعلق احدهما بالملحمة عموما ، والايام بصفة
خاصة ، ثم موقف الأديان منها . والقضية الثانية ، تخرج من الاولى ،
تتلخص في موقف الاسلام من شعر الايام . ويستتبع ذلك بالضرورة
دخول في الملاحم واسباب اختفائها .

(٥٠) انظر من هذا البحث ، الصفحة ١١٧ وما بعدها والمصادر المدونة
هناك . وذكر الرافعي في تاريخه ان العرب في الجاهلية قد
اعظموا المعلقات فسجدوا لها .

الفصل الثاني

الملاحم العربية القديمة وأسباب اختفائها

(١)

لم يكن العالم ، حتى منتصف القرن التاسع عشر ، قد تنبه الى حقيقة كبيرة ، كانت مطموسة تحت ركامات وانقاض ، ازاحتها عمليات الكشف العظيمة ، التي تعود الى القرن المذكور نفسه ، والذي اطلق عليه ساندز بكل اعتزاز .. العصر البطولي لأعمال الحفريات (١) .

ففي عام ١٩٣٩ خرجت الى النور لأول مرة الواح ملحمة عظيمة، ظلت في رقدتها الطويلة تحت الأرض ، منذ القرون الاولى للألف الثانية قبل الميلاد . وبذلك ابطل الشاب الانكليزي « أوستن هنري لا يارد » Austin Henry Layerd - وهو في طريق رحلته الى سيلان ، بعد توقف اسابيع امتد الى اعوام ، عند بلاد مابين النهرين ، المقولة التي اذاعها في العالم ارنست رينان حول ضعف مخيلة الساميين ، وعجزهم عن بناء الملاحم الطويلة ، ولم يكن هذا الشاب « لا يارد » يعلم انه يعيد الى العالم ادبا مفقودا . وكان يظن ان ملحمتي الالياذة والأديه ، قد هبطت بعد هذا الاكتشاف الى المرتبة الثانية في التسلسل التاريخي ، بعد ظهور الالواح شبه الكاملة للملحمة جلجامش ، الا ان الملحمتين اليونانيتين ، لم تلبثا ان تأخرتا اكثر ، بعد

(١) مقدمة ملحمة جلجامش لساندرز ص ١٠

ان ظهرت الكشوفات الباهرة في المدينة الكنعانية « اوغاريت »^(٢) وظهور الملاحم والاساطير الكنعانية الى جانب الملاحم الاشورية في وادي الرافدين . وهاتان الملحمتان - الألياذة ولايسة - نموذجان لأقدم ادب يوناني ، وكذلك الـ « رج - فيدا » Rig-Vida^٣ الادب الهندي القديم ، والافستا « الأبستاق » في الادب الايراني - « الفارسي » القديم ، فان اقدمهن قد دونت في زمن يقل عن زمن ملحمة جلجامش بالف عام .

ومن المؤكد ان العالم اليوناني ، يومئذ ، كان يعرف منابع الثقافة الاولى ، ويتداول ملاحم الساميين تداولاً واسعاً ، ولقد اثبتت البحوث العلمية المدعمة بنتائج الآثار المادية ، ان هذه الملاحم الشرقية ، هاجرت الى بقاع مختلفة من العالم القديم ، وهذه حقيقة اصبحت مألوفة . فاذا كان فلندر بتر Flinders Petrie لفت

الانظار الى اقدم وثائقنا الأبجدية في منطقة سوريا وفلسطين ، ونسبها أولبرايت الى حوالي ١٥٠٠ ق.م مستندا الى أدلة أثرية تاريخية^(٣) ، وهي المتعلقة بظهور الكتابة لأول مرة ، في المصادر الكنعانية ، واختراعها ، فاحرى بالآداب الشفوية ان تكون قد نقلت قبل المدونات . وكان الفنيقيون قد اهتموا الى حروف الهجاء ، واخذها اليونانيون منهم ، لان هذا الحرف ظهر في اثارهم منذ نحو ١١٠٠ ق.م . بشهادة

(٢) مقدمة ملحمة جلجامش للاستاذ طه باقر ص ٩ وانظر في ملاحم اوغاريت كتاب (اوغاريت) للشيخ تسيب وهيبة الخازن . ط . بيروت ١٩٦١ وهو دراسة مقارنة قيمة ، وفيها احصاء واف للدراسات الاجنبية حول هذه الملاحم .

(٣) الحضارات السامية القديمة - سبتينوموسكاتى ١٢٠

يوسيفوس ، بانهم استخدموا الكتابة قبل هذا التاريخ^(٤) .
ولست ابتغي استطراد المواضع التي عثر فيها على الملحمة في
العالم القديم ، وتأثيرها في جميع الاداب العالمية يومئذ ، ثم اتقل
اسم بطلها الى معظم الاداب القديمة وان اعماله نسبت الى ابطال
الأمم الاخرى ، مثل « هرقل » و « أخيل » والاسكندر ذي القرنين ،
والبطل (اوديسوس) في الاوديسة . فقد اغنانا الاستاذ طه باقر
قائلا :

« واذا لم يكن من موضوع بحثنا ايراد المقارنات بين مثل هؤلاء
الابطال وغهم ، وبين جلجامش ، فاننا نكتفي بالتنويه باوجه الشبه الكثيرة
بين قصص (هرقل) مثلا وبين الملحمة « جلجامش » فاذا رجعنا الى
هذه القصص وجدنا اكثر من موطن واحد لأوجه الشبه هذه ، بحيث
ذهب اكثر من باحث واحد ، الى ان أسس قصص هرقل تستند
بالدرجة الاولى ومستقاة من ملحمة جلجامش ، وصلت الى اليونان
عن طريق الفينيقيين . فكلا البطلين من أصل الهي ، وكلاهما اتخذ
صاحبا ، وصديقا حميما : انكيدو بالنسبة لجلجامش ويولوس
Iolaus بالنسبة الى هرقل ، وكان السبب في جلب الكوارث
الى كل منهما امرأة الهة : عشتار في حالة جلجامش ودينيريا
Deianeria أو الالهة « هيرا » بالنسبة الى هرقل . وكلاهما
قتل الأسود ، وتغلب على الثيران السماوية المقدسة ، ووجد هرقل
العشب السحري للخلود ، كما فعل جلجامش . وزار هرقل جزيرة
الموت ، كما ابهر جلجامش عبر بحر الموت . ومثل هرقل قتل

(٤) مصادر الشعر الجاهلي ٣٠٣ - ٣٠٤

جلجامش الأسود الضاربة واكتسى جلودها ، الى غير ذلك من نقاط الشبه الكثيرة . ويرى الباحث (روبرت كريغز) ان « هوميروس » استقى الكثير من حوادث ملحمة جليجامش بالنسبة الى احد ابطال 'اللياذة الشهير (أخيل) Achilles حيث يضاهي صاحب أخيل المسمى بتروكلوس - Petroclus « انكيدوا » صاحب جليجامش ، وام أخيل الالهة « ثيتس » Thetis تضاهي الالهة البابلية « تسون » أم جليجامش . ونشير في معرض هذه المقارنات العابرة الى اسطورة ، نشدان الاسكندر للخلود في نبع ماء كائن في بحر الظلمات ، مما يضاهي ماجاء في الملحمة في بحث جليجامش عن نبات الخلود .^(٥)

واذن فالملاحم من اعمال الساميين العرب ، ليس لأمة في العالم ان تزعم حق ملكيتها الادبية ، ولا ان تدعى ميلادها ونشأتها فيهم قبل غيرهم . لكن الذي يمكننا ان نلحقه بأمجاد اليونان الادبية ، هي المآسي . فلم تظهر ، حتى الآن اعمال تشيلية اقدم من اعمالهم . ولنا بصدد البحث عن الاسباب التي منعت الساميين من ممارسة هذا العمل الفني ، لكنني احب ان الفت انظار الباحثين الذين طالما اجهدوا انفسهم لمعرفة الاسباب ايضا ، بالنسبة للعصر العباسي . اصطنعوا لها العلل والعوائق ، ووضعوا في مقدمتها : الاسلام وأطره ومحتوياته الفكرية ، احب ان أقول : ان كل سبب يذكر سيظل موضع شك او شبهة ، حتى تعرف الاسباب الجذرية عند الساميين والعرب الاوائل ، ولماذا امتنعوا عن هذه الممارسة الفنية في آدابهم .

(٥) ملحمة جليجامش ص ٢٤ - ٢٦ (نشر وزارة الاعلام - بغداد) .

ولم يكن ارسطو غافلا حين فضل الماسي على الملاحم ، فهو
انما يفضل ثورة قومية على سواها ، وان كان افلاطون اكثر انصافا
منه في هذا الحكم على الملاحم ، حيث فضل الملحمة على
المأساة (٦) ، بدافع نظرة أصيلة ، وتقييم متجرد للأشياء .

ولم يكن مؤلف ملاحم « الايام » ليتغنى بحادث يوم واحد
معلوم بذاته ، دون ان يكون له في ذهنه اي ارتباط ، مهما بدا بعيدا ،
مع ايام اخرى فهو يدور حول جملة ايام ، وان كونت في حقيقتها ، او
من مجموعها فعلا يبدو انه واحد ، ويتميز بوحدة حدث مستقلة ، وهو
كذلك ، انما يتعلق بالاحداث الفرعية ، ويفضلها على الفعل الرئيسي ،
ولقد اثبتت تجربة « التجميع » او « التصنيع » التي اجريت لكتاب
« الايام » المفقود لأبي عبيدة ، انه امر ممكن . بل استطعنا ان نجري
تصعيدا لدراما « الايام » كلها ، كما حصل لبعضها ، لو ان النصوص
اسعفتنا بالاجزاء المبتورة او المفقودة من روايات ابي عبيدة نفسه ،
وقد وقع في أيدينا هذا التكامل في وحدة الفعل ، او العنصر الدرامي
المتفجر ، عندما نجحت في ايدينا عملية الجمع او التصنيع ، وعملية
التوحيد لقسم من الايام . الا أن النصوص المرفوعة السند الى رواية
آخرين غير أبي عبيدة ، او اقتصرنا على لون واحد من الرواية
لمؤلف واحد ، بغية اخراج كتاب واحد ، هو الذي حال دون ذلك ،
وزاد في صعوبات المحاولة ، لذلك يجد القارئ في هوامش الكتاب
استدراكات كثيرة لروايات اخرى ، نشير الى موضعها او نلخصها

(٦) انظر فن الشعر لارسطو ٧٨ وردوده فيه على افلاطون في كتابه
النواميس ، ورد ايضا على كل الذين يقولون بتفوق الملحمة على
المأساة .

او نذكرها بكاملها ، بحسب ماتليه الضرورة • ولست استبعد ان يكون ابو عبيدة قد رتب يوم ذي قار مثلاً ترتيباً متكاملًا ، له بداية ونهاية ، وتداخل الاحداث نفسها بالاحداث العارضة • لكنني استبعد انه اسرف في حكاية الوقائع الحربية او التاريخية ، وفق معطيات المؤرخين ، بل اعطي وجوه ذلك وجزئياته التي لايلتفت الي سرها المؤرخين لكن كتاب الاغاني كان قد اضاف الى سند الرواية اسماء رواة كان حشرهم هو السبب في عدم ادخال يوم ذي قار متكاملًا في كتاب ابي عبيدة •

وحوادث « الايام » التي يرتبط بعضها ببعض ، ارتباطاً اصيلاً ، هي في حقيقتها ، افعال متعاقبة^(٧) ، كما برهنت محاولتنا عند تركيب ربطها الدرامي ، والتأليف الذي اخرجها وصورها فعلاً متكاملًا تاماً . الا ان معظم من روى الايام ارتكب هذه الغلطة ، عندما فرقها على خارطة القبائل ، او مثل فعلة ابن الاثير ومحاولة المستشرقين^(٨) لما بحثوا لها عن تسلسل تاريخي منتظم ، غير ملتفتين الى كونها ملاحم ، وانها - حتى على فرض وقائعها التاريخية - قد تكون متداخلة مع بعضها ، فربما كانت احداث يوم ما ، تجري في الوقت نفسه مع احداث يوم ثان ، فكيف يتسنى للمؤرخ ان يسلسلها ، وأياها يقدم ، واياها يؤخر ؟!

(٧) راجع الفصل الاخير من الرسالة (عالم الايام) .

(٨) تاريخ العرب قبل الاسلام - جواد علي ٢٤٦/٤ .

(٢)

ان اقدم نص مكتوب للملاحم السامية ، يرقى زمنه الى (٢١٥٠ - ١٧٠٠ ق م) لكن العقود التجارية والاخبار الملكية ، دونت في حوالي (٢٧٠٠ - ٢٣٥٠ ق م) عندما اصبحت الكتابة ، صالحة للتدوين بها . ولو لم يتها لها « اشور بني بال » ليضمها الى خزانة كتبه ، امسينا لانعرف شيئا من امر هذه الملاحم ، لكنها وقد دونت بكاملها ، اصبحتا نعرف ، ان اقدم نمط شعري ملحني ، كان ميلاده على ارضنا . واما بالنسبة الى ملاحم « الايام » فانها مرت بنفس الطريق ، الى ان دونها ابو عبيدة في النصف الثاني من القرن الهجري الثاني . لكن ما فعله ابو عبيدة ، تحت ظروف خاصة ، يختلف عما فعله الرواة في عصر الامبراطور الاشوري المذكور . فلقد رواها ودونها ابو عبيدة في الاسلام ، وهي ملاحم وثنية ، ومن ثم ضاعت بعده ، ولم تصل الينا الا في شكل مختصرات ، بينما جمع الرواة ملاحم السومريين والساميين في عصرهم الوثني ، وبرغبة قوية من ملكهم . فقد عرف عن (اشور بني بال)^(٩) بانه كان شغوفاً بالعاديات الالثرية ، وهو آخر عاهل عظيم حكم الامبراطورية الاشورية ، وكان قائدا رهيبا ، وقد بلغنا عنه ، انه ارسل اتباعه ليفحصوا سجلات مراكز العلم القديمة في بابل وأوروك ونيبور ، ولينسخوا ويترجموا الى اللغة السامية الاكدية المعاصرة ، تلك النصوص التي كانت مكتوبة باللغة السومرية الأقدم ، بارض النهرين .^(١٠)

(٩) ساندز - مقدمة ملحمة جلجامش ص ١٠

(١٠) نفس المصدر السابق .

ويشير العدد الذي وصل إلينا من ملاحم وادي الرافدين وأوغاريت^(١١) إلى وفرة في الانتاج ، وغزارة في الموهبة الابداعية ، كانت متوفرة لدى الفرد السامي يومئذ . لكن أكثر هذه الاعمال انظمرت ، ويمكننا ارجاع اسباب اندثارها إلى نفس الاسباب التي ذكرها ساندروز في اختفاء ملحمة جلجامش .

(١) الخط المسماري الذي بطل ، فلم يعد يستخدم ، فاصبحت الملحمة غير مفهومة لدى عالم البحر الأبيض المتوسط ، ولعله كانت هناك روايات شعبية آرامية اندثرت^(١٢) .

(٢) إذا كان الفرس ، هم وحدهم الذين كانوا يستعملون هذا الخط ، بعد آشور وبابل ، فقد كان لهم أدبهم الخاص بهم ، ولم يكونوا يميلون إلى تاريخ عدوهم القديم ، وإلى أساطيره إلا في أقل القليل .

(٣) والعبرانيون لم يميلوا إلى أدب هذين المدينتين ، لأسباب أوجه من الاسباب التي كان الفرس يتعللون بها^(١٣) .

(٤) وفضلاً عن ذلك ، فإن القرن الذي شهد سقوط نينوى ، هو نفسه الذي شهد ظهور الأشكال الشعرية الحديثة من الأناشيد الغنائية والجماعية ، مكتوبة بحروف الهجاء .

ويعلق ساندروز ، تعليقا له مغزاه البعيد ، بالنسبة للفقرة الرابعة،

(١١) ملاحم أوغاريت والدراسات المختلفة حولها انظر ص ١٣٦ .

(١٢) الاراميون أوثق الفروع السامية صلة بالعرب (الساميون ولغاتهم ١٠٣)

(١٣) سنلاحظ بعد قليل أن أشعار العهد القديم ، حاولت أن تغطي بفكرها الديني الموحد ، على هذه الملاحم الوطنية .

ويقول : لكن اذا كان الشعر الغنائي الاغريقي الذي ظهر في القرن السابع يعد شكلا حديثا ، فان الملحمة الاغريقية ظلت تنتمي جزئيا الى العالم الميثوبي Methopoeic خلاق الاساطير مثل جلجامش ملك اوروك القديمة ولعله كان من الممكن لشاعر الأوديسة - من الوجهة التاريخية - ان يسمع قصة جلجامش بطريقة مباشرة ، وفي غير اقتضاب ، لأن السفن من ايونيا والجزر ، كانت من قبل تتجرع مع الساحل السوري . وكان الاغريق على اتصال بالاشوريين في المينا وطرطوس ، ومن غير المحتمل - وان لم يكن مستحيلا - ان يكون « اشور بني بال » قد سمع قصصا اغريقيا يقص الالياذة في نينوى^(١٤) لكن اقوى الاسباب هي الكتابة السماوية ، فقد كانت تصويرية ، ولم يسمح للكتاب ان يدونوا هذه المؤلفات الادبية والملحمة ، فاخفت^(١٥) .

اما اهم الملاحم والاساطير التي وصلت الينا ، فهي تسع قصص ، تتباين في مقاديرها واطوالها ، من مائة سطر الى ستمائة سطر . مثال لهذه الاساطير او القصائد القصيرة : اتيانا والنسر وأسطورة زو . ويدور قسم من ملاحمهم حول الملوك ، بعضها حول ملك يدعى « اينمركار » والبعض الاخر حول ملك سومري يدعى « لوكال بندا » وخمس من هذه الملاحم حول ملك اوروك : جلجامش .

وهي قصص بطوالة في قصص شعرية ، تنشدا او تغنى في مناسبات

(١٤) ساندوز ص ٤٠-٤١

(١٥) مقالة في مجلة الاقلام ص ٢٢ العدد ٩ سنة ١٩٧٣ « طبيعة الادب السومري » .

دينية وهي كما ذكرنا ، نصوص مترجمة ، الا انشودة واحدة ، عثر عليها من بين هذه النتاجات بصورتها الاصلية . وهذه الانشودة^(١٦) تدور حول الالهة « نانشيه » غير ان الاستاذ صمويل هنري هوك - Somuel Henry Hook وزعها في مجموعتين ، بحسب الاصل الذي عرفت فيه ، وجعل المصادر السومرية الاصلية مجموعة اولى ، وهي المادة الاولى لجميع الملاحم والاساطير ، وضم المجموعة الثانية الى ملاحم واساطير العهد البابلي والاشوري^(١٧) ، اما المصادر السومرية فهي : أسطورة دموزي وأنانا^(١٨) وأسطورة الخليفة^(١٩) ، والطوفان^(٢٠) ، وانكي ونن خرساك^(٢١) ، ودموزي وانكيدو^(٢٢) ، واخيرا اسطورة جلجامش^(٢٣) والمجموعة الثانية البابلية ، هي : هبوط عشتار الى العالم الأسفل^(٢٤) ، وملحمة الخليفة^(٢٥) والطوفان^(٢٦) ، وملحمة جلجامش^(٢٧) ، وادابا^(٢٨) ، واتيانا والنسر^(٢٩) ،

(١٦) انظر مقالة الاقلام في الهامش السابق .

(١٧) انظر كتاب الاساطير في بلاد ما بين النهرين (ص ٦ ، ٢٨) ، طبع وزارة الثقافة بغداد ١٩٦٨ .

(١٨) المصدر السابق نفسه من ص ٦ لغاية ١٠ .

(١٩) من ص ١٠ - ١٨

(٢٠) من ص ١٨ - ٢١

(٢١) ص ٢١ - ٢٣

(٢٢) ص ٢٣ - ٢٤

(٢٣) ص ٢٤ - ٢٧

(٢٤) ص ٣١ - ٣٦

(٢٥) ص ٤١ - ٤٩

(٢٦) ص ٥٠ - ٥٢

(٢٧) ص ٥٣ - ٥٥

(٢٤) ص ٢٩ - ٣١

(٢٦) ص ٣٦ - ٤٠

واسطورة زو^(٣٠)، والدودة وألم الاسنان^(٣١) .

وقد تحدث سبتينو موسكاتى عن هذه الملاحم ، معرفا ، مع مقتطفات من اشعارها^(٣٢) . وظهرت الحفريات ، راس الشجرة عدة مئات من الألواح والكسر ، احدثت ثورة في معلوماتنا عن الادب الكنعاني ، فالوثائق الكنعانية التي كانت لدينا قليلة قلة بالغة ، والمجموعة الاساسية في نصوص او جاريت ، هي مجموعة الملاحم وشعر الاساطير ، وبرز ما فيها قصة « بعل » واخته « عنت » وقصة « أقمت » ، وقصة « كرت » . وقد شاء سوء الطالع ان تصل اليينا النصوص في حالة بعيدة عن انكمال ، ولهذا كانت في ترجمتها فجوات عدة . هذا الى ان ترتيب الألواح ليس اكيدا في كثير من الاحيان ، الملاحم وكذلك ترتيب الاحداث Prisodes في دورات Sycles الملاحم^(٣٣) .

ويتجلى ذلك واضحا من مزاعم الكتاب والمفكرين وقسم كبير من الفلاسفة الاوربيين ، وعلى رأسهم الفيلسوف الفرنسي ارتست رينان Ernest Renan « ١٨٢٣ - ١٨٩٢ م » وكذلك

كويينو Graf Arther Gobineau « ١٨١٦ - ١٨٨٢ م »

وهوستن ستيورات شامبرلن Husten Stewart Chamberlain « ١٨٥٥ - ١٩٢٧ م » وهو صاحب كتاب « أسس القرن التاسع

(٣٠) ص ٥٦ - ٥٧

(٣١) ص ٥٨ - ٥٩

(٣٢) الحضارات السامية ص ٨٢ - ٩٤

(٣٣) الحضارات السامية ١١٨ وانظر كتاب اوغاريت للشيخ نسيب وهيبة الخازن (ط . بيروت ١٩٦١) وقد احتوى على الملاحم الاوغاريتية المذكورة مع دراسة قيمة لها .

عشر» (٣٤) وهم جميعا عزوا الضعف والسذاجة الى سكان الشرق وخصوا منهم الساميين . وقالوا بتفوق العقل الغربي او الاوربي ، وهي النظرية العنصرية التي آلت الى العرقية الجرمانية حيث جرت اوخم العواقب على البشرية جمعاء . ولقد انسحبت هذه التهمة على العنصر العربي ، فنعتوه بضعف الخيال وعدم القدرة على بناء الملاحم الكبيرة . (٣٥)

ولقد سقت النص السابق لاعتبارات ، اهمها : الملاحم المذكورة فيه سامية ، فربما اختلطت بالملاحم البابلية اصول سومرية صعب تمييزها على وجه القطع . وثاني هذه الاعتبارات : هو الرد على من زعم ان الساميين لم تنشأ عندهم ملاحم ، وقد اكدت حفريات اوجاريت هذه الحقائق (٣٦) .

ووجد بعض الباحثين نوعا من الربط بين شعر الملاحم السامية ، وبين الموسيقيين (٣٧) . لذلك حمل اشرف جوهره مميزات الغناء . وذلك بكونه موزونا ومقفى . وهي ظاهرة فرضها اللحن ، اذ ان الانغام القدسية الاولى ، كانت بالتأكيد ذات لحنة واحدة ، تتكرر في كل بيت من ايات القصيدة المغناة . وهذا مانلسه في اغانينا الشعبية

(٣٤) انظر المفضل في تاريخ العرب قبل الاسلام ٢٥٧/١ والساميون ولغاتهم ص ٣٠ ومقدمة ملحمة جلجامش بقلم طه باقر .
(٣٥) المصادر السابقة ، وتاريخ الادب - حنا الفاخوري ٣٩ (ط . بيروت ثالثة ١٩٦٠) وانظر الملاحم العربية ومقارنتها بالملاحم الكونية مقالة بقلمنا - العدد الرابع من مجلة الكتاب - بغداد ١٩٧٤ .

(٣٦) الساميون ولغاتهم ٣١

(٣٧) مقالة مجلة الاقلام ص ٢٢ العدد ٩ سنة ١٩٧٣ .

الحالية . وتذكرنا ايضا بالأعشى الشاعر الجاهلي ، يحمل معزفه
 ويطوف في البلاد ، يغني بشعره ، فكان اوضح مثل لشاعر جوال .
 وميزة غنائية اخرى هي الاعداء والتكرار ، فالشاعر يكرر كثيرا ، جملة
 كلمات في قطعه الشعرية الواحدة . وظاهرة الاعداء والتكرار ، كما
 نعلم هي من مستلزمات الغناء ، وماعادة استحسان البيت او الايات
 التي ينشدها الشاعر ، وطلب اعادتها ، الا احد هذه المظاهر المتطورة .
 ولهذا وجب على الشاعر العربي فيما بعد ، ان يجعل نهاية ووزن كل
 بيت من ايات القصيدة الواحدة وقافيته ، يشابه الايات السابقة ،
 لكي لا تتعارض واللحن . وهذه الظاهرة هي التي تفسر لنا أصل
 الشعر المصطلح عليه بالعمودي ، المستعمل فيما بعد ، وحتى الوقت
 الحاضر . الا ان الشاعر الملحمي لم يكن ملتزما بعدد ثابت من
 التفعيلات ، الامر الذي حاوله شعراء اليوم بما نعتوه بالشعر
 الحر تجوزا ، وبالشعر الحديث توسعا .

فاذا اضعنا الى ظاهرة التعليل الموسيقي لأولية هذا الشعر ،
 ظاهرة اخرى هي النواح والبكاء في العراق القديم ، وتطور الغناء
 والالحان الحزينة عنها ، اصبحت لنا نظرية شبه متكاملة في هذه
 الأصول .

وقد ارتبط الشعر بالدين ارتباطا وثيقا « بل ان القصائد في
 ذلك ، تعتبر بمثابة ادعية دينية طويلة لاستئصال المطر^(٣٨) . وفي هذا
 وهذا المعنى يقول الشاعر الجاهلي^(٣٩) :

(٣٨) مقالة الاقلام المذكورة سابقا . ويفتعل الشاعر الجاهلي مناسبة
 الرثاء ليدعو بالمطر يفرق قبر المرثي .

(٣٩) جمهرة اشعار العرب ص ١٢ وقد تمثل الرسول الكريم بهذين
 البيتين في حديثه عن الشعر .

قلدتك الشعر ياسلامة ذا
الافضال والشيء حيثما جعل
والشعر يستنزل الكريم كما
ينزل رعد السحابة السيل

والفارق بين المعنيين . ان السامي القديم يخاطب الآلهة بالشعر،
والجاهلي يعتبر للشعر تأثيرا سحريا ، وقوة خارقة ، فيستنزل الكريم،
كما ينزل الرعد المطر ، وهذا تطور طبيعي في معاني الشعر .
ولدينا بقايا من شعر الايام ، من مثل تلك « الكليشات » التي
هي في حقيقتها واصلها ، عبارات جاهزة ، توارثها الشعراء من اعمال
شعرية ، كانت سائرة في الجزيرة ، وصارت تقليدية لا يعرف لها
قائل ، فنهجوا نهجا ، وجعلوا يرددون كثيرا من ابياتها ومقاطعها .
وبعض هذه المقاطع اندثرت ، وظل معناها ، كالدعاء للميت بأن تسقى
الآلهة قبره بالغواذي . وفسروه بان الغرب قوم يعانون الجفاف ،
لذلك يؤكدون على المطر ، وهو في حقيقته دعاء حقيقي ان تسقى تربة
الميت فهو أقدس له ، لذلك قيل عن بعض كهنتهم انهم كانوا اذا
ماتوا شاهد الناس في فجر اليوم الثاني على قبرهم طشا ، أي مطرا
خفيفا (٤٠)

والى جانب هذا قدس الساميون القدماء ، مايرمز الى الخصوبة
واستمرار الحياة ، فأتخذوا الأم في اول الامر رمزا ، ثم اضيف العضو
الذكرى الى قائمة الظواهر المقدسة عندهم ، لذلك يظهر هذا العضو
عند شعراء الجاهلية ، كبقايا لذلك التقديس ، لكن بشكل متطور ،

(٤٠) يوم الكلاب الثاني . انظر الاغاني ٣٣٦/١٦ .

بحسب العقلية الملائمة للعصر ، الا ان الملامح القديمة لهذا التقديس
يسكن ان تلاحظ فأن جعل العضو من الانسان في غير موضعه
الطبيعي ، رمز الى تهجين المهجو ، او نعتة بالعقم او سوء الانجاب ،
كما فعل الشاعر الذي هجا حذيفة يوم « جعفر الهبأة »^(٤١) بأن
جعلوا مذاكيره في فيه ، علامة على عدم ادائها الوظيفة بالوضع
الصحيح ، لانه بفعلته الشنعاء داخل القبيلة ، يوم قتل الاطفال ، رمز
الحياة المتجددة ، جعل نفسه في موضع العقيم ثم جعلوا لسانه في
استه ، أي انه لاحكمة له ، واللسان رمز الحكمة والعقل ، فلم يرتبط
في موضعه المناسب او الطبيعي ، بل غادره الى ما لا تقع فيه ، بل
انغدر منه ملحوظ . وهذا هو تفسير قول شاعرهم :^(٤٢)

وان قتيلا بالهبأة في استه
صحيفته ان عاد للظلم ظالم
متى تقرؤوها تهدكم من ضلالكم
وتعرف اذا ما فاض عنها الخواتم
وبهذه الرؤيا ، نحل كثيرا من اشكالات الشعر الجاهلي .
كانت تلك نظرة مستعجلة في الملاحم السومرية وطبيعتها ، مع
ربط سريع ايضا بأدب العرب القديم . وما فعلنا ذلك الا لنصل الى
ارتباط اوسع وابعد ، بين هذه الملاحم وبين ملاحم « الايام » لان
صانع هذه الاداب جميعها الفنان واحد ، على مدى آلاف السنين ،

(٤١) المفضلية ١٠٣ وهي لزبان بن سيار بن عمرو المري .
(٤٢) انظر العقد ١٥٠/٥ وما بعدها قال : « ومثلوا بحذيفة بن بدر ، كما
مثل هو بالفلمة ، فقطعوا مذاكيره وجعلوه في فيه ، وجعلوا
لسانه في استه » .

وحتى يومنا هذا : لغة واحدة ، وتاريخ واحد ، يلتقي في مناخ حضاري واحد ، داخل أطر إنسانية ، وامتزجة واحدة .

ولما اظهرت لنا طبيعة هذا الادب القديم ، انه ملحمي بعيد عن « الغنائية » المزعومة في الشعر العربي الجاهلي ، بناء على « ذاتيته » على حد تعبيرهم ، فلقد بطلت مزاعم النظريين والعنصريين المردودة « بما انتهت اليه مباحث الاثروبولوجيا الثقافية ، من مبادئ عففت على الطبقة الادبية بين الشعوب والاجناس ، ثم كان في ظهور ملحمة جلجامش البرهان القاطع على بطلانها ، وتهافت مذهب العنصريين »^(٤٣) وهذا الكلام ، ينسحب كليا على « نظرية الانواع الادبية » ، او الاجناس « وكيف يتساوى في هذه الذاتية المزعومة قديم الشعر وحديثه ، وقديمه على ضروب شتى من المعلقات الى المجمرات ، ومن المراثي الى المشويات »^(٤٤) ، وعلى ذكر هذه السموط ، فإن مشروعا كبيرا يمكن ان يعد ، من خلال دراسة ابداعية لكتاب « جمهرة اشعار العرب » الذي جمعه ابو زيد القرشي ، ينظر الباحث فيه الى توزيع القصائد الطوال ، ويلاحظ ايضا المعلقات ، وما قيل حولها بالنسبة لاركان البيت الحرام ، كأنها تقليد لمطولات في المدى الابدع كانت تكتب وتوضع في نفس الاركان من قبيل الصلاة او الدعاء ، يقرأ الكاهن في صفحاتها ، والناس من حوله صامتون او مرددون ، كالذي نصادفه اليوم من بعض المقيمين على الاضرب ، حيث علقت ادعية طويلة ، يتلوها من يحسن التلاوة او القراءة ، وينصت او يردد خلف المطوف من لم يوفق الى ذلك . وملاحظة اخرى في

(٤٣) « التركيب اللغوي » ص ١٥٨ .

(٤٤) المصدر السابق .

كتاب ابي زيد القرشي جديرة بالنظر ، تتعلق بمطولات اتخبتها
لشعراء اسلاميين ، اطلق عليها اسم « الملاحم » او بحسب تعبيره
« الملحمات » . ويرى على ذلك من اعتبر مقامات الهمداني والحريري
من الملاحم ، وملحمة نثرية سبق في وضعها ملحمة داتني ، والفردوس
المفقود للثن الشاعر الانكليزي ، تلك هي « رسالة الغفران » لابي
العلاء المعري . وتعد ارجوزة ابن عبد ربه^(٤٥) احدى المطولات
انتاريخية ، منحوها لقب « ملحمة ٥٥٠ بيتا » . وقيل مثل ذلك في
قصيدة ابي طالب بن عبد الجبار^(٤٦) . مع انها لاتحملان اية صفة
ملحمية ، ولافيهما من طبيعة الملاحم شيء ، ان كان الامر متوقفا على
انشكل فحسب . وليتهم نظروا الى الخلق والتكوين اللذين يعطيان
القصائد الجاهلية ، وأيام العرب نفسا ملحميا ، ومضمونا في صراع
دائم !!!

(٤٥) العقد الفريد ٤/ ٥٠٠ - ٥٢٧ (لجنة التأليف) .

(٤٦) انظر الدخيرة لابن بسام ٢٠٥-٤٣١ (القسم الاول) طبع كلية
الآداب بمصر .

ومما يلاحظ في مجال المقارنات ، ان الدراسات اللغوية سبقت الدراسات الادبية في ربط حلقات اللغة العربية بحلقات اللغات السامية ، لا يصلها جميعا بجسم اللغة الام . ثم خرج الباحثون بالنتائج العلمية المشجعة .

ومع مضي الوقت ، تقدمت الدراسات ، في ضوء الاكتشافات العديدة ، حتى استقرت النتائج في وجدان العلماء حقيقة ثابتة ، يضيفون اليها كل يوم دليلا جديدا ، واكتشافا اخر . كل ذلك ، وارباب الفكر ، العاملون في الادب العربي القديم - وخصوصا العصور الجاهلية - (٤٧) متغافلون عن هذه الحقائق المضيئة ، والتي ملأت سماء البحث العلمي نورا ، واجتازت اشواطا ومراحل بعيدة المدى . لذلك قصر باع العاملين في الحقول الادبية ، وطال باع الدارسين اللغويين في حقل المقارنات . ولم تقتصر هذه الظاهرة على الباحثين العرب انفسهم ، بل امتدت الى غيرهم ، والى المستشرقين ايضا . وقد رأينا قبل قليل ، ان مرجليوث يجد في اراجيز التاريخ ، الشبيهة بشعر التمارين ، او النظم التعليمي ، شبها بالملاحم ، ولا يجد في ايام العرب ومطولاتها ، هذه الصفات الملحمية . وهي غنية بمضامينها عن كل تعريف . لذلك كان حظ الدراسات الادبية للعصر الجاهلي ضعيفا ، لم يتعد الجوانب الوصفية ، والشكلية ، وبعضها مدفوع بالتعصب ، او بأي دافع اخر يحمل في اعماقه الغرض المنشود .

(٤٧) تاريخ الادب العربي - العصر الجاهلي - شوقي ضيف . ص ١٠٤-١٢١ والمصادر المدونة هناك .

يتساوى في ذلك القدماء وهم يتحاولون عنه مخرجين لوثنية اربابه،
او المحدثون لاستغلاقه عليهم فحكموا بسذاجته ، والمستشرقون
ولديهم اسبابهم واعذارهم ايضا .

وحول ارتباط حلقات الايام ، بالحلقات الملحمية والسومرية
والسامية القديمة ، ربما يوجه سؤال يتعلق باللغة نفسها ، ويقال :
كيف يتم هذا الارتباط ، مع ان اللغة تختلف ؟!

ليس اختلاف اللغة مسألة جوهرية ، بل مظهر شكلي واحد ،
يمس الغلاف فحسب ، اما الاصل او الجوهر فهو واحد لم يتغير ،
مادما نعرف ان اللغة السامية - الأم - واحدة وان العربية اقربهن
فيها او اللغات المختلفة حول اللغة الواحدة الاصلية ، وهذه حقيقة
وصل اليها علماء اللغات والنحو المقارن في الساميات والعربية .

انا يجب الا ننسى حقيقة ثابتة وهي من جملة الحقائق الكبرى في
الكون كله . ذلك ان جوهر الاشياء يظل محتفظا بنفسه ، مهما
اصاب التطور والتغير مظاهر الاشياء . ولنضرب مثلا قريبا جدا
منا ، يبدأ من اول عصر النهضة ، وتساعد حركات الاختراعات
والاكتشافات والفتوحات العلمية . فقد كانت الوسائل في بداياتها
بسيطة ، لكن انسان العصر الحديث لينظر بين الدهشة الى التعقيد
الذي اصاب الآلة ، وهي في ادق معلوماتها وخطرها على الانسان
نفسه ، بل ان اقل خطأ يؤدي الى كارثة ، مثل اية كارثة يمكن ان
تصورها ، سواء حلت برجال فضاء او مجموعة بشرية تحمل في
اعماق محيط او مجتمع صغير يسكن عمارة ضخمة من عشرات
الطوابق . هذه القياسات الدقيقة ، العلمية ، وحسابات العقول
الالكترونية ، تؤديها اجهزة ادق منها بالآلاف المرات ، لم يعد الانسان

يفطن الى كثير من مكنوناتها وكيفية الوصول الى اكتشافها ، لانها اخذت تنثال عليه اثيالا • ولكن ، مع هذا ، هي في اساسها وجوهرها لم تفارق الاصل الذي وضعت بموجبه ، لان جهاز التحريك في السيارة القديمة او الطائرة يؤدي نفس المهمة التي يؤديها الجهاز الجديد المتطور • فالعملية في اساسها واحدة ، الا فيما يتعلق بالتطوير والاتساع في الخدمات وتسهيلها • وسواء أكان الوقود فحما حجرياً او غازاً او بترولاً او قوى كهربائية او ذرية ، فالأساس هو الطاقة الحرارية النابعة من أبسط اسس اكتشاف النار ، التي تتولد ايضاً من ذلك حجرين او عقود ثقاب على احد جانبي العلبة ، او بإدارة مفاتيح الجهاز المطلوب تشغيله •

ولو رجعنا الى اللغة ، اصبح المبدأ اوضح ، ونستطيع الاستعانة بالكتابة فهي الوجه الاخر للغة ، فلقد وضعت منذ الاصل للتعبير عن حقيقة ماثلة في الحياة والذهن معا ، ويراد تثبيتها للمحافظة على ديمومتها او بقائها وحياتها ، عندما توجد الحاجة اليها • وهذه حاجة الانسان الى الكتابة بعد ان توسعت الخدمات ، وقصرت عنها الذاكرة الانسانية ، فهي أي الذاكرة ، تساعد على ذلك لأمد ، يرتبط بحياة الانسان القصيرة ، فالكتابة منذ ان بدأت تصويرية وانتهت هجائية ، تؤدي نفس الخدمات في الاساس ، وتختلف في السعة •

واللغة والكتابة ظاهرتان متكاملتان ، وان كانت الكتابة في حد ذاتها ظاهرة اخرى من ظواهر نشد ان الخلود والبقاء • كما ان الذاكرة القوية التي تختزن عن وعي ، اطول الملاحم ، هي الاخرى ظاهرة رفض للفناء الانساني ، او الضعف البشري ، والكتابة ظاهرة

متطورة عن اللغة • وعندما تطورت عن التصويرية الى المسند فالهجاء
ثم تغادر الاصل كعملية للتدوين ، ولم تكن وجدت لغير هذا السبب •
فهو الأساس الذي قامت عليه اللغة الانسانية ، والكتابة معها ، وكما
تبدلت الكتابة في اشكالها ، كانت المفردات اللغوية تتغير تدريجيا
بصورة لا يسكن وضع الحدود الزمنية لها ، ولا العثور على « الطقم
الكامل » لكل تغيير ، وان جهد العلماء في رسم بعض الملامح •
فالعلمية تمت عبر قرون بعيدة جدا • لكن بما ان اللغة حقيقة انسانية
ثابتة ، وأساسها واحد ، هو تلبية حاجة انسانية ، فلن يغير تغيرها
اصل النموذج ، ولا يؤثر شيئا في النص النابع من ضمير الأمة
الواحدة ، وان كانت مفردات التعبير تغيرت ، والعقلية تطورت ،
والنظرة الى الاشياء اصبحت تسير التغير والتطور ، لكن الجوهر
باق ، الاصل الذي يقوم النص على اساسه ، لذلك اجتهد الاستاذ
طه باقر في تبديل بعض المفردات العربية في تراجم الملاحم بمفردات
اخرى تطابق او تضاهي المفردات البابلية ، عند ترجمته او تنقيحه
للت ترجمة الجديدة ، قال : « واذا كنت لم اضح كثيرا بالاسلوب العربي
المستساغ في هذه الترجمة المنقحة ، بيد انني وفقت الى العثور على
مفردات كثيرة اخرى ، مطابقة للمفردات البابلية في الملحمة ، لاسيما
ماخفي الكشف عنه ، بسبب ضياع كثير من الاصوات والحروف في
المفردات البابلية ، وبوجه خاص حروف الحلق ، وحروف الضاد
والظاء ، وغيرها ، نتيجة اتخاذ الأكديين للخط الذي اوجده
السومريون (غير الساميين) لتدوين لغتهم غير السامية ، والتي
لا توجد فيها تلك الحروف والاصوات » • وهو هنا يربط بين اللغة

والكتابة ربطا محكما^(٤٨) . ومن قبيل الالفاظ التي اجتهد الاستاذ طه باقر في تقريبها من اصلها داخل الملحمة كلمة « سباء » مثلا ، وذلك عندما نظرت صاحبة الحانة الى جلجامش ، وهو قادم من بعيد ، ارتابت من شكله ، واوصدت باب الحانة واحكمت غلقه بالمزلاج في وجهه . وقد ورد اسمها في النص البابلي بلفظة : « سايتيم » اي بائعة الخمرة ، وهي من نفس المادة اللغوية العربية « سبأ » . وسباء : اي بائع الخمر ، وتقابل « ابتاع » ايضا ، وهي الصفة التي تنفرد وتتميز بها اللغة العربية في سعة المعاني لمفرداتها واشتقاقاتها . وقد ورد نفس هذا الاستعمال في شعر عديغوث بن صلاء الحارثي في يوم « الكلاب الثاني » من قصيدته المشهورة .^(٤٩)

الا لاتلوماني كفى اللوم مايا
فما لكما في اللوم نفع ولا ليا
يقول :

كاني لم اركب جوادا ولم اقل
لخيلي كرى نفسي عن رجاليا
ولم اسبأ الزق الروى ولم اقل
لأيسار صدق اعظموا ضوء ناريا
وهو يقترب جدا من قول امرئ القيس :

(٤٨) مقدمة جلجامش ص ١١٣ (طبعة ٢) بغداد وانظر كتاب « الساميون ولغاتهم » ص ١٧ وما بعدها وحديثه عن القرابات اللغوية بين العربية والغات السامية .

(٤٩) « ايام العرب » يوم الكلاب الثاني .

كانى لم اركب جوادا للذة
ولم اتبطن كاعبا ذات خلخال
ولم اسبأ الزق الروى ولم اقل
لخيلى كرى كرة ذات اجفال
وابدى بعض الباحثين استغرابه من ان احدا لم يلم عبد يغوث على
قواه هذا ولم يتهمه بانه اخذه من امرى القيس ، مع انه منه (٥٠) .
ووردت كلمة « سباء » في يوم اخر هو « يوم الكديد » (٥١)
« حيث مر رجل من بني الحارث بن فهر ، فنفرت ناقته من احجار
أهملت على قبره ريعة بن مكرم ، فقال يرثيه ، ويعتذر الا يكون عقر
ناقته على قبره (٥٢) :

نفرت قلوصي من حجارة حرة
بنيت على طلق اليدى وهوب
لاتنفري ياناق منه فانه
سباء خمر مسعر لحروب
نولا السفار وبعد خرق مهمه
لتركها تحبو على العرقوب
وان مسألة غلق « باب الحانة » في وجه جلجامش ، عبرت الينا
عن طريق قريب اخر ، خلال الالف الاخيرة قبل الميلاد ، عندما سن
حمور ابي شريعة ووضع فيها بندا هو المادة ١٠٩ حظر بموجبها على
صاحبات الحانات ان يؤوين المتأمرين وقطاع الطرق ، وفرض عليهن

(٥٠) ويستشهد ببيتي امرى القيس فيما خالف صدوه عجزه .

(٥١) الاغاني ٥٦/١٦ وما بعدها .

(٥٢) نفسه

عقوبة الاعدام ان هن لم يبلغن السلطة عن هؤلاء^(٥٣) . هذا ، وفي كتب المهتمين باللغات السامية ومقارنتها بالنحو العربي اصطلاحات والفاظ كثيرة تتصل ببعضها .

واذا كانت « الايام » تفتقر في شبهها بالملاحم السامية القديمة الى عنصر الصراع المتمثل بتحركات الآلهة وصراعاها فيما بينها ومع البشر ، واقتصار الايام على انصراف انبشري ، فهذه الظاهرة لا تبعدنا عن هذا الاصل ، الذي هو واحد في جميع الاحوال ، وان الدراسة الداخلية في الكتاب وضحت فكرة الصرع نفسه ، فضلا عن ذلك فقد وجدنا ان ليس جميع الملاحم السامية يتمثل فيها مثل هذا الصراع الالهي ، وان جلجامش نفسه ثلثه من البشر ، وان مغامرات الابطال البشر في ملحمتهم واضح ، خاصة انكيدو الذي كان مخلوقا بشريا صرفا^(٥٤) ، ادركه الموت فحزن عليه جلجامش ، وجزع عندما علم انه ملاق نفس هذا المصير . لذلك يمكن تقسيم الملاحم القديمة الى قسمين : اساطير ابطال . وملاحم كونية .

(٥٣) الملحمة ص ١١٣ - طبعة ٢ ، بغداد - ومن قبيل الالفاظ الاخرى التي اجتهد الاستاذ طه باقر في ايجاد القرابة اللغوية لها ، عنوان الملحمة البابلية « اتراساس » اي : الواسع الحس او الفهم او الحكمة . بينما هي في كتاب « ساندروز » ص ١٨ باسم : « اترامها سيس » ، او « اتراسيس » وفسرها بسعة الحكمة ايضا . وهو نعت لبطل الملحمة وليس اسما لها ، والترجمة الاولى اقرب الى روح اللغة واصلاها من الثانية ، لان مترجمها اقرب الى روح الملحمة العراقية من الاوربيين ، بينما يترجمها الآخرون عن الانكليزية وغيرها باللفظ نفسه ، باستثناء الحاء العربية التي تكتب هاء H الانكليزية .

(٥٤) اي انه لم يكن من ابناء الآلهة ، ولا مزيجا من مادة الآلهة والبشر .

وتنتهي ملحمة جلجامش الى النوع الاول ، وكذلك «أدابا»^(٥٥)
 Adapa الذي معنى اسمه «الانسان» . وقد ضخمت الاسطورة
 من دور البشر فيها^(٥٦) . وان اقرب النصوص الادبية الى الايام
 وشخصها ، هي آداب الآراميين ، فهي تقترب جدا من الادب
 العربي . فالنص الادبي المكتشف ، والمتمثل بقصة أحيقار ، الرجل
 الحكيم الفاضل ، يشبه الى حد كبير ، منحى الفكر العربي
 القديم^(٥٧) .

ان الايام تنتمي الى القسم الاول من القصص ، أي الى اساطير
 الابطال ، والبطل فيها احيانا يحمل صفات الكاهن او الساحر او الرجل
 العظيم الذي يرأس قومه ويقدمونه ، ثم تبدر منه اعمال خارقة او
 علامات نبوة ، تقابل الشخصيات المهولة في الملاحم القديمة .
 وكان ممكنا ان تصبح الايام ملحمة واحدة كبيرة ، بعد ان
 تستقر في شخصية اسطورية واحدة ، تجمع مزيجا من واقع واسطورة:
 رئاسة او امارة او ملكية ، مع شجاعة خارقة ، ومساحة ارض تشبه
 ان تكون مملكة يحرسها اتباع شجعان ، هم المصدر الحقيقي للقوة
 والسيطرة ، ثم انتصارات كاسحة في اعماق الشعب او الامة
 كقدر من اقدارها . واذا هو ينسج اسطورة او ملحمة كبيرة ، يضاف
 اليها كل المقطوعات والملاحم الصغار ، أي يضاف الى هذا البطل كل
 بطولات المتقدمين ، بشرط ان تكون الشخصيات الاسطورية الصغيرة

(٥٥) Adapa هو ابن الاله Ea رب الحكمة عند الميزوبوتاميين .

ويقابل آدم ابا البشر .

(٥٦) انظر سبتينو ص ٨٦ وساندرز ص ٢٠ وصمويل هوك ص ٢٤ ،

٥٠ ، ٤١

(٥٧) سبتينو ص ٨٦ .

قد تنوسيت تماما ، فيصبح نواة الملحمة كبيرة ، كما صار جلجامش وانكيدو بطلين للمحتمهما ، وأخيل وهكتور ملحمة هومبروس .
 فالثابت ان جلجامش في اصلها مجموعة اناشيد واشعار لعهد سابق على تدوينها جدا . فأضيفت الى هذا البطل كل ما يتعلق بالبطولات الاسطورية ، وكذلك قرر الباحثون بالنسبة للمحتمتي هومبروس حيث اعتبرتا في الاصل مجموعة اناشيد ومطولات شعرية ، ثم جمعت مثل جلجامش جمعا ادبيا على يد هوميروس او من سبقه (٥٨) . ولقد اصاب الايام - وهي في طريق تطورها الى السيرة الشعبية - نفس ما اصاب الملاحم القديمة ، في تجميع البطولات المتعددة في شخص واحد ، فظهرت سيرة عنتره التي استأثرت بكل بطولات (ايام داحس والغبراء) وسيرة الزير سالم او المهلهل بن ربيعة التي استأثرت بطولات وابطال (ايام البسوس) .

وان هؤلاء الابطال ، قم عصرهم ، سواء اكانوا الهة ام بشرا يرتقون في تكوينهم الى مصاف الآلهة ، او شخصيات مهولة . وكذلك « الايام » بمجموعها تمثل قمة الفكر الجاهلي . ولعل ملاحم الايام كانت واحدة وناضجة ، او في طريق النضج ، تدور حول صراع امة بكاملها ، ثم ادركها الاسلام فتجزأت ، كالذي اصاب الملاحم السومرية والسامية ، عند ظهور العبرانيين ، وانتشار تعاليمهم الموحدة (٥٩) ، عن

(٥٨) انظر سبتيانو ص ٨٦ وطه باقر ص ٦ - مقدمة الملحمة - ومقدمة ساندروز ومقدمة اليازة للبستاني .

(٥٩) ان نعت العبرانيين بالموحدين امر يخالف مبدأ الدقة الصلحية . فالاصح انهم افراديون ، اي يدعون الى ان يفرد اله من بينهم الهتهم المتعددة يخصصونه بالتعظيم . والدين الافراي او التفريد Henotheism مرحلة وسط بين التوحيد Monotheism وبين الوثنية .

طريق العهود والاسفار القديمة . وهو المصير الذي ادرك ملحمتي
هوميروس على يد المسيحية ، وهي ظاهرة نعالجها في الفصل القادم .
ان الملحمة في حد ذاتها نتاج امة ، يستلهمها من اعماقها ، اول
مؤلف عبقرى ، ويعقبه عدة مؤلفين ، وتصبح مع مضي الزمن جاهزة
لكي تجمع جمعا ادبيا على يد واحدة . وهي في حقيقتها مرحلة
تخليد او تمجيد لبطل حاز كل صفات الابطال قبله ، وجمع مآثرهم
لنفسه ، بعد تحقيق نصر مؤزر ، وبناء مجد تليد ، فتصبح الملحمة
بناء تلك الامة المقدس في مواسمها ومناسباتها الدينية ، وديوان
اشعارها المغنى في اعيادها ، ودائرة معارفها ومآثوراتها وثقافتها ، وهي
ايضا دستور تلك الامة من جميع جوانب حياتها السياسية والاجتماعية
والاقتصادية .

وان سلسلة الاحداث في « ايام العرب » ، وان كان ظاهرها
يدل على انقطاع بين اجزائها المتعددة ، لكننا استطعنا بانسبة لكتاب
ابي عبيدة ان نجعل اجزاء كبيرة مع بعضها ، فاكتملت او كادت .
وبعض هذه الاجزاء مستقلة بنفسها ، لاعلاقة لها بما قبلها ولا بعدها ،
بحكم انها تمثل فعلا او حدثا واحدا متكاملا ومستقلا ، وهو شيء
طبيعي ، مادنا وجدنا هذه الايام تشير ، من حيث كثافتها الاسطورية ،
الى رؤية واقعية لاحداث المجتمع العربي آنذاك ، وصراعاته مع
الانسان والطبيعة المحيطة به من جهات المعمورة شرقا وغربا . فالايام
العربية القديمة ، لا تختلف عن الايام العبرية التي دوت في اسفار
العهد القديم ، وهي ايضا تمثل اجزاء متصلة او متقطعة ، مستقلة .
وكلا النوعين متأثر بالملاحم السامية^(٦٠) .

(٦٠) طه باقر ص ٣١ - مقدمة الملحمة - .

وهل زدنا ، نحن - في كتاب ابي عبيدة - على ان جمعنا الايام
 جمعا ادبيا بعد ضياع ، فوقعنا على قليل من كثير ؟! . فاذا نظرنا في
 اجزاء ملحمة جلجامش واصولها ، وجدنا العلماء لا يسمون اجزاءها
 اياما ، بل « الواحا » وهي تسمية اصطلاحية علمية ، وان كانت معروفة
 منذ زمن قديم جدا . وقد اصطلح الاثريون على هذه التسمية ،
 نسبة الى الواح الطين التي كتبت عليها الملاحم . « وبرغم ان الملحمة
 جاءت الينا من ناحية الفن على هيئة قصصية متكاملة ، لاسيما فني
 اخر نشرة او نسخة لها من القرن السابع قبل الميلاد ، وهي النسخة
 الاشورية من دار كتب الملك الاشوري « اشور بانيبال » ، الا انها
 كانت ، كما سيتضح من ترجمتها وتسلسل حوادثها اقرب ما تكون
 الى الجمع الادبي ، اي انها مؤلفة من عدة قطع واجزاء ، تدور حول
 اعمال وحوادث مختلفة . فمن هذه الاجزاء المهمة ، القصص المتعلقة
 باعمال جلجامش البطولية ، ومغامراته مع صاحبه (انكي دو) ، وقسم
 اخر مهم خصص لخبر الطوفان الذي يؤلف بنفسه موضوعا مستقلا
 من الناحية الفنية وهكذا نلاحظ ان اجزاء الملحمة في طبيعتها تشبه
 اجزاء الايام في تفرق موضوعاتها لكن الذي ساعد على بقائها ، انها
 مدونة في الواح الطين بعد اكثر من الف سنة من انتشارها ، وللم
 يتهيا للايام مثل هذا الحظ العظيم ، فليتها دونت في الواح الطين
 وبقيت ، بدلا من اوراق وجلود وعظام فقدت . اليس غريبا ان تصل
 ملاحمنا الموهلة في قدمها الى عمق بعيد في التاريخ ، ولا تصل ملاحمنا
 القريبة منا ؟ ! .

ولما كنا نستعرض انواع الجوانب اللغوية وغيرها بين ملاحم
العرب الاولى وملاحم العرب الجاهليين ، اجدر بنا ان نذكر ، بان
كتاب وادي الرافدين الاقدمين ، درجوا على ان يضعوا عنوانات
موضوعاتهم الادبية ، باطلاق اول كلمة او عبارة من القطعة نفسها
على العمل كله ، مثل عنوان ملحمة جلجامش الذي هو البيت الاول
منها (٦١) :

« هو الذي عرف كل شيء ،
فغنى باسمه يابلادي ... »

فعرفت هذه البداية « هو الذي عرف كل شيء » اسما للملحمة
كلها ، حيث عثر على اللوح التاسع في المكتبة اثقة الذكر ، معنونا
بهذا المطلع وكذلك عنوان اسطورة الخلق البابلية المشهورة ،
المأخوذة من اول عبارة فيها : « حيثما في العلى ... » وبالنص البابلي
« انيما ايليش » (٦٢) .

(٦١) طه باقر ص ٥١ - الملحمة - وانظر تعليقه في الهامش على هذا
المطلع ، وكذلك في المقدمة .

(٦٢) طه باقر ص ٣٦ وساندرز ص ٢٠ (الانومااليش) : ملحمة الخلق
العظيمة ، وقد اتخذت تسميتها هذه من اول كلماتها : عندما
في الاعالي « وكانت تتلى في اليوم الرابع من مهرجان الاحتفال
بالسنة الجديدة ، وهي الآن العمل الوحيد الذي يمكن مقارنته
بملحمة جلجامش من حيث الطول » . ويخبرنا ساندرز عن قصيدة
ملحمية لم تترجم ايضا الى الآن ، لعنا نوفق اليها في المستقبل
بعد فك طلاسمها ، وانظر ايضا مقدمة طه باقر ص ١٥ عن النصوص =

وهذا التقليد الادبي سار غلبة العرب ايضا في تسميات امهات قصائدهم ، باطلاق اول كلمة او عبارة منها على القصيدة نفسها . فكانوا يسمون مثلا معلقة امرئ القيس باسم « قفا نبك » ولامية كعب بن زهير في مدح الرسول الكريم قصيدة « بانت سعاد » وهكذا ...

ولعل ابرز الوجوه التي التقت فيها الايام بالحلقات القديمة للملاحم الاولى ، هي « قصة الاغتصاب » ، على حد تعبير ساندرز^(٦٣) او « حق السيد المطاع » كما يطلق عليها المستشرقون^(٦٤) ، بالنسبة لملاحم الايام . حيث كانت للملك او السيد العظيم من التقديس والمنزلة ، ان كانوا يقدمون لهم كل عذراء تزف الى عريسها ، فينال منها « الملك » ويغتصبها في الليلة الاولى ، وتزف بعد ذلك الى العريس . وكان جلعامش على هذه الحال - وهي بداية الملحمة ، حتى اهتدى قومه الى من يصارعه او يقاتله ، عندما وقعوا

التي لم تترجم ، وراجع مصادره الاجنبية . وملحمة الخلق عند صمويل هنري هوك في كتاب الاساطير في بلاد ما بين النهرين ص ١٠ (اينما - ايليش) وعند سبتينو موسكاتي - الحضارات السامية . (انوما اليش - Enama-Elish عندما فوق) .

(٦٣) ملحمة جلعامش - المقدمة ص ٢٦ .

(٦٤) تاريخ العرب الادبي - البروفيسور وينولد نكلسن ص ٣٤ وقد اقتصرت الدراسة على المثل . ولو شئنا الاستطراد لمثلنا بسواها ايضا . فقد ذكر هيرودوتس قصة وقعت احداثها في بابل ، تصور ثورة حصلت في الاطراف والانحاء ، ثم دخل الثوار الى بابل بحيلة عسكرية تشبه حيلة الجيش الذي دخل به قصير وزير الملك جذيمة الابرش ضد الزباء في يوم جذيمة . « يراجع تاريخ هيرودوتس » الفصل المتعلق ببابل .

على « انكيدو » الانسان المتوحش في الصحارى والقفار ، يعيش مع الحيوانات البرية والوحوش . وتمضى القصة في وصف الحالة الفظيعة التي كان جلجامش بموجبها يمارس حكمه وعادته في اغتصاب عذرى شعبه على انهن حق مشاع له ، الى ان استطاعت احدى بغايا المعبد ان تتقرب من انكيدو ، لتتقذ حرائر النساء من هذه العبودية، وكانت البغايا مقدسات في المعبد ، ومثل هذا المظهر - اي تقديس البغايا - يلوح لنا في « يوم حوزة » حيث يمتلك هاشم بن حرملة بغيا يقال لها : اسماء المرية ، فدعاها معاوية بن عمرو اخو الخنساء ، لنفسه ، فتقع الحرب بينهما بسببها^(٦٥) .

واما قصة الاغتصاب ، بحسب تعبير ساندروز ، او قصة « حق انسيد المطاع » بحسب تعبير نكلسن ، فهي تتجلى في يومين من ايام العرب : « يوم اليمامة » ويوم « الأوس والخزرج »^(٦٦) . اما يوم اليمامة ، فإن ملكهم كان يفعل مثل فعلة جلجامش فهيجت النساء

(٦٥) ينظر هذا اليوم في العقد الفريد والافغاني وانظر حوار معاوية بن عمرو مع البغي ، وكيف انها كانت اثيرة عند سيد العرب على احد تعبيرها . وانها عندما اخبرته باهانة معاوية بن عمرو لها هاج وغضب ، فكان مقتل معاوية بسببها . وفي كتاب المحبر ص ١٨٤ ما نصه : « وفي اخبار الاسلام في اول عهده ، انه كانت في بيوت الاصنام بغايا كانت سببا في قيام ثورة » .

(٦٦) راجع في قصة يوم اليمامة الافغاني ١٦٥/١١ والكامل في التاريخ ٢٠٣/١ (منيرية) وشرح ابن عبدون على قصيدة ابن بسدرون المعروفة بالبسمامة ص ٦٣ - طبعة اولى ، السعادة - وانظر البغدادي - خزانة الادب ٣٤٨/١ وابسام العرب لجناد المولى وجماعته وراجع في قصة « الأوس والخزرج » ، الكامل في التاريخ ٤٠٢/١ (منيرية) ٦٥٧/١ - بيروت - وانظر سيرة ابن هشام ٥٥٦/١ وياقوت ٤٦٥/٤ .

رجلا عظيميا في القوم يدعى الاسود بن غفار ، فقتل الملك . واما
ايام الأوس والخزرج ، فهي تبدأ بقصة استيلاء احد الملوك على
ثرب ، فكان يمارس نفس العادة ، الى ان خرجت على احد عظماء
القوم اخته بدمائها التي لطختها من قبل ومن دبر ، فبدت له كأنها
بغى ، وهي متعمدة لكي توحى له بهذا المعنى ، كما فعلت اخت
الاسود بن غفار ، فقال لها : « انك اتيت امرا منكرا . » فقالت له
« ان ما فعل بي ، وما يفعل الليلة افطع » . فثار وقتل الملك والتجأ
الى الشام ، ثم بدأت ايام الأوس والخزرج . وكذلك يوم اليمامة .
وبنفس الاسلوب تبدأ الواح جلعامش . والملاحظ ان البغي في جميع
هذه الملاحم ، تؤدي دورها ، سواء بطريق مباشر جدا ، او بالقضاء
ظلال باهته على البداية ، كما في اليومين الآخرين .

وفي الامكان اجراء هذه المقارنة بين جلعامش واحد يومي العرب
المذكورين ، لتوضح الدورة لهذه الملاحم العربية ، مع التنبيه الى
ان الملحمة الاولى متكاملة ، و « يوم اليمامة » مفقود ، ليس لنا منه
سوي شذرات في الكتب :

يوم اليمامة (٦٨)

منحمة جلعامش (٦٧)

(١) جلعامش ملك أوروك ، (١) عمليق بن سام ، ملك اليمامة،
الذي كان يمارس عملية الذي كان يمارس حق «السيد

(٦٧) نشرت وزارة الاعلام العراقية هذه الملحمة في طبعتين جيدتين .
(٦٨) ذكرنا موجزا مقتضبا لهذا اليوم في الفصل الاول من الباب
الرابع واعتمدنا رواية المفضل الضبي .

... الاغتصاب مع عذارى قومه ، المطاع» مع عذراوات قومه
قبل زفافهن • قبل زفافهن •

(٢) جلجامش ثلثاه اله ، وثلثه (٢) عمليق وكان فيه تقديس،
الباقي بشر • لان جده نبي قديم •

(٣) اتونبشتم الذي طلب اليه (٣) نوح « عليه السلام » الذي
الاله ان يصنع الفلك ، يتصل به جلجامش بأن قصده ليسأله
امر الله بأن يصنع الفلك ، يتصل بعملق بكونه جده
وكان قد طلب الخلود ، فاجيب طلبه ، وعمر طويلا جدا •
فسمى « القصى » •

(٤) انكيدو، تستثيره بغايا المعبد (٤) الأسود بن غفار ، تستثيره
المقدسات ، ليقتل جلجامش، اخته ، بأن تخرج إليه في صورة
ويخلص حرائر النساء من بغى ، ومعها النسوة ، لكي
العبودية • يخلص الحرائر من النساء •

(٥) انكيدو بدأ حياته متوحشا في (٥) الأسود يبدأ حياته صديقتنا
الغاب والجبل ، وينتهي صديقا لعملق الملك وينتهي قاتلا له
لجلجامش حيث يدركه يجتني بالصخراء والجبل • الى
الموت ، فيجزع عليه جلجامش ان ادركته طي ، فقتلته
ويرثيه • واستوطنت الجبل •

(٦) الرحلة على سفينة عبر بحار (٦) الرحلة الى جبلى (أجأوسلمى)
الموت • غامضة، ولكن الطائيين وصلوا
اليه في الجبل ، يقودهم جمل

اسطوري ، كان يمر بهم كل

عمام ، فلا يشعرون به الاقادما،
فساروا خلفه ، وادر كسوا
الأسود وقتلوه ، فاجمل هنا
بمشابة السفينة عبر بهم ليالي
الصحراء التي تشبه في ظلماتها،
بحار الموت (٦٩) .

واما النتائج :

فكان الملحمة العربية توخت الاسراع في الحديث ، فقتلت الملك،
واغضبت الآلهة فمحقت القبيلتين ، بخلاف جلجامش الذي استطاع ان
ينتصر مبدئيا على انكيدو انتصارا جسديا ، لكنه انهزم روحيا ، فأقلع
عن عادته ، لكن لحقته نفس النتائج المؤجلة : محقوا جميعا ولم
يحصلوا على الخلود . وهذه النتائج جميعها تنطبق على ايام الأوس
والخزرج ايضا .

ومن الغريب ان تتكرر قصة الاغتصاب في الملاحم الاولى نفسها،
كما تكررت في يومي العرب المذكورين ، فهي تشبه في جوهرها ،
قصة انليل Enlil رافع السموات ، ومالك انقبة الزرقاء في
اسطورة الخلق العظيمة ، التي جرت أحداثها في بابل (٧٠) ولا غموض
في معنى الاسطورة ، فلا مبرر لحيرة ساندروز في ايجاد التفسيرات

(٦٩) نلمح في الملحمة ، اشارة اسطورية الى بوادر اولى لتأليف الجمل،
قارن ملاحظتنا هذه بما اورده سبتيانو في الحضارات السامية،
وما عرضه جواد علي في المجلد الاول من المفصل في تاريخ العرب
قبل الاسلام ص ١٩٧ - ط . بيروت .

(٧٠) انظر الاساطير في بلاد ما بين النهرين لصمويل هنري هوك ص ١٢
وساندروز - المقدمة - ص ٢٦ .

الملائمة لهذا الحدث . ان التفسير يخرج من صميم المبدأ القديم حول مفهوم الخطيئة الاولى للعالم ، وقد ترددت اصداؤها في خطايا ادم الاولى ، وتبعثرت في (بر سيفونا) كما مثل ساندز ، عند مقارنتها بملحمة الخلق ، واذا كانت قصة الاغتصاب قد تكررت في شكل حلقة اخرى في ادب شبه الجزيرة ، خرجت من ادب وادي الرافدين القديم . ودخلت في ادب العرب القديم في الجاهلية ، فهو التعبير القديم لرؤيا العالم الجديد يومئذ ، بين يدي رجل العصر حينذاك ، المائل في زي بدوي او حضري ، موغل في اعماق الصحراء او مستوطن في المدن يتوسم ملامح مستقبله ، مع نظرة قلق متردة ، نحو ماض يلفه ضباب الشك ومرير السأم . فهي نظرة تشاؤم متأففة من اجيال مضت ، وأجيال تأتي .

ويقع التضاد في مقاطع من الملحمتين ، لكي تمضيا اكثر تكاملا ، واتساقا ، فالتضاد منشور ، بنفس انقوة في التشابه الروائي ، لان الالهم هي المعالجة العصرية . وان التأمل الطويل في قصة اليومين المذكورين — بالرغم من كون كل منهما شذرة من ملحمة طويلة — يزيد من رؤية انلامح المشتركة في الملحمة ، لكن الذي يلفت اليه الانظار هو امتزاج عناصر بشرية بآلهة ، واقوى منها جميعا مسألة الخلود الذي كان ينشده جلعامش لنفسه بعد موت صديقه ، ولم يحصل عليه عند « اترنبيشتم » وكذلك الخلود الدائر في قصة اليمامة ، كما ذكرنا في جدول المقارنات .

ومن وجوه الشبه والارتباط كثرة التكرار والاعادة ، وهي صفة غالبية على الاداب العربية القديمة ، وقد تأثرت جميعها بالملامح

السومرية ، وتظهر واضحة في الايام . وان ناشري الملحمة السومرية قد استغلوا هذا الجانب ، لتكرار والاعادة ، فرموا اجزاءها واصلحوها خرومها ، واكملوا مقطوعاتها المفقودة (٧١) وقد قمت بنفس العمل عندما جمعت ملاحم الايام برواية ابي عبيدة ، فاصلحت الخروم وعوضت عن المفقود ، من بقية الروايات التي كررت كثيرا من العبارات .

ومع ان هذا التكرار مدعاة لكثير من السأم والملل في بعض المواقف القصصية ، الا انه افادهم في تقرير نظرية ، بان اصل هذه الملاحم ، هو الانشاد والرواية الشفوية ، حيث يستعين المنشد بالتكرار ليستعيد في ذاكراته ماسينشده من الايات التالية للنص .

وهذا ينسحب بتمامه على ملاحم « الايام » ورواياتها الشفوية ، وانها كانت تنشد انشادا ، بدليل ماكانوا يرددونه : « انشد فلان » لذلك كثر فيها التكرار والاعادة ، وهي مسألة لم يعارض فيها احد . ووجه اخر ، هو استباق الاحداث ، او اعطاء النتائج التي سوف تتمخض عنها القصة . وهي حقيقة تضاف الى ما ذكرناه ، تربط الايام بالاداب القديمة ، فالنهاية والحل ليس عنصرا مهما لدى الرواية او مؤلف القصة .

ففي ملحمة جلجامش مثلا ، تبدأ الرواية بمقدمة او دياجة في التعريف بطل الرواية والتغني بنسبة وأمجاده ، وبما يتفرد به كالذي يفعله ابو عبيدة مثلا بالنسبة لمهلهل في يوم البسوس ، وهو عادة يعطينا موجز خبر اليوم في بدايته ، وشيئا عن ابطاله ، ثم نتيجة اللقاء ،

(٧١) ملحمة جلجامش - المقدمة - ص ١٣ طبع وزارة الاعلام - بغداد .

ومن الذي ابلى فيه بلاء حسنا ، كذلك الملاحم ، « ولعل اقرب شبه بهذا الاسلوب الادبي مانجده في المزامير (التوراة ، ولا سيما المزمور الثامن) ومصناهاة هذا الاسلوب من الفن القصصي القديم لاساليب العرض الحديثة » . (٧٢) وذلك باعطاء لقطة من خاتمة الرواية ، ثم تبدأ الاحداث . ولعل اول ما يصدم نظر القارئ من زوايات « الايام » هو ذلك التكرار المقصود في ثنايا القصة الواحدة ، او القصص المختلفة ، حتى انهم عدوها تقاليد موروثة ، جرت عليها قرائح المؤلفين ، قال سبتيانو : (٧٣) « ولقد لعبت قوة التقاليد دورا كبيرا في الادب ، وحددت طبيعته المحافظة ، بل الجامدة . فالاعمال الادبية كانت تعد قدوة ، لا يمكن الاتيان باحسن منها . ولهذا كان كل جيل من الفنانين يطمح قبل كل شيء الى استيفاب خصائصها ، ثم اخراجها من جديد . ومن الطريف ان نلاحظ ان المؤلفين لم يكونوا يترددون في ان يكرروا مرات عدة ، خلال العمل الادبي الواحد صورة او فقرة ترضي نفوسهم » . ولقد التفت صمويل هنري هوك احسن التفاتة بأن جعل الملاحم القديمة على نمطين : الاولى تضم الاساطير السومرية ، ثم الملاحم البابلية التي كررت الملاحم الاولى وزادت عليها ، وذلك في كتابه « الاساطير في بلاد ما بين النهرين » وقد سبقت الاشارة الى مواضع الملاحم (٧٤) . وان دراستنا هذه ، تنطوي في حقيقتها على هذه القضية ، حيث تكررت الملاحم في ادات العرب الجاهليين ، وان السمة الفكرية والفنية تظل تتكرر في جميع العصور ، لو درست بشكل

(٧٢) المصدر السابق نفسه .

(٧٣) الحضارات السامية ص ٨٢ .

(٧٤) تراجع ص ١٤٤

صحيح . وقد امعن سبتيانو نظره في هذه المسألة الحيوية في ادب الساميين فقال ايضا « ومبدأ التكرار هو ايضا اساس القلب الشعري ، فهو لا يتميز بالقافية او يقاس بالوزن ، ولكنه يقوم على تتابع عبارات متوازنة ، على تكرار افكار معينة ، سواء اكان التوازي Porallelism عن مساواة ومشابهة ام عن تضاد . والخلاصة انه كان ثمة ميل الى المبالغة في وضع المقاييس ، والى تكرار الانماط والاشكال المقبولة . ولم يكن الفنان يريد ترك الطريق المألوفة ليحاول التعبير عن نفسه ، وانما كان يميل الى اخفاء شخصيته وراء الصور التقليدية ، فكان الفن شكليا ، خاليا من الطابع الشخصي ، وكان محافظا الى درجة الجمود »^(٧٤) فهل يوجد كلام من الطابع الشخصي ، وكان محافظا الى درجة الجمود »^(٧٤) فهل يوجد كلام اكثر انطباقا على الشعر الجاهلي من هذا الكلام ، مع ان الرجل يتحدث عن ادب الساميين وملاحظتهم . وقد حلت لنا هذه الملاحظة ، اشكالات التكرار الكثير جدا ، لدرجة ملحوظة ، وخاصة « العبارات والجمال الجاهزة » بل الايات المأخوذة من بعضها كما مثلنا قبل قليل بالنسبة لعبد يغوث الحارثي وامرئ القيس ، وسوف نلاحظ في الدراسة الداخلية ان المعاني تدور في اشعارهم ، حتى ان عبد يغوث ايضا يرثي نفسه في قصيدته الياثية^(٧٥) ، فيتبعه بها مالك بن الرب فيرثي نفسه ايضا بنفس الوزن والقافية :^(٧٦)

(٧٤) المصدر السابق نفسه .

(٧٥) يوم الكلاب الثاني . ومطلع القصيدة :

الا لا تلوماني كفى اللوم ما بيا فما لكما في اللوم نفع ولا ليا

(٧٦) انظر مجموعته الشعرية ص ٨٢ في مجلة معهد المخطوطات مابو

١٩٦٩ جمع وتحقيق الدكتور نوري القيسي .

ألا ليت شعري هل أيتن ليلة
يجنب الغضا أزجى القلاص النواجيا
فليت الغضا لم يقطع الركب عرضه
وليت الغضا ماشى الركاب لياليا
الى ان يقول :

تذكرت من يبكي علي فلم اجد
سوى السيف والرمح الرديني باكيا
واشقر خنديد يجبر غنائه
الى الماء لم يترك له الدهر ساقيا
ورثى نفسه رجل من تغلب يقال له افنون . وكان لقي كاهنا في
الجاهلية فقال له : انك تموت بمكان يقال له : الآهة . فمكث ما ساء
الله ، ثم سافر في ركب من قومه الى الشام ، حتى كانوا بموضع يقال
له الآهة والآهة قارة ، بالسماوة . فلما اتوها نزل اصحابه ، وابى
ان ينزل عن ناقته ، فبينما هي ترتعى ، وهو راكبها ، اذا اخذت بمشفر
ناقتها حية ، فاحتكت الناقة بمشفرها ، فلدغت ساقه فقال لآخيه ، وكان
معه واسمه معاوية : احفر لي ، فاني ميت ، ثم تغنى قبل ان يموت
يبكى نفسه (٧٧) :

ولست على شيء فروحن معاويا
ولا المشفقات يتعن الحوازيا

(٧٧) انظر العقد الفريد (٢٤٧/٣ ط . لجنة التأليف - ثانية) وانظر
ايضا العقد الفريد (٣/٢ ، طبعة مصر ١٢٩٣ هـ) ، وتوجد
اختلافات في الرواية ، وانظر المفضليات ص ٢٦١ والشعر
والشعراء .

ولا خير فيما يكذب المرء نفسه
وتقواله للشيء ياليت ذالينا
وان اعجبتك الدهر حال من امرى
فدعه وواكل حاله والليالينا

الى ان يقول :

كفى حزنا ان يرحل الركب غدوة
وانزل في اعلى الالهة ثاويها
ولقد تكرر شطر البيت الثاني وهو في قصيدة عنتره ، في يوم
الفروق^(٧٨) على هذا الوجه :

الا قاتل الله الطلول البوالينا
وقاتل ذكراك السنين الخوالينا
وقولك للشيء الذي لا تناله
اذا ماجلا في الصدر ياليت ذالينا

ومثل هذا قول علقمة بن سهل ، يذكر حاله بعد موته فيقول^(٧٩) :
فلن يعدم الباقيون قبورا لجثتي
ولن يعدم الميراث مني الموالينا
حراس على ما كنت اجمع قبلهم
هنيئا لهم جمعي وما كنت واليا
ودليت في زوراء ثمة اعقبوا
لشأنهم قد افردوني وشانينا

(٧٨) تنظر التفائض المجلد الاول يوم الفروق وهو جزء من يوم داحس
والفبراء (طبعة اوربا) .

(٧٩) الحيوان ١٢١/١

فأصبح ماني من طريف وتالد
لغيري وكان المال بالامس ماليا

تلك هي محافظة الوريث على الميراث ، وقد ذهب الاصل وبقيت
الصورة ، وهي صورة باهتة ، لان طالعنا في الشعر كان سيئا ، وان
كان الحظ اوفر في ملاحنا القديمة حيث عثرنا على قسم كبير من
الاصل ، وعلى القسم الثاني من مكرراته ، وهي الصورة .

وايس تكرار المعاني والعبارات الموروثة ، هو الدليل لهذا العمق
التاريخي في الملاحم ، بل تكرار الموقف الذي رايناه في جلجامش
ويومي اليمامة والأوس والخزرج ، يعيد نفسه في مواقف متأخرة على
الايام نفسها . ونجد لهذا التقليد الادبي امتدادا في التاريخ الاسلامي ،
وما اكثر القصص الموضوعة في العصور الاسلامية ، تدور حول
احداث منتقاة من ملاحم « الايام » وهي تكرار لها . بل ان ارتباط
الايام بعصر قريب منها هو ايضا متأخر ببعض مواقفها الدرامية . فما
يذكر عن يوم زبالة^(٨٠) ان احد الاسرى كان ينشد في الليل ويقول :

فدى لوالدة على شنيقة
فكأنها حرض على الاسنقام
لو انها علمت فيسكن جاشها
اني سقطت على الفتى المنعام
ان الذي ترجين ثم ايايه
سقط العشاء به على بسطام

(٨٠) ينظر النقائض ٦٨٠ وابن الاثير ٣٦٦/١

سقط العشاء به على متعمم
سمح اليدين معاود الاقدام
وكان بسطام بن قيس يسمعه فقال : « والله لا يخبر امك عنك
غيرك » فأطلقه .

ويتكرر هذا الموقف مع امية بن حرثان بن الاسكر ، وكان ابنه
كلاب واخوه خرجا مع جيوش الفتح في خلافة عمر بن الخطاب ، بعد
ما كبر الشيخ وكف بصره فقال حرثان :

لمن شيخان قد نشدا كلابا
كتاب الله ان حفظ الكتابا

اذا هتفت حمامة بطن وج
على يضاها ذاكرا كلابا

تركت اباك مرعشة يداه
وامنك ماتسيف لها شرابا

وكان مرة يقول :

ساستعدى على الفاروق ربا
له عمد الحجيج الى بساق

ان الفاروق لم يردد كلابا
الى شيخين هامهما زواقي

فسمعه عمر ، فكتب الى أبي موسى ، باشخاصه ، فلم يشعر

الا وابنهما يقرع عليهما الباب فقال ابوه : ان كان كلاب في الناس حيا،
انه لهو (٨١) .

كانت هذه بعض وجوه ارتباط الملاحم العربية القديمة ببعضها ،
ونعود الى هذه المسألة الهامة في كل موضع نجد فيه هذا الارتباط،
وبصورة خاصة في الباب الرابع عند دراسة الصراع والخلود ومعايير
البطولة في الاديان : البابلي والجاهلي .

(٨١) انظر طبقات الشعراء لابن ملام ص ١٩٠ ورواه ساستادي وهي
مثلا في المعنى . وبساق تروى بساق ايضا . ونحن نختار من
الشواهد ما يراعي ذوق العصر .

الفصل الثالث

الاسلام وشعر الايام

(١)

ليس المقصود هنا ان نعرف الانتماء الديني للملاحم « الايام » .. فهذه القضية منتهية ، وان الملاحم تمثل فكرا معلوما من جميع الوجوه : في مضامينها واشكالها وشخصها ، ومعالجتها لموضوعات الموت والحياة والخلود والصراع في مختلف الوانه .

وتعتبر مادة هذا البحث في جميع ابعاده ، وعلى مساحة واسعة منه ، عبارة عن دراسة لفكر الايام ، والموقف العام لها من جميع مناحي الحياة . واما ما يتعلق بالاساطير والرموز وطقوس العبادات الوثنية ، واثارها في هذه الملاحم ، فانه داخل في عناصر الباب القادم من هذه الدراسة ، وهو المتعلق بعوالمها الداخلية ، لذلك نحن نقصد من وراء هذا العنوان الموقف الديني المنبعث من جانب اخر ، وهو نظرة الاسلام ، ومعه تنظر في اثار المسيحية وقبلهم اليهودية على الملاحم في العالم ، وكذلك تنظر في الممارسة الواسعة من قبل الجماهير لهذا الفكر المعادي لكل اشكال التوحيد ، وكيف كانت المواجهة في كل عصر من عصورها المتعاقبة . وان هذه القضية ، سوف تدخل بنا فجأة ، الى مواجهة عسيرة لقضية شعر الايام وموقف الاسلام ، واين آلت به ظروف المواجهة الصعبة ، وكم كانت الخسائر والارباح المترتبة على نتائج الصدام .

اما بالنسبة للملاحم السومريين والساميين الاولى ، ولا سيما الملاحم

البابلية فان العبريين هم الذين شخصوا في خطوط المجابهة لها ، باعتبار اولئك وثنيين وهؤلاء موحدين ، مؤمنين بان كتابهم وشرائعهم منزلة من السماء . ولا نرى بأسا من الانطلاق الى هذه النقطة من قول ارنست رينان ، قبل ظهور الوثائق البابلية والاشورية والكنعانية (١) : « انه من الممكن ان تكون قد قامت في بابل حركة ادبية سامية معاصرة او سابقة للعبريين والكنعانيين . لكن هذه الحركة لم تظهر لنا من خلال أي نص مكتوب ، وبالتالي فاننا لانستطيع ان ننس ذلك في بحثنا الان » . وان هذا الممكن الذي فطن اليه رينان باحساسه الداخلي ، صار حقيقة ، وواقعا ملموسا . لكن اذا كان اليهود اول من قاوم الفكر الوثني المتمثل في الملاحم البابلية والاشورية عن طريق انبيائهم الكثرين ، وكهنتهم واسفارهم ، فنحن لانطمئن الى مادونوه بايديهم ، لانهم حملوه كثيرا من الاساطير والملاحم والمأثورات التي اخذوها من نفس الامم التي حاربوها . فهم الوحيدون من بين امم الارض ، كتبوا تاريخهم بايديهم (٢) ، ونسبوه الى السماء . لذلك لا فتغرب ان نجد في الاسرائيليات نفسا يتصاعد من اعمال ملحمية او موروثة سامية ، او نشاهد فيها ملامح وسمات عربية قديمة جدا ، فالعرب هم الاصل الاول لكل الساميين ، ومنهم خرجت كل الموجات ، فليس صحيحا اذن ، ما نراه في كتبنا من الاحكام حول كثير من الافكار ، منذ فجر الاسلام ، تحمل على انها مستمدة من الاسرائيليات وخاصة المتعلقة بالتفسير والشروح والسير والاداب ، وارجو ان يفطن الى ان معظم هذه الاسرائيليات في اساسها ، هي اصول الفكر السامي والعربي منذ

(١) الساميون ولفاتهم ص ٦٩ .

(٢) المصدر السابق ص ٦٨ .

عهوده الاولى ، تخطفته ايدي اليهود من مدوناتهم وروايتهم ، واودعته اسفارهم ، لافتقارهم الى ثقافة ، بل انعدام امتهم من اية ثقافة ، فاذا كتب عربي او مسلم عن واقع اصيل ينتمي اليه ، ولوحظ له شبهه من فكرة او حادثة او خبر في الاسرائيليات ، ردوا ما قيل اليها ، دون ان يحسب للاصل اي حساب فالمسألة بحاجة الى دراسة علمية موسعة مع عمليات استشارة لجميع النصوص ومقابلتها ، واستخلاص الفكر السامي الاصيل وتخليصه من الاسرائيليات وفرزه عنها ، لكي تصبح احكامنا على جانب من النقاء . وقد ثبت ان اقدم نص عبري مكتوب ، يرقى بتاريخه الى القرن التاسع قبل الميلاد ، على ابعد تقدير ، لذلك لا يستبعد حصول العبريين على كل الاثار الادبية للسومريين والاكديين والاشوريين والكلدانيين وجيرانهم الذين دخلوا معهم في موثيق واحلاف ، وليس لهم مصدر اخر سوى هذه السبل .

« وتتجلى هذه المناققة الفكرية في عدم جدوى اللقاءات التي كان يفتعلها ملوك « صور » ، مع ملوك اورشليم اليهود « بالرغم من ان « اتو بعل » الاول ، يمثل قمة الكفر في نظر اليهود ، لانه كان كاهنا وثنيا للالهة عشتروت ، قبل تولية الملك . فانه يبالغ في صداقته لخاب ملك اسرائيل ، لدرجة انه يزوجه بابنته « ليزايلا » التي بقيت على وثنتها ، وبنت معبدا لبعل في اسرائيل ، وانجبت من اخاب بنتا اسمها (اثالي) نشأت ايضا على الكفر ، وتزوجها يورام ملك يهوذا (٨٥٥ - ٨٤٧ ق.م) وكان هذان الزوجان الملكيان السيئان سببا في نقمة اليهود جميعا على الزواج المختلط ، ومهاجمة انبيائهم وكهنتهم له ، حتى انتهى الامر في الحالتين الى قتل كل من المرأتين في ثورة السخط الشعبي الجارف ضدهما ، وبقي من اثار هذا التعصب الديني والعنصري

الشديد الذي اصطبغ به الفكر اليهودي « (٣) .
يتضح لنا من ذلك ان ملوكهم وقادتهم ، كانوا - تجساه
ملذاتهم - غير ملتزمين باي عقد ديني عميق ، لكن الملة بقيادة
انبيائها العديدين وكهانها ، هي المتشددة في امور دينها ، لذلك وقعت
الثورة ، واستمر الغضب العنصري لديهم الى الوقت الحاضر . ويتضح
لنا ايضا ، ان انتصار الوثنية عليهم كانت سببه هذا التهمك العقائدي ،
فلم يكونوا موحدين حقيقيين ، تجاه الفكر الوثني القادم اليهم من
انشمال - كما تعبر احدى مقاطع العهد القديم (ارميا ٦/٢١-٢٦ عن
الترجمة الانكليزية المنقحة English Revised Version » في
تشاؤم عميق ، واستسلام كئيب ، وهو اخر تعبيرات الفكر العبري في
انفني على الابواب : (٤)

٢١ - كذلك قال الرب : ها انذا اجعل لهذا الشعب حجرات عشرة ،
فينعثر فيها الالباء والابناء معا ، يهلك الجار وصاحبه .

٢٢ - كذلك قال الرب : هاهو ذا شعب قادم من ارض الشمال ، وامه
عظيمة تهب من اقاصى الارض .

٢٣ - يشددون على القوس والرمح ، وهم قساة لا يرحمون ، صوتهم
بهادر كاليم ، وعلى الخيل يركبون ، هم مصطفون رجلا واحدا
للمعركة ضدك يابنت صهيون .

٢٤ - سمعنا خبرهم ، فارتخت ايدينا ، وامسك بناضيق ، ووجع
كوجع الماخض .

٢٥ - لاتخرجوا الى الحقل ، ولا تذهبوا في الطريق ، لان للعدو

(٣) المصدر السابق نفسه .

(٤) نقلا عن كتاب الحضارات السامية القديمة ص ١٤٦ .

سيفا والخوف محيط من كل جانب .

٢٦ - يا ابنة شعبي انتطقي بمنسح ، وتمرغي في التراب ، واقيمي
لك ماتما كمأتم الولد الوحيد ، مناحة مرة ، لان المخرب سيأتينا
بغتة .

وعندئذ تولدت في اعاقهم فكرة ظهور المسيح المخلص ، لكن
منقذهم من المنفى العراقي حيث ذاقوا الذل والهوان ، كان فارسيا من
ايران يقال له : « كورش » .

وازاء هذا التذبذب ، لم يكن اليهود مؤهلين لحمل الفكر الديني
الموحد ، فانتصرت الملاحم الوثنية وسارت ، مع ما كانت تجابه به من
عوائق الطريق من قبل رجال الفكر الحقيقيين والانبياء فقط ، مثال
ذلك احتدام الصراع بين دين يهوه اله العبريين وآلهة الكنعانيين .
وذلك بعد ان استقرت القبائل العبرية في فلسطين ، واخذت بعض عناصر
الحضارة الكنعانية . وقد استنكر سفر القضاة صراحة ، الابتعاد عن
شريعة موسى ، ولكن في الوقت نفسه ادى الاتصال بالشعوب الاخرى
الى تدعيم اخلاص العبريين ليهوه الها قوميا لهم ، ونظر الى احداث
عصر القضاة على انها صراع بين يهوه وآلهة الكنعانيين .^(٥)

ثم اندثرت الملاحم الوثنية ، ليس بفعل الفكر اليهودي ، لكن
لاسباب اخرى ذكرناها في صفحات البحث المتقدمة من الفصل السابق .
اما موقف النصرانية ، من الملاحم ، وبالاخص ملاحم اليونان
الوثنيين ، فكان منذ البداية واضحا . ثم ان المسيحية ظهرت ، وملوك
اثينا والهمتهم مائلون نحو الزوال . لكن عندما انتشرت المسيحية ،

(٥) المصدر السابق نفسه ١٥٠ .

كانت الاشعار الهرمية في ذروة المجد في المسالك الرومانية^(٦) . فكان لابد من تقويض اركان الوثنية ، وهي ممثلة ، اصدق تمثيل في الشعر الهومري ، لكن بات اغفال ذلك الشعر ضربة لازب لحدائثة عهد المسيحيين بدينهم ، ولزوم اخذهم به موردا صافيا لا تشوبه اساطير السلف ، من عبدة الاوثان . الا ان القديس ابرونيمس مع تحريم الالياذة ، كان مكبا على تدوينها^(٧) . وفي المتحف البريطاني مخطوطات سريانية اخذت من اديار وادي « النطرون » فيها مخطوط الفه ساديرس - الانطاكي في القرن التاسع الميلادي ، كان مكتوبا عليه الياذة هوميروس وانجيل لوقا^(٨) ، برغم ان هوميروس اتهم بابتداع البدع ، وتحريف التوراة ليصوغ منه ما يوافق مذهب قومه من القصص المستنبطة منها ، كعصيان الشيطان ، وطردهم من الجنة ، ومماثلة « بليرفون » ييوسف الصديق ، وأمثال ذلك . فاعتبروا هوميروس ليس ناقلا لخرافات الاولين ، بل واضعا لها مناديا بها^(٩) .

وبمثل الرد الموجه الى القائلين بانتفاع التوراة من كثير من المواقع الروائية الموجودة في الملاحم السامية القديمة ، وخاصة ملحمة جلجامش وملحمة الخلق البابلية وادابا والطوفان ، يوجه الرد نفسه الى القائلين بانتفاع هوميروس من قصة التوراة . هذا هو المبدأ النقدي للقضية ، فأن اخذت قاعدة او اساسا ، اخذ معكوسا في كل الاحوال .

(٦) مقدمة الالياذة للبستاني ص ٦٤ .

(٧) انباء الرواة (التصدير) ص ٦ بقلم امين مرسي قنديل .

(٨) مقدمة الالياذة للبستاني ص ٦٤ .

(٩) مقدمة الالياذة للبستاني ص ٦٤ .

ويبدو لي من تقرير الجال ، ان اوضح الاديان السماوية موقفا
وبصيرة ، هو الاسلام ، حيث استطاع ان يغطي بشمس علومه وادابه ،
جميع الملاحم الوثنية ، وان ينزع من الصدور ، اناشيد الايام برغم
تمكنها من نفوس العرب الوثنيين يومئذ . وان اطلاق تسمية اليوم
لبعض الوقعات في صدر الاسلام ، هو من تأثير هذا السحر الذي
اشاعته الملاحم في نفوس العرب ، وان زوال التسمية بسرعة ، دليل
على ان الاسلام اذاب باشعاعه كل ركाम وثنى او بقايا هذا الركام .
وبرهن على ان هذه التسميات في الاسلام ، تقليد مغلوط للملاحم
الايام ، فلم يلق قبولا من المسلمين ، فاستبدل بعلم جديد عرف باسم:
المغازي والسير . فكان هذا العلم مشوبا ببعض اخبار الماضي
واساطيرهم ، لكن في نمط لا يشبه الايام ، حيث تختلف اللغة والسرد
والاحداث والمضامين .

على ان اليهودية احتفظت بطابعها الديني القومي ، « ذلك الطابع
اثريد في التشبث واصرار ، وابتقت على الشعور القومي للمؤمنين
بها ، ولكن المسيحية والاسلام دينان عالميان، يتجاوزان حدود الاوطان
القومية »^(١٥) . لذلك حاربت اليهودية كل الملاحم السامية حربا لاهوادة
فيها ، لانها كانت تهدد دياتهم ، او اعتبروا ذلك تهديدا يزيل كيان
هذه الديانة ويزعزعها ، وبالتالي تزول قوميتهم المتداعية ، وبرغم هذا
العنف والروح القتالية لم يتمكنوا من صد الملاحم السامية ، فلم
تختف بفعل الفكر اليهودي ، بل كانت اسباب اخرى لهذا الاختفاء .
اما المسيحية والاسلام ، فمع انكارهما لهذا الادب الملحمي - وخاصة

(١٥) سبتينو ص ١٣٨ .

الاليادة والاديسة وايام العرب - باعتبارهما قمة الافكار الوثنية في
عصرهما ، لكن حربهما لم تكن بنفس الوسيلة التي اتخذها اليهود
في هذه الحرب ، لانهما يمثلان تطورا خلاقا في الذهنية البشرية ،
فأذهبت روعتهما روعة كل ادب وملحمة . وقد رأينا ان القديسين
انفسهم مثل البرونيمس نفسه ، انكبوا على تدوين الاليادة ، مع
تحريمها ، ورأينا ايضا ان قسما من المخطوطات دوت فيها الاليادة مع
انجيل لوقا ، وسرى بعد قليل ان اجمل ادب كان الرسول (ص)
يتذوقه ويستمتع اليه مع اصحابه ، هو ادب الايام ، لانهم كانوا
ينظرون الى هذه الملاحم ، نظرتهم الى « عاديات » اثرية لا يخشى على
الدين الجديد من خطرهما . وهذا هو الذي حصل فعلا ، حيث انصرف
عنها الناس تاثير سحري نابع من الاسلام ، فلما فترت حماستهم ،
وعادوا الى ملاحمهم ، وجدوا ان اكثرهم نسي وضاع .

ويبدو لي ان مرحلة تحريم هذه الملاحم ، انما اشتدت بعد وفاة
الرسول (ص) وتصاعد حركات الردة ، فلما عادت الاحوال الى
سابق عهدها ، عادت الملاحم تدور في المحافظ والمنتديات ، لان النزعة
الدينية عادت قوية ، وزال الخوف ، فجمعها العلماء ، وكان ذلك في
عصر بني امية ، الا انها فقدت مع جميع معالم هذه الامة . لكن هيا
انقدر لها في عصر مناسب ، من ابي عبيدة رجلا اعاد خلقها وتكوينها
ثم ضيعها الناس مرة اخرى لاسباب كثيرة ، واضحة وغامضة في آن
واحد . وبالنظر لدقة الموقف واهميته ، فاننا نعالج قضية « الاسلام ،
وشعر الايام » معالجة تحليلية لنزيل اشكالا ادبيا ، طالما تخطيط به
الباحثون ولم يهتدوا - تماما - الى حقيقته .

ويخيل الى ، ان هذه انقضية الملحة ، لم تنل حظا من الدراسة الواعية ، ولا مستها يد الباحثين ، الا مسا خفيفا ، لغموض شديد كان يكتنف الظاهرة الادبية عموما ، والشعر بصفة خاصة ، فالامر - على ذلك - يتطلب حدرا شديدا ، وفرزا ذكيا ، ثم الايغال فيه برفق ، وليس اقتحامه ، حتى يعرف امتداده ، وتسبر اغواره ، ويصبح كل شيء - فجأة - سهلا وميسورا .

فلقد اضاءت سماء القرن السابع الميلادي ، اكبر شمس اعتلت أفق الحياة الانسانية في شبه الجزيرة العربية ، وجعلت رقعة الضوء تمتد وتتسع حتى غمرت مساحات عظيمة من ارض البشر ... ثم كانت تدفقا ، وسيلا عرما لاجيال متعاقبة .

ونحن اذ نرث التقاليد الادبية والاجتماعية جاهزة او شبه متكاملة ، عن الاجيال المتقدمة ، يمكننا ان نتصور واقعها الذي انطلقت منه ، او وجدت فيه ، منذ اول يوم تصورا واضحا ينير سبل الدراسة والبحث . ويمكن القول بان كل مسألة تتعلق بهذا القرن ، اصبحت الحديث فيها ممكنا ، الا الشعر ، فقد كثرت حوله الاقاويل ، وتعددت فيه اشاكل .

ومع ذلك فالمدونات المتروكة لنا غفلا من وراء ظهر الزمن ، وبعضها سقط من يد عوادي الدهر وصروفه ، تعطينا فكرة ، نستطيع الحكم بموجبها على واقع ابتعد ، وصارت الرؤيا فيه ضربا من الخيال ، لان الناظر في اوليات معطياته كالناظر في سموات ضبابية ، كثيفة .

والدراسات في هذه المجالات ليست قليلة^(١١) ، بل ان التقدماء
اولوا هذه الناحية عناية خاصة ، وربما كان اقدمهم ابن سلام في بحثه
القيم عن الشعر والشعراء^(١٢) ، وقد تحدث معللا انصراف الناس عن
الشعر وعن روايته في اول الدعوة ، ثم اقبالهم وعودتهم اليه متلهفين
يتدارسونه في القرن الثامن الميلادي ، او مطلع القرن الثاني الهجري ،
اذا تجاوزنا اواخر الاول ، واسباب ذلك مدرجة في كتابه . ثم اعقبه
باحثون ، ومع ذلك فالمسألة لم تنجل ، وظل الغموض يحيط بالظاهرة
الشعرية المعتمدة ، حيث يمتد التيار الفكري الجديد غاية الامتداد ،
وينحصر التيار الشعري القديم غاية الانحسار ، حتى ليكاد يضمحل .
فلم تسجل المقاييس الشعرية ، انذاك ، صعودا يذكر ، بل ولم تتحرك .
وقال المحدثون اليوم ، ان المؤشرات كانت تسير الى هبوط ملحوظ

(١١) للباحثين العرب في مختلف اقطارهم ، دراسات ، اقل ما يقال
فيها انها لا تمس هذه القضية كما وصفناها بانها ملتهبة . وكان
غيرهم - واخص المستشرقين - لكونهم خارج نطاق الاطر الممسكة
بالباحثين العرب - اجدر في تناول الموضوع ، لكنهم لم يزدوا
على ان مسوه برفق ، ولم يقولوا فيه حكما ارى له وزنا ، ومع
ذلك فافضل القائلين : بروكلمان فسي « تاريخ الادب العربي »
ونكلسن في « تاريخ العرب الادبي » .

(١٢) وبصورة خاصة ، المقدمة التي في كتابه طبقات الشعراء ،
ويسمى ايضا : طبقات فحول الشعراء . وذكر ص ١٧ (ط .
السعادة) شيئا عن رواية الشعر ، وكيف شغل الاسلام الناس
عنها ، ثم عادوا اليها فاذا اكثر الرواة مات او قتل . وسينفعنا
هذا الكتاب في مواضع اخرى من هذا الفصل .

وهي مقولة « ضعف الشعر » في صدر الاسلام^(١٣) ، والتي جهر بها كثيرون ، ولم يقل فيها متقدم ، لكن وجدناها تخرج من افواه المستشرقين ، والباحثين العرب المعاصرين ، وسواهم^(١٤) . فسادا استقصينا المسألة غاية الاستقصاء وجدناها لاتعدو ان تكون وهما سقط في بحوره كل القائلين بضعف الشعر ولم يتبينوا اسباب هذا الضعف ، قياسا الى قوة الشعر قبله ، ولم يحسوا على القيم ، وسمات الخلق والابداع في الشعر الجاهلي ، والتي بموجبها تميز وازدهر ، واقتاد هذه الاصول او القيم والسمات لدى الشاعر المسلم ، الذي له اصوله وقيمه وسماته .

وانهم عندما يتدارسون شعر المسلمين يخلطون خلطا عجيبا ، فيدخلون شعر المسلم في شعر غيره ، او يضعونه مع شعر النصراني واليهودي الى جانب الشعر الوثني . ويقولون عن هؤلاء جميعا لدى

(١٣) احد الباحثين المعاصرين ، القائلين بهذه النظرية هو الدكتور البهيتي في كتابه « تاريخ الشعر العربي » ص ١١٣ وانظر تعليقه هناك .

(١٤) تكلسن - تاريخ العرب الادبي ص ٢٥٦ « لم يكن هذا القرن ملائما للادب ، فقد تملك الفتح والمنازعات الداخلية قوى الامة ، وعادت بعد ذلك الروح الوثنية تحت حكم الامويين تؤكد ذاتها مرة اخرى ، ومع ذلك فان ادب هذه الفترة ، يكاد لا يحتوي الا على الشعر الذي لا يحمله الا بعض علائم التأثير الاسلامي » . لكن تكلسن ، كما ستري بعد قليل ، انكر على القائلين بضعف الشعر ان سببه الاسلام او الرسول . وان كلام ابن سلام المذكور انفا لا افهم منه ان الشعر ضعف في صدر لاسلام بل ضاع ولم يحفظ . اما مسألة الضعف فقير واردة ، ولا هذا موضعها ، وسنوضح ذلك .

تعرضهم الى اسباب الضعف والقوة ، ان الشعر ضعف في صدر الاسلام ، لتشاغل الناس بالقرآن الكريم وحفظه ، وبالحديث الشريف وروايته ، وباحاديث الصحابة والخلفاء ، وغير ذلك من مظاهر النشاط الفكري والادبي الاسلاميين . وهي ادلة - ان صحت - تعزو الضعف الى الشعر في معسكرات المسلمين ، فما الذي اضعف شعر غيرهم ياترى؟! وليت شري ، هل الدعوة بقرآنها وحديثها واقوال رجالها ، اطفأت شلة الفن المتقدمة في قلوب المسلمين ، ثم انطفأت هذه الشعلة في نفوس غيرهم؟! وقد سبق ان نوهنا بان انشغالهم بالفكر الجديد لم يورث الضعف فيهم ، لكن ضيع عليهم الثروة . وهذا غاية ما قصد اليه ابن سلام .

فاذا تأكد لنا ، ان الشعر في ضعفه وقوته ، لا يخضع لحضارة ، ولا لظرف سياسي معين ، او بيئة ، وانه قد يتسع والحضارة تضيق، والعكس صحيح^(١٥) ايضا ، فنحن اذن ازاء ظاهرة متشابكة ، معقدة،

(١٥) نقل الدكتور جلال الخياط في كتابه « الشعر العراقي الحديث » ص ١٤ طبع بيروت ١٩٧١ - رسالة دكتوراه - « وكان ابن قتيبة قد قرر ان الشعر ، قديمه وحديثه يجب الا يخضع في تقييمه الى الظروف البيئية السائدة ، ولكن الى ما فيه من اصالة وابداع » واثار الى مصادره ، وهي : تاريخ العرب الادبي - بالانكليزية - لرينولد نيكلسون ص ٢٨٦ كيمبرج ١٩٥٦ وانظر ايضا جميع المصادر التي اوردها نيكلسون . واما قول ابن قتيبة فهو (ولم يقصر الله العلم والشعر والبلاغة على زمن دون زمن ، ولا خص به قوما دون قوم ، بل جعل ذلك مشتركا مقسوما بين عباده في كل دهره ، وجعل كل قديم حديثا في عصره) « الشعر والشعراء ٦٣/١ دار المعارف بمصر ١٩٦٦ ت : احمد شاكر » .

تطلب قبل كل شيء فرزاً دقيقاً ، وتمييزاً ذكياً ، لكي لا تقع في مغارات
مجذبة ، لا أول لها ولا آخر .

أما تمييزها أو فرزها ، فهو وضع الشعر في مجموعات ، لغرض
دراسته أو تسهيلها ، والا فمن الصعب جداً ، بناء هذه الحدود
الوهمية بين الثروات الفكرية المتميزة ببعضها ؛

أ - الشعر الجاهلي القديم ، وينضوي تحت لوائه أكثر شعر
« أيام العرب » ، وأرباب هذا الشعر لم يدركوا الإسلام ، بل ماتوا
على منازعهم الفكرية واطرهم العقائدية ، وكانوا يمارسون العملية
الفنية بنفس القوالب التي كانوا يتوارثونها من قدامائهم .

ب - الشعر الجاهلي القريب من الإسلام والمعاصر له ، وأطلقوا
عليه أو على قائله : المخضرم ولبعض شعراء الأيام وشعرائها وجود
فيه . وأربابه أولئك الذين امتد بهم العمر فدخلوا عصر الإسلام
بجلباب العصر الجاهلي ، مكتهلين ، وبروحه وعقليته فاغتربت ذاتهم ،
وكانت ترصدتهم العيون ، وقسم كبير منهم أبطال أسطوريون ، نسجوا
مع غيرهم ملاحم الأيام وأشعارها القرية من الإسلام ، وأكبر مثل
فد بينهم : ليد بن ربيعة^(١٦) ، ولعل دراسة هذا الفصل ، تتعلق فيهم
قبل غيرهم ، وهم أنماط :

(١٦) ينظر يوم شعب جبلة في النقائص حيث يذكر أبو عبيدة في
هذا اليوم ، أن لبيد بن ربيعة ، كان في هذا اليوم ابن
تسع سنوات ، أو بضع عشرة سنة ، وكان عمه يقول له « اليوم
يتمت من أبيك ، أن قتل أعمامك » . واشترك لبيد في يوم
فأثور لدى الملك النعمان ، ضد الربيع بن زياد . انظر الأغصاني
٣٦٥/١٥ ، ١٨٦/١٧ وانظر نسخة بولاق ٩٢/١٤ وأمالى المرتضى =

١ - شعراء اسلموا ، وحسن اسلامهم ، ولكن لم يؤمن شعرهم ،
فباتوا على جاهليتهم ، وضاعوا بين عالمين ، واقرب مثل يرتسم في
الذهن اصحاب المشوبات .

٢ - شعراء اسلموا ، ولم يحسن اسلامهم وظلت معطيائهم
جاهلية وبعضهم ارتد عند اول فرصه سنحت ، ورأس هذه الطائفة
الخطيئة الشاعر ، وتوجد في ديوانه امثلة لشعر المرتدين (١٧) .
٣ - شعراء لم يسلموا ، ولم يصل اليها شعرهم لنحكم بموجبه ،
نذكر بعضهم خلال حديثنا في هذا الفصل .

٤ - طائفة من الشعراء المسيحيين واليهود . ولم يحفظ المسيحيون
العرب ولا اليهود اشعار ملتيهما ، ولم يدونوها ، ولم يحفظها العرب
المسلمون لانصرافهم عنها الى غيرها من الوان النشاط الفكري الجديد ،
او لاسباب اخرى ، معلومة ومجهولة .

٥ - الشعراء المسلمون ، وهم قلة قليلة ، لا اعد منهم ، على وجه
الحقيقة ، حسان بن ثابت ، حقا انه صحابي ، وشاعر الرسول ، ولكنه
في اعماق نفسه شاعر جاهلي . وربما انضم اليهم كعب بن مالك ، لانه

١٣٦/١ وامتد به العمر حتى ادرك ولاية الوليد بن عقبة في
الكوفة ، وهو عمر طويل جدا ، يحمل سمات اسطورية لا سيما
ان اسم لبيد مشتق من «لبد» اي مكث وتبقى . ومن اسم النسر
السابع الذي يشكل حلقة اخيرة ، واطول حلقة ، من حياة لقمان
الاسطورية ، وكان الاسطورة ، هيأت له هذا الاسم المشابه لطول
عمره ، فهو احد المعمرين الذين يمثلون جانبا من الصراع البشري
في ادب الايام ، نتعرض له في الباب القادم .

(١٧) انظر على سبيل المثال قصيدتين له في ديوانه ص ٦٠ وص ٣٢٩
(نشر نعمان امين طه ١٣٧٨ هـ) .

آمن وهو شاب لم يجاوز الثلاثين ، واسلم وحسن اسلامه ، ورسخت
العقيدة الاسلامية الجديدة في نفسه ، فشره ، على ضعف فنه ، صادق
اللهجة في العقيدة ، بقي المنبع .

واذا جمعنا هؤلاء الشعراء ، الواقفين على حافتي الجاهلية
والاسلام ، اخترق جمعهم خيط رقيق ، يفصلهم الى قسين : شعراء
صحاري ، وشعراء مدن .

ولن اتكلم عن هذه المجموعات بالتفصيل ، بل سيجمعهم حديث
واحد ، لاني سوف اركز ، بوجه خاص ، على شعراء « الأيام » امثال :
ليد ، وحصان ، والحطيئة ، وابن مقبل ، وسواهم . وان الوضع
الاجتماعي والسياسي للشعر هو مبتغى بحثنا هنا ، لنعرف من هذا
الطريق ، مصير الايام خلال هذه المسيرة الطويلة . لان الخصوم جردوا
في وجه الدعوة الاسلامية ، اسلحة كثيرة ومتعددة ، هي من مقومات
المجتمع القديم ، وجردوا الشعر سلاحا ماضيا في مجموعة الاسلحة ،
لأنه من فوقيات ذلك البناء ، ولم يكن متأهبا ليلتقي مع الثورة
الجديدة ، في اول امرها ، وامره هو ، لأنه منتفع كبير من منتفعي
العصر ، وكل عصر ، الا ما تحاوله اقلام شابة اليوم ، في حمل الشعر
العربي الى عوالم جديدة واسعة ، وجعله تفسيرا لصراع ، وانطلاقات ،
وتطلعات ، وامان ، انسانية حية ، لانهويات ميتة .

وازاء هذه الحالة المقددة ، والفريدة ، في حياة الشعر العربي ،
لم يعد في امكان ارباب الصنعة الا اللجوء الى التفسيرات البعيدة عن
التاريخ . وحركته التطورية ، ومسيرة المجتمعات الانسانية النامية .
ويمكن تصوير هذه الحالة ، على هذه الصورة من التعقيد : فكر وثني
يجد منطلقه في آلاف القصائد الجبارة ، وعشرات الملاحم الفذة ، وفكر

نصراني او يهودي او من عرفوا في الجاهلية بالاحناف . ثم ازاء ذلك كله ، فكر اسلامي جديد ، اساسه رفض لكل القيم القديمة ، واعادة بناء في بعضها . فما الذي نجم عن هذا النقيض الايديولوجي . . لقد نجم تضاد ، ثم احتدام صراع ، وكانت اول مواجهة فكرية بين الاسلام والشعر ، تلك التي جرت بمكة ، ويومها لم يكن مع الرسول شاعر يذب عنه ، ولا كان له الى الشعر احتياج ، بل كان الشعر كله ضده ، وكان هو ضده ايضا . لذلك كان موقف القرآن المجيد والرسول الكريم موسوعا بطابع الشمولية والتعميم في التقييم . الى ان ظهرت بوادر انتماء على بعض الشعراء الجاهليين ، وآمنوا بالاسلام ديننا ، وانضتوا تحت لوائه ، فابتعد التقييم عن سمة الاطلاق ، الى التخصيص والتقييد . فالاسلام طرد الشعراء من البلدة المكرمة ، مكة ، آثمين ، ليدخلوا المدينة المشورة مطهرين . فليس هذا الطرد للشعر نفسه ، بل الشعراء هم المطرودون . وخير شاهد لنا هو القرآن الكريم ، فليس في آياته ذم للشعر ، لكن للشعراء فحسب ، مع نفي صفة الشعيرية عن القرآن . ولم نجد بين صحابة رسول الله من كان احفل بالشعر ، وأبش للشاعرية المتدققة ، من الرسول نفسه ، فلم يفعل الرسول (ص) ما فعله غيره ، حيث طردوا الشعراء من مدنهم ، ثم رجعوا فندموا ، واعادوا لهم اعتبارهم ، ومضوا يكفرون عن غلظتهم^(١٨) . بل كان الطرد « المكي » والتزكية « المدنية » ، نابعين عن خط عقائدي واحد ومستقيم .

(١٨) انظر مقدمة كتاب الشعر لارسطو ص ٥٥ حول افلاطون عندما طرد الشعراء من (مدينته القاضلة) وتدم فعاد يكفر عن غلظته في كتاب (النواميس) .

فعند التأمل في السور القرآنية الكريمة ، الحاوية في طياتها جميع الآيات التي اوردت ذكر الشعراء ، تنجلي امام انظارنا حقيقة اولية ، تنير سبل البحث ، وتقيه العثرات . ومحصلة هذه الحقيقة ، ان جميع الآيات النازلة في الشعر والشعراء ، آيات مكية ، تتضمن ردود الخصوم في الشخصية المحمدية ، او في الدعوة نفسها ، وفي القرآن الكريم نفسه . فان كانت في شخص الرسول ، جاء الرد بانه ليس بشاعر ، واقترن ايضا بنفي الكهانة والكذب والجنون عن شخصه الطاهر اما اذا كان الطعن موجها الى الدعوة وقرآنها ، فينحصر الرد في دفع تهمة الشعر وتهويمات الشعراء وغواياتهم عن الاسلام وكتابه . انظر الى قوله تعالى في سورة الطور « ام يقولون شاعرا ، تربص به ريب المنون » فهو في نظرهم لا يعدو ان يكون شاعرا تهلكه الايام ، ان عاجلا أو آجلا ، كما اهلكت النابغة وزهيرا من قبل^(١٩) . وقوله في سورة الانبياء : « بل هو شاعر » فاذا رجعت الى الآيات التي قبلها ، وجدت الخصوم ، يصفون كلام الرسول بالسحر مرة ، وبأضغاث الاحلام مرة أخرى ، ثم عدوه كلاما مفترى : « بل افتراه » ثم « بل هو شاعر » وهذه السلسلة من الاتهامات ، هي في الحقيقة تنعكس فتوجه الى واقع الفكر المكي نفسه ، وواقع فكر المدن الدائرة بفلك مكة يومئذ . . . فهو عبارة عن كهانة وسحر ، واساطير تؤدي عن طريق الشعر . وقد جاءت الايات فضحا لهذا الشعر المضلل ، وسقوطه المشين في مستنقع الوثنية الممثلة في الارستقراطية المكية ، واتتمائه الى الكذب والافتراء والتزييف لواقع الحياة المكية انذاك ، حيث يذر الغبار في

(١٩) الانتصاف فيما تضمنه الكشاف ١٠٤ .

العيون ، شعراء يكذبون على انفسهم وعلى الناس . وهذا شأن غالبية مدن الحجاز بما فيها : ثقيف او الطائف ويشرب ولفهما . بخلاف سائر الشعر الجاهلي ، وشعر الايام ، ذي الاصاله والنقاء ، اصالة الصحراء ونقاؤها ، والمدن الاخرى البعيدة عن مكة : ابجرين مثلا وفيها يومئذ المثقب العبدى ، والممزق العبدى ، والمفضل بن معشر ، قال ابن سلام (٢٥) : « وفيها شعر كثير جيد » ، واما شعر الصحراء فمن سماته انه شعر يمثل عصرا بطوليا ، وان كان عامرا بالروح الوثنية ، فهي سمة « الايام » ومرحلة ليس لهم يدا في وجودها .

سلسلة من الاتهام يدان بها الشعر : السحر ، واضغات الاحلام ، والافتراء وهي نعوت تقف صفا مستقيما واحدا ، ثم يقف الشعر المكى وحده الى جانبها في الصف . . نفس الصف !! قال تعالى في سورة الحاقة « انه لقول رسول كريم ، ما هو بقول شاعر مجنون ، ولا بقول كاهن ، قليلا ما تذكرون » . دخلت الكهانة الى الصف ايضا . وكلما تقدمنا في قراءة النصوص ، استتبطنا نعوتا جديدة تدخل الى جانب البقية : « اتنا لتاركو الهتنا لشاعر مجنون » (أضيف الجنون الى الصف . . ثم اليك المزيد من هذه النخبة من الصفات التي قلنا انها في واقعها تفضح الفكر المكى الذي وسيلته الشعر وتدينه « يتبعهم الغاوون » « في كل واد يهيمون » « يقولون ما لا يفعلون » وهذه الآيات الاخيرة ، خلافا للتي تقدم ذكرها ليست مكية ، بل مدنية . مع ان بقية اجزاء السورة « الشعراء » مكية . ولقد تبدلت اللهجة تماما ، وتحولت من نقد ايدلوجية الشعراء الى اخلاقيتهم ، ويؤيدها تنمة

(٢٥) طبقات الشعراء ١٠٧ .

الآيات . وهذا دليل آخر على ان الشعر ، لم يكن في رأي الاسلام ، على جانب من السقوط ، بحيث يصبح في نظر المسلمين منبوذا ، فالسور المكية المتقدمة جاءت فضحا لواقع الشعر المكي ، فلما نزلت سورة الشعراء ، وهي المحتوية على الآيات المثقلة بواقع الشعراء اذا بوخزها اخف لان الظرف تبدل ، وارتفع صوت اسلامي في الشعر على ضعفه وخفوت جرسه . فالنظرة الى الاشياء جميعها يجب ان تختلف ، ثم كان السكوت الأبدي وراء هذه الآيات ، المختومة بتزكية لنموذج واحد من الشعراء « الا الذين امنوا وعملوا الصالحات » فلا نسمع بعدها حكما ولا رأيا في الشعر والشعراء .

ولكننا نلاحظ امتداد لنوازع ، نوه بها القرآن ، ثم كانت اصداؤها في تصرف الرسول واحاديثه . وفي نشاط الرجال المحيطين بشخصيته العظيمة . ففي سورة (يس) نسمع كلامه تعالى في شخص الرسول « وما علمناه الشعر وما ينبغي له » فالرجل لم يتلقن علوم الشعر ولا اصوله ، ولم يوهب هذه الملكة من ربه ، ولا تلقاها من الكتب مشافهة ، على اعتبار اميته ، ولا ممن اتصل بهم ، وهكذا حكم القرآن الكريم فيه . وانظر كيف تدلنا هذه الآيات البينات « وما علمناه الشعر .. » على وجود اصول لعلم الشعر يومئذ ، قبل ان يستنبط بحوره الخليل ابن احمد . وقوله تعالى : « وما ينبغي له » زيادة في التأكيد بانه حتى لو حاول الشعر ، فهو لن يتأتى له ، فهل في ذلك اشارة الى محاولة موجودة ، ولو بسيطة في قول الشعر ، لكي يقرر القرآن الكريم هذا الحكم القاطع . الواقع انه توجد محاولة نظمية ، او اشارات الى مثل هذه المحاولة ، حيث سقطت من كلامه عبارات موزونة في مناسبات

مختلفة ، مثل قوله (٢١) :

انا النبي لا كذب
انا ابن عبد المطلب

ومثل قوله

ان انت الا اصبع دُميت
وفي سبيل الله ما لقيت
واذا صبح الأول ، فالثاني مختلف بأمره ، فهو ينسب الى عبد الله
بن رواحة في ضميمة ايات معه ، وبعد البيت :

يا نفس ألا تقتلي تموتي
هذا حمام الموت قد صليت
وما تمنيت فقد اعطيت
ان تفعلي فعلهما هديت
وان تأخرت فقد شقيت

لكن ، كما نلاحظ ، ان البيتين من الرجز ، والرجز على رأي الخليل
بن احمد الفراهيدي ، لا يعد من الشعر في شيء ، فهو اسهل انواع
الكلام ، ويتأتى للانسان سليقة وبالقطرة وحتى لو كانت محاولة على
رأي الزمخشري ، حاولها الرسول ، فهي لاتعدو ان تكون من نوع
الكلام الذي يتكلم به (٢٢) . لانا نلمس خلو البيت من اية شاعرية ،
واقترابه من النثرية .

ومن المناسب ان نسوق في هذا الصدد عبارة نكلسن المنصفة

(٢١) الكشف ص ٣٢٩ .

(٢٢) المصدر السابق نفسه .

حول موقف الرسول (ص) من الشعر فقال (٢٣) : « على انه يجب أن تذكر بان تبرّاه لا يشير بالدرجة الاولى الى الفن الشعري ، بل على الأزجح الى شخص الشعراء وسلوكهم بالذات » . وطبيعي أن المقصود بالضمير العائد في الفعل «تبرأ» هو القرآن الكريم، ولكن المستشرقين يسمحون لأنفسهم بمثل هذا التجاوز المؤسف . وتستدعي المناسبة أيضا استشهادا اطول من موضع آخر في كتاب نكلسن حول هذه المسألة الدقيقة (٢٤) : « لم يكن محمد صلى الله عليه وسلم ، سبب تدهور الشعر العربي ، فلا نكاد نحتاج للإشارة الى الرأي الذي ساد أوربا فترة طويلة من الزمن . وهو أن محمدا صلي الله عليه وسلم أفسد ذوق مواطنيه بوضع القرآن الكريم نموذجا للأسلوب الشعري ، لا يرقى اليه احد ، والاستهانة بإنتاج الشعراء الوثنيين الذي كان موضع اطراء واعجاب ، وبفن لشعر بالذات . وما بي ان اذكر قرائي ، بان القرآن الكريم قبل كل شيء ليس شعريا في تكوينه ، لذلك لا يمكن ان يتخذ نموذجا من هذا النوع . وثانيا هو كلام الله بالفعل ، حسب العقيدة الاسلامية ، فهو لذلك نسيج وحده ، لا يمكن محاكاته ، والى ذلك فان الشعراء الذين ادانهم النبي (ص) كانوا على الاكثر خصومه الاكثر خصومة ، الاشد خطورة . فحاربهم ليس باعتبارهم شعراء ، وانما منتجين لمثل خاطئة ، ومدافعين عنها ، ولانهم تهكموا بتعاليمه ، في حين انه اكرم اولئك الذين استخدموا مواهبهم في الطريق الصحيح ، ومنحهم الجوائز ، فاذا كان المغنون البدو والفرسان الذين عاشوا ، وهم ينشدون الشعر ، حياة الصحراء الحرة ، من لم يرق الى مستواهم

(٢٣) تاريخ العرب الادبي ص ٢٥٦ .

(٢٤) نفسه ص ٣٥١ .

امراء الشعر اللامعون في البلاط الامبراطوري في دمشق وبغداد ،
 فليس مرده الى الموقف الشخصي للرسول (ص) بل لظروف مختلفة
 لا يعد مسئولا عنها ، الا الى حد انه اوجد نظاما دينيا وسياسيا ، الهب
 المجتمع العربي بالثورة » . ويؤيد ما ذهب اليه المستشرق ، اقوال
 حملتها اليها اقلام قدامى الادباء العرب ، مثل ابي زيد القرشي ، حيث
 يقول (٢٥) ، ولم يزل النبي صلى الله عليه وسلم يعجبه الشعر ، ويمدح
 به . فيثيب عليه ، ويقول : هو ديوان العرب . ويقول : ان من الشعر
 لحكمة وان من البيان لسحرا . وقال ايضا : اللهم من هجاني فالعنه
 مكان هجاء هجائه لعنة . وقال : الشعر كلام من كلام العرب ، جزل ،
 تتكلم به في نواديها ، وتسئل به الضغائن بينها وانشد :

قلدتك الشعر ياسلامة ذا الافضال والشيء حيثما جعلا
 والشعر يستنزل الكريم كما
 ينزل رعد السحابة السيلا

ومن اقواله صلى الله عليه وسلم (٢٦) : « لاتدع العرب الشعر
 حتى تدع الابل الحنين » .

وليس هذا من الرسول الا احتضانا لثورة يعرف قدرها ، ويمكننا
 ان نوجز موقفه منها في نقاط صغيرة :

- ١ - حارب شعر المدن وخاصة مكة والطائف او بلاد ثقيف لواقعه
 الفكري المعادي للأسلام .
- ٢ - أما الشعر البدوي ، شعر الصحراء ، فكانت له معه مواقف

(٢٥) جمهرة اشعار العرب ص ١٢ . والشعر للاعشى .
 (٢٦) العمدة لابن رشيق ص ٩ .

أخرى وضحتها الأقوال المنسوبة إليه قبل سطور ، ونضع هذا الموقف في صورتين :

أ - نهى عن بعضه لانه كان يحمل فكرا دينيا ، يقاب الفكر الذي يشيع في شعر المحدث ، ويتعارض مع القيم الجديدة التي حملها الاسلام الى العالم . مثال ذلك ، منعه قصيدة الأفوه الأودي من أن تنتشر بين المسلمين لما فيها من ذكر اسماعيل عليه السلام : (٢٧)

ان ترى رأسي فيه نزع وشواي خلة فيها دوار
وهي قصيدة هجاء .

ب - نهى عن بعضه ايضا لانه كان يتعرض لشخصيات اسلامية بالهجاء والشتيم ان يتعرض لشخصيات كانت تعطف على الاسلام في بداياته . مثال ذلك نهيه عن رواية قصيدة الأعشى في هجاء علقمة بن علاثة العامري ، لموقف قديم كان للالة بالنسبة للرسول ، وذلك عندما شعث ابو سفيان من الرسول عند قيصر ، فرد عليه علقمة وكذب أبا سفيان (٢٨) وفيها يقول :

علقم ما أنت السي عامر النقم الأوتار والواتر
سدت بني الاحوص لم تعدهم عامر ساد بني عامر

(٢٧) الطرائف الادبية للميمني ص ١١ ونشر السيد حاتم صالح الضامن رائية الفن الزماني التي تقع في ثمانين بيتا يرد فيها مناقضا الافواه (تنظر مجلة العرب ج ١١ و ١٢ - ٩٠ سنة ١٩٧٥ ونزع تروى قزع) . ايضا . وهي انحسار مقدمة الرأس عن جاني الجبهة . والعرب تتيمن به . قال هذبة بن الخشرم : ولا تنكحى ان فرق الدهر بيننا اغم القفا والوجه ليس بانزعسا ينظر اللسان نزع .

(٢٨) العائق ١/٦٦٤ (طبع القاهرة ١٩٤٥) .

وعامر هنا ، هو ابن الطفيل ، فضله الاعشى على علقمة ، وقيل
اسلم علقمة وكان من المؤلفة قلوبهم^(٢٩) .

ج - ونهى عن كثير من شعر الرثاء ، وخاصة ما قالته قريش في
قتلها يوم بدر :

ماذا بيدر والعنقل من مرازية ججاجح

وهي لامية بن ابي الصلت^(٣٠) .

وكان اصحاب رسول الله (ص) مثله في تذوق الفن الشعري
« ولم يبق اح منهم الا وقد قال الشعر ، وتشل به^(٣١) وقيل للحسن
البصري يوما «أكان اصحاب رسول الله (ص) يمزحون قال : نعم ،
ويتقارضون»^(٣٢) . وقال جابر بن سمرة : « جالست رسول الله (ص)
اكثر من مائة مرة ، فكان اصحابه يتناشدون الأشعار في المسجد ،
واشياء من أمر الجاهلية ، فربما تبسم رسول الله (ص)^(٣٣) وقال
ابو سلمة بن عبد الرحمن : لم يكن اصحاب رسول الله (ص)
متحزقين ولا متماوتين ، كانوا يتناشدون الاشعار ، ويذكرون أمر

(٢٩) جمهرة اشعار العرب ص ٣٠ (ط . بولاق ١٣٠٨) .

(٣٠) الاغاني ١٢٢/٤ . واورد ترجمة لاميته وهي في ديوانه . وانظر
ديوانه . وانظر السيرة حول مدح المشركين لقتلاهم في بدر .
وطبقات الشعراء - حديثه عن الشعر في مكة .

(٣١) جمهرة اشعار العرب ص ١٦ .

(٣٢) الفائق ٣٢٩/٢ (ط . القاهرة ١٩٤٥) .

(٣٣) الطبقات - ابن سعد ٢/١ : ٩٥ (بريل . ليدن ١٣٢٢) .

جاهليتهم ، فاذا اريد احدهم من امر دينه ، دارت حماليق عينيه
كأنه مجنون » (٣٤) .

ولم يلق الشعر عنتا من المسلمين الاوائل ، بل احتفظ بمكانته في
قلوبهم ، واما الذي اندثر وقضى ، فهو شعر المكين ، وشعر المدن
الممالة لها ، وكان قد اساء الى الاسلام اساءات بالغة ، وما مقولة
السحر والكهانة وغيرها ، الملصقة باطلا بالرسول ، من جانب المكين ،
والموجهة ايضا الى القرآن الكريم ، الا لان الفكر والشعر المكى
موصومان بها . ففي الرسالة الشافية (٣٥) : ان عتبة بن ربيعة عاد من
عند النبي ، وكانت قريش ارسلته ليساومه في دينه ، فقرا عليه من سورة
« حم » فذهل عتبة ، فلما رجع ، ونظر المكيون الى وجهه قالوا :
« عاد ابو الوليد بغير اوجه الذي ذهب به ، ما ورائك ؟ » قال : ورائي
اني سمعت قولاً ما سمعت مثله ، وما هو بالشعر ولا السحر ولا
الكهانة . فانظر كيف وضع السحر والكهانة مع الشعر في صف واحد .
ونتذكر كيف كان قسم من الشعراء الجاهليين ، يتصرفون عندما يؤدون
عملية هجاء ضد مهجويهم ، وقد مرت بنا في فصل « اولية الشعر » .

ولقد كان شعراء المدن سحرة وكهانا وصناع اساطير ودعاة نبوات
كاذبة ، اكثر منهم شعراء ملحميين ، لذلك خلا شعرهم من سمات
البطولة الملحوظة في الشعر الجاهلي . قال ابن سلام في شعر مكة
وطائف ثقيف (٣٦) : « وبمكة شعراء ، فأبرعهم شعرا ، عبدالله بن

(٣٤) الفائق ٢٥٧/١ وابن كثير ٢٢٣/١ (ط . السعادة ١٣٥١)
وطبقات النحويين واللغويين للزبيدي ص ٥ مع اختلاف بسيط
جدا في الرواية .

(٣٥) عبدالقاهر الجرجاني ص ١١٥ .

(٣٦) طبقات الشعراء ص ٩١ .

بن الزبيري بن قيس ، وابو طالب بن عبد المطلب شاعرا ، وابو سفيان
بن الحارث شاعر ، ومسافر بن ابي عمرو بن امية شاعر ، وضرار بن
الخطاب شاعر ، وابو عزة الجمحي شاعر واسمه عمرو بن عبد الله ،

وعبد الله بن حذافة السهمي لمزق ، وهيرة بن ابي وهب بن
عامر » . فاین شعر هؤلاء جميعا ؟ اذا كان سقط ولم يصل ، فكيف
نحكم بضعف الشعر في صدر الاسلام . وقال : اصبح الناس يوما ،
وبكة على باب الندوة مكتوب :

الهي قصيا عن المجد الاساطير ورشوة مثل ما ترشى السفاسير
واكلها اللحم بحثا لا خليط له وقولها رحلت " غير أتت غير

وهذا البيتان يغنيان عن بحث طويل في طبيعة الشعر المكّي ، وخلوه
من الملاحم ، لأنهم انصرفوا عن المجد الذي يصنع الملاحم . وقال ابن
سلام ايضا (٣٧) : « وبالطائف شعراء ، وليس بالكثير ، وانما كان يكثر
الشعر بالحروب بين الأحياء ، نحو حرب الأوس والخزرج ، او قوم
يغيرون ويغار عليهم ، والذي قل شعر قريش ، انه لم يكن بينهم فائرة ،
ولم يحاربوا : وذلك قل شعر (عمان) وأهل الطائف في طرف » وهذا
تعليله لاتجاه شعر الطائف وقريش الى مظاهر اعتقادية دينية ، وخلوه من
الملاحم ، أي انه كان شعرا وثنيا وليس بطوليا . ثم يمضي في نفس
المنحى حول شعر المدن وشعرائها « وكان فيهم ابو الصلت بن ربيعة ،
وابنه امية ابن ابي الصلت وهو اشعرهم ، وغيلان بن سلمة ، وكنانة
بن عبد ياليل ، وكان امية كثير العجائب ، يذكر في شعره خلق السموات

(٣٧) نفسه ص ١٠٢-١٠٣ . والسفاسير جمع سفسير وهو السمار .

والأرض ، ويذكر الملائكة ، ويذكر في ذلك ما لم يذكره أحد من الشعراء » . وأورد ابن سلام أخبارا وأشعارا كثيرة له . وأخبرنا عنه أبو الفرج الأصفهاني أنه كان ينتظر ظهور نبي ، وكان يأمل أن يكون هو ذلك النبي ^(٣٨) . وإذا كان الشعراء يعتقدون بأن لهم رؤيا من الجن ، فذلك يقربهم من الكهانة لذلك قالوا بوادي عقر ، واكثروا من ذكر شياطين الشعر ^(٣٩) .

اذن ، فلقد كان الشعر في الأعماق يمثل الجانب البطولي أو الملحمي ، وفي الاطراف يمثل تطورا فكريا للوثنية ، ولذلك لم يكن هم للاسلام ، بين أكثر همومه ، مثل دفع الشعر عن نفسه وعن نبيه ، وليس لاحد ذنب في هذه الحالة الشاذة التي وجد فيها الشعر نفسه تجاه القرآن ، ومن يدري ، لو لم يكن بهذه الحالة ، لكان الشعر من اول الداخلين في الدين الجديد ومع ذلك ، فقد كانت كلمات القرآن الكريم ، تمضي متحذبة ، الى اطراف الجزيرة واعماقها ، وقريش وشعراؤها والآخرين ، مفحمون .

(٣)

والشعراء الجاهليون ، لم تغرب ذواتهم ، ويحسوا بالضياح ، بسبب موقف معاد توجه به الاسلام نحو الشعر ، كما ذكرنا ، فهذه المسألة منتية منذ أمد ، بعد أن غادر الاسلام مكة ، وبعد أن سدد

(٣٨) الاغانى ١٧٩/٣ - ٣/٨ ، ٦٩/١٦ (ساسي) .

(٣٩) جمهرة اشعار العرب ص ١٧ ، ١٨ ذكر اسماء الشعراء الجاهليين واسم كل رأي او تابع لهم .

القرآن الكريم عدة طعنات قوية الى صميم الشعر المكي ، وشعر المدين
فأرداه ، ليخلفه على المسرح ، شعر يسمع منه صوت اسلامي ، ضعيف
في أوله ، وقوي فيما بعد ، وهذه الصورة المادية من صور الصراع
الفكري بين رجعيي مكة وشعرائها من جهة ، وبين الاسلام من جهة
اخرى ، متوقعة . لان الاسلام لا يمكن ان يسمح للشعر على حاله التي
كان عليها ، ان يشين وجهه الحر ، ويملا خيال الناس اوهاما وضلالان
وكهانة واساطير واقوالا لا طائل من ورائها . وحالة الشعر المكي هذه ،
نفسها سوف تعود ثانية في ثوب جديد بعد مضي نصف قرن على الاسلام ،
لتقود اول بادرة جديدة ، مؤداها هذه الغنائية التي اوجدت حركة
عظيمة في الموسيقى والشعر الغنائي ، وشعراء مكة والمدين الحجازية
الأخرى ، اول الذين اخترقوا حاجز الدين ، واجتازوا ستار قدسيته ،
فادخلوا المضامين الجريئة : ذات الطابع المتحدي ، يمثلهم بالدرجة الاولى
عمر بن ابي ربيعة في قوله المشهور (٤٠) :

بدا لي منها معصم يوم جمرت

وكف خضيب زينت بينان

فوالله ما ادري واني لحاسب

بسبع رمين الحجر ام بثمان

وكذلك العرجي في قوله (٢) :

(٤٠) شرح ديوان عمرو بن ابي ربيعة المخزومي ص ٢٦٥ ت : محمد محي

الدين عبد الحميد مطبعة المدني ط ٣ القاهرة ١٩٦٥ .

(٤١) ديوانه ص ٢٠ ت : خضر الطائي ورشيد العبيدي - بغداد ١٩٥٦ .

نلبثُ عاماً كاملاً كله
لا نلتقي إلا على منهج
في الحج أن حجتُ وماذا مني وأهلته أن هي لم تحجج^(٢)
ومحمد بن بشير حيث يقول^(٤) :

استغفر الله ربي من مخدرةٍ
يوماً بدا لي منها الكشح والكثد
من رفقة صاحبونا في ندائهم
كل حرام فما ذموا ولا حمدوا
فخلق القوم واعتموا عمائمهم
فحل كل حرام رأسه لبس
تفرقت لي وأحولت مقاتلها
وخوفتني وقالت بعض ماتجد
أتى نال حجازي بحاجته
أحدي بني القين إذ مادارها يرد^٥

عده الجرأة في اقتحام المعاني المحظورة ، والتطاول على الحرمات ،
واختراق الحواجز والاستار ، هي من طبيعة الشعراء المكيين ، وهؤلاء
الابناء هم اولاد اولئك الآباء الذين ضاع شعرهم أو منع الاسلام
روايته ، وليس غريباً ان تنامي أولى اتجاهات الغناء على يدي المكيين ،

(٤٢) فك الادغام هنا ضرورة ، وان كانت قبيحة في نظر القدماء ،
لأنها من عيوب الفصاحة .

(٤٣) الاغاني ١٤٩/١٤ (ساسي) ٠ و ٦٧/١٦ (دار الثقافة) ت :
احمد عبد الستار فراج . بيروت ١٩٥٩ روى الاخير ب ادنى دارها
برد وبرد موضع .

فللمسألة جذورها ، وللحجاز شخصيته المتميزة في هذا المضمار .
وبعبارة أخرى فإنّ مردّ ذلك الى تركيب خاص في المجتمع المكي ،
يجد مردوده في شعرها .

ولم يغمض الرسول (ص) عن الشعراء حتى في المدينة ، فكان
يقوم افكارهم وعباراتهم والفاظهم ، لتوافق الاسلام ، او يوافق بين
معتقدهم الديني الجديد وبين مواهبهم الشعرية فمن قبيل ذلك ، انصاته
الى النابغة الجعدي ، يقول : (٤٥)

بلغنا السماء مجدنا وجدودنا وانا لنترجو فوق ذلك مظهرا

فيسطع الغضب في عيني الرسول (ص) ويقول له : واين المظهر ؟
فيجيب : الجنة بك يا رسول الله ، فلما بلغ في انشاده قوله :
ولاخير في حلم اذا لم تكن له

بوادر تحمي صفوه ان يكدر

ولاخير في جهل اذا لم يكن له

حليم اذا ما اورد الامر اصدرا

فقال له النبي : « لافض فوك » فبنو جعدة يزعمون انه كان اذا
سقطت له سن نبتت مكانها أخرى ، وغيرهم يزعم انه عاش ثلثمائة عام
ولم تسقط له سن حتى مات (٤٥) .

(٤٤) جمهرة اشعار العرب ص ١٤ . وانظر الخبر في الشعر والشعراء
٢٨٩/١ ت : احمد محمد شاكر دار لمعارف ١٩٦٦ .

(٤٥) لاحظ امتداد الفكر الوثني في مؤلفات المسلمين ، ومسألة
المعمرين من سمات الفكر القديم . وانظر التوافق بين غضب
الرسول ورضاه بعد اقتناعه بجواب النابغة ، ومطابقة البيتين
للحادثة في بداياتها ، ولا يوجد في الاسلام مثل هذه المبالغات .

ويستمع الى كعب بن مالك يقول (٤٦) :

مجالدنا عن جذمنا كل فحمة مذبذبة فيها القوانس تلمع

فيستدرك عليه كلمة جذمنا بكلمة « ديننا » فكان مالك يفتخر بان
الرسول استدرك له في شعره ، وكان ينشدها كما امره . والأمثلة
كثيرة ، وهذا من الرسول واصحابه التزام بادب اسلامي ، يجب ان
تتركز اهدافه ، وتستقر اسسه ، لكي يصبح فيما بعد ، مذهباً في الشعر
والادب ، يوافق نظرة الاسلام الى الحياة ، من مختلف وجوهها
الجديدة .

واذن فالاسلام ، وضع الشعر في مفترق طرق :

ارسل رميته مسددة الى الشعر الملكي والمدني ، فيهرب الى مجاهيل ،
ليست لها بداية ولا نهاية ، ثم بدأ يلقي حتفه فيها . . . ويصمت فلا
يسمع له صوت بعد ذلك ابداً (٤٧) . واظهر مقتبه لبعض قصائد
الجاهليين في بادئ امره ، فمنع روايته ، ونهى الناس عنه ، لان ملاحمه
تحرك في نفوسهم نوازع العصر البطولي الوثني ، بما فيه : العصبية
والمرأة والخمرة . والاسلام تقيض الشعر الجاهلي في اصالته ومضامينه ،
لان للاسلام مثله المغيرة ولغته الجديدة ، ثم دعوته الى بديل للشعر
الجاهلي . . شعر يستشف منه روح عصري اسلامي ، ومنجزات وافكار

(٤٦) ديوانه ص ٢٢٣ . وانظر الخبر في الكامل للمبرد ص ١٢ والسيرة
لابن هشام ١٣٩/٣ .

(٤٧) وخاصة بعد فتح مكة ، حيث ورد في السيرة ، وفي الروض
الانف ذكر لطائفة من شعراء المدن هربوا امام وجه الاسلام ،
وضربوا في اطراف الجزيرة ، ثم هلكوا فيها ، وعلى راسهم امية
ابن ابي الصلت .

اسلامية ، ولم يجهر بذلك حقيقة او علنا ، بل دلت على هذا الاتجاه تحركات الرسول واحاديثه ، وتصرفات الصحابة وجمهرة المعلمين الاوائل ، فلما افاق الناس من انبهارهم بعد مضي زمن ، او بالاحرى بعد انحسار التيار الاول ، المتمثل في شخص الرسول ، والرجال المرافقون لتلك الفترة . وتلك كانت الشبعية الاصيلية في الاسلام ، ثم اعقبها اشخاص يمثلونها ، فهم الصورة بعد افتقاد الاصل ، وهي ليست في قوة الاصل ، لذلك فارقت اكفانها ، مرة أخرى ، اجساد كان يظن انها بليت واندثرت . وتماثلت على الشفاء جروح قديمة احدثتها سيوف المسلمين الاوائل ، ثم أخذ يبدو في شيء من الوضوح ، الوجه القديم للشعر الجاهلي ، ينعكس على مرآة الأدب من حين لآخر ، في بعض قصائد الموهوبين الصغار ، الذين نمت مواهبهم مع نمو اجسامهم واصبحوا فيما بعد عمالقة كبارا . يمارسون العملية الشعرية بالسنة اهل البادية ، لكن أصواتهم خارجة من ثياب اسلامية ، فقد تقمص امرؤ القيس جنود سحيم عبد بني الحسحاس^(٤٨) ، وجسد عمر بن أبي ربيعة ، ولم يتورع الفرزدق من ان يصرح بان قصائده موهوبة اليه من شعراء جاهليين قدامى ، يعدهم واحدا واحدا ، في لاميته^(٤٩) . وهو مفترق طرف ثان ، وضع الاسلام شعراءه فيه . وحدث الشعر المواكب لفترة بني أمية شيئا من التوفيق بين عفة الاسلام وقحة الجاهلية . وهكذا نجح الشعر العربي ، كتيار اصيل في بحور الفن العميقة ، ونجح الاسلام كعقيدة ترقق من طبع الشاعر الجاهلي ، وتهذب من ذهنيته ، وتصفي جوهره . وان العودة الى ينابيع الشعر ، ليس مرضا أصاب

(٤٨) انظر تاريخ الشعر العربي - للبهيتي ص ١٥٢ .

(٤٩) ديوانه ص ٧٢١ .

الشعر الاسلامي ، كما يتوهم ، ولكنها علامات الشفاء العاجل ، والعافية التي سرت في جسد السر ، واعطت ثمارها فيما بعد ، حيث ارتفع صوت الشاعر الفنان ، لا الشاعر المصبوب في القوالب .

واذن فالشاعر الجاهلي ، شاعر الملاحم الفذة ، المنتمي في كهولته ، او شيخوخته الى الاسلام ، ضائع لا محالة ، بين مشاعر الانبهار التي اصيب بها لييد بن ربيعة ، والذهول الذي وقع فيه الشماخ بن ضرار ، فاكثر من وصف البادية والطبيعة والحيوان ، وخيبة الأمل التي اصاب ابن مقبل ، واخفاق الخنساء في ان تخرج من بكائياتها الى شعر اسلامي .

واما الابناء من الجيل النامي ، فان باكورة اعمالهم الشعرية فسي الاسلام ، لا تؤهلهم ان يقودوا حركة جديدة في الشعر ، لأن مثل هذه الحركة سوف يشتد عودها ، فتقودها مواهب شابة ، تنطلق بها في اتجاهات متباينة ، ومن طرق متشعبة ، تتعدى من تصاعد الحركات السياسية ، بعد ان اوراق عود الفلسفة الجديدة ، النابعة من التضاد الفكري الاصيل ، وكذلك الوافد منه .

(٤)

لقد اجملنا واقع الشعر ، لنطلق فنقر حقيقة ، مر بها الدارسون مسلمين فلم يلتفتوا اليها كبير التفات . ولعل محقق ديوان « ابن مقبل » الشاعر في المقدمة الدراسية التي عقدها للديوان ، هو الوحيد الذي اشار الى هذه الحقيقة في معرض حديثه عن ابن مقبل ، قال (٥٠) :

(٥٠) ديوان ابن مقبل : تحقيق الدكتور عزة حسن ص ١١ .

« وبكاء الجاهلية وذكر « أيامها » والشعور بالغربة في الاسلام ، ظاهرة غريبة لانراها عند غير ابن مقبل من الشعراء الذين عاشوا في الجاهلية والاسلام » ، ثم يوضح الباحث هذه الظاهرة او يفسرها « ان ابن مقبل عاش طويلا في الجاهلية ، وانقضت ايام شبابه في بيئة البادية القائمة على حرية الفرد ، ونطلاقه من القيود والارتباطات ، وما يتبعها من اعراض وعادات وتقاليد قبلية ، كانت سائدة منذ اقدم الازمان ، فارتبط بها ارتباطا لا ينفصم . » وقال « ولم يكن من السهل عليهم ان ينتقلوا انتقالا من طور الى طور بين يوم وضحا . وان يدولوا افكارا ومبادئ بافكار ومبادئ اخرى ، كما يخلع الانسان عنه ثوبا قديما باليا ، ليلبس بدلا منه ثوبا جديدا قشيبا » . ثم يورد ابياتا من الشعر ، ينتقيها من ديوانه كأمثلة لهذه الغربة وهي التفاتة طيبة احب ان اقف عندها ، ثم انطلق منها الى هذه الظاهرة الكبيرة في المرحلة الدقيقة من حياة الشاعر العربي ، صانع ملاحم الادب القديم ، ومطور اشكاله الاسلامية والعباسية . . . والى اليوم . وسأشير الى أمور ، وابنه على اخرى .

وأما قوله عن ابن مقبل بانه اغترب في الاسلام ، فهي حقيقة نحن بصدددها ، وأما قوله بانها ظاهرة لم تلحظ عند غيره ، فمسألة لانقره عليها . فالمخضرمون في اعتقادنا كلهم مغتربون ، لأنهم ليسوا من هذه البيئة الجديدة ، على حد تعبيره السابق ، فهم يتنفسون في مناخات لم يخلقوا لها ، كما تنقل اسماك المياه الدافئة الى محيطات باردة . . . وبعض هؤلاء الشعراء اختنق ، لأنه فارق المناخ الملائم نهائيا ، مثل لييد . واذا بكى ابن مقبل صراحة ، فان النزف الروحي لدى غيره ، ليس واضحا تماما ، لكن يمكن ان يلحظ في شعره ، وسوف تغنيا

خطوات البحث القادمة ، عن اقامة الدليل الآن . لكنني اضيف شيئا اغنائي به محقق « ديوان ابن مقبل » حيث يؤكد في نفس حديثه ، بان ليس ابن مقبل وحده هو المغترب ، وانما هناك آخرون معه قال : « وهذا هو السبب فيما ارى في غربة ابن مقبل واضرابه في بيئة الاسلام الجديدة »^(٥١) ، واذن فكلامه المتقدم قبل قليل ، من كون الظاهرة لانراها عند غير ابن مقبل ، لا اساس له . واذا كان يقصد انهم لا يكون صراحة ، فان صور اغترابهم تلمس في وجوه عديدة من ممارساتهم في الحياة والشعر .

وربما كانت الظاهرة قبل فتح مكة اقل وضوحا في اشعارهم ، لان حصن الوثنية لم يكن قد انهار ، وان صناديد قريش المهزومين في كل الساحات ، ما زالوا يملكون الرمق ، يستمدون منه قدرة الدفاع عن قلاعهم المهزوزة ، والشعراء ايضا مازالوا يلوذون هذا الحصن ، يأنسون اليه ، ويجدون عنده عزا نفوسهم المكروبة من مصير مجهول ينتظرهم . وكأنما كان فتح مكة بمثابة ناقوس قرع في اذان الشعراء ، فاغتربوا روحا وجسدا ، فهذا ابو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب يلتمس الدخول على النبي في اول يوم من ايام فتح مكة ، فلم يأذن له ، فلما قيل له انه ابن عمك . قال : لاحاجة لي به ، هتك عرضي ، وقال في بمكة ما قال . فلما خرج الخبر الى ابي سفيان ، وكان معه ابن له صغير ، قال : والله ليأذن لي أو لآخذن بيدي ابني هذا ، ثم لنذهبن في الأرض حتى نموت عطشا وجوعا . فرق له الرسول واذن له ،

(٥١) المصدر السابق نفسه ص ١٢ .

فدخل عليه واسلم^(٥٢) ، وظل الشعر يتلجلج في صدره ، فقال :
لعمرك اني يوم أحمل راية
لتغلب خيل اللات خيل محمد

لكا لمدلج الحيران ان أظلم ليله
بعيدا أرجى حين أهدى واهتدى

هداني هاد غير نفسي وقادني
الى الله من طردت كل مطرد

وقال ابن سلام : فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم انت
طردتني كل مطرد؟! كأنه ينكرها ، يردد ذلك^(٥٣) . فلم ينطق بعد
ذلك بشعر .

فلما فتحت مكة ، وانتهى امر الجزيرة ، لم يبق لدى الشاعر الوثني
من جدر يلوذ بها ، أو حصون يعتصم فيها من طوفان الفكر الجديد ،
سوى ان يحس بالنزف في داخل روحه ، فيخفف من همومه بما يقلل
من هذا الثقل الزهيب ، والشعور بالعتمة والضياع . فاذا تكلم
في موضوع اسلامي ، فهو امر طارئ عليه ، سرعان ما ينزلق لسانه ويعود
الى جسده القديم ، فشاعر مثل حسان يلقي التكريم والتشجيع من
الرسول صلى الله عليه وسلم يجب ان تنصقل ملكته بما يلائم هذا
العهد ، ويزول عنه كل ارتباط بما سبقه ، سواء أكان لغة او شعورا .

(٥٢) ابن هشام : السيرة ٢/ ١٠٠ .

(٥٣) طبقات الشعراء ص ٩٦ .

لكن ما باله ، بعد مضي زمن ، وفي خلافة عمر ، قد تنسم ريح هدية هبت
عليه من اطراف الروم ، بعثها جبلة بن الأبهم ، المرتد عن الاسلام في
الشام ، والمنتصر لدى الروم ، فينطلق لسانه يشعر يمتدح به ارباب
نعمته القدامى ، واولياء امره الأوائل في الجاهلية ، متناسيا انه ينتمي
الان الى عقيدة جديدة ذات ابعاد ، وانه في ظل دولة اسلامية اصبحت
ذات كيانات عالمية ، وفتوح مستمرة . قال (٥٤) :

ان ابن جفنة من بقية معشر

لم يغذهم اباؤهم باللوم

لم ينسني بالشام اذ هو ربها

كلا ولا متصرا بالروم

يعطي الجزيل ولا يراه عنده

الا كبعض عطية المذموم

واتيته يوما فقرب مجلسي

وسقى فرواني من الخرطوم

فقال له رجل في الحاضرين : اتذكر قوما كانوا ملوكا ، فأبادهم

الله فأغناهم . فقال له حسان : اسكت والا طوقتك طوق الحمامة .

واذا صمت ليبد ، فذلك من نزع شديد يعانيه ، او انه كما قدمنا ،

قد اختلق ، والا فهو الى ما قبيل اسلامه ، يجالس القرشيين ويقرأ

(٥٤) الافاني ٦/١٤ ساسى وقوله طوق الحمامة يريد : هجاء يعلق به
ابد الدهر .

عليهم من شعره الكثير ، وغالبية شعره يتسم بطابع ديني ، حتى انه تسبب في لطمة افسدت عين احد المسلمين^(٥٥) ، لكنه عندما دخل الاسلام ، صمت ، ودارى غربته ، بان اكتفى بما انزل الله على رسوله^(٥٦) . ثم تمر المسألة على رجال افاضل من علماء المسلمين ، بعد قرون من الزمان ، فيتناقلونها في كتبهم ، الواحد عن الآخر ولا يلتفتون الى علة هذا السكوت .

وابن مقبل يبكي الجاهلية حقيقة ، ولم تنازعه نفسه في الانتقال الى بلد بعيد يدفن فيه احلام الماضي الجميل ، لكن ابا ذؤيب الهذلي ومالك بن لريب يرافقان جيوش الفتح ، فيقعان في اغتراب آخر جسدي ، اضافة الى غربة نفسية مضنية ، انظر الى معاناة مالك بن الريب^(٥٧) :

أما ترى الدار قفرا لا أنيسَ بها
الا الوحوش وامسى اهلها احتملا
بين المنيعة حيث استن مدفعها
وبين قردة من وحشها قبلا
وقد تقول وما تخفي لجارتها
اني ارى مالك بن الريب قد نحلا
من يشهد الحرب يصلها ويسعرها
تراه مماكسته شاحبا وجلا

(٥٥) سيرة ابن هشام ٣٧١/١ .

(٥٦) معنى هذا انه انصرف الى مدارس علوم الدين الجديد .

(٥٧) مجموعته الشعرية ص ٨٢ في مجلة معهد المخطوطات عدد مايو ١٩٦٩ .

وانظر في قوله (٥٨) :

الا ليت شعري هل ايتن ليلة

بجنب الغضا ازجي القلاص النواجيا

فليت الغضا لم يقطع الركب عرضه

وليت الغضا ماشى الركاب لياليا

ويقول فيها :

ان الله يرجعني من الغزو لا اُرى

وان قل مالي طالبا ما ورائيا

لعمرى لئن غالت خراسان هامتي

لقد كنت عن بابي خراسان نائيا

فاذا قرأت قصيدته البائية ، المثبتة في أول المجموعة (٥٩) ، وهو

يصف دموع ابنته ، ويصف دواخل هذه النفس الانسانية في اشد
حالات عذابها :

اسكتي قد حزتِ بالدمع قلبي

طالما حزن دمعك القلوبا

ادركت ان الشعر في صدر الاسلام لم يكن متخلفا ، ولا قصر عن

سلفه الشعر الجاهلي ، بل ليكاد يكون منه في اساليبه ومضامينه .

ان نظرة فاحصة الى شعر ابي ذؤيب الهذلي ، تدلنا على ان الرجل

هارب من غربة الى غربة . من غربة روحية اغرقته في هموم عصره ،

الى غربة جسدية مع جيوش الفتح ، اغرقته في هموم خاصة وعائلية .

(٥٨) المصدر السابق ص ٨٨ .

(٥٩) نفسه ص ٦٩ .

ومات ابو ذؤيب الهذلي في الغربية (٦٠) ، ومات مالك بن الزيب ايضا في الغربية (٦١) ، مات جسداهما فحسب ، أما الروح فقد فارقت الجسد منذ زمن متقدم ، فكل منهما هارب من نفسه جسده الى بلاد نائية ، لكنه لم يستطع كتمان احساس الغريب ، يلزمه طوال حياته . وبخاصة شاعر مثل ابي ذؤيب ، توالت عليه المصائب ، وكان اخرها هلاك بنيه الخمسة ، مرة واحدة ، بالطاعون .

لقد خلقت الحادثة اليومية ، من هذا البدوي مفكرا يتحدث في الحكمة ، وفيلسوبا صنعته التجارب ، وحنكته الأيام . وكان ابو ذؤيب الهذلي معجبا بالاسلام ، وبشخص الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، لكنه لم يكن في شعره مسلما حقا . كذلك لم تسول لم نفسه يوما ان يزور عاصمة المسلمين او يقصدها ليري الرسول ، كما كان يفعل غيره ، فلما سمع نبأ وفاة الرسول ندم اشد الندم على انه لم يفعل ذلك (٦٢) .

ان هذه الصورة المرسومة امام انظارنا ، هي صورة شاعر جاهلي ، موضوع داخل اطر اسلامية ، وان استقصاء الظاهرة الاغترابية في نفسه ، يستوجب بالضرورة العودة الى الأصول القديمة التي جلست عليها ركائز المجتمع الجاهلي . فلما تفجرت ينايع الدعوة الى الاسلام ، في اماكن مختلفة من الجزيرة ، وحتى سقوط البلدة الحصينة ، مكة ، امام

(٦٠) ديوان الهذليين ص ١ .

(٦١) ديوانه ص ٨٧ (مات في غزو ، وقيل لدغته حية ، واصبح اسطورة عند العرب فقالوا انه مات في خان فرثته الجان لما رات من غربته ووحشته) .

(٦٢) ديوان الهذليين ص ١ .

ضربات جند المسمين المستبسلين في بأس منقطع النظر حول اسوارها ،
لم يعد في القوس منزع ، زحفت مشاعر الغربة الى نفوس البقية الباقية
من شعراء الجاهلية ، لقد استيقظوا ذات صباح ، ليجدوا الوسم المجد
القديم تتساقط من صدور السادة ، وتلقى في شوارع مكة ولا تجد
من يلتفت اليها ، فيهرب امية ن ابي الصلت بعيدا ، خارج الحدود . .
ويموت في الغربة . ومثله ظل هيرة ن ابي وهب تائها في كل وجه ،
حتى قر قراره بنجران فمات فيها ولم يسلم .

الا يعجب احدنا من ان التاريخ يجهل الكثير من مقدمة حياة شاعر
مشهور مثل كعب ن زهير ، بل تكاد اخباره تعمى على كل مستخبر ،
ونحن نقيس على امثال كعب كثيرين ، كم نعرف عن النابغة الجعدي ؟
ابي ذؤيب الهذلي ؟ مالك بن الريب ؟ اصحاب المشويات ؟ بل نحن
لا نعرف عن حياة حسان والحطيئة في الجاهلية شيئا . والغريب ان الذي
نعرفه لا يعادل بعشر ما نعرفه عن شاعر جاهلي في مثل وزنهما ، وفي عصور
متقدمة على الاسلام !!

وهؤلاء جميعا اسلموا ، وكان حظهم من العقيدة متفاوتا ، بعضهم
كان اسلامه رقيقا . وآمن البعض الآخر ، وحسن ايمانه ودينه . ربما
كان حسان وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحة خير الجماعة معتقدا ،
كما هو شائع هذا بالنسبة للشعراء الذين التجأوا الى حصن الدين ،
وامنوا . واما الذين ماتوا على وثنيتهن او عقيدتهن التي كانوا
يعتقدونها ، فلم يبق منهم غير الاسم ، يذكر ابن هشام في السيرة طائفة
منهم ، واذا بقيب لهم اشعار فهي مشوشة ، فارغة من كثير من معانيها
التي قيلت فيها . وما ابقى منها علماء اللغة والخباريون والمؤرخون
الا بقايا لا تنفع لشيء ، لا للدراسة ولا للتذوق . ولانعلم ان كان في

ابقائها ضرر ، لكننا نعلم ان غياب هذا الشعر اثر في الدراسات الأدبية ،
لان المقارنة تكون ذات جدوى عند حضور الضد . وهذا منطق كل
دراسة أدبية وهو ايضا منطق العلم الحديث في هذا العصر .

واذن ، فالأصول التي انبنت عليها قسما وبجه المجتمع الجاهلي ،
كانت سببا في اغتراب الكثيرين ، كما تقدم . وان دخول البعض منهم ،
مكتهاين في الاسلام ، كان سببا في اغتراب هذه البقية التي نبحت فيها .
لقد تبدلت سمات المجتمع القديم على كثير من الشعراء ، ودخلوا المجتمع
الجديدة فاعتربوا ، فمغربو اليوم اوستقراطيو الامس ، والتغيرات
الجزرية التي تصيب المجتمعات اقتصاديا وسياسيا انما تصيبها من
الداخل ، وتحدث تبدلات في الأعماق . لكن ترك آخرين في تمزقات
زهية ، وتبقى نفوس في معزل ، فلا تصل اليها اثار الصراع ، اليكم
هذا المثال الرائع : ابن مقبل . الشاعر المتنفذ في المجتمع الجاهلي والمنتفع
من جميع وجوه امتيازته ، يتضرر من التشريعات الجديدة التي نظمت
حياة الناس ، وبخاصة المتعلقة بالزواج ، فيفرق الاسلام بين ان مقبل
وبين زوجة ابيه التي ورث جسدتها عن والده ، ضمن المتروكات التي
خلفها أبوه . وهي عادة جاهلية تقضي بان يتزوج اكبر الابناء من امرأة
الاب المتوفي زوجها عنها (٦٣) .

وابو محجن شاعر من بلاد ثقيف (٦٤) ، مدينة الخمرة والكروم
الجميلة ، تظل عيناه تدمعان وراء كل قطرة خمر يحرم الاسلام شربها ،

(٦٣) مقدمة ديوانه ص ١٥ وتوجد في الاغاني اخبار متفرقة عن آخرين ،
فرق الاسلام بينهم وبين زوجات ابائهم .
(٦٤) ! وهي الطائف .

بل حتى في ساعة ادعائه هجران شربها ، بعد ان أودى وشرده وسجن
بسببها ، لا يتنازل عن اعتقاده بفوائدها (٦٥) :

رأيت الخمر صالحة وفيها
مناقب تهلك الرجل الحليما

فلا والله اشربها حياتي
ولا اشفى بها ابدا سقيما

فهو يأبى ان ينكر لها منقبة ، مع انه يهجرها تحت تأثير الاسلام ،
وضغط المجتمع الجديد المتجه بعنف نحو أهدافه الجديدة . وكان عمر
بن الخطاب (رضي الله عنه) على جانب عظيم من الذكاء حين لمس هذه
البوادر ، لهذا نهى حسان بن ثابت عن انشاد الشعر في مسجد الرسول
صلى الله عليه وسلم ، لكن حسان يدافع عن فنه ويقول : قد انشدت
فيه ، وفيه من هو خير منك . يريد ، رسول الله صلى الله عليه
وسلم (٦٦) .

(٦٥) ديوانه ص ١٥ .

(٦٦) طبقات النحويين واللفويين ص ٧ .

الباب الرابع

تحليل شعر الايام

الفصل الاول : الاطار العام

الفصل الثاني : الحيوان ومظاهر الطبيعة في شعر الايام

الفصل الثالث : الملك والكاهن والرئيس

الفصل الرابع : عالم الايام

1. $\frac{1}{2} \pi$ and $\frac{3}{2} \pi$

2. $\frac{1}{4} \pi$ and $\frac{5}{4} \pi$

3. $\frac{3}{4} \pi$ and $\frac{7}{4} \pi$

4. $\frac{5}{4} \pi$ and $\frac{7}{4} \pi$ and $\frac{3}{4} \pi$ and $\frac{1}{4} \pi$

5. $\frac{7}{4} \pi$ and $\frac{3}{4} \pi$ and $\frac{1}{4} \pi$ and $\frac{5}{4} \pi$

6. $\frac{3}{4} \pi$ and $\frac{1}{4} \pi$ and $\frac{5}{4} \pi$ and $\frac{7}{4} \pi$

الفصل الاول

الاطار العام

- ١ -

لكي تتصور العالم الشعري الاسطوري للايام والذي كان الناس يعيشون مداه وعمقه بنشوة غامرة ، ويبدو لنا غاية في المحال واللامعقول ، فاننا مطالبون قبل كل شيء باستحضار المناخ الملائم لهذا العالم ، او على الاقل ، تنشيط الخيلة في تصور البيئة التي أنبتت هذه الاحلام ورعتها . وان أي تقصير من هذا الجانب ، يترتب عليه رفض عنيف لاكثر جوانب الصورة ، وربما يؤدي الى انكارها كلها . ولعل احدا لا يعارض في ان العالم الذي نعيش فيه الان بدأت تغادره الى غير رجعة ، ملايين لاتحصى من الخلائق الشقافة والاثيرية التي ترافقه وتجاوره ، بل وتخالط البشر في انماط معيشتهم وسلوكهم ، ولا نعلم ان كان هذا مفيدا لحقا ، ويؤدي بنا الى العالم الجديد الذي ترسمه عقول العلماء ، وتزيح الستار عن جديده ، مركبات الفضاء السابحة في الفراغ ، والعائدة من عوالم بعيدة جدا ، كان اسلافنا يثقون امام امتدادها وغموضها مذهولين ، بلغ بهم خوفهم منها ، ان ذبحوا اولادهم قرايين لابعد نجمة ، وأوحش ظلمة ، واسطع نور ، ولم يكتفوا ذلك بل مضوا يدمرون انفسهم ويبيدونوها في لحظات تعبد رهيب ، او يذلونها اذلالا فظيحا في ازمان زهدية قاسية ، فمشوا على الجمر وألقوا بانفسهم في النيران ، وأدخلوا الابر في اجسامهم واسلموا انفسهم للضواري والوحوش .

وكما وقعت تحولات كبرى في حياة سكان المناطق المختلفة على وجه
الكوكب ، فان تحولات مثلها أصابت الكائنات الحية بعد الانسان ،
حيث بدأت تغلى لنا كثيرا من مواضعها ومواقعها ، وتختفي من
وجودنا الى الابد . ومنذ مئات السنين ، ووجوه كثيرة بدأت تعادر
هذا العالم ولا تعود .. حتى ان بعضنا اخذ يشعر بالوحشة لهذا
الفراق ، وبالغربة تجاه هذه المحنة التي تحل برفيقها الارضي ، منذ
بدأت بانواعها المختلفة .

وهذه ايام العرب تروي لنا قصة الهجرة لقبائل طي من واديهم
« طريب » لانه مسبعة ، فخافوا واستوحشوا ، واتجهوا الى الشمال .
نازلين في الجبلين . وهو خبر « يوم اليمامة » الذي أجد المناسبة
سائحة ، لكي اختصره ، بعد أن كانت له في الباب السابق أهمية كبيرة ،
وهنا فيما نقول أهمية لا تقل عن سابقتها .

وموجز قصة هذا اليوم ، وكان من حقه أن يلحق بكتاب ابي عبيدة
في « الأيام » لو أنه من روايته ، يرويها المفضل الضبي^(١) ، حول الملك
عمليق بن سام : انه كان ملكا على طسم وجديس ، ابني لاوذ بن سام
بن نوح عليه السلام ، وكان في أول مملكه قد تمادى في الظلم والغشم

(١) خبر هذا اليوم معنون باسم (يوم اليمامة) وهو مثل (يوم حلف
عرينة) في الايام التي تمثل أولى حلقات « ايام العرب » ذات
العلاقة المباشرة بملاحم الساميين . ثم تكررت هذه الايام في
الجاهلية القريبة .

انظر المعارف ص ٣٠٨ والسيرة ص ١٦٤/١١ وتاريخ
الطبري ٧٧/١ (بريل) والكامل لابن الاثير ٢٠٤/١ وانظر ايضا
فصل المقال للبكري ١٠٤ وشرح البسامية ص ٦٢ والنويري
٣٣٩/٥ والبغدادى ٣٤٨/١ .

والسيرة بغير الحق . وان امرأة من جدیس كان يقال لها هزيلة ، وكان لها زوج يقال له قرقس^(٢) ، فطلقها وأراد ولدها منها فخاصمته الى عمليق فقالت : « يا ايها الملك : اني حملته تسعا ووضعتہ دفعا ، وارضعته شفعا ، حتى اذا تمت اوصاله ، ودنا فصاله اراد ان يأخذه مني كرها ، ويتركني من بعده ورها » . فقال لزوجها : ما حجتك ؟ قال : حجتي ايها الملك اني قد اعطيتها المهر كاملا ، ولم اصب منها طائلا ، الا وليدا خاملا . فافعل ما كنت فاعلا » . فامر بالغلام ان ينزع منها جميعا ، ويجعل في غلمانه . وقال لهزيلة : ابغيه ولدا ولا تنكحي احدا ، واجزيه صفدا ، فقالت هزيلة : اما النكاح فانما يكون بالمهر ، واما السفاح فانما يكون بالقهر ، ومالي فيها من أمر . فلما سمع ذلك عمليق ، أمر بان تباع هي وزوجها ، فيعطى زوجها خمس ثمنها ، وتعطى هزيلة عشر ثمن زوجها .

فأنشأت تقول :

اتينا أخاطسم ليحكم بيننا
فأفقد حكما في هزيلة ظالما
لعمري لقد حكمت لا متورعا
ولا كنت فيما تبرم الحكم عالما
ندمت ولم أندم واني بعثرتي
وأصبح بعلي في الحكومة نادما
فلما سمع عمليق قولها ، أمر الا تزوج بكر من جدیس ، وتهدي الى زوجها ، حتى يفتريها هو قبل زوجها . فلقوا من ذلك بلاء وجهدا
وذلا .

(٢) النويري : ماش بدل قرقس . والاختلاف كثير في الروايات .

فلم يزل يفعل هذا ، حتى زوجت الشموس ، وهي غفيرة بنت
غفار^(٣) ، اخت الاسود الذي وقع الى جبل طي ، فقتلته طي وسكنوا
الجبل من بعده . فلما ارادوا حملها الى عريستها ، انطلقوا بها الى عمليق
ليناها قبله ، ومعها القيان يتغنين :

ابدري بعليق وقومي فاركبي
وبادري الصبح لأمر معجب
فسوف تلقين الذي لم تطلبي
وما لبكر عنده من مهرب
فلما دخلت عليه افترعها . وكان يقال لها « الشموس » وخلص
سبيلها فخرجت الى قومها ، شاقة درعها من قبل ومن دبر ، والدم
يسيل ، وهي في افطع منظر : وتقول :

لا أحد اذل من جنديس
اهكذا يفعل بالعروس
يرضي بهذا بالقولي حشر
لأخذه الموت كذا لنفسه
وقالت تحرضهم على الثورة :

ايحمل ما يؤتى الى فتياتكم
واتم رجال فيكم عدد النمل

(٣) ويقال غفيرة بنت عباد ، وما ذكرناه هو الاكثر في الروايات .

وتصبح تمشي في الدماء غفيرة
جهارا وزقت في النسياء الى بعل
ولو أقتنا كنا رجالا وكنتم
نساء لكننا لا نقر بهذا الفعل
فسوتوا كراما او أميتوا عدوكم
ودبوا نار الحرب بالحطب الجزل
والا فخلتوا بطنها وتحملوا
الى بلد قفر وموتوا من الهزل
فلكنين خير من مقام على أذى
وللموت خير من مقام على الذل
وان اتم لم تفضبوا بعد هذه
فكونوا نساء لا تعاب من الكحل
ودونكم طيب العروس فانما
خلقت لاثواب العروس وللفضل
ولا تجزعوا في الحرب يا قوم انها
تقوم باقوام كرام على رجل
فيهلك فيها كل نكسر مواكل
ويسلم فيها ذو النجاة والفضل
فبعدا وسحقا للذي ليس دافعا
ويختال يمشي بيننا مشية الفحل

فلما سمع الأسود اخوها ذلك ، وكان سيدا مطاعا ، ثارت الدماء
في وجهه ، وصاح بقومه : ان هؤلاء ليسوا باعز منكم في داركم ، الا
بما كان من ملك صاحبهم علينا وعليهم . ولولا عجزنا ما كان له فضل

علينا • ولو امتنعنا لكان لنا منه النصف • فاطيعوني فيما أمركم به •
فانه عز الدهر ، وذهاب ذل العمر ، واقبلوا رأيي •
ثم عرض عليهم ان يصنع للملك واعوانه طعاما ، فاذا اقبلوا وهم
غارون (أي غافلون) ثأرنا الى سيوفنا واهمداهم •
وينفذ الاسود بن غفار خطته بالملك واعوانه ويبيدهم ، ويقول
الاسود في ذلك :

ذوقي بغيك يا طسم مجللة
فقد اتيت لعمرى أعجب العجب
انا اينما فلم تنفك تقتلهم
والبغي هتج منا سورة الغضب
ولن يعود علينا بغيهم أبدا
ولن يكونوا كذي آف ولا ذئب
وان رعيتم لنا قربى مؤكدة

كنا الأقارب في الأرحام والنسب
وفزعت بقية طسم الى الملك حسان بن تبع في خبر طويل ، فيغزو
اليمامة وهي « جو » ، وقد سميت اليمامة ، باسم المرأة التي كانت
تبصر على بعد مسيرة أيام في خبر لحسان بن تبع فيه شعر ، وتدخل
ضمنه قصة زرقاء اليمامة ، التي رأت الغابة المتحركة باتجاه المدينة ،
وكانت حقيقتها جيش حسان بن تبع ، اقتلع الاشجار ليوهم الزرقاء
بها ، لئلا تبصر جمعهم فتندربهم •

واما الاسود قاتل عميلق ، فموجز خبره ، انه اسلم وجهه للقفار ،
حتى اصطدم بجبلي (اجاو سلمى) وكانا جبليين متوحشين لم يسكنهما
أحد ، فنزله • ثم كان رحيل قبائل طي اليه ، وكانت طي تسكن الجرف

من أرض اليمن ، وكان الوادي مسبعة ، وهم قليل عددهم ، وكان
ينتابهم بعير في ازمان الخريف ولم يدر اين يذهب . وكانت الازد
والاوس والخزرج قد غادرت اليمن ايام العرم ، فاستوحشت طي
لذلك ، وقالوا قد رحل اخواننا وصاروا الى الارياف ، فقال سيدهم
اسامة بن لؤي : ان هذا البعير يأتينا من بلد ريف وخصب ، وأنا لنرى
في بعره النوى » فلما كان الخريف وجاء البعير يضرب في ابلهم ،
اجتمعوا واتبعوه يسرون بسيره ، ويبيتون حيث يبيت ، حتى
هبط على الجبلين . فقال اسامة :

اجعل طريقاً كحبيبٍ ينسى لكل قوم مصبحٌ وممس
وطريب : السهل الذي كانوا فيه ، وهو وطنهم الاول قبل الهجرة
الى الجبلين .

وهجمت طي على النخل في الشعاب ، وعلى مواشي كثيرة ، واذا هم
برجل في شعب من تلك الشعاب ، هو الاسود بن غفار ، فلما اقبل سد
الافق عليهم بطوله ، فهاهم ما رأوا من عظم خلقه وتخوفوه ، ثم جرت
بينهم وبين الاسود محاورات وحروب ، واستطاع اخيرا الغوث بن
اسامة ان يتغفل هذا العملاق ، فرماه بسهم فصرعه ، وأقامت طي
بالجبلين ، فهم هناك الى اليوم .

فهذه الاسطورة وأمثالها كانت بمثابة الاناجيل يحملها الناس في
صدورهم ، والانسان يتحرك في طقوس يمارسها ممارسات متنوعة .
ترق احيانا فتبلغ مستوى الهمة الحائرة ، والدمعة النقية ، وتشتد
فتصل الى تقديم هذا الحيوان الموادع المسالم ، وتسليمه لحد السكين ،
قربانا لاله غافر ، واسترضاء لاله غاضب ، وربما كانت الطقوس ثقيلة

رهية ، فلا تقبل الا ان يكون ضحاياها ارواحا بشرية ، تقدم لتذبح
ذبح الخراف تحت اقدام الاله . فهناك طفل يوشك ان يدفن تحت
حائط كقربان لارساء الاساس . وهذا الطفل يبدي بعض الملاحظات
التي تستدر الدموع من الذين يشهدون مصرعه . وربما قتل لان الملك
يريد ان يشفى من مرض ، بان يستحم في دم طفل . ويقدم الطفل
ابواه ، وعندما يواجه الموت يضحك واذا سألوه عن سبب هذا الضحك
المريب ، قال : ان الاطفال العاديين يلتمسون الحماية لدى آبائهم ، واذا
كانوا يتامى ، التمسوها عند الملوك ، اما هو فقد تحالف الوالدان
والملك ، على ان يسلبوه الحياة^(٤) .

وكلما خطا الزمن خطوة كبيرة ، فاختزل بالخطوة مئات السنين ،
تسافت مئات الآلهة من غروشها العالية ، واندثرت وراءها الآلاف من
الارواح والمردة .

ولم يكن انسان الضحراء ، ليشعر يوما انه وحيد ، وان ليس من
احد سواه في هذه القفار المترامية . فاذا خلت من بشر لم تخل من
حيوان مستأنس ، او مستوحش ، واذا خلت منهما ، لم تخل من
ارواح تمضي وتجيء ، وهو لا يراها ، لكنه يحس بها ، اما هي فتراه
وتحس به ، في اثناء مسيره ، ممتطيا صهوة جواده ، او راكبا ناقته ،
او ماشيا ، وطريقه مخفوف بكل صغيرة وكبيرة . وحوش ضارية ،
وافاع وثعابين فاتكة ، وسعالى واغوال ، ومردة وشياطين . وكان
يحمل في حقيته آلهة الصغير ، وفي صدره طقوس آلهة الكبير ، وتنظر
اليه عيون الآلهة من وراء قبة الليل المدلهم ، فاذا انتصف الليل ، تربع

(٤) الكزاندر كراب ١٧٠-١٧١ .

كبد السماء الآله الأكبر بقرصه المستدير المنير^(٥) ، فاذا اقترب الفجر ،
اعتلت الشرق الآلهة الثانية^(٦) تنسج بضفائرها خيوط النهار الساطع .
وروح هذا البدوى القاطع لمئات الاميال ، عبر الفلوات والجبال
والوديان ، تصطبغ بالمعاني الجليلة والرهيبة ، تتدفق عليه من كل
وجه وسيل .

وانسان الايام ، وهو انسان العصر الجاهلي ، امتلأت دروب
حياته بمنغصات الآلهة المتعددة حوله ، فلم يكن يفرغ من احدها
حتى يقع في الاخرى ، فهو في الصباح عند نصب او حجر وفي المساء
مع صنم البيت الصغير ، وتملاً الافق عرائس الليل مضيئة متلألئة
فيختر ساجدا لكوكب الحسن منها ، وللقمر ، بعد ان تكون قد
استنفدت الآلهة (الشمس) كل مراسيم عبادتها . والمواسم لا ترحمه ،
فلربيع اغنية ، وللحصاد رقصة ، وللمطر شعيرة ، وللريح عزف ،
وللخسوف والكسوف ضراعة ، وللقطف والجني صلاه ، وللميلاد
نذر ، وللاعياد والاعراس اضاح ، وللموت طقوس ، وللقبر قرايين .
ونحن نذكر في الفصول التالية ، اهم المعالم الشعرية والرموز الاسطورية
في الايام ، تتولاها بالتحليل ، ونفتح بها طريقا جديدا في تفسير الشعر
القديم .

(٥) اشارة الى ان القمر عند الساميين هو ابو الآلهة .

(٦) كانت العرب تسمى الشمس الالهة .

1. The first part of the paper discusses the importance of the study of the history of the United States. It is argued that the study of the history of the United States is essential for a full understanding of the country and its people. The paper then discusses the various methods used by historians to study the past, including the use of primary and secondary sources, and the importance of critical thinking in the study of history.

2. The second part of the paper discusses the role of the federal government in the development of the United States. It is argued that the federal government has played a central role in the development of the country, and that its actions have shaped the course of American history. The paper then discusses the various policies and programs of the federal government, and the impact of these policies on the country.

3. The third part of the paper discusses the role of the states in the development of the United States. It is argued that the states have played a central role in the development of the country, and that their actions have shaped the course of American history. The paper then discusses the various policies and programs of the states, and the impact of these policies on the country.

4. The fourth part of the paper discusses the role of the people in the development of the United States. It is argued that the people have played a central role in the development of the country, and that their actions have shaped the course of American history. The paper then discusses the various policies and programs of the people, and the impact of these policies on the country.

5. The fifth part of the paper discusses the role of the economy in the development of the United States. It is argued that the economy has played a central role in the development of the country, and that its actions have shaped the course of American history. The paper then discusses the various policies and programs of the economy, and the impact of these policies on the country.

6. The sixth part of the paper discusses the role of the culture in the development of the United States. It is argued that the culture has played a central role in the development of the country, and that its actions have shaped the course of American history. The paper then discusses the various policies and programs of the culture, and the impact of these policies on the country.

7. The seventh part of the paper discusses the role of the environment in the development of the United States. It is argued that the environment has played a central role in the development of the country, and that its actions have shaped the course of American history. The paper then discusses the various policies and programs of the environment, and the impact of these policies on the country.

8. The eighth part of the paper discusses the role of the military in the development of the United States. It is argued that the military has played a central role in the development of the country, and that its actions have shaped the course of American history. The paper then discusses the various policies and programs of the military, and the impact of these policies on the country.

9. The ninth part of the paper discusses the role of the education system in the development of the United States. It is argued that the education system has played a central role in the development of the country, and that its actions have shaped the course of American history. The paper then discusses the various policies and programs of the education system, and the impact of these policies on the country.

10. The tenth part of the paper discusses the role of the health care system in the development of the United States. It is argued that the health care system has played a central role in the development of the country, and that its actions have shaped the course of American history. The paper then discusses the various policies and programs of the health care system, and the impact of these policies on the country.

الفصل الثاني

الحيوان ومظاهر الطبيعة في شعر الأيام

النور :

واوضح صورة للثور في « ايام العرب » تلك التي تعرضها
الخنساء في « يوم حوزة »^(١) ضمن واحدة من بكائياتها الطوال
العديدات ، ترثي بها اخويها : صخرا ومعاوية ابني عمرو بن الشريد
السلمي .

وهي من قصيدة طويلة مطلعها :

الا ما لعينيك أم مالها لقد اخضل الدمع سربالها

تقول فيها :

ونوح بعثت كمثل الأراخ آنست العين اسبالها^(٢)
فشبهت نسوة الحي على المقتول ، وقصد خرجن مجتمعات ،
« بالأراخ » ، وهو « بقر الوحش » وقيل البكر منها^(٣) ، وقصد رأى
المطر يسقط ، فانطلق يجري تحته ، لان بقر الوحش - كما ينقل
ابو الفرج ، يسنده عن ابي عبيدة - يفرج بالمطر^(٤) . وقال ابو عبيدة
ايضا « ومثله في الفرح بالمطر ، لابن الاحمر قوله^(٥) :
مارية لؤلؤان اللون اوردها طل وبنس عنها فرقد خصر

(١) الاغاني ٧٧/١٥ .

(٢) النوح : النساء يجتمعن للحزن . والعين جمع عيناء : الواسعة
العينين ، والاسبال جمع سبل بالتحريك : المطر .

(٣) الاغاني ٩٣/١٥ ، ٩٦ ، ٩٧ .

(٤) ، (٥) المصدر السابق نفسه .

اي : قوى اتفسمها المطر لما رأته ، والمارية البقرة الوحشية ، والفرقد ولدها^(٦) . وتسمية ولدها بالفرقة ، مبعثه تقديس هذا الحيوان ، ورفعته الى مصاف معبودات السماء . ويرتبط بهذا قول احدهم يصف ثور الوحش^(٧) :

فانقض كالدرى من متحدر لمع العقيقة جناح ليل مظلم
والدرى : الكوكب الثاقب ، والعقيقة ، البرق اذا رأته وسط السحاب ، كأنه سيف مسلول .

وتعتبر فرحة الثور بالمطر ، وكثرة ورودها في الشعر ، ومقارنتها به ، ذات مغزى في تفسير هذا المعنى من القصيدة الجاهلية^(٨) . ونحن نعرف ان للثور برجا مستقلا في السماء ، وكل ما يقال عن هذا الحيوان في الارض ، انما يراد به النموذج المعبود فوقهم ، فتقديس هذا الحيوان الارضي والرهبة منه ، تصبح من لوازم تقديس ذاك ، والرهبة منه .

وكلمة (ثور) العربية تتفق مع شقيقاتها الساميات ، الا في اختلاف بسيط . فهو في البابلية الاشورية (سورو) والعبرية (شور) والارامية والسريانية (ثورا)^(٩) .

ولا اريد ان اتطرق مباشرة الى سيرة حياة هذا الحيوان على ضفاف

(٦) انظر اللسان (لالا ، بنس ، مرا) .

(٧) الحيوان للجاحظ ٢٧٨/٦ - ٢٨٠ .

(٨) قصة ثور الوحش : وتفسير وجودها في القصيدة الجاهلية (بقلم الدكتور عبد الجبار المطلبي - مقالة في مجلة كلية الآداب ببغداد ص ٢٠٣ العدد ١٢ السنة ١٩٦٩ .

(٩) الساميون ولفاتهم ١٩ .

وادي الرافدين ، فهي سيرة فذة ، حافلة ، قلما تنهيا لبشر ، لكنني
اعود الى صلب الموضوع .

ان اقتران فرحة ثور الوحش بالمطر ، انما يؤول الى ما يرمز اليه
هذا الحيوان من سر الخصب عند الجاهليين ، كما يبين ذلك من شعر .
والثور من الآلهة التي اتعشت على ضفاف القرات بين السومريين ،
ثم استقر صنما مجهولا في ركن من نواحي شبه الجزيرة العربية ، عبر
آلاف السنين ورمزا غامضا لدى الشاعر الجاهلي يذكر بتلك التراثيم
والملاحم الدينية القديمة .

ويقول الجاحظ « ومن عادة الشعراء ، اذا كان الشعر مرثية او
موعظة ان تكون الكلاب ، التي تقتل بقر الوحش ، واذا كان الشعر
مديحا ، وقال : كان ناقتي بقرة من صفتها كذا ، ان تكون الكلاب هي
المقتولة . ليس على ان ذلك حكاية عن قصة بعينها ، ولكن الشيران
ربما جرحت الكلاب ، وربما قتلتها ، واما في اكثر ذلك ، فانها تكون
هي المضابة ، والكلاب السائلة الظافرة ، وصاحبها الغانم » (١٠) .

فذا نحن قارنا قتل الثور في ملحمة جلجامش ، بما يقوله الجاحظ ،
اتخذت المناسبة بين موته في الملحمة وبين موته في قصيدة الشاعر
الجاهلي ، لان ثور السماء في ملحمة جلجامش تجسيد للقط ، خلقه
« آنو » آله السماء السومري ، وابو الآلهة ، لاجل عشتار (١١) .
فكأنه لما كان رمزا للقط ، استحق الموت . وكان هذا شأنه ايضا في
المراثي .

(١٠) الحيوان ٢٠/٢ القاهرة ١٩٣٨ .

(١١) ملحمه جلجامش - ساندروز ص ١٠٠ .

الحية :

وتدور للحية رموز في الايام واشعارها ، وهي ايضا موروثة شعبي تنهى الى الشاعر من اجيال بعيدة متقدمة ، فهي تدخل دائما في القصص الديني ، كرمز للخديعة والمكر ، ويقترن ذكرها بالمرأة كثيرا . ويضاف اليها الجن حتى حاول بعض الباحثين ان يوحى بما هنالك من علاقة لفظية بين حواء والحية (١٢) .

وكان الاصمعي يقول « لم يست وحش حتف الله قط ، انما موته عن آفة ، وكذلك الحية فيما زعموا » (١٣) وقيل انها تعمر الف عام ، وانها تحتفظ بمظهرها آلاف السنين ونوع منها كبيرة جدا ولها وجه انسان ، وللحية مكان كبير في الاساطير (١٤) .

وخلقت العرب اسطورة الحيات الجنيات ، واخترعت الوافا من القصص واشهرها تلك التي تروى في سيرة عبيد بن الابرص الشاعر ، والتقاءه باحداهن ، وحديثه اليها ، واتقاذه لها من الرضاء ليسقيها الماء ، وانجادهما له باعادة ابله النافرة في يوم ريح .

والحقوا النعامة بالمرأة والحية والجن ، لانهم اعتبروا الجن مثل رهبان الليل (١٥) lilith تختار القفار وتذهب مع الحيوان ،

(١٢) دائرة المعارف الاسلامية مادة (الحية) ١٦٧/٨ .

(١٣) اللسان مادة ابد .

(١٤) عجائب المخلوقات للقزويني ١/٣٢٢ طبعة ومستنفلد . والدميري

(حياة الحيوان) ١/٢٣٠ طبعة القاهرة والمصدر السابق .

(١٥) تاريخ العرب قبل الاسلام ٤٤/٥ .

وتمتطي النعام . وفي يوم ذي طلوح^(١٦) يستيقظ البطل في الليل ، وقد خيم الظلام على الصحراء الموحشة ، وينظر فلا يرى ناقته ، ويرمسي ببصره في الظلام بحثا عنها فلا يراها ، ويرسل انظاره الى مسافة ابعد ، فتلوح له قطعة من الظلام الحالك تتحرك نحوه ببطء ، فيتوهم ان القادم جيش ، لكن عندما طلع الفجر ، اذا هو باسراب عظيمة من النعام ، وناقته مشدودة اليدين تسير وثبا امام هذه الاسراب . وكان البطل يشير الى ناقته بانها من رهبان الليل عندما ربطها بالنعام .

ولم يعتبروا الحية من فصائل الجان وحسب ، بل هي بنت الجان ، ونوع بارز من أنواعها . فبنو سهم لما اتقمووا من الجن ، اجتمعوا فخرجوا وقتلوا من وجدوا من الحيات ، حتى اضطرت الجن الى طلب الصلح ، لما نزل بهم من قتل فطيع^(١٧) بل وفي يوم انفجار تحرق الغيضة وتنطلق الافاعي البيض من بين ألسنة النيران الى السماء ، ثم يموت رجلان يقال ان الجن قتلتها^(١٨) . ويعمل نولده موتهما بالاختناق بالغاز الذي تصاعد من الاحتراق ، او بغضة ثعبان من الثعابين المخفية بين تلك الاعشاب ، وقد اهاجتها النيران^(١٩) .

وتظهر الحية في يوم عاقل^(٢٠) وكان الصمة الجشمي اغار على بني حنظلة فأسره الجعد بن الشماخ وهزم جيشه ، واصيب فيهم ، ثم ان الجعد من عليه وجزء ناصيته بعد سنة ، وكان الصمة قد ابطأ

(١٦) النقائض ٤٧ ، ٧٨١ والعقد ١٨٩/٥ .

(١٧) تاريخ العرب قبل الاسلام ٤٧/٥ .

(١٨) الاغانى ٢٩٢/٦ ، ١٣٥/٢٠ (ساسى) .

(١٩) تاريخ العرب قبل الاسلام ٤٧/٥ .

(٢٠) النقائض ١٠١٩ .

فداؤه ، وكان الجعد يأتيه كل هلال شهر بأفعى فيحلف بما يحلف ،
لئن هو لم يفد نفسه ليُعِضَّنها إياه . ولم يذكر أبو عبيدة حلفه ،
ولعله ذكره ، وحذفه الرواة ، ويغلب على ظني انه من هذا القبيل ، أي
القسم الطرطمي ، لكنها هنا ، دخلت رمزا ولا تفيد قسما ، كأي رمز
في الادب الملحمي .

وفي يوم البردان^(٢١) ، ترمز الحية الى العلاقة القوية بينها وبين
المرأة ، فقد نام الملك حجر آكل المرار ، بعد ان امر زوجته - على
عادته - ان تجعل عنده عسا مملوءا لبنا . قالت زوجته : « فينما هو
ذات ليلة نائم ، وانا قريبة منه انظر اليه ، اذ اقبل اسود سالخ ، السى
رأسه ، فنحى رأسه ، فمال الى يديه ، واحداهما مقبوضة ، والاخرى
مبسوطة ، فأهوى اليها فقبضها ، فمال الى رجليه ، وقد قبض واحدة ،
وبسط الاخرى ، فأهوى اليها فقبضها ، فمال الى العنق ، شربه ثم
مجه . فقلت : « يستيقظ ، فيشرب ، فيموت ، فاستريح منه » فاتبه
من نومه فقال : علي بالاناء ، فناولته فأشتمه ، فأضطربت يدها حتى
سقط الاناء فأهريق ، فقال : أين ذهب ؟ فقلت : ما رأيته . فقال :
كذبت والله . وتطالعنا هنا صورة من كهانة حجر ، وان الحية هنا
رأيه لو طائفه الذي يخبره في نومه اخبار يومه وصجوه . ولم يتخذ
الملك اي موقف ، لان الصراع تديره قوى خفية احيانا ، ومعروفة
احيانا اخرى . تتجلى في هند ، باعتبارها تحمل صفات تأليه بالنسبة
لشخصيات الايام ، وتتجلى أيضا في الكهانة وخدمتها من الجان ،
ومؤداهها عبودية ابدية يخضع لها الرجل ، تتسلط عليه الاثني بسرهما

(٢١) مجمع الامثال للميداني ٢٣٥/٢ وما بعدها .

الذي تحمله في جسدها ، ومنه سَمَت العرب لقاء النوعين الجنسي ،
بـ «السر» (٢٢) .

وكما ظهرت الحية في يوم «عاقل» والبردان ظهرت ايضا في احد
ايام داحس والغبراء حيث يرثي الحطيئة قيس بن زهير (٢٣) :
ان قيسا كان ميتته

انفقا والحر منطلق
شام نارا باللوى اقتدحت
وشجاع البطن يخنق
في دريس لا يغيبه
رب حر ثوبه خلق

يشير بذلك الى آبدة من اوابدهم حول هذا الحيوان المقدس ،
خلاصتها ان الانسان اذا جاع ، تحرك افعوان بطنه ، يظل يتلوى
ويخنق ، ما لم يطعم شيئا .

(٢٢) اللسان مادة (سر) وهو من بقايا تقديسه لذلك يقال عن الارض
الكريمة : الارض السر . والسرى الرجل الفاضل والرئيس ،
وسنلاحظ تعظيمه وتكريمه . وعضو الذكورة في الرجل يقال
له السر ايضا .

(٢٣) الاشباه النظائر ١/١٢٦ .

الناقة :

وللناقة تاريخ طويل ، يمتد الى عصر اقدم من العصر الذي نحن بصددده . فناقة صالح كما في تاريخ الطبري^(٢٤) ، ولدت من بطن صخرة ارتجفت وظهر في جانبها تنوء كبير ، ظل يدور ، ثم تمخضت الصخرة كما تتمخض المرأة ، فوضعت الناقة . ويصفها الرواة بالعظيمة ، فاذا نحن تأملنا وصفهم ، تبادر الى ذهننا ناقة البسوس في حجم ضرعها وطول قوائمها ، حتى كأن ناقة هذا «اليوم» من «ايام العرب» هي بعينها ناقة صالح ، حيث تظهر المرأة عنصرا هاما الى جانبها ، فالبسوس خالة جساس ، وهي صاحبة الناقة في هذا اليوم ، شجعت جساسا على قتل كليب لانه قتل «السقب»^(٢٥) وهو فصيل الناقة . ثم رمى الناقة في ضرعها^(٢٦) ، وكذلك الحال في ناقة صالح حيث شجعت على عقرها امرأة بارعة الجمال ، وهبت جسدها الى «قدار» عاقر الناقة ، جزاء ما عقرها اما «سقب السماء» في ناقة صالح ، فقد طلبه القوم ليقتلوه ، فارتقى جبلا صغيرا ، فلما ادركوه طال به الجبل وارتفع ، فلم يصلوا اليه . لكن القوم في يوم البسوس قتلوا «السقب» ابن السراب . وقد سموا بالناقة والجمال كثيرا من النجوم «كالنقيق» وهو الجمل العظيم وقالوا عن «سهيل» اذا وقعت عين الجمل عليه مات من ساعته^(٢٧) .

(٢٤) ٢١٥/١ ، ٢٤٥ .

(٢٥) المعارف لابن قتيبة ١٦ وأورد البغدادي ٤/١٩٩ قال الزمخشري:

وكان عليهم كراغية البكر ، يضرب مثلا في الشؤم .

(٢٦) ايام العرب وانظر المصادر في هامش اليوم هناك .

(٢٧) طريق الميثولوجيا عند العرب ص ٩٧ .

واطلقوا على الدبران اسم التالي للنجم ، وهو الذي يجمع قلاصه (٢٨)
كل ليلة ، يتحول بها ، ويسوقها صداقا الى الزهرة التي خطبها ورفضته ،
حيث سعى القمر في تزويجهما ، ومنذ اول الدهر والى اليوم ، وهو
يتبعها . فسمى التابع والتبع ، والتالي للنجم ، وقلاصه معه (٢٩) . قال
طليل الغنوى (٣٠) :

اما ابن طوق فقد اوفى بذمته كما وفى لقلاص النجم حاديها
ويقال له ايضا « حادي النجوم » وهو من النحوس عندهم ، وما
اظن نحوسه الا بسبب قلاصه ، قال كثير عزة (٣١) :

اذا دبران منك يوما لقيته اؤمل ان القاك غدوا باسعد
وورد هذا الشؤم في احد « ايام العرب » حيث لقي عبيد بن
الابرص النعمان ابن المنذر في يوم بؤسه ، فقال شاعرهم (٣٢) :
غداة توخى الملك يلتمس الحبا فصادف نحسا كان كالدبران
وقال الاسود بن يعفر (٣٣) :

ولدت بحادي النجم يتلو قرينه وبالقلب قلب العقرب المتوقد
وهو يشير هنا الى نحوس نجمه ، حيث ولد في « الدبران » و
« العقرب » ، والاشارة الى « العقرب » تذكرنا بأحد آلهة ملحمة
« الانومااليش » وكان يظهر في الليل ايضا بعد ان تهبط الشمس الى
(٢٨) مفردة : قلوص . قال الشاعر :

اذا كانت ربا للقلوص فلا تدع صديقك يمشي خلفها غير راكب
(٢٩ ، ٣٠) المستقصى من امثال العرب - الزمخشري ١/ ١٨٥ .
(٣١ ، ٣٢ ، ٣٣) المصدر السابق نفسه .

الجبل الذي ترقد فيه ليلا ، فيحرسها ، وكان نصفه الاعلى جسدا
آدمي ، والاسفل ينتهي بذيل عقرب ، فكان يقال له الرجل العقرب (٣٤)
واذن ، فالناقة عنصر مقدس ، يدفعهم الى هذا التقديس ، شعور
التشاؤم منها ، في ملاحم الفناء التي تقترن بها ، بعد الصيحة التي
اخذتهم ، اثر ناقة صالح وناقة البسوس وايام الفساد .
ولا نعلم شيئا عن الجمل الذي ذكره الرسول صلى الله عليه وسلم ،
لنفر من طي ، دخلوا عليه في فناء المسجد ، وقد عقلوا رواحلهم في
داخله ، فقال « اني خير لكم من العزى ولاتها ، ومن الجمل الاسود
الذي تعبدونه من دون الله » (٣٥) .

لكن عبادة الجمل ، الواردة في كلام الرسول الكريم ، لها ما
يؤيدها في « يوم الزويرين » والزويران جملان ، اتت تميم بهما ،
وجللتهما ووضعتهما وسط المعركة وقلت : هذان زويرانا ، اي الهانا ،
فكانوا يحاربون ويدورون حولهما تعبدا وتهجدا وكانت ربيعة ،
القبيلة الاخرى المعادية لتميم ، اتت باخذ رجالها المسنين ، وكانت
تقدسه وتتمن به في حروبها ، فجعلوه مقابل الزويرين . وقال الشاعر
العجلى في هذا اليوم (٣٦) :

كانت تميم معشرا ذوى كرم
غلصمة من الغلاصم العظم
ما جبنوا ولا تولوا من امم
قد قاتلوا لو ينفخون في فحم

(٣٤) ملحمة جلجامش - نشر شاندرز ص ١٠١ .

(٣٥) اديان العرب ١٢٤ .

(٣٦) ايام العرب (يوم الزويرين) .

اذ ركبت ضبة اعجاز النعم
فلم تدع ساقا لها ولا قدم
جاؤا بزورهم وجئنا بالاصم
شيخ لنا من عهد عاد وارم
شيخ لنا معاود ضرب البهم
يضرب بالسيف اذا الرمح ناقص
هل غير غار صك غارا فانهمزم

قال ابو عبيدة : والاصم هو عمرو بن قيس ، والزويران بكران
مجللان ، قد قيدوهما ، وقالوا : هذا زويرانا ، اي الهانا ، فلا تفر حتى
يفرا (٣٧) . وقال ابن الاثير في حديثه عن هذا «اليوم» وشعره :
والزويران الهان (٣٨) .

ولقد ترتب على ذلك ان احاطوا الناقة والجمل بتقديس مشوب
بالرهبة ، نظرا للاحداث المروية عنهما في القصص والاساطير داخل ايام
العرب ، ولعلاقة ذلك كله بشعر الايام وما يدور فيه من ملاحم الموت
والفناء ، مثل الذي شاهدناه في « ايام البسوس » حيث يبدأ الفناء
بناقة وفصيلها وامرأة (٣٩) . وهن جميعا يتشاءم بها ، وتنتهي احداثها
بموت بطل مأساتها ، مهلهل بن ربيعة ، تحت ارجل جمل خبطه
بأخفافه فقتله ، لتتم بذلك خيوط ملحمة درامية (٤٠) .

(٣٧) اللسان مادة (زور) .

(٣٨) الكامل لابن الاثير ٣٦٨/١ .

(٣٩) تشاءم العرب بالمرأة والبيت والفرس . وهي مسألة واضحة في
اوابدهم .

(٤٠) نهاية الارب ٤٠٥/١٥ .

وقد نظروا بعين التعظيم الى كل ما يتعلق بالناقة والجمال . فبحروا «البحيرة» وسيبوا «السائبة» ووصلوا «الوصيلة» وحموا «الحامي»، وهي جميعا ، مخلوقات لها تعلق بتقديس الناقة . فالبحيرة ابنة السائبة، والسائبة ناقة تابعت في الحمل اثنتي عشرة سنة ، وجميع صغارها اناث ليس فيهن ذكور ، فتسيب ولا يركب ظهرها ، ولا يجز وبرها ، ولا يشرب لبنها الا ضيف . فاذا تتجت بعد ذلك اناثا ايضا ، شقت آذانها ، وخلي سبيلها ، وهي البحيرة . واما «الوصيلة» فشاة تتجت عشر اناث في خمسة ابطن ليس فيهن ذكر . والحامي فحل الابل ، تتج له عشر اناث متتابعات ميس بينهن ذكر وعندئذ يحمى ظهره (٤١) . ونستطيع ان نشاهد اصداء لهذه الكائنات في « ايام العرب » . ففي « يوم الخربة » (٤٢) كانت للملك الغساني ناقة محماة ، في عنقها مديّة وزناد وصرة ملح ، وانما يختبر بذلك رعيته ، هل يجترىء عليه احد منهم ، ومع الحارث امرأتان ، فوحمت احدى امرأتيه . واصابت الناس سنة شديدة ، فطلبت الشحم اليه ، قال : واني لي بالشحم والودك ؟ فألحت عليه ، فعمد الى الناقة فأدخلها بطن واد ، فلب في سبلتها (اي : طعن) فأكلت امرأته ، ورفعت ما بقى من الشحم في عكتها . قال : وفقدت الناقة فوجدت نحيرا ، لم يؤخذ منها الا السنام ، فأعلموا ذلك الملك . وخفى عليهم من فعله . فارسل الى الخمس التغلبي ، وكان كاهنا ، فقال : من نحر الناقة ؟ فذكر ان الحارث بن ظالم نحرها . فتذمم الملك ، وكذب عنه « وهكذا يتصل حديث الكاهن بحديث الناقة (المحماة) وتستمر الرواية .

(٤١) ابن هشام ٥١-٥٧ الطبري (تفسير) ٥٣/٧ .

(٤٢) العقد الفريد ١٤٦/٥

وفي يوم البسوس^(٤٣) ، ان قوما اغاروا على ابل جرية بن اوس فاطردوها ، غير ناقة حرام ، فركبها ولحقهم ، فمنعوه من ذلك ، فقال : « حرامه يركب من لا حلال له » . فارسلها مثلاً . وقد نهى القرآن الكريم عنها . قال تعالى في سورة الانعام^(٤٤) : وقالوا انعام وحرث حجر ، لا يطعمها الا من نشاء بزعمهم ، وانعام حرمت ظهورها ، وانعام لا يذكرون اسم الله عليها » . وفي سورة المائدة : « ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام »^(٤٥) .

وامام هذه الرهبة والقدسية ، تتماثل لآعينهم اسباب التشاؤم منها ، ومما تحمل في بطونها . وذلك في قول زهير بن ابي سلمى^(٤٦) في ايام داحس :

فتنتج لكم غلمان اشأم كلهم كاحمر عاد ثم تلقح فتثم

ومثل ذلك ، قول الحارث بن عباد في ايام البسوس^(٤٧) :

قربا مربط النعامة مني لقت حرب وائل عن حيال

واراد الناقة كانت حائلة بلا حمل ، ثم حملت ، فكنى عن الشر بحملها . ولا نعلم ماذا كانوا يفعلون عندما تحمل الناقة وتنتج ، لكن حملها عندهم كان يسمى «الشول» وهو في اللغة الضراب . فسمى الجاهليون اسم الشهر الذي تتلقح به : «شوال» وتشاءموا منه ،

(٤٣) آية ١٣٩ .

(٤٤) آية ١٣٩ .

(٤٥) آية ١٠٤ .

(٤٦) انظر المعلقة في مختارات الشعر الجاهلي للاعلم الشنتمري ٢٦٧ ط. مصر ت: عبدالمتعال الصعيدي .

(٤٧) العقد الفريد ٢٢١/٥ والافاني ٤٧/٥ ، ٥٩ .

فامتنعوا عن تزويج اولادهم وبناتهم فيه^(٤٨) . ويتلقى الشعراء في
اجيال لاحقة هذه التقاليد الشعرية ، فيفرغونها في مضامين يحسون
بعمق مدلولها وسر الاسطورة فيها ، فيقول ابو الشيص^(٤٩) :

ما فرق الاحباب بعد الله الا الابل
والناس يلحون غراب البين لما جهلوا
وما اذا صاح غراب في الديار احتملوا
وما على ظهر غراب البين تطوى الرحل
وما غراب الابين الا ناقة او جمل

وقال آخر^(٥٠) :

لهن الوجى اذ كن عوننا على النوى
ولا زال منها ضالع وكسير
وما الشؤم من نعب الغراب ونعقه
وما الشؤم الا ناقة وبعير

ولا غرابة في ان ينصف الغراب في هذين الموضعين من الشعر ،
وقد سبق ان انصفته الملاحم ، فهو احد العلامات على اليابسة بعد
الطوفان . ومع ان الحمامة عادت الى السفينة تحمل في منقارها غصن
الزيتون ، الا ان الغراب لم يعد لانه تاه في الارض .

وفي يوم « شعب جيلة »^(٥١) وقد تركزت جيوش الاحاليف على

(٤٨) الآثار الباقية - البيروني ٣٢٥ .

(٤٩) العقد الفريد ٣٤٨/٥ .

(٥٠) العقد الفريد . الموضع السابق نفسه .

(٥١) ايام العرب (يوم دامس والغبراء)

سفحه ، والعامريون والعيسون في رأس الجبل ، وبين شعابه ، نزل
جمل اعور ، اجرب ، فيه صيّد ، أخذ ، أعضل ، كاشر عن انيابه .
فمر بالجيش فتشاءموا به . وكان الجمل من عصفير^(٥٢) النعمان بن
المنذر ، فاعتبره الحزاة^(٥٣) نذير شؤم لجيش الاحاليف المفسير على
العامريين والعيسيين ، ونصحوا الناس بالعودة ، وكانوا ألوفا ، لم
تجتمع العرب مثل هذا التجمع في الجاهلية . فأبى لقيط بن زرارة
وكان على الجيش ، وقال : سيكون هذا فحل ابلي غدا .

ويحدثنا ابو عبيدة^(٥٤) عن قوم تحالفوا ، بان نحروا جملا أجرب ،
أكلوا لحمه ، وغمسوا ايديهم في دمه ، وهم ولد كعب بن سعد بن زيد
مناة بن تميم . ومثل ذلك وقع في « يوم الفروق » عندما اقترح احد
الطرفين المتحالفين نحر الجزر والخوض في دمائها ، وهو اعتقادهم اشد
للحلف^(٥٥) .

ويمكن ان نرد تشاؤمهم وخوفهم الى أنهم كانوا ينظرون الى هذا
الحيوان باعتباره متقمصا لروح الاله ، فكانوا يخشون نفثته عندما
يمرون ، وهم فوق ظهره ، على أرض مقدسة ، أو حتى لاله ، او قبر
لعظيم او رئيس او مؤله . وهذه النفرة لها في نفوسهم جلال وهيبة .
فهم يبادرون الى تحرر مطيتهم اذا شعرو انها نفثت . وظلت هذه العادة
متحكمة فيهم ، حتى ظهر الاسلام وابطالها . ولنا في خبر يوم الكديد
من نفرة ناقة شعراء الايام ، على قبر ربيعة بن مكرم ، بطل اليوم

(٥٢) العصفير هنا : نوع من الابل النجبية كانت لدى الملك النعمان .

(٥٣) الحزاة ، جمع حازى وهو كالعائف والعراف والكاهن .

(٥٤) نقائض جرير والفرزدق ٩٧٠ .

(٥٥) ايام العرب (يوم دامس)

المذكور ، خير مثال لذلك . وكانت الاقوام يومئذ على مختلف قبائلها ،
تعظم قبر ربيعة وتكرمه ، وتنحرف عنده ، لكن الشاعر اعتذر ببعد السفر
ووحشة الطريق عن نحر ناقته ، فقال (٥٦) :

تفرت قلوصي من حجارة حرّة
بثيت على طلق اليدين وهوب
لاتنفري ياناك منه فائه
سباء خمرة مسعر لحروب
لولا السيفار ويثعد خرق مهنه
لتركثها تحبو على العرقوب
نعم الفتى أدّى نيشة بزّه
يوم الكديد نيشة بن حبيب
لايعدن ربيعة بن مكدّم
وسقى الغوادي قبره بذثوب
فلما بلغ شعره بني كنانة قالوا : والله لو عقرها لسقنا اليه ألف
ناقة سود الحدق .

وقال جعفر بن حلاس ، وقد تفرت ناقته ايض (٥٧) :

تفرت قلوصي من عقائر صرّعت
حول السّعير تزوره آبنا يقندّم
وجموع يذكر مهطعين جنابة
ما ان يحير اليهم بتكشم

(٥٦) المصدر السابق ٢٦٧ وانظر الاغاني ١٦/٥٨، ٦٤ .

(٥٧) الاصنام ص ٤١ والسّعير اله .

واغرب من ذلك كله ، انهم التفتوا الى ظاهرة تميز الابل عن غيرها من الحيوان ممن يقتات على العشب والكلأ . فقد رأوا ان الابل تولع بأكل عظامهم اذا ماتوا ، ولا يوجد حيوان من رتبته يأكل عظام الموتى من البشر . فكانوا يثأرون لانفسهم منها في حياتهم ، فأفراطوا في نحرها وعقرها ، وربطوا ذلك بشجرة الكرم ، كأن نحرهم لها في حياتهم كان انقاذا لانفسهم منها بعد مماتهم ، قال لبيد (٥٨) :

والنيب ان تعر مني رمة بعد الممات فاني كنت اتر

وهذا البيت مذكور في « يوم الفروقين » مع قصيدة يائية طويلة لعنترة ، وفيها بيت يعالج نفس المعنى (٥٩) :

تهاديتم استاه نيب تجمعت على رمة من العظام تفاديا

فتدخل الابل هنا مرة اخرى ، كرمز للفناء الابدى الذي هو اصل في دورة الحياة المتجددة . لذلك جعلوا من الناقة السفينة في الملاحم الكونية القديمة ، تحملهم الى العالم الثاني . وهو مر ظاهر جدا في مفهوم « ابلية » التي كانوا يرتبطونها عند قبر الميت ساعة دفنه ، والبلية لا تكون الا ناقة ، تعقل وتترك الى جانب القبر ، وربما حفروا لها ايضا ، حتى يدركها الموت . فاذا نهض الميت من قبره ، وجدها قريبة منه ،

(٥٨) النقائض ٤٢٢ والنيب : المسان من الابل . وقوله « تعر » تأتي . يقال : عروته ، واعتروته اذا اتيت اتيته ، وقله اثر ، اي كنت اخذ بثأري ، فهذه النيب اذا اكلت عظامي بعد موتي ا فقد كنت اصنع بها هذا الصنيع ، كأنني ادرك بثأري مسبقا وانال حاجتي . قال ابو عبيدة : والابل تأكل العظام البالية .

(٥٩) المصدر السابق نفسه .

وامتطأها عابرا عليها الى العالم الآخر (٦٠) والناقة التي يصفها طرفه في معلقته ، ويمعن في تحليل عناصرها ، ويدقق النظر في اجزائها وجزئياتها ، ليست الا سفينة العبور الى الحياة الثانية . فهي تشبه الواح نوح التي صنع منها الفلك الذي أنقذهم من الطوفان ، وهو نفس الفلك في الملاحم القديمة ، والذي صنعه اتونبشتم ، او الذي عبر به جلعامش بحار الموت ، قاصدا الاله القصي (اتونبشتم) يسأله عن نبات الخلود ، وكأن الوجود الابدي او الخلود ، لن يتم الا عن طريق الموت او العدم . كذلك شاعر الايام في حديثه عن الناقة التي كانت سفينته في الحياة الفانية ، قاهرا بها الموت في الصحاري الموحشات ، ثم كانت له سفينة الى الحياة الثانية بعد ان يغادر القبر ، عابرا بها الطريق الى الخلود .

والنخلة في ايام العرب ، يتخذها المتحاربون رمزا مقدسا ، وعلامة لايقاف القتال عند ابتداء مواسم الحج او لاسواق أو أي موسم آخر (٦١) وقيل عن اهل نجران ، انهم كانوا يعبدون نخلة طويلة ، لها كل سنة طقوس واعياد يقيمونها حولها (٦٢) .

والنخلة في ادب وادي الرافدين تمثل الحياة وشجرتها ، وهي

(٦٠) النهاية ١١٥/١ . التاج ٢٣/١٠ . واللسان ٩٢/١٨ .

(٦١) الكامل لابن الاثير ٤١٥/١ « المنيرية » ففي ايام الاوس والخزرج ، وبالذات يوم معبس ومضرس اتخذوا النخلة رمزا لهدنة الى ان تنقضي ايام العمرة .

(٦٢) تاريخ الرسل والملوك للطبري ٩٢٢/١ .

ترمز الى تجدد هذه الحياة تجدد ابدى^(٦٣) . وفسر العلماء اسم جلجامش في الادب السومري (الرجل الذي سينبت شجرة جديدة^(٦٤)) . أي الذي سينجب أسرة .

والشجرة البابلية المقدسة مزيج من نخلة ونبات مخروطي Conifer يحف بها من اليمين والشمال ، جنيان لهما رأس انسان او نسر ، يمدان أيديهما في الغالب الى ثمرة على الشجرة ، لعلها عنقود من البلح . والغرض من مد الايدي ، كما يرى « هاوبت » هو نقل حبوب اللقاح من ازهار النخيل المذكورة الى ازهار النخيل المؤنثة ، ليتم الاخصاب^(٦٥) . وفكرة الاخصاب هذه مذكورة في الامثال ، فما كانت العرب تتكلم به في امثالها على السنة الاشياء ، ان نخلة قالت لآخرى :

« ابعدي ظلي عن ظلك ، أحمل حملي وحملك »^(٦٦) .

ويظهر تقديس الاشجار في يوم آخر ، غير مذكورناه من ايام العرب ، وذلك بعد ان انصرف حرب بن امية ومرداس بن ابي عامر من حرب الفجار ، فمروا بغضية تدعى « القرية » واتفقوا على ان يحرقوا شجرها ليزد رعوها ، فلما شبت النار بها انطلقت في سماء الغيضة حبات بيض تنطلق مع الدخان ، ثم قتلت الجن بعد ذلك امية ، وخنقت مرداساء قال ابو الفرج الاصفهاني^(٦٧) : « فأضرم النار في الغيضة ، فلما

(٦٣) الحضارات السامية القديمة ص ٩٠ .

(٦٤) مقدمة ملحمة جلجامش - طه باقر ص ٣٠ .

(٦٥) سبتيانو ص ٩٠ .

(٦٦) شرح المفضليات - ابن التباري ١٢٥ .

(٦٧) الاغانى ٣٤١/٦ ومعجم ما استعجم للبكري ٧٣٥/٢ .

استطارت وعلا لهبها من الغيضة اذين وضجيج كثير ، ثم ظهرت منها
حيات بيض تطير ، وخرجت منها . وقال مرداس بن ابي عامر في ذلك :

اني اتخبت لها حربا واخوته
اني بجبل وثيق العقد دستاس
اني اقوّم قبل الأمر حجته
كيما يقال : ولي الأمر مرداس

قال : فسمعوا هاتفا يقول لما احترقت الغيضة :

ويل لحرب فارسا مطاعننا مخالسا
ولي لعمر فارسا جاججا عنايسا

وقال ابنه عباس بن مرداس ، لما حاول كليب بن عهمة ان يأخذ
الغيضة من يديه . وقد ذكرها مصنف النقائض ضمن اخبار «البسوس»
لانه يشبه كليبيا هذا ، بكليب بن ربيعة ، لكن مكانها في يوم الفجار لان
الحادثة ارتبطت بيوم «عكاظ» من ايام الفجار (٦٨) :

أكلب مالك كل يوم ظالما
والظلم انكد وجهه ملعون
افعل بقومك ما أراد بوائل
يوم الغدير سميثك المطعون
واخال انك سوف تلقى مثلها
في صفحتك سنانها المسنون

(٦٨) النقائض ٩٠٧ والاغاني ٣٨/٥ ، ٣٤١/٦ .

قد كان قومك يزعمونك سيدا

واخال انك سيد معيون

وللعلماء الاثروبولوجيين اهتمامات كبيرة بتقديس الغيصات من ذلك قول فريزر^(٦٩) Frazer « وتكون الغيضة في ارض فضاء ، تتناثر فيها الاشجار كانت تعلق عليها في العصور الغابرة جلود الضحايا والقرابين » . وقال « وكان المتعبدون يتجمعون امامها ، ويرتل الكاهن صلواته ، كما تنحر الاضاحي عند جذورها ، بينما كانت اغصانها منبرا للخطابة والوعظ في بعض الاحيان . ولم يكن يسمح بحرق اية قطعة من اخشابها او قطع اي نوع من اشجارها ، كما كان يحرم ، بوجه عام ، دخولها ، على النساء » .

ومثل هذا الكلام ذكره صاحب السيرة ، بان ذات انواط شجرة عظيمة^(٧٠) ، كانت لكفار قريش ، يأتونها كل سنة ، يعلقون اسلحتهم عليها ، ويذبحون عندها ، ويعكفون عليها يوما . فطلب بعض المسلمين من الرسول صلى الله عليه وسلم ، وقد رأوا شجرة عظيمة في طريق مسيرهم الى حنين ، ان يجعل لهم ذات انواط ، كما لقريش ذات انواط فغضب ، وذكرهم بطلب قوم موسى ان يجعل لهم الالهة كما لاعدائهم اله^(٧١) . ويذكر فريزر ايضا انه كانت في مدينة « اوسالا » العاصمة ، وهي المدينة القديمة ، للسويد ، غيضة مقدسة ، تتمتع اشجارها كلها بالقداسة ذاتها التي يتمتع بها الالهة . ولقد كان اللتوانيون الوطنيون

(٦٩) الفصن الذهبي ٣٨٩ .

(٧٠) وتعرف الشمس بذات انواط ايضا . وقد تفضل شاعر مخضرم بشجرة عندما حضر عمر بن الخطاب الغزل ، ونهى الشعراء عنه .

(٧١) ابن هشام ٨٤٤ (جوتنجن ١٨٦٠ م) .

يعبدون الاشجار والاحراج، ولم يتحولوا الى المسيحية الا في نهاية القرن الرابع عشر، وكانت عبادة الشجر ما تزال سائدة بينهم، حين اعتنقوا الدين الجديد . وكان بعضهم يقيم غيصات مقدسة ، حول قراهم او منازلهم . وكان مجرد قطع فرع صغير في احدى اشجارها يعتبر اثماً لا يغتفر ، كما كانوا يعتقدون ، ان من يقطع احد الانصان من هذه الغيصات ، اما ان يموت فجأة او يصاب بالشلل في احد اطرافه (٧٢) . وما تزال هذه العقيدة سائدة بين الناس الى اليوم ، وقسم كبير من بسطائهم يتهيبون من قطع نخلة أو شجرة سدر . ولا يفعلون ذلك الا بعد ان يضحوا لها بالقرابين ، مهما كانت . وهو اعتقاد مبعثه وجود روح تسكن هذه الشجرة .

آلهة ومعبودات :

ويبدي لنا شعر الايام الوانا من الصور لانواع الآلهة ، ما بين تمثال جميل منحوت ، او صخرة منتصبة ، او نجمة مطقة في كبد السماء البعيدة . وربما تشكل الاله الواحد عندهم عدة اشكال فيظهر في صورة تمثال أو صخرة او شجرة او كوكب ، وقد يكون هو نفسه شيطانا او ماردا من جن ، كالذي نراه في « العزى » .

ومثال الصنم الوارد في الايام ، هو الضيزن ، وقد كان لدى الملك جذيمة الأبرش في « اليوم » الموسوم باسمه ، صنمان يقال لهما : الضيزنان . كان الملك يتيمن بهما في حربه ، فهما يكونان مع الجيش ،

(٧٢) الفصن الذهبي ٣٨٨ .

وأسرا فاسترجعهما الملك بعد جهد (٧٣) .

واستصحاب الآلهة في الحروب ظاهرة ملحوظة في الجاهلية ، وتكرر في الأيام أيضا . ففي يوم « الزويرين » جاءت تميم بجمالين تعبدتهما ، وجعلته في وسطها ، وكانت تحارب وتدور حوله ، وجاءت بكر بأحد رؤسائها المسنين ، وكان تتيمن به في حروبها (٧٤) .

وفي يوم ذي قار صنم يدعى « سبد » لا نعرف له أصلا ، فلم يذكر في غير هذا اليوم من أيام العرب ، لكن الأب انستاس الكرملني رد أصله إلى (سوبدو) الآلهة الذي كان معروفا عند أبناء وادي النيل (٧٥) .

وفي يوم الفجار قصة الآلهة المعروف بالدوار (٧٦) ، وهو الذي ذكره امرؤ القيس في شعره :

فمن لنا سرب كأن نعاجه عذارى دوار في ملاء مزيل

قال ابن منظور : والاشهر باسم الصنم دوار وبضم الدال وقد تشدد الواو (٧٧) وقال النابغة : (٧٨)

(٧٣) خبره برواية ابن الكلبي في الاغانى ٣١٢/١٥ والطبري ٧٥٠/٢ (بريل) وابن الاثير ١٩٦/١ وشرح المقامات للشريشي ٣/٢ (ط . بولاق) وذكر في الاغانى ١٤٠/٢ اسم الضيزن ، صاحب الحضر .

(٧٤) ايام العرب ، يوم الزويرين .

(٧٥) انظر صحيفة دار العروبة البغدادية عدد تشرين سنة ١٩١٩ .

(٧٦) اللسان مادة (دور) والسرب القطيع من البقر والظباء والمراد به

ها هنا البقر شبهها في طول اذناها ومشيتها ، بجوار يدرن حول

صنم ، وعليهم الملاء . والمزيل : الطويل المهذب .

(٧٧) جمهرة اشعار العرب للقرشي ص ٧٧ .

(٧٨) ديوان الحماسة لابي تمام ١٦٧/١ .

لأعرفن ربربا حورا مدامعها كأنهن نعا ج حول دوار

وقال عنتره في يوم من أيام داحس والغبراء (٧٩) :

تركت بني الهجيم لهم دوار اذا تمضي جماعتهم تعود

وأما دوار يوم الفجار (٧٩) ، كان حول قبة سبيعة بنت عبد شمس بن عبد مناف التي ضربها عليها مسعود بن معتب ، وقال لها من دخلها من قريش هو آمن . فجعلت توصل من خبائها ليتسع ، فقال لها لا يتجاوزني خباؤك ، فاني لا أمضي الا من احاط به الخباء ، فاحفظيها . فقالت له :

— اما والله اني لأظن أنك ستود ان لو زدت في توسعته .

وفعلا ، انهزمت قيس وانتصرت قريش في آخر المعركة .

فلما انهزمت قيس ، دخلوا خبائها مستجيرين بها ، فأجار لها حرب بن أمية جيرانها ، وقال لها :

— يا عمة ، من تمسك باطناب خباءك او دار حوله فهو آمن .

فنادت بذلك ، فاستدارت قيس بخبائها حتى كثروا جدا ، فلم يبق أحد لانجاة عنده ، الا دار بخبائها ، فقليل لذلك الموضع «مدارقيس» وكان يضرب به المثل ، فتغضب قيس منه . فكان زوجها مسعود بن معتب ، قد أخرج معه يومئذ بنيه الى الحرب ، وهم عروة ، ولوحة ، ونويرة ، والأسود . فكانوا يدورون وهم غلمان في قيس ، يأخذون بأيديهم الى خباء أمهم ، ليجيروهم فيسودوا ، بذلك امرتهم أمهم ان يفعلوا .

(٧٩) أيام العرب (أيام عيس وذبيان) .

وكوكب الزهرة ، وهي عند اليونان افروديت وعند السرايين « كوكبتا »^(٨٠) ويريدون بها كوكب الصباح او كوكب الحزن ، وكانت تمثل بابل على صورة امرأة حسناء عارية ، واطلقوا عليها اسم عشتروت^(٨١) . وذكرت لها امية بنت عبد شمس ترثي ابن اخيها ابا سفيان بن امية في يوم الفجار^(٨٢) :

أبى ليك لا يذهب	ونط الطرف بالكوكب
ونجم دونه الأهوا	ل بين الدلو والعرب
وهذا الصبح لا يأتي	ولا يدنو ولا يقرب
بعقر عشيرة منا	كرام الخيم والمنصب
أجال عليهم دهر	حديد الناب والمخلب

والزهرة معبودة اللخميين ، لأن طقوس عبادتها رهيبة جدا ، وضحاياها من البشر : فتيات وفتيانا في عمر الزهور ، ورجالا ونساء آخرين . فقد جاء في خبر « يوم عبيد » ان المنذر قدم نديميه والشاعر الجاهلي المعروف عبيد بن الارص قرابين لهذه الالهة القاسية^(٨٣) وكان

(٨٠) طريق الميثولوجيا عند العرب ٧٠ .

(٨١) نفسه ص ٨٨ .

(٨٢) الاغاني ٨٢/١٩ (ساسي) .

(٨٣) المصدر السابق ٨٨/١٩ (ساسي) ٤١٠/٢٣ (ثقافة) والغربان قبرا مالك وعقيل ، سيما غريين لان النعمان بن المنذر كان يغريهما بدم من بقتله يوم يؤسه . ولست ارى يوم البؤس الا هذه التقاليد الدينية الصعبة جدا ، واما يوم النعيم فهي افراح واعياد هذه الالهة ، حيث يقدم الملك الهدايا لرعاياه . وعبارة الاغاني ، نسخة ساسي مصحفة وهي (وكان يغذي بدمهم الغربان) وصوابها ، كما في نسخة الثقافة (وكان يغري بدمهم الغربان) .

قبلهم قد قدم في « يوم اباغ » ابن خصمه الملك الحارث الغساني
واربعمئة راهبة أسيرة ، كن متنسكات في بعض اديرة العراق (٨٤) .

ويخيل الى ان هذه الشعيرة ، ظلت تمارس لدى اللخمين الى
عصر النابغة ، وكانت سببا في الرهبة المدمرة التي اجتاحتها وكاد يذهب
قربانا ، لولا الدموع التي سكبها . وما اعتذاراته الا قصائد استغفار
طوال ، ممزوجة بدموع المغفرة ، وما اخرى بهذه القصائد ان ينظر
اليها بامعان من هذا الجانب .

واطلقوا على الشمس اسم « الالهة » لان قوما منهم كانوا يعبدونها،
وجاءت بهذا الاسم في يوم ايام العرب يقال له « يوم ذؤاب » ايضا .
قالت آمنة بنت عتبية ترثي اباها ، وقد قتل في هذا اليوم (٨٥) :

تروحنا من اللباء عصرا

فاعجلنا الالهة ان تؤوبا

على مثل ابن مية فانباه

تشق نواعم البشر الجيوب

وكان أبي عتية شمريا

ولا تلقاه يدخر النصيب

ضروبا باليدين اذا اشعلت

غوان الحرب لا ورعا هيوبا

(٨٤) اديان العرب وطريق الميثولوجيا ص ٩٠ .

(٨٥) الابيات في العقد الفريد ٢٤٩/٥ عدا الاولى ، وهو في اللسان
مادة لعب . وانظر ايام العرب ٤١٩ (رسالة دكتوراه بالرونو) .

وكان للشمس صنم باسمها^(٨٦) ، لذلك اتسبت الاسماء اليها ، ف قيل
« عبدة شمس » ، بطن من بطون قريش ، وكذلك سموا ، عبدة الشارق .
وعبادة الشمس قديمة ايضا عند الساميين ، وليست مسألة حمورابي
بعبادة عن اذهائنا ، وفيها يستلهم هذا العاقل قوانينه الالهية من يد
الاله « الشمس » .

واستدل الباحثون على ان لاله (بعل) الذي عرف بطن الجزيرة
في الواحات ومساقط الامطار التي كان يؤمها البدو ، اتجاعا للماء
والكلأ وايفاء بنذر ، كانت له بالشمس علاقة ، فهو الروح ، والشمس
جسد . والآلهة عندهم روح وجسد كالانسان^(٨٧) . و « بعل » هذا
اله بابلي كبير .

وعند ملاحظة الايات المتقدمة ، ترسم لآعيننا صورة حزينة لغروب
الحياة . فكل شيء في نظر الشاعرة هنا ، يلم اشياءه ويجنح الى
الغروب .. حتى الآلهة مادام رمز حياتها وبقائها وهو ابوها ، قد
غادرها الى الأبد .

وجوت الايام مثلثات مقدسة ، مثل (أجا وسلمى والعوجاء) في
يوم اليمامة^(٨٨) . و (الملح والنار والرماد) المذكور في يوم ذي
قار^(٨٩) ، وهي من قبيل الثالث الذي ذكره الباحثون ، مثل (أساف

(٨٦) معجم البلدان ٣/٣١٩ (ليزك ١٨٦٦) واللسان ٧/٤٢٠ .

(٨٧) طريق الميثولوجيا ٨٨ .

(٨٨) المعارف ٣٠٨ السيرة ص ١٦٤/١١ تاريخ الطبري

٧٧١/١ (بريل) الكامل ٢٠٤/١ .

(٨٩) انظر ايام العرب ٤٢٠ والمصادر في هامش اليوم هناك .

ونائلة وهبل) (٩٠) والثالوث الذي قال فيه الكلبي ، ان قريشا كانت تقول ، حين تطوف بالكعبة (واللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى وان شفاعتھن لترتجى) (٩١) وفي التنزيل العزيز (ويعوق ويعوق ونسرا) • ونسر صنم كان لدى الكلاع بارض حمير ، وكان يغوث لمذحج ويعوق لهذان ، من اصناف قوم نوح (٩٢) • واصل هذا الثالوث الوثني هو (القمر والشمس والزهرة) وقد اوصلته الينا نقوش حضرمية ويمانية ، يعود تاريخها الى حضارة العربية الجنوبية ، المندثرة (٩٣) • ويضيف اليها سبتينو موسكاتي ثالوث الوثنة الحبشي (استار وعشتر ومحرم) (٩٤) ثم كان بعدها ثالوث وحدة الوجود (الله والانسان والطبيعة) •

والى جانب الثالوثين المذكورين آتفا يوجد في أيام العرب ثالوث آخر ، نعني به الاثافي الثلاث فهي من بقايا الطلول الدوارس ، وما اليها من الاحجار والنصب التي كان القوم يعتقدون ان روح الاله قد حلت بها •

ويتضح من تقديس الملح والرماد والنار معنى حلفهم بها ، قال هشام ، قال خراش : « وكانوا يحلفون بالملح والرماد والنار » • وفي ذلك يقول أحد بني شيبان في يوم ذي قار (٩٥) :

(٩٠) النصرانية وآدابها - زيدان ص ٤٠ ط. الهلال ١٩٢ •

(٩١) الاصنام ص ١٩ •

(٩٢) نفسه •

(٩٣)

وانظر النصرانية وآدابها - زيدان ص ٤٠ •

(٩٤) الساميون ولفاتهم ١٩٧ •

(٩٥) جمهرة النسب الكبير لابن الكلبي - مخطوطة ورقة ٧٢ •

حلفت بالملح والرماد وبالنار تسلم الحلقة
وقال آخر في « يوم اللوي » (٩٦) :

لا يبعد الله رب الرما
د والملح ما ولدت خالدة
هم المطعمو الضيف شحم السنا
م والقاتلو الليلة الباردة
هم يكسرون صدور الرما
ح في الخيل تطرد او طاردة
يذكرني حسن آلائهم
تفجع ثكلانة فاقدة
فان يكن القتل افناهم
فللموت ما تلد الوالدة

ومما يروى في تقديس الرماد ، ان امرأة اشار عليها رجلان ان
تذهب لتبول على رماد موضوع على مقربة منهما . فذهبت ، فلم
تفعل شيئا ، ثم رجعت . فقالا لها : ما رأيت ؟ قالت ما رأيت شيئا .
قالا : « أنت على رأس أمرك » . فرجعت ، فتشددت وبالت . فخرج
من الرماد مثل الفارس المقنع ، فصعد في السماء . فقالا لها : ما رأيت ؟
فاخبرتهما ، فقالا : ذلك ايمانك فارقتك (٩٧) .

وكلمة الملح ربما وردت بمعنى اللبن ، على ما يؤخذ من خبر ساقه

(٩٦) المصدر السابق وايام العرب ٢٥٥ والبغدادى ١٦٤/٤ .

(٩٧) شرح المقامات للشريشي ٢٧٥/١ ط . بولاق .

ابو الطمحن القبني^(٩٨)، وقد اغار قوم على ابله فأطردوهم ، وكانوا
يشربون من البانها فجعل يذكرهم بكرمه ، وحسن ضيافته :

واني لارجو ملحها في بطونكم وما بسطت من جلد اشعث أغبرا
وعلى هذا المعنى الرمزي يحمل قول القائل . فلان كثير الرماد ..
كأنه لا يريد به الرماد الحقيقي المتكسد امام باب بيته ، وانما قصد
المعنى المقدس في الرماد ، ولست ارى معنى اكثر احياءا بالرمز من
قول الشاعر ، وهو احد بني عقيل^(٩٩) :

ألا ياديّارَ الحي بالسبعان
غفت حجبا بعدى وهن ثماني
فلم يبقَ منها غيرُ تَوَيٍّ مهدمٍ
وغيرِ أثافٍ كالركى دِفْسانِ
وآثارُها بـأوراقِ اللونِ سافرت
به الريحُ والأمطارُ كلَ مكانِ
قفارٌ مروارةٌ يحارُبُها القطا
ويُضحى بها الجأ بانٍ يفرقانِ
يثيران من نسج الغبارِ ملاءةً
قميصين اسمالاً وهِرْتديانِ

(٩٨) البغدادي ٤٢٦/٣ واللسان مادة (ملح) . والبيت ضميمة ابيات
مذكورة في الشعر والشعراء ص ٢٢٩ قالها ابو الطمحن في
ناقته المرقال ، وكان نازلا بمكة . والقافية هناك مكسورة .
واولها :

الا حنت المرقال واثب ربها تذكر ارماما واذكر معشري
(٩٩) البغدادي ٢٧٧/٣ .

قال البغدادي : « والهابي هو دقاق التراب ، وتراب القبر ، والمراد به الرماد لان الورقة هي لون الرماد » (١٠٠) ويؤيد ما ذهب اليه البغدادي ، البيت الذي قبله عن الاثافي الدفان التي انطمت كما تنطمس اجزاء عظيمة من البئر . واندفعت الرياح والامطار مسافرة بهذا الرماد ، عبر قفار مرورا ، أي لا شيء فيها ، تضيق من سعتها الجأ بان : أي حمر الوحش . فالغبار وتراب القبر والرماد الذي هو اصل كل شيء ، ومآل كل شيء ، ودورة الحياة في رحم الطبيعة ، تنبعث كلها هنا في كلمات الشاعر الجاهلي ، معبرة عن الشعائر التي لم يبق لها في ذاكرة الامم اللاحقة أثر لوجود .

(١٠٠) البغدادي ٢٧٧/٣ .

$$P = \frac{1}{2} \left(\frac{1}{2} \right)^{n-1} \left(\frac{1}{2} \right)^{n-1} = \frac{1}{2^n}$$

الفصل الثالث

الملك والكاهن والرئيس . . .

كثير ما تقترن الملوكية بالكهانة ، بل ان المسار الفكري للملوك على طول امتدادهم التاريخي ، هو الكهانة . وقبل ان تستقل الكهانة كوظيفة قائمة بذاتها ، وبألقابها العديدة : كالايل والراهب والمتبتل والتهامي وغيرها^(١) ، اذ لا يتعاطى العمل بهذه الوظائف سواء ، كانت منوطة بالملك ، فكان ملوك الشعوب والامم ، هم كهانهم ، تبوؤا عروش المدن بعد ان غادرتها الآلهة الى السماء^(٢) فكان جميع ملوك السومريين ، كما تؤيد جداول انسابهم ابتداء من العائلة السومرية الاولى حتى ملوك الساميين من بعدهم ، هم الذين يمارسون للامة طقوسها ويسدون لها حاجتها سواء كانت بالغيب ، أم الواقع ، ويكفي أن نعرف ان والد جلجامش كان كاهنا كبيرا في معبد الاله انو ، ثم ورث ولده عنه هذه المهنة .

وكذلك ملوك العرب ، كانوا كهان الامة ، واطباءها ، واليهم تنزع ارواح الناس في طلب السعادة والراحة النفسية، وهم يضاهون حكامها الديويين . لذلك اقيمت لهم طقوس يمارسونها ، ويمارسها الناس معهم ، وواجبات يؤدونها ، ويؤديها العالم ايضا ، وهي تتفاوت في شدتها او لطفها ، وتعقيدها او بساطتها من شعب لآخر ، فالحديث عن الطقوس الملكية تؤدي مسالكه الى الكهانة ، والكلام عن تقديس

(١) اديان العرب ١٩٤ وما بعدها ، وانظر حديثه عن الكاهن في الشعر العربي .

(٢) ملحمة جلجامش - ساندروز (المقدمة) .

الملك ، او حتى عبادته ، يشجب على تقديس الرؤساء والأسلاف
وعبادتهم في حياتهم او بعد موتهم •

ومسألة تالية الملوك ، الى جانب اشاعة قتلهم ، وما يعقب ذلك
من الاحداث ، تعتبر اكثر الصور الشعرية دورانا في الايام ، حتى اننا
وقعنا لها على صلة قريى باكبر الاداب العالمية ، وخاصة اليونانية ،
يومئذ ، مما يدل على ان الفكر العربي لم يكن حبيس ارضه ، ووليد
عزلة بدوية صحراوية مجذبة • بل العكس هو الصحيح • فقد كانوا
مع الفكر العالمي ، فاعلين ومنفعلين ، يتعاملون معه بشكل ذكي جدا ،
لكن الفارق ، ان هؤلاء حافظوا على الثروات الفكرية الكلاسيكية ،
ولم نستطع نحن ان نضمن لها استمرارها وسيورتها ، بل بقاءها ،
فاندثرت وضاعت •

ولم تمكنا المصادر من استخلاص صورة اولية عن شعائر الملك ،
ومراسيم تنصيبه او طقوس عزله وانهاء حكمه ، وحتى قتله ووضع
نهاية طبيعية او غير طبيعية له حتى يحل محله الاقل سنا والاقوى بنية
والاكثر نشاطا • وهذه الصفات ان صحت - يترتب عليها في معتقدات
شعوب كثيرة ، احلال الملك القادر على اىصال الدعوات الى جهاتها
المباشرة ، او تلبية الطلبات على الوجه التام ، وتبعية الملك الشيخ ، الذي
يعجز عن تلبية الدعوات والابتهالات • ويعمل العلماء ذلك ، بأن للملك
الذي ادركه الهرم ، لم تعد في روحه القوة الكافية على دفع الاذى
عن شعبه او عبادته ، فيقتل لتنتقل روحه في اوج قوتها الى روح من
هو اشد بلسا منه ، اما قتل بعضهم وهو شباب ، فمردّه الى طقوسهم
القاضية بتحديد فترة لكل ملك ، اذا جاوزها ضعف تأثيره وان كان

قوي البدن^(٣) . ويذكر المؤرخ البرتغالي القديم Dos Santos (دوس سانتوس) ان الموزمبا ، وهم شعب يسكن جنوب شرقي افريقيا ، لا يعبدون الاصنام ولا يعترفون باي اله ، ولكنهم بدلا من هذا يعظمون ملكهم ويقدمونه ويعتبرونه الها مقدسا ، بل يرون انه افضل واعظم اله على الاطلاق^(٤) . حتى ان مرجليور Margeliouth عد الالهة المنتشرة بكثرة في انساب القبائل داخل بلاد لعرب اجدادا للوأك ، كالذي في آلهة بلاد الاغريق^(٥) . وكذلك فعل (موسل Musil) في « اسطورة الانساب » ، حيث كان للوأك اليمن مقام عظيم وشرف واسع بين القبائل ، فتزاوجوا مع من كان يجاورهم واتصلوا بهم ، فصاروا يعدون انفسهم مهاجرين ، يتصل نسبهم بنسب اهل اليمن^(٦) . وقرر فريزر « ان الالهة في تلك الايام ، لم تكن تحيط بالملك على انها صورة لفظية جوفاء ، وانما كانت تعبيراً عن اعتقاد راسخ متين ، فقد كان الملوك يقبسون في كثير من الاحيان ، ليس فقط بصفاتهم رجال دين او كهنة ، أي كوسطاء بين العبد والرب ، بل ايضا باعتبارهم هم انفسهم الهة واربابا قادرين على ان يمنحوا اتباعهم وعبادهم تلك لبركات التي كان يظن على العموم انها تتجاوز طاقة البشر الفانين ، والتي لم يكن في استطاعة الناس الحصول عليها - ان تيح لهم ذلك على لاطلاق - الا بالصلاة والتضحية التي يقدمونها للكائنات القدسية التي لا تنالها الابصار .

(٣) الفصن الذهبي ص ٣٤٨ .

(٤) المصدر السابق نفسه .

(٥) دراسات عن المؤرخين العرب ص ٤٩ .

(٦) المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ٢٤٩/١ - بيروت ١٩٦٨ - .

ومن هنا كان الناس كثيرا ما يتوقعون من ملوكهم ان يرسلوا عليهم المطر (وضوء الشمس في الموسم المناسب)^(٧) لذلك عندما يسقط المطر ، مثلا ، على خلاف رغبته ، او حين تشتد حرارة الشمس ، يطلق الملك السهام على السماء ، عقابا لها على عصيان امره^(٨) ، وتذكرنا هذه الطقوس ، بالسهام التي اطلقها الملك «عاد» وقومه على السحب التي امطرهم خلاف ما كانوا يريدون .

كانت تلك اطلالة على ماضي مجهول ، ولنا نعلم منه المدى الذي عرفت فيه طقوس الملوك ، وان كانت شبه الجزيرة تزخر بملوكها . الا اننا نلاحظ في جداول ملوك الجنوب والشمال اسماء المقتولين منهم . اما الشمال فتزخر « ايام العرب » واشعارها باحداث قتلهم ، لكنني اود ان المح بالنسبة الى الجنوب ، الى مسألة هامة وردت متعاقبة عن ملوك «تبع» يقتل فيهم الاخ اخاه ، ويعزوها الرواة الى الطمع في الملك ، واشرت اليها في موضع آخر من هذه الدراسة بشكل اكثر تفصيلا .

ويصعب علينا تحليل احداث القتل النازلة بملوك الجزيرة ، في منزل عما ذكرناه من الطقوس الملكية العنيفة . والا فما الذي يمكن ان يقال في قضية مثل قضية الحارث بن ظالم الذي اشتهر بقتله للملوك والكهان^(٩) ١٤ .

فان نحن نظرنا الى الملوك المقتولين في قول الحارث بن ظالم ،

(٧) الفصن الذهبي ١٠٠ .

(٨) نفسه ٣٤٨ .

(٩) انظر خبر قتله لابن الملك النعمان وللکاهن الخمس التغلبي في ايام عامر وغطفان ١٢٨، ٨٩ وما بعدها ، ١٢٨ من كتاب ايام العرب .

واستثمرنا خبيء معنى ذلك ، لم نجد ما تفسر به قتل الملوك الا العودة الى ما تقرره الايام من تسمية بعض القبائل بالحمس اي المتشددون بامور دينهم ، وباللقاح ، اي الذين لا يخضعون لملك ، وانما لهم طقوسهم وعباداتهم . على ما يتبين ذلك في « يوم السلان » (١٠) .

قال الحارث بن ظالم ، في قتل سبعة من الملوك في كهف كانوا نائمين على وسائد من الريحان (١١) :

ابلع جذيمة ان عرضت فاني

عمدا تركتهم عبيد سنان (١٢)

لو كنت من رهط الحرام لم أعد

وبنيت مكرمة بكل مكان (١٣)

القاتلين من المناذر سبعة

في الكهف فوق وسائد الريحان (١٤)

وقريب من ذلك ما ذكره جابر بن حنى ، في مفضلية له قالها يوم الكلاب الاول :

نعاطي الملوك الحق ما قصدوا بنا

وليس علينا قتلهم بمحرم

(١٠) انظر ايام العرب ص ٢٦ .

(١١) انظر مجموعته الشعرية في مجلة كلية الآداب ببغداد ص ٣٨٦

العدد ١٥ .

(١٢) جذيمة : رهط الحارث نفسه .

(١٣) الحرامل : قوم حرمة بن الاشعر .

(١٤) انظر شرح المفضليات لابن الانباري ٤٣٤ والموشح للمرزبانى ١٣

الحلبى - .

اتقت لهم من عقل عمرو بن مرثد
إذا أوردوا ماء ورمح ابن هرم
وكنّا إذا الجبار صعر خده
أقمنا له من ميله ، فتقوم (١٥)

والبيت الأخير يعيد إلى الأذهان قصيدة المتلمس في هجاء عمرو بن
هند الملك الذي قتله عمرو بن كلثوم في يوم من أيام الحرب مشهور ،
والتي كان أبو عمرو ابن العلاء يقول عنها ، أن العرب كانت لا ترونها
في الجاهلية إلا إذا كانت على وضوء (١٦) . يقول فيها (١٧) بعد المطلع
مباشرة :

ومن كان ذا عرض كريم فلم يصن
له حسبا كان اللثيم المذمما
أجارت إنا لو تشا ط دماؤنا
تزيلن حتى لا يمس دم دما
وفيها يذكر قتلهم الملوك :

وكنّا إذا الجبار صعر خده
أقمنا له من ميله فتقوما
لذي الحلم قبل اليوم ما تفرع العصا
وما علم الإنسان إلا ميعلا
ولم يتضح لنا مبدأ هذا التحريم لقتل الملوك عند قوم ، والاباحة

(١٥) أي قلنا له : تقوم أنت .

(١٦) طبقات النحويين واللفويين ص ٣٣ .

(١٧) ديوان المتلمس ص ٣ .

عند آخرين ، لاتنا نرى صوراً مشوشة ، لكن الظاهر بلا جدال ، انهم كانوا يسبقون على ملوكهم صفات تقديس والوهية ، كما لاحظت مرجليوث قبل قليل . يؤيده تسمية عمرو بن هند الملك بمحرق ، ومحرق صنم كان بسلامان لبكر بن وائل (١٨) . ولا اعلم ان كانت ضحاياه تقدم عن طريق حرقها ، وذلك برميها في النيران ، لان المعروف عن محرق (عمرو بن هند) انه كان يشق اخاديد يشعل فيها النار ويلقي بضحاياه فيها ، كالذي فعله في يوم « أواره » (١٩) ، عندما بنى زرارمة بن عدس التميمي احد ابناؤه ، فمات ابن الملك او قتل ، فأقسم ان يكون قربان موته ، مائة من بني تميم ، يقدمون ضحايا تحرق في اخدود ناري كبير ، وجعل يرمي بالمائة واحدا واحدا كي يتحلل من حلقه . وقد سبق ان اشرنا الى ان الحارث بن ظالم قتل ابنا للملك كانت غطفان قد تبنته ايضا . وتوجد اخبار كثيرة في ايام العرب عن اولاد الملوك الموزعين في القبائل ، واحداث قتلهم . وهي ظاهرة تصل بنا الى ملاحظتين : الاولى تتعلق بمسألة التقديس نفسه ، مما يدل على ان الملوك ظلوا على قداستهم حتى عهد قريب من الاسلام ، ففي يوم ذي قار كانت العرب تخشى ان تبرز لمقاتلة الاكاسرة . فلما خرج اسوار من الفرس ، يدعو الى النزال ، تهيبته بعض القبائل ، فنزل اليه فارس بكرى وقتله والتفت الى الجيش العربي صائحا : « يا قوم انهم يموتون » كانه بذلك حطم الاسطورة ، وهجم الجيش (٢٠) ، وفي ذلك

(١٨) المستقصى من امثال العرب - الزمخشري ٤٨/١ .

(١٩) انظر ايام العرب ص ٥٧ . وراجع المصادر المذكورة هناك . وانظر يوم الخربة ١٣٠ وفيه هذا التحريق .

(٢٠) شرح ديوان ابي تمام - للتبريزي ٢٠٨/١ .

يقول الشداخ بن يعمر الكنعاني (٢١) :
القوم امثالكم لهم شعر في الرأس ، لا ينشرون ان قتلوا
وقال عمرو بن معد يكرب الزبيدي ، لما لقي جنود فارس (٢٢) :
انا ابو ثور وسيفي ذو النون اضربهم ضرب غلام مجنون
يا لزيد انهم يموتون

وشرح التبريزي قول الشداخ وعمرو بن معدى كرب بقوله : ان
بعض الناس كان يعتقد في الفرس انهم لا يموتون ، وذلك جهل من
قائله ، لان الانسان لا يجهل ان الناس سواء كلهم في الموت (٢٣) .

والملاحظة الثانية : ان ابناء هؤلاء الملوك ، كانوا يوزعون في
القبائل من قبيل تقديس آبائهم ، وهم ابناء مقدسون ايضا ، فوجودهم
في القبائل من قبيل ممارساتهم الدينية ، كانه من نسل آلهة .

وعلى ذلك فلم يعد عمرو بن تبع ، اخو حسان بن تبع ، صاحب
يوم « اليمامة » قاتلا لمجرد الرغبة في السيطرة على الحكم ، وكذلك
يقال في القاتلين والمقتولين من الاخوة الملوك والآباء والابناء . وسعد
ابو كرب يموت مقتولا على يد حاشيته لينصبوا حسانا اخاه ، فيقتله
اخوه عمرو بن تبع ، ثم يقتل عمرو ايضا ، فيأتي ذو نواس ليقتل الملك
« ذو شناتر » ويجتز رأسه ، فتنصبه حمير ملكا عليها ، وهو صاحب
الاخدود الذي احرق فيه قوما من العرب ، والذي كان آخر من رمى
فيه منهم ، امرأة وصيين ، يشبه في ذلك أخذود الملك عمرو بن هند

(٢١) شرح ديوان الحماسة - للتبريزي ١٠٢/١ .

(٢٢) المصدر السابق .

(٢٣) نفسه .

في يوم اواردة (٢٤) .
ولم تكن محصلة (راجلان) عن الملوك المقتولين ، من سيرة البطل
داخل الملحمة بقليلة الاثر في البحث العلمي . لقد امدتنا رؤيته
الواضحة ، والتخطيط الذي وضعه في حصر نقاط البطولة الواجب
توافرها في الملحمة ، بمادة علمية جادة . اما نقاطه فيحصرها حول
البطل ، الذي هو الملك المقتول وخليفته ، بما يأتي ، متخذاً من
اوديب نموذجاً مرموقاً (٢٥) .

- أ - ام البطل عذراء من اصل ملكي .
- ب - ابوه ملك .
- ت - وكثيراً ما يكون الاب من الاقارب الادنيين للام .
- ث - وظروف مولد البطل غير عادية .
- ج - ويقال ايضاً انه ابن الله .
- ح - وعند مولده يراد قتله ، وعادة الذي يريد قتله هو ابوه او جده .
- خ - ولكنه ينقل خفية .
- د - ويربّه ابواه بالتبني في بلاد بعيدة .
- ذ - ثم لا نسمع شيئاً عن طفولته .
- ر - ولكنه حين يبلغ مبلغ الرجال يرجع الى مملكته .
- ز - س - وبعد ان ينتصر على الملك او العملاق او الوحش يتزوج
الاميرة وهي غالباً ابنة سلفه .
- ص - ويصبح ملكاً .
- ض - ويحكم فترة من الزمن بلا احداث .

(٢٤) المصدر السابق ٦٣١-٦٣٧ . وايام العرب ص ٥٠٧ .
(٢٥) البطل في الادب والاساطير ص ١٢١ .

ط - ولكنه بعد ذلك يتعرض لسخط الآلهة او الرعية .

ع - ويطرده من العرش والمدينة .

غ - ثم يموت ميتة غامضة .

ق - وغالبا على قمة جبل .

ق - ومع ذلك فان له قبرا مقدسا ، او عدة قبور .

واعتبر قسم من الباحثين^(٢٦) نموذج راجلان هذا لا يكاد يتحقق كاملا في غير أوديب . وقربوه الى عناصر ثلاثة رئيسية ، ليتمكن تحقيقه في سيرة عنترة بن شداد العبسي احد ابطال « يوم داحس والغبراء » واقتصروا من هذه العناصر على ما يأتي :

(أ) النشأة الغامضة للبطل ، وان قيل انه من اصل ملكي او الهني .

(ب) توليه الملك او الزعامة بعد عمل جليل . يدل على انه محيى بقوة خارقة ، وقد يكون هذا العمل هو القضاء على الملك الشيخ .

(ج) انتهاء ملكه بتخلي هذه القوة الخارقة عنه ، وانقلاب احبابه عليه ، بحيث يموت مقتولا بيد احد هؤلاء الاحباب ، او من جهة ام يكن يتوقع ان ياتي الموت منها . واعتبروا هذه العناصر المذكورة . وثيقة الاتصال بطقوس الملك الموصوفة ومتحققة في كثير من ابطال الاساطير ، كتتحققها في قصة الملك اوديب^(٢٧) .

وادخل الباحثون في ضوء العناصر الثلاثة الاخيرة ، عشرة بطلا ملحيميا أو اسطوريا ، لانه مولد من أمة ملونة ، كانت قبل سبيلها عذراء من بنات الملوك . واختلفت القبيلة في نسب ابيه ، وحكوا بانه ابن

(٢٦) البطل في الادب والاساطير ١٢١ .

(٢٧) المصدر السابق ١٢٢ .

الامير شداد ، ونشأ كما تنشأ العبيد فيرعى غنم أهله « مثل هر كليس »
فاذا ظهرت شجاعته وقوته الخارقة في الحرب ، الحق بنسب القوم ،
وتزوج ابنة عمه ، ومات مطوردا من قبيلته واقاربه الادنون ، بعد ان
اقام على القرأت زمنا ، حتى ترصد له صاحب ثار موتور فقتله بنبلة
مسمومة . وعلل الباحث سبب انفعال الروايات لموت البطل ، بانها
تفضل ان تتركه في اوج السعادة ، حتى يأتيه « هادم اللذات » ومفارق
الجماعات » (٢٨) .

ومع ما يحيط الصورة من الغموض ، للاسباب التي ذكرناها ، فان
بطل يوم داخس ، احد الشعراء الملحميين بلا منازع . وان التماس
موضع لعنترة بين الآداب العالمية ، لا يمتنع تحقيقه . وتشهد لذلك
قصائد البطولة واخبار الوقعات وروايات الحب الكبير التي انطلقت من
اعماق الصحراء واستقرت في المدن لكي تتطور في أدب شعبي رائع ،
غنى به جيل بعد جيل .

الا ان المثل الاقرب لنموذج (راجلان) والا نضج من المثال
السابق ، ولا يقل عنه في غزارة شعره واسطورية حياته ، بل تظهر عليه
ملامح الطقوس والشعائر المتعلقة بالملك ، هو سيرة الضليل امرئ
القيس بن حجر بن عمرو الكندي . وتبدأ ملحمة الكبيرة في يوم
« حجر » او (ما قط) كما يطلق عليه قسم من المؤرخين (٢٩) . وان كان
« يوم الكلاب الاول » (٣٠) هو البداية الحقيقية لهذه الملحمة ، حيث
ابتدأ من قتل عم امرئ القيس ، وهو ملك يقال له : سلمة بن عمرو

(٢٨) نفسه .

(٢٩) الاغانى ٧٩/٩ والفاخر ١٩٣ وشرح البسامة ١١٨ .

(٣٠) ايام العرب .

لاخيه شرحبيل بن عمرو ، وهي تمثل نفس الاتجاه الذي نحن بصددده .
وتنتهي ملحمة امرئ القيس بقتله على قمة جبل عسيب .

وهذا النموذج في خطوطه العريضة ، يقترب من نموذج راجلان نفسه ، وهو اوديب الملك الذي اخرج راجلان جميع عناصره منه .

أ - والد امرئ القيس ملك .

ب - أمه ملكة ، فهي فاطمة بنت ربيعة اخت كليب ومهلل .

الاول فض جموع اليمن في يوم « خزازي » (٣١) وقاد العرب
ضد الجنوبيين . والثاني مثلك بعده ، وهو شاعر يوم البسوس .

ت - واتفقت المصادر على ان امرأ القيس نشأ طريدا والده .

ث - وزادت على ذلك بان حجرا اياه امر بقتله .

ج - سلمه الى رجل ليقتله يقال له ربيعة ، فقال له اقتل امرأ القيس
وأنتي بعينه .

ح - فلم يقتله ، وذبح جؤذرا واتى بعينه الى ابيه (٣٢) .

خ - نشب الفتى في عهدة غرباء ، مجهول النشأة مطرودا منذ
طفولته .

د - كان يتعشق امرأة ابيه ، وكان يقال لها : هر او هند .

ذ - ولم يمت ابوه على يده ، بل تعجلت بنو اسد قتله في روايات
متعددة ، متناقضة . تقول بعضها ان كاهنهم امرهم بقتله ، وتقول
رواية اخرى انه لامهم على قتله ، ثم ثار عليهم برغم انه لم يلق
العطف والرعاية منه ، بل كان يريد في طفولته التخلص منه ،

(٣١) نفسه ص ٣٠ .

(٣٢) الشعر والشعراء ١/١٠٧-١٠٩ والاغاني ٩/٨٧ .

ولم يسأل احد من الباحثين نفسه ، كيف يقتل والد ولده !؟
ونحن نستخلص من قول امرئ القيس :

يا لهف نفسي اذ خطئن كاهلا القاتلين الملك الحلالا
بالله لا يذهب شيخي باطلا

فهو يعتبر مثل ابيه على يد بني أسد امرا باطلا ، كانما كان يريد
له قتلة اخرى على يد اقوام سواهم ، وتأتي نهاية امرئ القيس مطابقة
لنموذج « راجلان » ، وهو موته على جبل « عسيب » بعد عودته من
قيصر الروم . فاذا تبادر الى ذهننا تغزله بنساء ابيه ، واعجابه بهند
او (هر) التي يقال انه تزوجها وهي امرأة ابيه ، مثل امه ، بدأت
خيوط الاسطورة تظهر . وهو ايضا حكم زمنا بلا احداث ، ثم تعرض
لسخط الالهة ، عندما يستقسم عندها ، يسألها هل يحارب اسدا ام لا ،
فخرج القدح ضد مشيئته ، فضرب وجه الاله بالسهم الذي استقسم به ،
فكان الالهة راضية عن فناء الملك الشيخ ، ومجيء الملك الشاب ،
ايسجاما مع النموذج . وهو ايضا لم يخلف ابناء كما ذكر (راجلان)
في نموذج . بل قالت المصادر انه كان مثنا .

وهكذا برغم تهافت القصة وصطرابها وضياها ، نلاحظ اتصال
هذه الملحمة المكونة من ثلاثة ايام كبيرة : « مسحلان و كلاب الاول
وحجر ، بالآداب العالمية ، والاغريقية » (٣٣) ، وقد سبق ان بينا ان
الاصل كله انما اتى الملاحم العربية ، وهنا برهان آخر على اصالة العرب ،
يربطها بالملاحم القديمة . ولاعجب فلم تكن « اوديب » وغيرها الا

(٣٣) والفريب ان تروى عنه الفاز كان يسأل الناس ان يفكوا رموزها
كما عرف اوديب لغز ابي الهول . الاغاني ١٠١/٩ .

انماطا جديدة من جلعامش •

وبعد ، فقد صح لدينا ، ماصح لدى غيرنا ، بان الانسان خلع
تصوره الجديد للعالم ، تصور القائم على ادراك الفرق بين ذاته والذات
الآخري ، وبينهما جميعا وبين الطبيعة ، خلع هذا التصور على اسطورة
الهة الجديد ، اله الزرع ، ثم عاد فأخذ هيكل هذه الاسطورة يعبر
عن نفسه تعبيرا مباشرا في هذه المرة ، ليصور احساسه الجديد بالحياة
التي اصبح يراها حالة بالمتناقضات • وكما اخذ الجانب المؤلم من
ذاتيته ، ذلك الجانب الذي يتمثل في ضرورة الموت لاستمرار الحياة
فصنع التراجيديات ، اخذ من الاسطورة نفسها جانبا آخر يعتمد على
نسيان الموت في اندفاع الحياة ، وهو ذلك الجانب الذي يمثل اله
الزرع في صورة عضو التناسل المخصب ، فصنع الكوميديا ، فقد
نشأت الكوميديا ، كما يقول ارسطو ، من الاغاني القالية التي كانت
تغنى في اعياد ديونيزوس (٣٤) • وهذا ينسجم مع أحد أيام داحس
وغيره ايضا ، عندما مثل العبسيون بالفزاريين ، حيث يظهر اله الخصب
والنماء واضحا (٣٥) •

ولست اعلم تعليلا لبعض المعتقدات المتعلقة بالملوك ، احسن من
هذا التعليل ، في تقديس الملك وشعائره ، قال ابن فارس : وقد كانوا
يخاطبون ملوكهم بارباب ، قال الشاعر (٣٦) :

واسلمن فيها رب كندة ربه ورب معد بين خبث وعرعر
فمن هذه المعتقدات ، وهو يوم جذيمة ، ان دماء الملوك تشفى من

(٣٤) البطل في الادب والاساطير ١٢٤ •

(٣٥) انظر ايام العرب ١٨٥ •

(٣٦) الصاحبى في فقه اللغة ٥٩ •

داء الكلب^(٣٧) ، وهي قضية تتعلق بنظرتهم الى الدم نفسه ، ومن هنا ايضا وجدت الفكرة الدائرة بين الناس في مسألة الاسر وتكافؤ دمائها ، وما ترتب على ذلك من عرف وعادات اجتماعية في المصاهرة والنسب . وان المرض الذي يقال له « عين الملك » King's eye كان الفرنج يعالجونه بريق الملك^(٣٨) . ولنا عودة قريبة الى موضوع الدم .

وكانت للكاهن مكانة بين الناس لا تقل عن مكانة الملك ، وهي لفظة استعملها الآراميون Kahena كاهنا ، والعبريون Kohen وربما قابلتها لدى الجاهليين كلمة « حازى » التي تجمع على « حزاة » التي تشبهها في العبرية كلمة^(٣٩) Haza وهي الفاظ تدور كثيرا في ايام العرب ، بل ان يوم الكلاب الثاني يتضمن عدة من الكهان ، وبعضهم قتل في هذا اليوم ، وتهكم به احد الشعراء^(٤٠) :

لما رأيت الأمر مخلوكة

أكرهت فيه خرصا مارنا

قلت له خذها فاني امرؤ

يعرف رمحي الرجل الكاهنا

(٣٧) نقائض جرير والفرزدق ١٣٢ ، ٥٦٧ واسماء القتالين لابن حبيب ١١٤ .

(٣٨) الاساطير العربية قبل الاسلام ص ٥١ .

(٣٩) تاريخ العرب قبل الاسلام ١٨٩/٥ وطريق الميثولوجيا عند العرب ٢٣٢ .

(٤٠) ايام العرب ٨٢ .

قال ابو عبيدة : يريد عمرو بن الجعيد ، وكان كاهنا ، وهو احد بني عامر بن الديل (٤١) بن شن بن افصى بن عبد القيس ، ولم يزل ذلك في ولده ، ثم يستمر الكلام من ابي عبيدة عن الكهان ، وبعض علامات قد استهم فيقول (ان الناس سمعوا في زمانه مناديا ينادي في الليل ، وذلك قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم » خير أهل الارض رباب الشنى ، وبحيرا الراهب ، وآخر لم يأت بعد ، وكان لا يموت أحد من الرباب الا رأوا على قبره طشا « أي مطرا ضعيفا ») وقالت فائحته ترثيه :

اشاب قذال الرأس مصرع سيد وفارس هبوداً شاب النواصيا
وكان ضمرة ن لبيد الحماسي الكاهن ، خر صريعا بطعنة من رمح
قيصة بن ضرار الضبي ، فقال له قيصة :

(٤١) قال يونس : الديل في عبد القيس والدول في حنيفة والدءول في كنانة . ابن سلام ٩ . نفسه ٨٥ وهبود فرسه . وظاهرة المطر الضعيف تعيد الى الازهان « معاني الرثاء الكثيرة حول الدعاء لقبر الميت بالسقي بالمطر ، كالذي رثى به ربعة ابن مكرم في يوم « الكديد » : لا يبعدن ربعة بن مكرم وسقى الفوادي قبره بذنوب وهذا يفسر لنا كل الظواهر الشعرية القادمة من تحدرات دينية ، وعزاها الباحثون اليوم ، الى حاجة البدوي الى الماء . وشاعرهم القديم يرد على ذلك بقوله :

سقى الارض ذات الطول والعرض مشجم

احم الرحا واهي العرى دائم القطر

وما في سقيا الارض لكن تربة

اضلك في احشائها ملحد القبر

وهي من ابيات قالها الهدم بن امرىء القيس بن الحارث على قبر

عمرو بن الدوسى (انظر الامالى للقالى ١٤٤/٢) .

— الا أخبرك تابعك بمصرعك اليوم^(٤٢) ١٩ ٠٠

وأما « الحازي » ، فهو الذي تكهن بحروب داحس قبل وقوعها ،
عند اطل بوجهه على القوم ، وهما يتباريان فقال : وقع الشر بين ابني
يغيض^(٤٣) .

ويتمتع كاهن القبيلة بصفات الرئيس ، وهو الذي يشير على القوم
فاصحا في حربهم وسلمهم ، بعد ان يستطلع الغيب عن طريق رؤيته
او تابعه ، كالذي جرى في يوم « اليمامة » و « وجيلة » و « الكلاب
الثاني » . وقد تكون للقبيلة « كاهنة » مثل « رقاش »^(٤٤) التي كانوا
يتيمنون بها في غاراتهم وغزواتهم . وزرقاء اليمامة كاهنة « يوم
اليمامة » ، وزبراء كاهنة بني رثام كانت تنذرهم بالغارة^(٤٥) .

واشهر كهانهم زهير بن جناب الكلبي^(٤٦) . وبعض هؤلاء الكهان
يكونون مع الملوك ، مثل الخمس التغلبي الذي كشف له تابعه جرائم
القتل المتعددة التي ارتكبها الحارث بن ظالم المري^(٤٧) . وكما
ذكرنا ، يكاد يوم الكلاب الثاني يكون نموذجا في كثرة كهانه ، نضيف
الى هؤلاء ، المأمور الحارثي الكاهن الذي قيل له قبل الواقعة : ما
تقول ؟ فقال :

— لا تغزو بني تميم .

(٤٢) نفسه ٧٨ .

(٤٣) نفسه ١٥١ .

(٤٤) امثال العرب للمفضل الضبي ص ٥٠ .

(٤٥) امل القالي ١٢٦/١ وانظر خبرا طريفا لها فيه .

(٤٦) الاغانى ١٥/١٩ وابن الاثير (الكامل) ٣٠٠/١ .

(٤٧) انظر ايام العرب ص ١٢٨ .

ثم تصدق نبؤته ، فيخسر قومه الحرب (٤٨) . ومع هؤلاء الكهان ،
أقدم المذبحيون بمعصية أربعة ملوك ، كانوا يقدسونهم ، فهو ليس
يوما من أيام العرب فحسب ، بل تظاهرة آلهة وكهان ، فهي حروب
آلهة الى جانب البشر ، فأيدوا جميعهم .

ولا تقتصر وظيفة الكاهن على التنبؤ واستطلاع الغيب ، بل هو
طبيهم ايضا ، ودخل قسم منهم عالم الاسطورة الرحب ، كاخبار
الكاهنين : شق وسطيح (٤٩) وان بعضهم ارتقى في مكاتته مستوى
البريوية ، فكاهن نبي اسد يخاطبهم في « يوم حجر » بعبارة « يا عبادي »
وكان نصيحهم الا يتعجلوا قتل حجر ابي امرئ القيس الشاعر (٥٠) .
وقد مرت بنا في مواضع متعددة اخبار يوم الزويرين ، عندما جاءت
بكر بأحد رؤسائهم . وكانوا يتخذونه ربا ، وقد اسبغوا عليه صفة
القدم ، حتى بلغوا به عهد عاد واربم (٥١) .

واعتقاد الناس بالوهمية الكهنة والرؤساء كاعتقادهم بالوهمية الملوك ،
ليس غريبا عليهم يومئذ . فهم ينظرون اليهم ، على انهم وسطاء او
شفعاء لهم ، أي بين الاله الاعلى وبين الناس . بل الكاهن عندهم رب ،
لانه يمارس سلطاته ، ربما كانت الطقوس تؤدي له ، وهي نفسها التي
تؤدي للالة .

ولا غرابة ان يكون هؤلاء مالكي زمام كل أمر ، وان الناس تعتقد
بسيطرتهم على جميع ما في الدنيا والكون ، بحسب تصورهم للعالم

(٤٨) نفسه ص ٧٠ .

(٤٩) الطبري ٩١١/١ والنويري ٢٧٨/٢ .

(٥٠) الاغانى ٨٤/٩ والبغدادى ١٦٠/١ .

(٥١) ايام العرب ص ٣٨٦ .

يومئذ ، وهي عقيدة يتساوى فيها جميع البشر ، فالمعتقد الشائع في الهند مثلاً ان الكون كله خاضع للآلهة ، وان الآلهة خاضعة للتعاويد ، وان التعاويد خاضعة للبراهمة ، « فالبراهمة آلهتنا » (٥٢) .

والرئيس قد يكون كاهناً ، وقد لا يكون . ومع ذلك فهو اقدس ، فلم يكن عامر بن الطفيل متكهناً ، لكنه بعد ان مات ، جعلوا لقبره « حمى » (٥٣) وانا نعرف ان الحمى لا يكون الا للآلهة او القديسين ، وهو في حقيقته واضله ، مساحة متسعة من الارض ، يكون في وسطها الاله او المعبود ، ثم يكون فوقه المعبد او البيت كالحمى الذي بنته غطفان يضاهون به بيت قریش (٥٤) ، ثم تشبأ المدن المقدسة عن ذلك . ومن تقاليدهم ان الحمى اذا دخلته ناقة او فرس او ماشية ، صارت ملكاً للاله ، ومن هذا ظهرت عادة التقرب الى الاله بالهدايا ، وقيل ان الحمى لا يهاج طيره ولا يهرب آمنه ، ومن لاذ به احتفى . وتوجد في بلاد العرب مواضع متعددة يقال لها حمى ، ونخص بالذكر منها ، « حمى كليب » الذي دارت حوله وبسببه البسوس ، ويقرر Smith ان حمى كليب لم ترتكز فكرته على التملك او الخاصية (٥٥) ، وانما كان يحمى المكان لوجود الاله او الشيء المقدس . وان حقيقة القبيرة التي داست عليها ناقة البسوس بخفها فالتفت بيضاتها ، كانت رمزا

(٥٢) الفصن الذهبي ٢٢٢ .

(٥٣) الاغانى ١٥/١٩ وابن الاثير ٣٠٠/١ .

(٥٤) الاغانى - انظر الخبر مفصلاً هناك .

(٥٥) Religion of the Somtes P.112 وانظر طريق

الميثولوجيا ١٣٨ .

لمعبودات لم تذكر في القصة ، كان كليب يخاطبها بقوله (٥٦) :

يا لك من قبرة بمغمَر
خلا لك الجو فيضي واصفري
وتقري ما شئت ان تنقري

واما ما يقوله بعض الباحثين بصددهم على Smith بان الحمى للرجل العزيز والحرم للاله ، وان ما اتخذه كليب في يوم البسوس ليس الا ارضا معشبة ، فهو رأى أوحته اليهم احداث القصة الضائعة المضطربة . وقد دعموا رأيهم بان عنصر الدين عند البدوي ثانوي - وهي اقوال بعض المستشرقين والاوربيين - بالنسبة للعنصر المادي ، فهو في عراك للحصول على الغلة (٥٧) . ولو كان حقا ما يقال في ضعف العقيدة البدوية ، فيماذا تفسر عنف المقاومة التي واجهها ، وفداحة التضحيات ايام الردة ، ان لم تكن الحركة الجديدة هزت أعماقهم الدينية هذا؟! وحسم النزاع في هذه القضية لدى قوله : « والى جانب الآلهة المشتركة ، كانت طائفة كبيرة من الآلهة الخاصة ، تحمي بعض الأماكن والقبائل ، بل الأسر ايضا ، ويشار اليها غالبا بالاله « بعل » الذي رأيناه من قبل لدى الكنعانيين ومعناه « صاحب » او « سيد » ولم تأت هذه الالهة جميعا من التراث القومي ، فبعضها اخذ من

(٥٦) شرح التبريزي على المفضليات ٥٤٩/١ وعلى ديوان الحماسة ١٩٨/٢ وأنظر فصل المقال للبكري ٢٩٠ وتوجد خمسة اشطار من هذا الرجز في المحاسن والاضداد ٩٩ وانظر خزانة البغدادي ٤١٧/١ واختلاف الروايات في جميع المصادر .

(٥٧) طريق الميثولوجيا عند العرب ١٣٨ وهو يبني رأيه على ما ذكره اولمستيد Olmstad في كتابه :

History of Assyria p.b (New york) 73

الشعوب المجاورة^(٥٨) ، فارتبطت لفظة بعل بذلك الموضع ، فتكون حتى ذلك الاله ، فيقال « بعل الموضع القلاني »^(٥٩) أي صاحب ومالك ورب الموضع القلاني ، ومنه قيل لحذيفة بن بصر ، احد اطراق يوم داحس : « رب معد » في الجاهلية^(٦٠) ، فكانت هوازن فعلا لا تراه الا ربا^(٦١) . ومكثت كلمة (رب) في اذهان الشعراء الجاهليين الى يوم اسلامهم ، وامتدت عند بعضهم الى زمن طويل . فهذا حسان بن ثابت ، يمدح جبلة ، المرتد عن الاسلام والمنتصر لدى الروم^(٦٢) :

ان ابن جفنة من بقية معشر
لم يفتنهم آباؤهم باللوم
ثم ينسني بالشام اذ هو ربهما
كلا ولا متصرا بالروم

مع ان الرسول نهى عن هذا الاستعمال ، ومنع ان يقول العبد والعبدة لسيدهما « ربي » بل « سيدي »^(٦٣) .
وقد كشفت لنا نصوص الكتابات العربية الجنوبية عن عبارة « ذت حمم » التي فسرت من جانب بعض العلماء بـ « ذات حمى » وهو الموضع الذي يحمى ويخصص للاله او معبد الملك والحاكمين^(٦٤) .

(٥٨) الحضارات السامية القديمة ١٩٤ .

(٥٩) تاريخ العرب قبل الاسلام ٢٥/٥ .

(٦٠) انساب العرب لابن حزم ص ٢٥٣ .

(٦١) ايام العرب ص ٩٨ .

(٦٢) الاغانى ٦/١٤ (ساسي) .

(٦٣) الصاحبى - ابن فارس ص ٥٩ وانظر دائرة المعارف الاسلامية

(الرب) ١١/١٠ .

(٦٤) تاريخ العرب قبل الاسلام ١٣٨/٥ ، ١٦٥ وانظر مصادره .

وان (ذا شري) كان صنما لقييلة دوس ، وكانوا قد حموا له حمى ، وكان يقال له « حنا » ايضا ، وهو « حناذى شري » ، وكان به وشل ماء يهبط من الجبل (٦٥) . ونقل الكاتب اليوناني ديودوروس الصقلي عن السائح الاقريطشي « أغا ثرشدس » في القرن الثاني ق.م. حديثه عن هياكل زارها في جزيرة العرب قريبا من سواحل البحر (٦٦) .

وكانت لهم مقامات دينية تدعى الكعبات ، وهي بيوت مربعة مرتفعة (٦٧) . ولهم ايضا كعبة بنجران ، واخرى تدعى الكعبة اليمانية ، وفيها (ذو الخلصة) . وذكرت لنا ايام العرب كعبة اخرى بناها الغطفانيون بـ « بس » وخربها زهير ابن جناب الكلبي ، ثم اعادوا بناءها ، وظلت ماثلة الى ان ظهر الاسلام . وخبرها في « ايام زهير بن جناب » (٦٨) .

وكما قالوا في الملوك ان دماءهم تشفى من الجنون ، قالوا ذلك في الرؤساء ، والحقوا بهم جملة معتقدات ، فدماء الرئيس ايضا تشفى من داء الكلب (٦٩) . والسيد المقتول يبعد « القلت » أي الهلاك عن الاولاد الصغار اذا خطت المرأة « المقلات » أي التي لا يعيش لها ولد ، سبع خطوات فوق جثمانه . قال بشر ابن ابي خازم :

تظل مقاليت النساء يطأنه
يقطن الا يلقي على المرء مئزر

(٦٥) معجم البلدان - ياقوت ٢٤٦/٥ .

(٦٦) اديان العرب ص ٤ .

(٦٧) المصدر السابق نفسه .

(٦٨) الاغانى ٨/١٢ ، ١٥/١٩ .

(٦٩) النويري ٣١٩/٢ .

قال ابن الأنباري : والشاعر يصف رجلاً شريفاً ، وكان أهل
الجاهلية يقولون : إذا قتل الرجل المييد ، فخطته المرأة سبع خطوات
عاش ولدها (٧٠) .

وأبرز مثل لرئيس مقدس ، يطل علينا من يوم « ذات الأثل » (٧١) هو
صخر بن عمرو بن الشريد ، حيث يلوح وجهه مشرقاً جميلاً من بين
أكداس القصائد الطوال التي خلدهت بها اخته الخنساء ، والتي نفسها
تعتبر قصيدة رثاء ممتدة من العصر الجاهلي إلى بدايات الإسلام .
ولم تكن الخنساء لتبكي في صخر صفات البشر الفانين ، لأنه في نظرها
ليس مجرد رجل قتل في « يوم ذات الأثل » ، لكن طبيعة الموت
تختلف (٧٢) :

« لا بلاء من ميتة في صرفها غير » ، والدمع في صرفه حول « وإطوار »
فهو في شعرها ، مثل طالبة استغفار ، أو أشبه بقربان مذبح تحت
قدمي اله تعالى ، ينظر إلى ضحيته ، والدم حار ينزف بلا انقطاع من
جرح مفتوح في النحر ، وكل ألم الدنيا مجتمع في العينين . وهذا قادم
من تقديسها له ، فكان رجيلة صدمة يفوق تصورها له ، مثل صدمة
جلجامش بموت صديقه انكيكو ، ولا غرابة في ذلك ، والاصل
واحيد (٧٣) :

« من أجل انكيكو خلتى وصاحبي »

(٧٠) شرح المفضليات - ابن الأنباري ٣٤٠ .

(٧١) أيام العرب ص ٢٩٠ .

(٧٢) الأغاني ٨٠/١٥ .

(٧٣) ملحمة جلجامش - نشر طه باقر ١٠٨٦-١٠٨٧ .

أبكى وآنوح فواح الشكلى م
إنه القاس التي في جنبى ، وقوس يدي
والخنجر الذي في حزامي ، والمجن الذي يدراً عني
وفرحتي وبهجتى ، وكسوة عيدي •

•••
••••

وكالبوة التي اختطف منها إشبالها

صار يروح ويجيء امام الفراش ، وهو ينظر اليه •
وهذه مثل صورة الناقة التي ريعت بفقد فصيلها ، فهي تأكل وترتع ،
فاذا تذكرته هاجت وظلت تروح وتجيء ، وترجع الصوت طول الليل •
وهي صورة من اعماق الصحراء ، فاذا اتجهنا الى التخوم واطراف
الاقطاعات الزراعية اتخذت الناقة شكل لبوة ، والجمال شكل سبع ،
والاضل واحد ، هو هذا التفجع في الرثاء (٧٥) :

فما عجول على بؤ تطيف به

لها حينان اصغار واكبار

ترتع ما رعت حتى اذا ادكرت

فانما هي اقبال وادبار

لاتسمن الدهر في أرض وان رعت

فانما هي تحنان وتستجار

يوما بأوجد منى يوم فارقتى

صخر وللدهر احلاء وامرار

(٧٥) أيام العرب ص ٢٩٣ .

فان صخرا لوالينا وسيدنا
وان صخرا اذا نشتو لنحسار
ويظل صخر يدور مع شروق كل شمس ، ثم يظل عليها عند كل
غروب ، وهو نار على علم ، وامطار منهمة ، بل هو وسيف مرهف
صقيل (٧٦) :

وان صخرا لتأتم الهداة به
كأنه علم في رأسه نار
ولا تراه وما في البيت يأكله
لكنه بارز بالصحن مهمار
مثل الرديني لم تنفذ شبيثه
كأنه تحت طي البرد أسوار
وكان صخر قد وعدّها في حياته ، انه مقيم معها ، وانه موجود ،
حتى ولو نقله الموت ، وحجبه عن الانظار (٧٧) :

أجارتنا ان الخوف تنوب
على الناس كل المخطئين تصيب
أجارتنا ان تسأليني فأنني
مقيم لعمرى ما أقام عسيب
فهو خالد مثل جبل عسيب ، وهي ان سأله أجاب . يقول ابو

(٧٦) الاغاني ٨٠/١٥ .

(٧٧) ايام العرب ٢٩٢ .

عبدة : فقبره هناك معلم (٧٨) . ولاجل ذلك فهي تخاطبه (٧٩) :

في جوف رمس مقيم قند تضعه

في ارمسه مقطرات واحجار

طلق اليدين بفعل الخير ذو فخر

ضخم الدسيعة بالخيرات امار

وليس غريبا ان يتحدث صخر عن نفسه مثل هذا الحديث الذي

يضيف على شخصه هذه الجلالة والهيبة ، فقد كان في حياته يتكهن .
ومن علامات كهنته ان اخاه معاوية ، اراد غزو بني مرة ، فنهاه قائلا :

« كاني بك ان غزوتهم ، علق بجمتك عسك العرط » وهو نبات
شوكي وكان ذلك في يوم حوزة . فأبى معاوية فقتل في الغزوة
نفسها (٨٠) .

وكان الزبرقان بن بدر ، يقال له « قمر نجد » يرفع له بيت من
عمائم وثياب وتنضح بالزعفران والطيب ، وكانت بنو تميم تحج ذلك
البيت . قال الزبرقان (٨١) :

نحن الكرام ، فلا حي يعادلنا منا الملوك وفينا تنصب البيع

(٧٨) نفسه ٢٩٣ .

(٧٩) المصدر السابق نفسه .

(٨٠) انظر العقد الفريد ١٦٣/٥ فاذا علمنا ان من بين هذه العائلة من
كان يقال له : ذو التاج ، وكان بنو سليم توجهوا وامروه عليهم ،
تأكد لنا ان هذه العائلة كانت على جانب من التقديس من لدن
العرب في الجاهلية وتجلت لنا مراثي الخنساء واضحة . .
(انظر العقد الفريد ١٠٤/٥ والنويري ٣٥٤/١٥) .

(٨١) تاريخ الرسل والملوك للطبري ١٧١٢/١ .

وكان للهؤلاء جميعا رأي أو تابع من جن ، يشاركون به الشعائر
ايضا ، وان قيل ان له شيطانا يتلقى الشاعر شعره عنه . والواقع ان
هذه المسيلات ، كان لها رواج عظيم في الجاهلية ، فلكل قبيلة اله وملك
وكاهن وساحر وشاعر وخطيب ، ويتصل بهؤلاء جيش من الجن
والشياطين ، تنظم الحياة ، ومعتقدات وطقوس تدور حولهم . ومن
كان له رأي من الجن أو تابع ، ناجية بن عقال ، جد الفرزدق ، احد
ابطال يوم الصفقة (٨٢) ، وغيره كثير ، ممن تردد اسمائهم خلال
«الأيام» .

ويتصل السحر بحديثنا عن الملوك ولكهان والرؤساء والجن
والشياطين . ويلحق به التنجيم والعرافة والطيرة ، وما اليها ، متخذة
شكل العلم الزائف : Pseudo - Science وتدعى جميعها بالعلوم
الخفية الغامضة ، او علوم الاسرار Occult - Sciences وهي في
اساسها قريبة الشبه من بعضها (٨٣) . وكان السحر منتشرا ، حتى ذكروا
ان ساحرا كان يعلم غلمان اهل نجر السحر (٨٤) . وكان نبي اليمامة
الكاذب (مسيلمة) يمارس فعاليات كالتي تجري اليوم في المختبرات
الفيزيائية ، من قبيل ادخاله البيضة في قارورة (دورق) ضيقة العنق ،

(٨٢) أيام العرب ص ٦٥ .

(٨٣) تايلور - الدكتور أبو زيد ص ٨٩-٩٠ وانظر حديثه عن الطيرة :

وتفسير الاخلام والعرافة والتنجيم عند قبائل المأوري

وهي شبيهة بمعتقدات الايام . وقارن تعريف السحر عند التهانوي

في كشف اصطلاحات الفنون مادة (سحر) ١٥٢/٣ وعند طاش

كبرى زادة في مفتاح السعادة ٢٧٦/١ بتعريف فريزر في الفصن

الذهبي ١٠٤ وتايلور .

(٨٤) ابن هشام السيرة ٢٣٠ .

وايصال اجنحة الطير المقطوعة بريشات يثبتها بنفسه ، ويجعل الطائر يطير ، فيوهم الناس انه سحر ، فيتبعوه (٨٥) .

وكانت للملوك رهبة في نفوس رعاياها ، دونها رهبة الموت ، اذ كان الملك من افياء البدوي المقدسة . بل ان روحه لتسيل على حد الضبا في سعادة غامرة ، ويخشى ان يتعرض لغضب ملك او كاهن او رئيس من سلالة آلهة (٨٦) . لذلك نطقت اشعارهم بجليل المعاني لدى تعرضهم لبطش ملك . وتحدثنا الايام عن ابطال قتلوا ملوكا ، فلم تنصرهم عشيرتهم ، وتحملت من جرائمهم . ومن يدري فلعل من بين اسباب اعتذارات النابغة ، قتل الحارث بن ظالم لابن الملك ، فجاءت اعتذارياته - كما دعيت فيما بعد - اشبه بمناجاة روح اربعها غضب اله :

وانك كالليل الذي هو مدركي

وان خلت ان المتأى عنك واسع

وقوله يمدحه :

بانك شمس والملوك كواكب

اذا ظهرت لم يد منهم كوكب

كانه يصف قوى تفوق طاقة البشر ، ونعوتا تتسامى على بني الانسان ، او كائنا لا تملك الناس صفاته ، والنابغة امام هذه القوى والصفات ، خائف ، منسحق وسبق ان اشرنا الى طقوس المنذر الملكية الصعبة ، وكيف كان يضحي للعزى بالقرايين البشرية ، في يوم يؤسه ،

(٨٥) . المعارف ص ٩٥ .

وانظر مادة (سحر) في دائرة المعارف الاسلامية ٣/١١ .
(٨٦) استمرت هذه الهالة من التقديس حتى عصر الاسلام .

ويضحى بنديميه الاسديين ، وبعبيد بن الابرص الشاعر ، الذي جاء
بنفسه الى قدره ، وقال اتتك بحائن رجلاه . وهو يوم من ايام
العرب (٨٧) . وهذه الضحايا في اعتقادهم تكون ضيوفا على الآلهة .
لذلك كان أهل دومة الجندل كل سنة يضحون لآلههم رجلا ، ثم
يدفنونه قرب الذبح (٨٨) وتشير هذه الشعر الى النحر والعقر او العنز
للالة وغيرها على قبور عظمائهم ورجالهم ورؤسائهم . ومما نقله
البغدادي عن ابن السيد ، انه اختلف في سبب عقرهم الابل على القبور .
فقال قوم : انما كانوا يفعلون ذلك مكافأة للميت على ما كان يعقره من
الابل في حياته وينحره للاضياف ، واحتجوا بقول الشاعر (٨٩) :

وانضج جوانب قبره بدمائها فلقد يكون اخادم وذبائح

وها يفسر ظاهرة الكرم وجذورها العقائدية في العصر الجاهلي . فلم
يكن الرجل ليفرط بنفسه وماله لدرجة الاتلاف ، الا لعقيدة راسخة
في نفسه ، ذات وازع روحي يتصل بالمعتقد . فهذا يزيد بن عبد المدان
يتشفع لرجل محكوم عليه بالقتل عند ابن جفنة الملك ، ويقول له :
« ولا شفيع الا كرمك » . فيقول « قد فعلت » ثم يقول الملك ايضا :
« ما كان يميني لتفي بقتله او هبته ، فان يميني كانت على هذين
الامرین » (٩٠) . فاليمين تهي امام شعيرة قوية كالكرم . والملك بعد
ان وهب المحكوم عليه بالموت ، بعد يمين او قسم ، امام الناس ، تحلل
من يمينه بالكرم .

(٨٧) الاغانى ٢٣ و ٤١ وما بعدها والبغدادى ٤/ ١٦٥ ، ٥١٠ .

(٨٨) النصرانية وادابها ص ١٦ .

(٨٩) البغدادى ٤/ ١٩٣ .

(٩٠) الاغانى ١٢/ ١٦ .

ووجه آخر يفسر هذه الظاهرة . فقد قال قوم انما كانوا ينحرون
الابل اعظاما للميت . كما كانوا يذبحون للاصنام ، كانوا بقايا من
عبادة الموتى . وقيل بانما كانوا يفعلونه ، لان الابل تأكل عظام الموتى
اذا بليت ، فكأنهم يثأرون لانفسهم منها في حياتهم^(٩١) . لذلك افرطوا في
النحر والعقواء كما افرطوا في الكرم .

وقضية الخلود في الأدب العربي ، عن طريق جهاد النفس في الحرب
والثبات في المروءة والكرم ، باعتبار ان « الذكر للانسان عمر ثان »
هي نفس قضية الخلود في الملاحم الكونية الاولى ، لكنها هنا متطورة ،
فلسنا نتظر من بطل الايام ان يمضي مثل جليجامش بحثا وراء نبات
الخلود ، لكنه يبلى بلاء حسنا في الحرب ونوال الثار او الكرم
والمروءة ، وهي كلها شعائر دنية ، لينال الخلود .

قال الخادر الديباني^(٩٢) :

فأثروا علينا لا ابا لائكم باحساننا ان الثناء هو الخلد

وقال الغنوي^(٩٣) :

فاذا بلغت ارضكم فتحدثوا ومن الحديث متألف وخلود

وقال المهلهل بن ربيعة^(٩٤) :

فقتلا بتقتيل وعقرا بعقركم جزاء العطاء لا يوت من آثار

(٩١) البغدادي : ١٩٤/٣ .

(٩٢) الحيوان للجاحظ ٤٧٥/٣ .

(٩٣) المصدر السابق .

(٩٤) البيان والتبيين ١٨١/٣ والمصدر السابق .

واذن فالخلود عند مهلهل هو في ادراك الثأر ، وعدم ادراكه هو الموت في الحياة ، ومسألة «الهامة» التي تحوم حول قبر الميت ، وهي روجه ، تصيح اسقوني ، معروفة ، لا نعيد القول فيها ، لكن لدينا في الايام (٩٥) : انهم اذا لم يدركوا بدم المقتول بان ينالوا من دم قاتله ، ظل قوم الثقيل رجالا ونساء حلائل للقاتل ، فقال ابن علاقة اخو بني الطارث بن همام مرة يعير ال ذي الجدين ، تركهم قيس بن مسعود رهينة في يد كسرى حتى مات ، وتزويجهم امرأته في حياته ، وان يقتل عاصم بن خليفة بسطاما اخا مسعود ، ولم يثأروا به :
أقيس بن مسعود رهنتم بأكلة

من التمر لم تشبع بطون الجراضم
واتم فكحتم عرسه في حياته
فكانت عليكم بعد ضربه لازم
فخرتم بسطام ولم تثأروا به
أحارب بن همام حلائل عاصم

فغيرهم بانهم لم يدركوا بدم بسطام ، وجعلهم حلائل لقاتله .
لذلك اولعوا بالنحر والعقر واختلطت كشيرة مع الكرم ،
واندرجت تقليدا وغفل عن الاصل ، لذلك يقرن الكرم بكثرة النحر ،
فكان الرجلان في الجاهلية يتباريان في الجود والسخاء (٩٦) ، فيعقر هذا ،

(٩٥) نقائض ٢٣٦ وانظر ايام العرب ٣٥٤ (يوم نقاء الحسن) .
(٩٦) وهذا المعنى يظهر في اشعار العرب بعد الاسلام ايضا . اما
القدماء فهو قول زهير بن ابي سلمى :
بسط البيوت لكي يكون مظنة

من حيث توضع جفنة المسترفد

وقول المسيب بن علس :

←

وهذا من ابله حتى يعجز صاحبه ، وفي حديث ابن عباس « لا تأكلوا من تعاقر الاعراب ، فاني لا آمن أن يكون مما اهل به لغير الله » وفسر ابن الاثير هذا الحديث على الوجه الذي ذكرناه في تباريهم على العقر ، مع أمثلة لرجال مسلمين يمارسون هذه الطقوس القديمة ، فهي الاسلام عنها : « لا عقر في الاسلام » (٩٧) . وكنا في صفحات متقدمة قد تحدثنا عن اعتذار احد الشعراء عن عقر ناقته على قبر ربيعة بن مكرم في يوم الكديد . ومما يذكر ايضا انه لما مات عمر بن حممه الدوس ، وكان احده من تتحاكم اليه العرب ، مر بقبره ثلاثة نفر من اهل يثرب ، قادمين من الشام : الهدم بن امرئ القيس بن الحارث ، وعشيك بن قيس بن هيشة ، وحاطب بن قيس بن هيشة ، الذي كان سببه « يوم حاطب » من « أيام الاوس والخزرج » فعقروا رواحلهم على قبره ، وقام الهدم فقال (٩٨) :

لقد ضمت الأثراء منك مرزءا
عظيم رماد النار مشترك القدر (٩٩)

احللت بيتك بالجميع وبعضهم
متفرق ليحل باوزاع
وقال في الاسلام مهيار الديلمي :
نصبوا بقارعة الطريق قبابهم
يتسابقون بها الى الضيفان
ويكاد موقدهم يجود بنفسه
حب القرى حطبا عن النيران

(٩٧) انظر اللسان المأود : (عتر) (عفر) (نحر) .

(٩٨) الأماي لابي على القالي ١٤٤/٢ .

(٩٩) ويخرج على هذا المعنى قول حاتم :



حليما اذا ما الحكم كان حزامه
وقورا اذا كان الوقوف على الجمر
وفيها يقول :

سقى الأرض ذات الطول والعرض مشجماً
أحم الرحا واهى العرى دائم القطر
وما في سقى الأرض لكن تربه
أضلك في احشائها ملحد القبر
وقام عتيك بن قيس فقال من قصيدة :

وابرز قد وري في الفضاء قليلها يرى غير مضمون بها وكثيرها
وهذا البيت وبيت الهدم قبله يفسران لنا مسألة القدور الغامضة
التي حرص ابو امرئ القيس ايصالها الى ابنه بعد مقتله في
يوم حجر .

وسنة الكرم منسوبة في الامة العربية الى جدهم ابراهيم عليه
السلام ، الذي يقرى الضيف ويبالغ في اكرامه . وأشار اليه
الحريري في مقاماته :
وحرمة الشيخ الذي سن القرى واسس المحجوج في ام القرى
وام القرى ، مكة ، وهي حقا موطن ابراهيم ، وفيها يقرى الحجيج ،
وصارت سنة متبعة مع تعاقب الاجيال ، اشتهر بذلك عمرو
الذي لقب بهاشم لانه هشم الثريد لقومه في يوم جوع :
عمرو الذي هشم الثريد لقومه وبطون مكة مسنتون جياع
فأحرى بأم القرى ان تكون استنادا الى هذه الشعيرة الدينية ،
أم القرى (بكسر القاف) لتكون حقا اما لكل البشر في القرى
والمدن ، تطعمهم من زادها الروحي قبل أي زاد . فتسميتها
على هذا الوجه ، اقرب الى الاصل ، واعم واشمل . واما ان تكون
ام القرى المجاورة لها ، فهو تطور لحق الكلمة فيما بعد .

برغم العلى والجود والمجد والندى -
طواك الردى ياخير حاف وناعل

لقد غال صرف الدهر منك مرزاً
نهوضاً باعباء الامور الاثاقل -

وقام حاطب بن قيس فقلل من قصيدة ايضا :
سلام على القبر الذي ضم اعظما
تحوم المعالي حوله فتسلم

سلام عليه كلما ذر شارق
وما امتد قطع من دجى الليل مظلم

فيا قبر عمرو جاد ارضاً تعطفت
عليك مثلث دائم القطر مرزوم

وكان من متعلقات الكرم وكثرة العقر، تكرار مناظر الدماء، حتى
اتخذت لها في انفسهم مكانة خاصة . وقد يكون سببه هذه المشاهدة
المتكررة للوقائع والغزوات والحروب، وهو السائل العجيب الذي
اذ لا اريق اريقته مع الحياة، فطقوسه عندهم باقية مادام باقياً يجرى
في الجسد انهازا في قنوات لا تحصي . ثم كان بعد ذلك، المنظم
الحقيقي للروابط الانسانية، والعلاقات الاجتماعية في قرابة نسب
او رابطة رحم . وتروى لنا ايام العرب قصصا لافراد قتلوا من احسن
اليهم ورباهم ايتاما، وذلك بعد ان وقفوا على الرابطة البعيدة التي
تربطهم بمقتوليههم، وصلة الدم والرحم التي تربطهم بمن كانوا يظنونهم
اعداء وغرباء، ثم عرفوا انهم الاهل والاقرباء . وذلك ما وقع للهجرس

في يوم البسوس عندما قتل خاله جساس ، قاتل ابيه كليب ، مع ان جساسا هو الذي رباه ، وكذلك ما وقع لناشرة في يوم البسوس ايضا عندما قتل هماما ، مع ان هماما هو الذي رباه لقيطاس في بنى بكر ، لكنه لما عرف نسبه في بنى تغلب وجد من همام غفلة ، فقتله ، فقال باكي همام (١٠٠) :

لقد عيّل الأقوام طعنة ناشره ° أنا شر لا زالت سمينتك آشيره °
وبلغ من اعظامهم للدم ان منحوه اجمل المنعوت ، حتى لو كان الدم المسفوك ، يعود لاعدائهم كقول مهلهل بن ربيعة (١٠١) :

فاني قد تركت ببولادات بجبرا في دم مثل العبير

واتشرت بعد ذلك ، شعيرة تتعلق بالدم ، هي فصده ، حيث شاعت بين قوم ، وحرّمها آخرون . وتتم هذه العملية بقطع احد شرايين عنق الناقة ، والحصول على دمها كغذاء او هكذا يسدو ، كحصولهم على لبنها . وهي ظاهرة معروفة عند شعوب اخرى ، بل ان الشعوب الاخرى ظلت تمارسها الى عصرنا هذا ، وقد خرج الباحثون وعلماء الاثروبولوجيا باستنتاجات تتعلق بمسألة الدم وتقديسه ، وفسروا به ظواهر اجتماعية اخرى غير القصد كالدية والغارة ، والزواج الاغتراقي ، والقرايبي ووآد لبنات ، وما الى ذلك من مظاهر الحياة الاجتماعية يومئذ (١٠٢) ، وورد في القرآن الكريم قوله تعالى : « حرمت

(١٠٠) الاغانى ٥/٥ ومخطوطة كتاب بكر وتغلب ص ٥٠ واللسان (أشر) وتوجد مواضع اخرى من ايام العرب فيها قتل اللقطاء لارباب نعمتهم مثل قرواش بن هني قتل حذيفة بن بدر في جفرة الهباءة ، وكان حذيفة رباة في ايتام/عطفان (ايام العرب ص ١٨٢) .

(١٠١) العقد الفريد ٥/٢١٩ .
(١٠٢) البناء الاجتماعي - الدكتور احمد ابو زيد ١٩٨ .

عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير ، وما أهل لغير الله والمنخنقة والموقوذة
والنطيحة وما أكل السبع ، الا ما زكيتم وما ذبح على النصب » • و اراد
بالدم دم الفصيد • وكان يجعل في الامعاء بعد فصده ، يشوى للضيف ،
وهي عادة قديمة تجرى مع اعتقادهم بقدسيته ، وانه سبب الحياة ،
فتقديمه للضيف من قبيل الشرف العظيم ، يحبى به ، كما يقدم الدم
نفسه للآلهة ، ويصب على النصب والمذابح • وهي عادة عرفها العبرانيون
ايضا ، ومارسها العرب ، وقضى عليهم الاسلام (١٠٣) •

وتظهر هذه الشعيرة في « يوم أسر حاتم » عندما طلبت منه بعض
النسوة من قبيلة بكر بن وائل التي أسرته ، ان يفصد لهم ناقتهن ،
فامسك بالشفرة وضرب الناقة في لبتها فذبها ، لانه لم يكن ممن
يعتق هذا المذهب ، بل كان يؤدي للكرم شعائرة المشهورة ، بالعقر
والعتر ونحر الابل •
فقال حاتم (١٠٤) :

كذلك فصدى ان سألت ، مطيتى دم الجوف اذ كل القصاد وخيم

وقال ايضا يخاطب « عالية » المرأة التي سألته الفصد (١٠٥) :

عالي لا تلتن من عالية

ان الذي اهلك من ماله

ان ابن اسماء لكم ضامن

حتى يؤدي أنس ناويه

(١٠٣) تاريخ العرب قبل الاسلام ٢٩٦/٥ •

(١٠٤) الاغانى ٣٩١/١٧ وانظر ديوانه ٥٣ •

(١٠٥) الكامل في التاريخ ٣٦٩/١ (المنيرة ٦٠٧/١ بيروت) وليست
في ديوانه •

لا افصد الناقة في انهما
لكنني اجرها العالية
اني عن الفصد لقي مفخر
يكبره مني المفصد الآليه
والخيل اني شمس فرسانها
تذكر عند الموت امثاليه
وقال عبد الله بن عنمة (١٠٦) :

فباتت تعشيه الفصد واصبحت يتفرع من هول الجنان فوادها
وقال عارق ، وهو قيس بن حروة ، من طي ، في يوم اوراة ، وكان
عمرو بن هند الملك عاهدهم الا يغزوهم ولا يغزوه ، فلما مر بهم بعد
غارة لم ينل منها شيئا ، وكان زرارة بن عدس معه ، فحرضه على
غوزهم ، فخطبه عارق فقال (١٠٧) :

من مبلغ عمرو بن هند رسالة
اذا استحقبتها العبس تنضى من البعد
أبو عدنى والرمل يننى وبينه
تأمل رويدا ما أمامة من هند
ومن أجأ حولي رعان كانهما
قنابل خيل من كميته ومن ورد

(١٠٦) وهي مفضلية انظرها في شرح ابن الانباري ٧٤٧ وفسره ابن
الانباري :

تعشيه الفصيد : اي فصدت له جملا فاطمعته دم الفصيد . ثم
روى عن الاصمعي عن ابي عمرو بن العلاء يوم اسر حاتم وقصته
مع المرأة عالية .

(١٠٧) نقائض جرير والفرزدق ١٠٨٣ والاغاني ١٢٨/١٩ .

غدرت بأمر كنت انت دعوتنا
...إليه وبئس الشيمة الغدر بالعهد

وقد يترك الغدر الفتى وطعامه

إذا هو أمسى جثته من دم القصد

وكنت قد اشرت في معرض الكلام عن الآلهة والمعبودات ، بانهم
كانوا يتحالفون فينحرون الابل والجزر ويخوضون في دمائها كي يكون
اشد لحقهم ، لذلك سُمي قوم من العرب « بالأجارب » . وقال
ابو عبيدة : وانما سُموا الأجارب ، لانهم نحروا جملا جربا ، فأكلوا
لحمه ، وغمسوا ايديهم في دمه ، وتحالفوا ، وهم ولد كعب بن سعد
وسميت « خثعم » وهي قبيلة ، لان خثعم في الاصل البعير ، والخثمة
تلتطخ الجسد بالدم ، ويقال انما سميت بذلك ، لانهم نحروا بعيرا
فتلطخوا بدمه وتحالفوا (١٠٨) . والى جانب هذا كانوا يتحالفون عند
نار ، ويدقون العطر ، ويكتبون عند اله .

واما النار ، فهني نار المحاش التي ذكرها النابغة (١٠٩) :

جمع محاشك يا يزيد فاني جمعت يربوعا لكم وتميما

وهو يوم « دارة موضوع » حيث اجتمعوا حتى محشتهم النار
المقدسة . ونيران العرب المقدسة كثيرة عقد لها النويرى بحثا قيما
في كتابه الكبير .

وأما العطر ، فهو « عطر منشم » الذي ذكره زهير في معلقته التي

نظمها في اعقاب حرب داحس .

(١٠٨) النقائض ٩٧٠ ، ١٠٧١ وشرح الحماسة للتبريزي ١٥٣/٢ .

(١٠٩) ديوانه ص ١٧٨ والحيوان للجاحظ ٤٧٠/٤ .

واما الاله فهو (حلفنن) (١١٠) فقد ظهر اسمه في النقوش العربية الجاهلية ، وفسرت نصوص تتعلق بحبس اموال او عقود ، لاحظ الباحثون ان اصحابها استعانوا بهذه الاله ، لانزال النعمة والعذاب واشد الجزاء بكل من يحاول او يبدل تلك العقود والنصوص ، او يتجراً فيستولي على الاموال والحبوس المقررة ، كما رجو من الاله ان يشملهم هم وجماعته برحمته ولطفه وكرمه لاخلصهم له وفنائهم في حبه ، فقد ورد هذا في جملة من ايام العرب ، منها ايام بكر وتغلب حيث اصطلح الحيان ، فجعل الحارث بن حنظلة الشكري ، يذكر القوم بحلفهم بذي المجاز ، وما اخذوه على انفسهم من يمين أو قسم او ما ارتبطوا به مع الكفلاء ، بل حتى المهارق التي وقعوا عليها (١١١) :

واذكروا حلف ذي المجاز وما قدم فيه العهود والكفلاء .
حذر الجور والتعدي وهل ينقض ما في المهارق الاهواء .

ومثل هذا تماما وارد في معلقة زهير بعد العهود والمواثيق التي ابرمت ، فجعل الله شاهدا على كل خارج او خائن لهذا العهد (١١٢) :

فمن مبلغ الاحلاف عني رسالة

وذيان هل اقسمتم كل مقسم

فلا تكتمن الله ما في نفوسكم

ليخفى ومهما يكتمر الله يعلم

(١١٠) تاريخ العرب قبل الاسلام ١٤٣/٥ - ١٤٤ .

(١١١) مختارات الشعر الجاهلي للاعلام الشنتيري ص ٢٦٧ تحقيق عبد المتعال الصعيدي ط . القاهرة .

(١١٢) انظر شرح القصائد السبع (الانباري) ص ٣٧٠ ط : دار المعارف بمصر ١٩٦٣ والتبريزي - شرح القصائد العشر ص ٢٤ ط . مصر

١٩٦٢ : محي الدين عبد الحميد .

يؤخر فيوضع في كتاب قيدخر

ليوم الحساب او يعجل فينقم

وكثير ما يقترن بدم الابل لبنها ، وهي صورة تتكرر في « ايام العرب » حيث يمتزج الدم باللبن ، امتزاج العدم بالوجود ، او الفناء بالخلود ، والصراع الذي يفسر الموت من اجل الحياة التي يبحث العربي عن مثلها الاعلى من خلال تطلعاته الملحمية . وتبرز هذه الصورة في « يوم البسوس » عندما تخترق النبلة المنطلقة من قوس كليب ، ضرع « السراب » ناقة البسوس ، فتندفع الناقة ترغو وتشخب نحو بيت أهلها ، والدم واللبن يمتزجان ويخرجان من فم الجرح المفتوح في جانبي ضرعها المكتنز . وما ان تراها البسوس خالة جساس حتى تنطلق بايائها التي عرفت في المحمة بـ « قصيدة الفناء ! » (١١٣) .

وتتكرر صورة الدم الممزوج باللبن ، في يوم « الكلاب الثاني » لكن المطعون في هذه المرة انسانا وليس ناقة ، وذلك عندما يصيب عبد يغوث الحارثي رجلا برمحه معدته ، وكان الرجل قد اصطبغ ، فيسبق اللبن الدم (١١٤) ، واللبن رمز الفناء ، والدم الحياة المتجددة ، ومن هذا المزيج الملحمي : الناقة والمرأة والفرس والدم واللبن وغيرها ، يولد الموت الذي يخلق منه كاتب الدراما ، سلما ترتقى الاحداث عليه نحو ذروة انفجارها ، لتولد حياة نموذجية ، وتستمر الدورة .

(١١٣) الفاخر - للمفضل بن سلمة ٩٤ وشرح الحماسة للتبريزي . ١٩٩/٢

(١١٤) ايام العرب ٦٥ ، ٧٤ .

الفصل الرابع

(عالم الايام)

نحاول في صفحات هذا الفصل الاخيرة من دراستنا ، ان نسبر
بنظرة شاملة ، ابعاد العالم الذي ضمته ملاحم الايام الى صدرها
الرحب . لكننا وان حرصنا على ان تكون هذه النظرة استقصائية ،
الا انها ظلت مقتصرة على النموذج ، فلامست مظهر الايام ، بان جعلنا
ننظر اليها من خارجها ، متأملين في الهيكل ، او البناء الشبه المتكامل ،
ثم المضي الى المحتوى ، وذلك بالولوج في داخله والقاء الضوء على
المسالك والزوايا ، ثم تقريب المعاني الدقيقة مكبرة امام القارئ كما
كانت في اوان استعمالها ، قبل ان تتضاءل . ثم ندرس ، بعد ذلك كل
جزئيات هذا المحتوى ، المتمثل بالبطولة وتفريعاتها .

وكانت الايام ، قبل ان نجد لها عملية « التصنيع » ، لاجراجها ،
تعاني من شتات وتفرق ، فلم تعرف حق معرفتها ، ولا لفتت اليها نظر
المتذوق ، فعزفت عنها نفوس الباحثين ، وقالوا فيها ما قالوا . فلما جمعنا
الروايات في كتاب أبي عبيدة ، ظهرت على حقيقتها كأحسن ما تكون
الآداب الروائية ، نسقا في تسلسلها ، وعرضا لاحداثها ، واحتواء
لقيم عصرها . وبذلك انتهى ما كان يقال عن كونها مظاهر قتالية ، موزعة
في كتب الشعر واللغة ، ومقدمات ، لقصائد مروية في حوادث معينة .
وكذلك اتفت عنها صفة التشيت والتمزق ، وانعدام الشخصية
الادبية ثم الملحمية ، عندما كانت محتجة وراء نصوص الشعر وشروحه ،
والمثل وتفسيره ، وداخل كتب اللغة والسير والتاريخ .
وأوضح مثل هذه الصفة الملحمية في « الأيام » ما نشاهده في

كتاب ابي عبيدة بالنسبة لايام « غطفان وعامر » والتي انضمت اليها
ايام « داحس والغبراء » كلها ، فاستغرقت من صفحات الكتاب مائة
وستة وستين صفحة^(١) ، ويلحق بها ايضا يوم « أقرن »^(٢) ويوم
« النصار »^(٣) ويوم « ذي نجب »^(٤) ويوم « أعيار »^(٥) وهي بخمسة
وعشرين صفحة من كتاب الايام ، فتصبح هذه المجموعة المتناسقة
في الحدث الدرامي مائة واحد وتسعين صفحة ، وهي في كتب
القدماء اشتات لا تبعث الرغبة في نفس القارئ على مطالعة اية قطعة
منها ، لان تفرقها افقدها صفتها الدرامية فكانت صالحة لاي شيء الا ان
تكون ملحمة ، واكبر قطعة من هذه المجموعة وجدت كتاب (نقائض
جرير والفرزدق)^(٦) ، تقص بشكل متسلسل اوليات هذا اليوم وهي :
يوم ذي المريقب ، ويوم اليعمرية ، ويوم جعفر الهبابة ، والصلح الاول ،
ويوم الغدير ، والصلح الثاني . وما سوى هذه الرواية ، فجميع
ماورد عن هذا اليوم ، محض أخبار وروايات مفردة ، لكن عندما
جمعت الى بعضها ، وفق تسلسل الاحداث ومنطقها ، ظهر لنا هذا اليوم
الكبير ، الذي يروي احداث قرن من الزمان ، التقى فيه الاباء فالابناء
ثم الاخفاء . وهي مرحلة طويلة جرت فيها تحولات ، حيث امسى
الصديق عدوا والعدو صديقا ، وانقلبت الاحوال شر منقلب ، فما كان
بالامس محزننا صار فيما بعد مبعث سرور ، والاشياء التي قالوا عنها

(١) ايام العرب ص ٨٩ - ٢٥٤ .

(٢) نفسه (ص ٣٠١) .

(٣) ص ٤٠٦ .

(٤) ص ٤٧١ .

(٥) ص ٤٨٩ .

(٦) النقائض ص ٨٣ - ١٠٨ .

انها ضارة ، أصبحت - عقب ذاك - نافعة ، وهي حقيقة واقعة ، تفسر
 عنف التضاد بين البيئة البشرية المتجهة وبين توقعات الانسان تجاهها
 وتجاه نفسه ، متخذة في الظاهر شكل صراع دموي رهيب ، وفي الباطن
 نزفا روحيا ، يجري في انهار الدم التي تصب في بحار الموت والعدم ،
 المتجهة نحو مستقبل مجهول ، لا تبرز الملحمة خطوطه ولا حدوده .
 واذا كان هذا النموذج من ايام غطفان ، الذي استشهدنا به حول
 ارتباط ملاحم الايام من جهة مظهرها الخارجي وضع اكثر من ثلث كتاب
 « الايام » في نسق محلحمي متسلسل ، وفن روائي متقن ، فماذا بقي
 منه ؟

ان اول يوم يبدأ به الكتاب ، هو « يوم البردان »^(٧) وفيه تتألق
 شخصية زياد بن الهبولة الغامضة ، والتي اضطربت حولها الاحكام ،
 وكثرت فيها الاقوال^(٨) . والشخصية القوية الاخرى التي تقابلها في
 الصراع هي شخصية حجر ابن عمرو « آكل المرار » وكان ملكا على
 قبيلة ربيعة بن نزار ، نصبه التبع حين قدم الى العراق ، وسيطر على
 أرض معد هناك . وكان التبع في طريق عودته من « يوم اليمامة » بعد
 أن أباد قبيلتي طسم وجديس ، وبعد ان تصدى له الملك بجذيمة ، ولم
 يحاربه ، وذلك في يوم آخر من أيام العرب ، يعرف « بيوم جذيمة »^(٩) .

(٧) ايام العرب ٣٩ .

(٨) الأغاني ٣٥٥/١٦ سماه الفازي العظيم . وهو في الميداني ٢٤٥/٢
 ملك ملوك سليح والضجاعم ، ذكره مالك بن جزيين الطائي في

شعره :

هنالك لاعطي رئيسا مقادة ولا ملكا حتى يؤوب ابن منذله

وهو في البسامة ١١٩ - ١٢٠ (عبد ياليل) .

(٩) الشريشي ٤٠٦/٢ .

وانجب حجر عمرا ومعاوية المعروف بالجون ، وهما اللذان جردا جيشا ليوم « جبلة »^(١٠) احد ايام داحس ، ضمن ايام عامر المذكورة قبل سطور .

ولشخصية عمرو بن حجر آكل المرار ، امتداد ملحي الى يوم آخر يليه ، هو يوم « مسحلان »^(١١) يتكرر في شخص ابنه الحارث بن عمرو بن حجر الذي خرج يتصيد ، فرفعت له عانة ، فشده ، فانفرد منها تيس ، وألظ به الحارث فأعياه ، فأل بألية ، أن لا يأكل شيئا الا من كبده ، وهو بمسحلان ، فطلبته الخيل ثلاثة أيام ، فأتى بعد ثالثة ، وقد كاد يموت من الجوع ، فضهَّب لحمه على النار ، فأخذ فلذة من كبده حارة ، فأكلها فمات من حرارتها^(١٢) ، فكأنها ميتة من لعنة مقدسة ، لان الكبد على ما أظهرت الكشوف ، مقدسة لدى قدماء العرب منذ عصور بابل وآشور ، فقد كانوا يستشفون من قنواته والاعوية المنتشرة على سطحه خطوط المستقبل^(١٣) .

وقد ملك الحارث اربعين سنة ، وصالح « قباذ » ملك الفرس ، ضد المنذر معتنقا دين الاباحي المشهور في التاريخ باسم مزدك ، وحركته المعروفة بالمزدكية .

ومن ثم امتدت حياة الحارث في بنيه الذين وزعهم على القبائل العربية ملوكا ، وهم : شرحبيل الملقب بغلفاء ، وقد سمي بذلك لانه كان يغلف رأسه بالطيب ، وسلمة ، ومعد يكرب وحجر . فكان بسببهم

(١٠) ايام العرب ٢٠٢ .

(١١) ايام العرب ٥١ .

(١٢) المصدر السابق .

(١٣) الحضارات السامية ٧٨ - ٧٩ .

يوم الكلاب الاول^(١٤) الذي قتل فيه سلمة أخاه شرحبيل ، ثم جر هذا اليوم ، يوم « حجر » الذي شهد نهاية والد امرئ القيس ، وامرئ القيس نفسه ، ثم غربت الشمس عن مملكة كندة ، وغاب ملوكها وشعبها في البلاد ، فلم يسمع لهم صوت بعدها ابدا .

ولا يفوتني ، قبل ان اغادر يوم البردان ، الذي انضمت اليه كل هذه المجموعة الكبيرة من الايام ، أن اشير الى « يوم القنان »^(١٥) الذي ذكر في هذه المجموعة ضمنا ، وفيه تزوج عمرو بن حجر (آكل المرار) أم أناس بنت عوف ابن محلم ، فانجبت الحارث المقتول بكبد التيس ، فقال ابو عدي النمري في هذا اليوم :

منعنا لكم يوم لقنان نسائكم وقد كذن لايمنعن ساقا ومئزرا

نتنقل بعد هذه المجموعة الثانية الى ملحمة ثالثة كبيرة تتألف من أيام : اللوى والغدير والظعينة والوادي والكديد وبرزة والقيفاء وحوزة الاول وحوزة الثاني ويوم ذات الأئيل^(١٦) . مجموعة رابعة وفقنا الى تم شعثها ، وكانت موزعة في عشرات المظان ، تتكون من (يوم المروت ، نعف قشاوة ، الغييط ، طلحات حومل ، يوم ذي طلوح ، العظالي ، نقا الحسن « الشقيقة » جدود ، يوم مخطط ، يوم الزويرين ، يوم الشيطان ويوم فيحان) . وقد استغرقت هذه المجموعة من صفحات الايام ثمانين^(١٧) .

فلم يبق لدينا الا يوم ذي قار ، وهو يوم كبير قائم بنفسه ، وايام

(١٤) ايام العرب ٤٨ .

(١٥) ايام العرب ص ٥١ .

(١٦) نفس ص ٢٥٥ - ٢٩٧ ، ص ٥٠٤ - ٥٠٧ .

(١٧) نفس ص ٣٠٢ - ٣٦٢ ، ص ٣٧٨ - ٣٩١ .

الفجار وهي مثل أيام الاوس والخزرج وداحس والغبراء والبسوس ،
تحتوي في داخلها سلسلة ايام طوال •
ان هذا الربط السريع لايام العرب ، سيؤدي بنا الى نتيجة علمية
منشودة عند مشاهدة تطور الاحداث وتصاعدها داخل اليوم الواحد
او الايام المتعددة المنتمية الى مجموعة كبيرة، وخاصة في دراسة الابطال
والصراع ونشيدان الخلود •

ولم تتوقف عملية ارتباط الايام ببعضها عند حدود شكلها او
مظهرها الخارجي بل مضت ابعد من ذلك ، فهي من جهة محتواها
او مضمونها ، لاتقل في تماسكها واتصال اطرافها فيما بينها ، عن
مظهرها • وابرز هذه العناصر المكونة للنسيج الداخلي للايام ، ذلك
العنصر الذي يشدها الى مجموعة كبيرة ايضا ، وهو يتصل باعظم
قضية في حياة العرب ، تتعلق بكفاحهم من اجل اعادة كيانهم الضائع منذ
اواسط الالف الاول قبل الميلاد ، يوم دمر « كورش » عاهل الفرس ،
عاصمتهم بابل^(١٨) ، التي كان ينظر اليها على انها سرّة الارض ، فانبثق
النضال المسلح بكل اشكاله المادية والفكرية ، مجردين في وجه مغتصبهم
انواع الاسلحة ، في سبيل طرد الجيوش المغيرة التي ملأت ارضهم • ومع
ان الفرس غادروا بعض ارجاء الوطن العربي البعيدة ، الا ان العراق
في الحوزة ، فتركز النضال مكثفا نحو هذا الهدف ، فلم تكن الخاتمة
السعيدة الا في عصر الخليفة الراشد عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) •
وقد اتخذت ظاهرة المقاومة العربية ضد الاحتلال الفارسي الوانا
من الكفاح العنيد ، داخل ملاحم الايام • وان اقوى ملاحظة يمكن
ان تستنبط من تتابع الاحداث ، هو هذا الاتجاه البشري من انحاء

(١٨) الحضارات السامية ٧١ والساميون ولفاتهم ٥١ - ٥٢ •

الجزيرة ووسطها واطرافها نحو خط التقائها وهو السواد او ارض العراق . وينهض يوم ذي قار دليلا لا يقبل الرد ، على هذا التحرك البشري في مجابهة ، تحمل طابع التحدي ، ينتهي بقاء دموي منتظر .

و « السلان » (١٩) هو من ايام ابي عبيدة ، تحدث الينا اخباره عن اقدم صورة لهذا الرفض باروع تحدياته ، فتقول مطالع هذا اليوم : « كان بنو عامر بن صعصعة حمسا ، والحمس قریش ومن لهم فيهم ولادة ، والحمس متشددون في دينهم ، وكانت بنو عامر ايضا لقاحا لا يدينون للملوك . فلما ملك النعمان ابن المنذر ، ملكه كسرى ابرويز ، وكان يجهز كل عام لطيمة ، وهي التجارة ، لتباع بعكاظ ، عرضت بنو عامر لبعض ما جهزه ، فأخذوه . فغضب لذلك النعمان ، وبعث الى اخيه لاه ، وهو وهبة بن ومانس الكلبي ، وبعث الى صنائعه ووضائعه - والصنائع من كان يصطنعه من العرب ليغزيه ، والوضائع هم الذين كانوا شبه المشايخ - وأرسل الى بني ضبة بن اد وغيرهم من الرباب وتميم ، فجمعهم فأجابوه ، فأتاه ضرار بن عمرو الضبي في تسعة من بنيه ، كلهم فوارس ، ومعهم جيش بن دلف . وكان فارسا شجاعا ، فاجتمعوا في جيش عظيم ، فجهز النعمان معهم عيرا ، وامرهم بتسييرها ، وقال لهم : اذا فرغتم من عكاظ ، وانسلخت الحرم ، ورجع كل قوم الى بلادهم ، فاقصدوا بني عامر ، فانهم قريب بنواحي السلان . فخرجوا وكنموا امرهم ، وقالوا : خرجنا لئلا يعرض احد للطيمة الملك ، فلما فرغ الناس من عكاظ ، علمت قریش بحالهم ، ارسل عبد الله بن جدعان ، قاصدا بني عامر ، يعلمهم الخبر ، فسار اليهم واخبرهم خبرهم ، فحذروا وتهيئوا للحرب ، وتحرزوا ووضعوا العيون ،

(١٩) ايام العرب ص ٢٦ وما بعدها .

وبنو عامر عليهم يومئذ عامر بن مالك «ملاعب الاسنة» . واقبل
الجيش فالتقوا بالسلان ، فاقتتلوا قتالا شديدا . . . » ثم تمضى الملحمة
في وصف لقاء الجيشين ، وانتصار جيش العرب على صنائع الفرس
ووضائعهم ، وافتخار ليلى بن ربيعة بايام قومه :

انى امرؤ منعت أرومة عامر
ضيبي وقد حنّعت على خصوم
وغداة قاع القرنتين (٢٠) أتاها

رهوا ، يلوح خلالها السويم
بكتائب رجح تعود كبشها
نطح الكباش كأنهن نجوم

فالذي فلاحظه ، ان الملحمة حاولت ان تجسد عمق الرفض العربي
لاشكال الحكم الفارسي ، فاكدت منذ ابتداء اليوم ، بان بني عامر كانوا
يدعون « حمسا » أي متشددين في دينهم في الجاهلية ، و « لقاحا »
أي لا يخضعون لملك ، والملكية عند العرب نظام غريب ، لانهم في
الاصل يميلون الى الشورى ومجالس القبيلة ، خاصة ذلك النموذج
من مجالس مكة والقريشيين بينما الملكية نظام مستبد .

وملاحظة اخرى ابداءها هذا « اليوم » ، هي الترابط المصيري بين
القريشيين وبين العامريين ، واقوام غيرهما في العرب تمتزج امتزاجا
شعوريا ، كأنها نزع مهديت لوحدة مصيرية ، ولا غرابة ، فقد كانت
الانظار متجهة بقوة نحو مكة ، وكانت مكة تمثل قمة الفكر العربي
الجديد . الى جانب الفكر المحافظ ، فكان الصراع محتدما بين

(٢٠) قاع القرنتين : اسم آخر ليوم السلان . في الديوان : قاع القرنتين
وهو سهو نعالجه في موضعه من كتاب الايام .

الفكرين ، تجلت في الجدال الحاد والمناقشات الحامية ، بعكس بعض صورها القرآن الكريم بين الرسول صلى الله عليه وسلم والمكيين في اول العهد بالاسلام . واتجاه العرب نحو مكة واضح في فكر الايام نفسه ، حيث التجأ اليها قيس بن زهير^(٢١) والحارث بن ظالم^(٢٢) ، ولجأ اليها سويد احد بني عبد الله بن دارم^(٢٣) . والحارث وسويد قتل كل منهما ابنا الملكين من ملوك الجزيرة ، المواليين للفرس . وان نتيجة الحرب في هذا اليوم معروفة ، فقد جاءت لصالح العرب ، و اشار لهذه النتيجة لييد في آياته المتقدمة ، ولييد لم يدرك هذا اليوم ، وانما كان يسمع روايته من قومه .

وتعكس « ايام العرب » وجها آخر من اوجه هذا الصراع في صورة مأساة اعرق واشمل ، خلال « يوم الصفقة »^(٢٤) عندما بيعت باذان^(٢٥) الى كسرى عيرا تحمل ثيابا من ثياب اليمن ، ومسكا وعنبرا ، وخرجين فيهما مناطق محلاة ، وخفراء تلك العير ، فيما يزعم بعض الناس ، بنو الجعيد المراديون ، فساروا من اليمن وغيرها ، اغاروا عليها ، فقتلوا من فيها من بني جعيد والاساورة واقتسموها ، وكان فيمن فعل ذلك ناجية بن عقال^(٢٦) وعتيبة بن الحارث بن شهاب^(٢٧) ،

-
- (٢١) ايام العرب ص ١٤٥ .
 (٢٢) نفسه ١٣٧ .
 (٢٣) النقائض ٦٥١/٢ .
 (٢٤) ايام العرب ٦٥ .
 (٢٥) ويقال له « باذان » ايضا . انظر المصدر السابق .
 (٢٦) ويقال : صمصعة بن ناجية المجاشعي ، جد الفرزدق .
 (٢٧) وهو ايضا احد ابطال يوم الفبيط والجنونين ويوم خو ، وفي هذا اليوم الاخير قتل .

وقعب بن عتاب ، وجزء بن سعد ، وابو مليل عبد الله بن الحارث (٢٨)
والنطف بن جبير واسيد بن جنادة ، فبلغ ذلك الاساورة الذين بـ
« هجر » مع كزارجر المكعب (٢٩) ، فساروا الى بني حنظلة بن يربوع .
فصادفوه على « حرص » فقاتلوه قاتلا شديدا فهزمت الاساورة ،
وقتلوا قتلا شديدا ذريعا ، ويومئذ اخذ النطف بن جبير الخرجين
الذين يضرب بهما المثل فيقال : اصاب كنزا النطف .

وتدلنا اسماء الرؤساء والقادة المذكورين في هذا النص المقتبس
من مطلع اليوم الى حقيقة هذا اليوم ، وهي مساهمة اكثر من قبيلة
عربية فيه ، لان الدافع لم يكن السلب لذاته ، بل الغضب الذي في
صدر الامة ، حول ما ينقل الى فارس من الاموال العربية ، فاذا نهبوه
واقسموه ، انما يسترجعون حقا سليبا . وبعد هذه الحادثة يدبر
الملك كسرى لابناء القبائل المغيرة ، عن طريق صنائعه في الجزيرة ،
مجزرة رهبية ، حيث يغرر ببعض رجال القبائل وهم في سوق « المشقر »
آمنين مطمئنين ، فلم يكونوا على علم بنوايا بعض الرجال العرب الذين
يخدمون عرش الفرس ، فاصفقوا باب المشقر ، وهو حصن عظيم في
وجوههم ، وبعد ان امنوهم وطلبوا منهم ان يتركوا اسلحتهم خارج
الحصن ، فكان اذا دخل الرجل منهم ذهبوا به الى رأس الاساورة
فيقطع يديه ورجليه ، ويقطع راسه ، وظل يقتل ويذبح الى ان احست
القبائل بغدرهم ، فهاجموا الحصن بعد ان كسروا السلسلة الحديدية
في بابه وقتلوا الحراس ، وهاجموا الجيش الفارسي واساورته فقتلوا

(٢٨) بطل يوم نعف قشاوة ايضا .

(٢٩) سمى المكعب لعكبرته الرؤوس ، ولانه كان يقطع الايدي والارجل
(ايام العرب ص ٦٦) .

بعضهم وهرب البعض الآخر . وكان رمز الخيانة في هذه المجزرة ، رجل من العرب يقال له هوذة بن علي « رشاه كسرى بأن وضع التاج على رأسه ، فكان يقال له : هوذة المتوج ، تسجد له الفرس كلما مرت به » .

وتظل أيام العرب تدور في ساحات المقاومة العربية ضد الفرس وعملائهم في أيام أخرى مثل يوم الفرات^(٣٠) ، ويوم سفوان^(٣١) ، حتى بلغ التأزم أشده وذلك في أيام الفجار^(٣٢) عندما تعرضت لطائم النعمان بن المنذر لغارات البراص بن قيس النمري حليف القرشيين وكنانة كلها . وكان النعمان يومئذ صنيعة لكسرى في نظر العرب ، قبل أن يلقي الموت على يديه ، حيث كانت بدايات « ذي قار »^(٣٣) وقد احس العرب من النعمان بن المنذر تحولا نحو عروبتة ، وعداء للفرس ، وبخاصة لدى قتله الشاعر عدى بن زيد العبادي أحد الموالين الكبار للفرس ، فاعانوه على امره ضد الملك ، وامتلات الساحة العربية بالقبائل الغاضبة ، وكان اتجاه رأس السهم يشير نحو شمال الجزيرة الشرقي وبالأخص تخوم العراق وفارس ، ثم دارت ملاحم موت رهية كانت

(٣٠) الاغاني ٢٣/٢٠ ساسي حيث اغار العرب على ناس من العجم كانوا قد استوطنوا ضفاف الفرات .

(٣١) وهو يوم اغار بنو صعصعة على النعمان فأخذوا امراته المتجردة فقال نابغة بني جعدة شعرا ذكر في موضعه من الايام .

ارهاصاً لفجر مشرق مفاتيحه في يد المسلمين ، فعاد التاريخ الى العرب مرة اخرى بعد حضارة بابل وآشور ، حاملين اشرف القيم الى العالم كله . ومع أن يوم ذي قار لم يحقق نتائج السياسية ، بل اقتصر على النتائج العسكرية ، ووقف عند حدود النصر الحربي ، لكنه كما وصفه الرسول الكريم : أول يوم انتصفت فيه العرب من العجم .

هذا بالنسبة للأيام المتصلة بشرق الجزيرة ، فاذا انحرفنا نحو جهات الشام ، حيث أعلام الجيش الامبراطوري الروماني ترفرف فوق الأراضي العربية ، اطلت أيام اخرى ترتبط ببعضها وبما سبقها من أيام كندة والفرس ، وتشترك في نفس انسيج الداخلي لتكوين الأيام ، ويمكن حصر هذه الأيام فيما يأتي : يوم البردان^(٣٤) ، ويوم اضم^(٣٥) ، وبزاحة^(٣٦) ، والترويح^(٣٧) ، وحرب الحارث الأعرج^(٣٨) .

على ان بعض هذه الأيام عبارة عن لقاءات بين الفرس والروم اتسمت مثل يوم عين أباع^(٣٩) ويوم حليلة^(٤٠) .

ومما تقدم ، اتضح لنا هذا الترابط الخارجي والداخلي لأيام العرب ، ابتداء من مملكة كندة العربية ، و انتهاء بامبراطوريتي الفرس

(٣٤) أيام العرب ٣٩ .

(٣٥) نفسه ٤٨٥ .

(٣٦) كذلك ص ٤٨٧ .

(٣٧) ايضاً ص ٤٩٦ .

(٣٨) ايضاً ص ٥٠٢ .

(٣٩) العقد الفريد ٢٦٠/٥ والكامل لابن الاثير ٣٢٥/١ وخزانة الادب ٢٣٠/٤ .

(٤٠) مجمع الامثال للميداني ٣٨٢/١ وابن الاثير ٣٢٨/١ (يوم مرج حليلة) .

والروم ، وقد كان اتصال الايام واضحا من سير الاحداث التي عرضت
بايجاز ، فكانت اكبر عملية ارتباط لمملكة كندة مع الفرس ، جرت
يوم السلان ومسحلان والكلاب الاول لدى طرد المنذر ، وتتويج
الحارث بن عمرو بن حجر (آكل المرار) بدلا منه . واما ارتباط
الكنديين بالروم فتكفي الاشارة الى تلك الرحلة الطويلة لآخر ملك
كندي ، هو امرؤ القيس بن حجر الذي رحل يطلب نجدة الامبراطور
الروماني ضد خصومه ، لكي يعيد عرش كندة الزائل ، وكان ذلك في
يوم « حجر » ، فكانت تلك لحظات فريدة من تاريخ التصادم العالمي :
شرقي وغربي ، وهو ايضا ما تشعر به هذه المملكة العربية المضطهدة
بين فكي هذا الوحش الاجنبي ، ثم انتفاضات العرب ضده .

(٢)

ورباط آخر يلف بنطاقه عالم الايام ، وتدخل فيه جميع ايام العرب ذات المجموعات الكبيرة ، التي تدور رحاها حول حرب الاخوة وابناء العم ، والمنتسبين الى اب تقليدي واحد ، وأرض أو وطن واحد ، ويمكننا ان نتقى لها نموذجاً كبيراً جداً من ايام كبيرة هي : ايام البسوس ، وايام داحس ، وايام الاوس والخزرج وايام الفساد وايام الكلاب الاول .

وقبل ان اتعرض لهذه الظاهرة ، تمهيدا لربطها والخروج منها بنتيجة أخرى ، تؤيد ملحمة الايام ، وتنفي عنها صفة الشتات التي لاحقتها من تجرئتها ووضعها في مختلف الكتب ، وبالتالي تؤيد وحدة المظهر والنسيج الداخلي ، أحب ان أعطي سمات كل يوم من هذه الايام التي ذكرتها قبل اسطر كنموذج لهذا الربط المراد بحثه واظهاره .

لقد دارت ايام البسوس ، كما يقول ظاهرها ، بسبب ناقة ، بين ابناء عمومة يسكنون ارضا واحدة وهم ابناء بكر وتغلب . وكان على بكر : مرة بن ذهل بن شيبان وولدها جساس وهمام واختهما جليلة . وكان على تغلب : كليب واخوه عدى الذي لقبه (المهلهل) وسالم وفاطمة نو ربيعة بن الحارث بن زهير بن جشم^(٤١) وكانت جليلة تحت كليب عند اشتعال الحرب ، فهم اصهار ايضاً . ويقرب اليها هذا الجوار والقراية قول جليلة نفسها عندما قتل اخوها زوجها^(٤٢) :

(٤١) ايام العرب ص ٣٤ .

(٤٢) الاغاني ٦٣/٥ - ٦٤ وابن الاثير ٥٢٨/١ (بيروت) .

وانظر كتاب الزهرة (مخطوطة) الورقة (١٤٢) ١ .

يا ابنة الأقوام ان لم تر فلا
 تعجلي بالتوم حتى تسألي
 ان تكن أخت امرئٍ ليئت على
 شفقٍ منها عليه فافعلي
 يا قتيلاً قوَضَ التدهرُ به
 سقفٌ يتيّ جميعاً من علٍ (٤٣)
 هدم اليت الذي استحدثته
 وسعي في هدم يتي الاول
 خصني قتلٌ كليب بلظى
 من ورائي ولظى مستقبلي
 يشفى المدرك بالثار وفي
 دركي ثأري ثكل المثل
 اني قاتلة مقتولة
 ولعل الله ان يرتاح لى

وأيام داحس جرت بين قبيلتي عبس وذبيان ، المنتميتين الى القبيلة
 الأكبر : غطفان . وهم كاقوام عرفوا باسم جدهم التقليدي بغيض بن
 ريت (٤٤) . قال النابغة الذبياني (٤٥) :

صبرا بغيض بن ريثٍ انها رحمٌ جبتُم بها فأناختكم بجمعجاء
 وقال عنتره ايضاً ، يشكو بثه من هذه المعارك التي يقتل فيها
 الأخوة ، ويذكر كيف حالت رماح القوم بينه وبين حييته التي منعه

(٤٣) تريد بيت أبيها وبيت زوجها .

(٤٤) جمهرة انساب العرب لابن حزم ٢٤٨ ، ٢٥٣ .

(٤٥) ديوانه ص ٢١٦ .

الوصول اليها انشغاله بحرب ابني بغيض (٤٦) :
حالت رماح ابني بغيض دونكم وزوت جواني الحرب من لم يجرم
وقال قيس بن زهير (٤٧) :

فيا آبنى بغيض راجعا السلم تسلما ولا تشمتا الاعداء يفترق الشمل
وكانت اسبابها عميقة ، ابعد من جرى فرسين على رهان (٤٨) .
وأيام الأوس والخزرج طويلة ، وفيها شعر كثير ، والقبيلتان كما
ذكر ابو الفرج الاصفهاني (٤٩) عن رواية ابي عبد الله اليزيدي قال : قال
اسحاق : حدثني مشايخ لنا ، قالوا : كانت الاوس والخزرج اهل عز
ونعمة ، وهما اخوان لاب وأم ، وهما ابنا حارثة بن ثعلبة بن عمرو
بن عامر ، وامهما قيلة بنت جفنة بنت كاهل . . . بنت قضاة . وكانت
أول حرب جرت بينهم ، بسبب مولى كان لمالك بن العجلان ، قتله سمير
بن يزيد بن مالك . وسمير رجل من الاوس ، ثم احد بنى عمرو بن
عوف . وكان مالك سيد الحيين في زمانه ، وهو الذي ساق تبعا الى
المدينة ، وقتل الفطيون ، صاحب زهرة (٥٠) ، واذل اليهود للحيين
جميعا ، فكان له الذكر والشرف عليهم . . فقال أخو سمير ، وهو درهم

(٤٦) مختارات الشعر الجاهلي للاعلى ص ٣٢٩ ت : عبد المتعال
الصعيدى .

(٤٧) مجموعته الشعرية ص ٤٦ .

(٤٨) الشعر في سرب داحس والفبراء (الفصل الثاني) ص ٧٣ حول
اسباب الحرب .

(٤٩) الاغانى ١٠/٣ .

(٥٠) انظر معجم البلدان لياقوت (يثرب) ٤/٦٣ والفطيون هو صاحب
قصة الاغتصاب او حق السيد المطاع التي مضى حديثها في
الباب السابق .

وزهرة قبيلة عربية معروفة .

اين يزيد بن ضبيعة في ذلك (٥١) :

يا قوم لا تقتلوا سميرا فان القتل فيه البوار والاسف
ان تقتلوه ترون نسوتكم على كريم ويفزع السلف
انى لعمر الذي يحج له الناس ومن دون بيته سرف

يمين برب لله مجتهد

يحلف ان كان ينفع الحلف

لانرفع العبد فوق سنته

مادام منا يطنها شرف

اك لاق غدا غواة بنى

عمى فانظر ما أنت مزدهف

فأبد سيماك يعرفوك كما

يبدون سيماهم فتعترف

وقال قيس بن الاسلت ، وقد غاب عن اهله في هذه الحرب زما
طويلا ، فنحل وشحب . فلما عاد الى بيته ، وطرق ففتحت له زوجته ،
انكرته ، وكان اخذها بين ذراعيه ففزعت ، فقال (٥٢) :

(٥١) الاغاني ٢٢/٣ وترن : ترفع الصوت ، ومزدهف مقتحم . والشاعر
في البيت الاخير يخاطب مالك بن العجلان ، وكان مالك اذا شهد

(٥٢) الحرب يغير لباسه لئلا يعرف فيقصد .
المفضليات شرح ابن الانباري مفضلية (٧٥) ص ٢٨٣ والاغاني
١١٨/١٧ والجمعجاء : الموضع الضيق الخشن . والبيضة غطاء
الرأس في الحرب . وحسته حلقه . وموضونة اي درع مأسورة
بالوضعين وهو القد من الجلد . والنهي المغدير الصغير . والء
القليل . والقاع الارض المتسعة ، اي لون الدرع كلون الماء المتخلف
في القاع بعد المطر . واحفرها ادفعها . وواثق مطر .

قالت ولم تقصد لقييل الخنا
 مهلا فقد أبلغت اسماعي
 واستنكرت لونا له شاحبا
 والحرب غول ذات اوجساع
 من يذق الحرب يجد طعامها
 مرا واتركه بجعجاع
 قد حصت البيضة رأسي فما
 أطعم نوما غير تهجاع
 أسمى على جل بني مالك
 كل امرئ في شأنه ساعى
 أعدت للأعداء موضونة
 فضفاضة كالنهي بانقاع
 أحضرها عنى بذى رونق
 مهند كاللتمع قطاع
 صدق حسام وادق حده
 ومنحن أسمر قرّاع
 وخير ما يمثل هذه الحرب وإيامها قول قيس بن الخطيم (٥٣) :
 اتعرف رسما كاطراد المذاهب
 لعمرة ركبا غير موقف راكب
 ديار التي كانت ونحن على منى
 تحلّ بنا لولا رجاء الركائب

(٥٣) ديوانه ص ١٠ (طبعة لايبزك) وانظر الجمهرة والكامل لابن
 الاثير ٤١٨/١ .

تبدّت لنا كالشمس تحت غمامة
بدا حاجب "منها وضنت بحاجب

ومنها :

وكنت امرءا لا ابعث الحرب ظلما
فلما أبوا شعلتها كل جانب
اذنت بدفع الحرب حتى رأيتها
عن الدفع لاتزداد غير تقارب
أجالدهم يوم الحديقة حاسرا
كان يدي بالسيف مضراب لاعب

و « أيام الفساد » وقعت دموية دارت بين الطائين انفسهم ،
عندما تحزبوا حزبين^(٥٤) : « جديلة » وحزب « الغوث » . وكانت
اربعة ايام ، ثلاثة منهم للغوث ، ويوم لجديلة . فأما اليوم الذي كان
لجديلة فهو يوم « ناصفة » وأما الثلاثة الايام التي كانت للغوث ، فانها
يوم « قارات حوق » يوم « البيضة » ، ويوم « عرنان » وهو
آخرها واشدها ، وكان للغوث ، فانهزمت جديلة هزيمة قبيحة ، وهربت
فلحقت بكلب وحالقتهم ، وأقامت فيهم عشرين سنة ، وكانت الغوث
قاسية جدا مع اختها جديلة ، حيث قتلوا قائدهم اسبع بن عمرو ، فأخذ
رجل أذنيه وخصف بها نعليه ، وشربوا بجماجم القتلى من جديلة، فقال
ابو سرورة الستبسي^(٥٥) :

ونخصف بالآذان منكم نعالنا ونشرب كرها منكم بالجماجم

(٥٤) الاغاني ١٣/١٠ شرح التبريزي على ديوان الحماسة ١/١٨٨ ،

٧٤/٢ ، والكامل لابن الاثير ١/٣٨٨ .

(٥٥) الاغاني (الموضع السابق) .

وكانت الغوث اقبلت ، وعلى كل قبيلة رئيسها ، منهم زيد الخيل
وحاتم الطائي واقبلت جديلة مجتمعة على اوس بن حارثة بن لام
الطائي ، فاقتتلوا قتالا شديدا ، ودارت الحرب على بنى كباد بن جندب
فايدوا . فقال عدى بن حاتم الطائي : « انى لواقف يوم اليجاميم^(٥٦)
والناس يقتتلون اذا نظرت الى زيد الخيل قد حضر ابنيه مكنفا وحرثا
في شعب لا منفذ له وهو يقول : اي بنى ابقيا على قومكما ، فان
اليوم يوم التفاني ، فان يكن هؤلاء اعماما فهؤلاء اخوال » . فقلت
« كأنك قد كرهت قتال أخوالك » قال : « فاحمرت عيناه غضبا ،
وتطاول الى حتى نظرت الى ماتحته من سرجه فخفته فضربت فرسي ،
وتنحيت عنه ، واشتغل بنظره الى عن ابنيه ، فخرجا كالصقرين ، وحمل
قيس بن عازب على بجير بن زيد الخيل بن حارثة ، فضربه على راسه
ضربة عنق لها بجير فرسه ، وولى منهزما ، فانهزمت جديلة عند ذلك ،
وقتل فيها قتل ذريع . وقالوا في سبب أيام الفساد ، انها ناقة^(٥٧) ايضا
كناقة ابسوس .

(٥١) اسم آخر ليوم قارات حوق .

(٥٧) شرح التبريزي على الحماسة ١٨٨/١ وتفسير ظاهرة (العم)
و (الخال) المذكورة في هذا اليوم ، توضح فكرة « التبادل » في
المجتمع البدوي وهي اساس القرابة ، لان الزواج مجموعة من
العمليات الهادفة الى خلق ضرب بعينه من ضروب الاتصال :
Communication بين الافراد والجماعات ، ويتم هذا الاتصال
عن طريق رموز ، قوامها نساء الجماعة ، فهن يتبادلن بين بطون
القبيلة والقبائل والاسر . ويفسر هذه الاهتمام بالخال على انه
راسب من رواسب نظام الامومة : Motrillineal System
وان حاول آخرون ان يرجعوا هذه الاهمية الى الزواج من ابنة



ولما هلك الحارث بن عمرو بن حجر (آكل المرار) في يوم مسحلان،
تشتت امر شرحبيل وسلمة ابنيه . وتفرقت كلمتهما ، ومشى الرجال
بينهما فكانت المغاورة بين الاحياء التي معهما ، وتفاقم امرهما حتى
جمع كل واحد منهما لصاحبه الجموع ، وزحف اليه بالجيوش، فسار
شرحبيل في بنى بكر ومن معه من القبائل ، فنزلوا الكلاب ، هو ماء
بين الكوفة والبصرة ، واقبل سلمة في تغلب والنمر واحلافها ، وفي
الصنائع وهم اتباع الملوك ، يريدون الكلاب . وقبل ان يدور يوم
الكلاب الاول^(٥٨) كان نصحاء سلمة وشرحبيل ابني الحارث نهوهما
عن الفساد والتحاسد وحذروهما الحرب وعثراتها وسوء مغبتها ، فلم
يقبلا ولم ينزجرا .

ووقعت احداث الملحمة ، فلما لم يصل القتل بهم الى الخاتمة ، نادى
منادى سلمة :

— من اتانى برأس شرحبيل فله مائة من الابل .
ونادى منادى شرحبيل :

— من اتانى برأس سلمة فله مائة من الابل .

فلما احتز أبو حنش رأس شرحبيل ، وابو حنش ابن سلمى بنت
عدي بن ربيعة ، عمها كليب ومهلهل بطلا يوم البسوس ، بعث بالرأس ،
فألقي بين يدي أخيه سلمة ، فقال سلمة :

العم ، لكن اعتبرت السلطة هي الدافع الحقيقي وراء الخال .
(انظر مجلة عالم الفكر الكويتية العدد الاول ص ١٦٠ مقالة بعنوان
اصول البنوية في علم اللغة والدراسات الاثنولوجية للدكتور
محمود فهمي حجازي) .

(٥٨) أيام العرب ص ٤٨ .

— لو كنت القيته القاء رفيقا •

فقال الرجل :

— ماصنع ، وهو حي اعظم من هذا •

فعرفوا الندامة في وجهه والجزع على اخيه • وقال (٥٩) :

الا ابلغ أبا حنشل رسولا

فمالك لا تجيء الى الثواب

تعلم أن خير الناس طرا

قتيل بين أحجار الكلاب

تدأعت حوله جشتم بن بكر

واسلمه جعاسيس الرباب

قتيل ماقتيلك يا ابن سلمى

تضر به قتيلك او تحابي

وبلغ الخبر معه يكره « غلفاء » اخاهم ، فقال يرثيه ويذكر

مصابه :

ان جنبي عن الفراش لنابي

كتجا في الأسر عند الظراب (٦٠)

من حديث نمي الى فماتر

قأعيني ولا أسينغ شرابي

(٥٩) أيام العرب ٥٧ والجعاسيس مفرد جعسوس وهو القصير المذموم.

(٦٠) الأسر البصير يكون به سرر ، وهي فرحة في الكركرة فلا يقدر ان يبرك الا على موضع مستو ، والظراب : الشروز ، وهي الروابي الصفار ومائتا من الحجارة انظر اللسان مادة (ظرب) ، وقد استشهد بثلاثة ابيات من القصيدة .

مَرَّةً كَالْعِزَّافِ اكْتَمَتْهَا النَّاسُ
 مِنْ عَلَى حَرْثٍ مَلَقَةٍ كَالشَّهَابِ
 مِنْ شَرْحِيلٍ إِذْ تَعَاوَرَهُ الْآرُ
 مَا حَمَلَ مِنْ بَعْدِ لَذَّةٍ وَشَبَابٍ
 يَا ابْنَ أُمِّى وَلَوْ شَهِدْتُكَ إِذْ تَدْعُو
 تَيْمِيًّا وَأَنْتَ غَيْرُ مُجَابٍ
 لَتَرَكْتَ الْحَسَامَ تَجْرِي ضَبَاهُ
 مِنْ دَمَاءِ الْأَعْدَاءِ يَوْمَ الْكَلَابِ
 وَيَحْكُمُ يَا بَنِي أَسِيدٍ أَنِّى
 وَيَحْكُمُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ الرِّبَابِ

وهكذا تبرز لنا من بين هذه النصوص ظاهرة اقتتال الأخوة أو
 الموت الدائر بضراوة داخل العائلة الواحدة ، كالمثال الذي اتخذناه من
 عائلة امرئ القيس أو داخل القبيلة نفسها كالذي في أيام الأوس
 والخزرج وداحس والغبراء والبسوس وأيام الفساد ، ولم نذكر يوم
 اليمامة وهي حرب أخوين أيضا ، لأننا استشهدنا بهذا اليوم مرات
 عديدة من هذا الكتاب .

ولو أننا التمسنا في دراسة ملاحم الأيام ما نلتسمه في المآسي ،
 لالفينا لهذه الظاهرة الواضحة - كما مثلنا - في أيام العرب أكثر من
 نظير ، ولوجدنا التعليل الذي استعاره الباحثون من حقول علم
 النفس التحليلي، بخصوص «الانا» «الليدو» (٦١) حيث تتولد السقطة
 العظيمة لدى أبطال الروايات بعيدا عن أي اعتبار آخر ، شيئا يغري
 (٦١) أي امتزاج الفرائز الغير الجنسية بالفرائز الجنسية .

بالقبول ، ويعد بالوصول الى حقائق مشابهة لحقائق المآسي ، مع ان ملاحظهم الايام لم تجد الى الان من يعالج اشكالاتها في هذا المنحى المعاصر ، وخاصة نزوعها نحو دورة فناء شبه متكاملة ، ومتصلة الحلقات ، في أيام كبيرة ، يؤدي ادوارها الرئيسية اشخاص باعثهم الاول انداع لدرجة التمدادى في الشرور ، ثم السقوط مع التأكيد دائما على المقاتلين اخوة أو ابناء عم او اسرة ذات شهرة في شبه الجزيرة . فلو استشهدنا بغير ماتمثلنا قبل قليل ، امكنا ذلك . فهذا معبد بن زرارة ملقى في الاسر ورقبته في يد الجلاد ، ومع ذلك فلا يزيد اخوه لقيط بن زرارة في فدائه على المائتي بعير ، ويصر جلاده على الالف ، مع ان الفداء من مال الاسير نفسه ، لكنه يعتذر بحجج هي في نظر الاسير واهية ، ودعوى ومزاعم لا أساس لها ، واعتبر اخاه طامعا في ماله ، راغبا في التخلص منه لسبب غامض ، يفسر بالسقطة التي نحن بصدددها ، لكي يخلو الجو للقيط بعد زوال معبد ، وذلك بارساله الى الموت مادامت الفرصة قد سنحت فلا يفرط بها ولا تضيع (٦٢) :

— انك يا أبا نهشل سيد الناس ، واخوك معبد سيد مضر ، فلا نقبل منك الا دية ملك .

فأبى ان يزيدهم وقال :

— ان ابانا كان واصانا ان لانزيد على اسير منا على مائتي بعير ، فيحب الناس اخذنا (٦٣) .

(٦٢) أيام العرب ص ١٢٢ وما بعدها .

(٦٣) وفي موضع آخر من الرواية نفسها ص ١٢٣ (فإين وصاة ابينا ان لاتؤكلوا العرب انفسكم ، ولا تزيدوا بفدائكم على فداء رجل منكم ، فيدرب بكم ذؤبان العرب) .

فقال معبد :

— والله لقد كنت ابغض اخوتي الى وفادة على • لاتدعى ويملك
يالقيط ، فوالله ان غيب نعمي من المنح والفقر (٦٤) لاكثر من الف
بعير ، فافدني بالف بعير من مالي •
— ما انا بمنط (٦٥) عنك شيئاً يكون على اهل بيتك سنة
سبكا (٦٦) ، ويدرب (٦٧) الناس بنا •

فقال معبد :

— ويملك يالقيط لاتدعنى ، فلا تراني بعد اليوم ابدا •
ورحل لقيط ، ووضعوا معبدا في حصن هوازن ، وجعلوا اذا
سقوه قراه لم يشرب ، وقال معبد لاسره عامر بن مالك :
— انشدك الله الا اخليت سبيلي ، فانما يريد ابن الحمراء ان
ياكل مالي • ولم تكن امه أم لقيط •
فقال له عامر :

— ابعدك الله ، ان لم يشفق عليك اخوك ، فانا احق الا اشفق
عليك ولم يزل معبد بالاسر حتى مات • وقيل بعثوا به الى يهودي
بالطائف كان يعذب الاسرى ، فعذبه حتى الموت •
فقال شريح بن الاحوص يهجو لقيطا :
لقيطه وانت امرؤ ماجد
ولكن حلمك لا يهتدي

(٦٤) المنح هي الابل التي تدر لبنا في الشتاء بعد ان تنقطع الابل •
والأفكار التي تعار •

(٦٥) بمنط اي بمعط وهي لفة في اعطى •

(٦٦) سبكا : لازمة •

(٦٧) يدرب : يعتاد •

ولما امنت وساغ الشرا
 بـ واحتلـ يتشك في تهدـ
 رفعت برجليك فوق الفرا
 ش تهدى القصائد في معبد
 واسلمته عند جد القتلا
 لـ وتبخلـ بالمال أن تقتدى

ويظل الجوار والقراة والنسب دافعا قويا لهذا التدمير ، وسببا
 ملحيا واضحا ، كما قيل في أصل التراجيديا و « ما يمكن في علاقتنا
 بأقرب الناس إلينا ، وإن منشأ الثورات كلها ، هو الثورة في الاسرة » (٦٨)
 وهذا التحليل يكاد يقترب من واقع الحال ، لولا التحفظات التي نريد ان
 تؤكد عليها في كثير من جوانب هذه النظرية النفسية ، لأن تمنى بعض
 أبطال الايام غياب البعض الآخر عن مسرح الاحداث ، وبالتالي
 الاستئثار بأمجاد الاسرة وموروثها ، واخيرا بالارض والقبيلة ، يجعل
 مشاعرنا تجاه هذا الحلول فاترة ، برغم اتجاه الملحمة نحو التأزم ثم
 التفجير الدموي . لأن الاشكالات الكبيرة تبقى عائمة على سطح
 الاحداث المتلاطمة داخل الايام ، كأن القضايا تكمن وراء سبب ابعد
 من تعليقات فرويد وورثته ، ينقلون كبريات الاعمال الادبية الى
 عياداتهم النفسية . وان اصدق رد جوبه به النفسيون حول تأكيدات
 السقطة بدافع الجنس وعقدة اوديب ، ذلك النقيض الذي استشهد
 به الباحثون عن فيض الحنان والمحبة ، متمثلا في اسطورة اخرى تذكر
 ان « فويوس » استسلم اما مطلب ابنه فاثيون في ان يسوق (مركبة
 الشمس) بنفسه كدليل على حب والده له ، فلم يحسن قيادتها ، فاحرق

(٦٨) البطل في الادب والاساطير ٣٤ ط . القاهرة ١٩٥٩ .

ودمر واتلف ، واحترق طو نفسه (٦٩) . ومثل ذلك ما فعله عتبة بن الحارث مع ابنه الربيع عندما حز في نفس ابنه ان يغير بسطام بن قيس على ماله فيستاقه ، فلم تهدأ نفس الحارث ، الا ان اغار فاعاد السرور الى قلب ابنه الحزين وقال (٧٠) :

الم ترني أفأت على ربيع
جلادا في مياركها وخورا
وانى قد تركت بنى حصين
بسذي قار يرمون الأمورا

فبطل بذلك ما يقال عن عقدة أوديب او تقاتل الاخوة ، حسب
تعليل النظرية النفسية الجنسية .
ان اصل هذا النوع - في رأينا - كائن في هذا التحرك البشري
الضخم ، فان كان موضع القبيلة نفسها مهينا لولادة جديدة ، حيث
يتركز التضاد ، كان خط التحرك البشري مؤشرا برأس مثلث نحوها .
وكأن الولادة تمت من اصغر اسسها في أسرة ، ثم كبرت ، وهي تعالج
مولد الانسان وانتشاره في بقاع الارض ، وتقلصه حتى يكاد ينقرض ،
ثم ولادة موجات جديدة نحو صراع جديد . وفي كل مشهد بعد ان
يغادر الابطال داخل الدراما والممثلون ، يبقى من كل حلقة منتهى نموذج ،
رجالهم هم الصفوة ، ينضمون الى من قبلهم ، وينضم اليهم من بعدهم ،
وتتنامى حلقات الملحمة في تحرك جديد ، ودماء جديدة . فبسطام بن
قيس ، تنتهي بطولته على يد مخلوق غمر ، يضرب بسطاما على رأسه

(٦٩) نفسه ٤٨ .
(٧٠) ايام العرب ص ٣٩١ وهو يوم فيحان ، واطلق عليه ابن عبد ربه
يوم ذي قار الاول انظر العقد ٢١٠/٥ .

فيسقط على الارض متوسدا شجر الألاءة ، وتفيض نفسه^(٧١) . ويموت
ابطال داحس نفس الميتة ، ليس على يد ابطال مثلهم ، بل على يد
مجهولين .. وهكذا .

وقد التفت جونار اولند Gunnar olinder الى هذه الظاهرة الواضحة
في هذا التحرك البشري ، وبخاصة يوم « الكلاب الاول » الذي تدور
احداث ملحمة على حدود العراق ، وكذلك نقل اولندر عن بلاو
Blau أن ايام البسوس دارت وقائعها في اليمامة والجنوب الشرقي
لنجد . وقد كانت القبيلتان - بكر وتغلب - يومئذ تهاجران شمالا
الى مقاطعات الشمال الشرقي لشبه جزيرة العرب ، والى الجزيرة
Mesopotamia ويراد بها ارض ما بين النهرين^(٧٢) .

ابطال مأساويون يقتحمون صعاب الحياة ، ليضمنوا الوصول
الى طرق السعادة الممكنة ، مع سعي الى توفير نوع من الفهم لحياتهم،
وتفسير لاشد رموزها غموضا عليهم . وهنا تظهر رؤيا الشاعر والكاهن
والرئيس ، ثم الرؤيا الدرامية التي ينظرون اثناءها الى وجودهم في
وضع هذه النهايات الحزينة ، لا بالنسبة لهم ، لكن للذين يحيطون
بهم . اما هم ، فان الموت هو الخاتمة الطبيعية لكشف القناع عن كثير
من الالغاز المستعصية على الحل .

وكل فرد من هؤلاء المتمردين على الموت والطبيعة المتجهمه ، يعتبر
نموذجا لمثال نادر ، من مجموعة كبيرة يرهقها ثقل الشعور بالمسئولية .

(٧١) ايام العرب ص ٣٤٨ (يوم نقا الحسن والشقيقة) .

(٧٢) ملوك كندة ص ١٤٨ ترجمة : الدكتور عبد الجبار المطلبي (بغداد
١٩٧٣) .

فأحدهم قد يجد خلاصة في الموت منتحرا ، بأن يشنق نفسه على غصن
شجرة ، وتظل كلمات عروة بن الورد تحوم حول جثمانه المعلق في
الهواء (٧٣) :

عجبت لهم لِمَ يخنقون نفوسهم
ومقتلهم تحت الوغى كان أجدرًا

يشدّ الحليم منهم عقده جليله
الا انما يأتي الذي كان حذرًا

هذا مع استعداد فريد لاداء كل ماتتطلبه اللحظة الحرجة ، عند
استقبال الحدث الذي يفضي الى الحلول المعقولة في معتقد الفارس
المستبسل ، امام مئات الافتراضات والتوقعات التي يمكن - اذا وجدت
طريقا مأمونا ان تدخل منه الى نفس هذا البطل المأساوي ، لكنها
تحيل الدراما التي يؤديها الى مشهد بارد ، وتصاب النتائج والحلول
المتوقعة بالهزيمة ، ويندثر الموقف • وازاء ذلك لم يعد من مهمات
البطل المأساوي البحث عن الهدف ، او القدر المشترك للانسان • بل
الهرب هو المنفذ الوحيد ، وهو بذلك يفقد كل الصفات المتوسمة
فيه ، الى ان يستعيد الى نفسه النموذج الضائع ، ثم يياشر مسيرة البحث
عن الفهم ، والسعي الى التفسير الذي يجد فيه الحلول المعقولة •
وهذا النموذج الاخير ، نلتقي به مرة اخرى عندما نشاطر رينولد
نكلسن الرأي حول البطل العربي المثالي في الايام •

(٣)

وهذه النهاية الحزينة لجميع ابطال الايام ، وعادة تكون في شكل فاجعة هي نتيجة طبيعية لهذه الحياة نفسها ، بعد « عدمية » فكرة الخلود لدى البطل ، لان الحياة دورة حياة مبدوءة من العدم ومنتهية فيه ، وهي ايضا جرى وراء مجهول . فحرب داحس تبدأ بجري فرسين يتسابقان ، وايام البسوس والفساد تبدأ ايضا بناقة تجري نحو بيت مالكتها : والبيت والفرس والناقة اشياء تتشاءم منها العرب .

ومع ذلك فهناك ابطال ينتهون منفيين : قيسر بن زهير لبس مسوح الرهبان وساح في الارض ، وهلك غريبا (٧٤) .

ومات مهلهل مجهولا ، فمما قيل عن موته ، انه لقي مصرعه على يد عبيده (٧٥) وضل امرؤ القيس فقيل له : الملك الضليل ، وومات ابشع ميتة يتصورها بشر : لحم جسده يتساقط ، وروحه تفيض على رأس جبل :

ولو انها نفس تموت سوية

ولكنها نفس تساقط انفسا

وهذا لا يغير من بناء الدراما شيئا ، فالنفي معناه ، الموت في الحياة ، وهو يؤدي المعنى نفسه للفاجعة ، وهي نهاية الملاحم والاساطير العربية القديمة ايضا .

ونحن بالقياس الى البطل الملحمي السابق لبطل الايام ، هل نوفق

(٧٤) الاشباه والنظائر - الخالديان ١٢٩/١ وابن الاثير ٥٥/١ وشرح العيون ١٤٠ والبسامة ١١٨ .

(٧٥) نهاية الارب ٤٠٥/٥ وخزانة الادب ٣٠٤/١ .

الى شيء من التعريف لبطل الايام نفسه ؟ ان ابطال ملحمة الانوما اليش وجلجامش سواء اكانوا الهة أو أنصاف الهة وبشرا ، يعتبرون نماذج لصورة جامعة من عصرهم ، وليسوا تعبيراً ذاتياً لمخترعهم . فهم ابطال موضوعيون بالنسبة لعصورهم ، فلو نقلوا بكامل تكوينهم شكلاً ومضموناً ، لرفضت الايام ان تكون أطراً لهم ، ولا تمتعت ان تكون لغيرهم أيضاً سوى ابطالها المرسومين داخل أطرها ، لنفس الاسباب الواردة قبل قليل عن أبطال الانوما اليش وجلجامش ، مع ان السمات العامة واحدة ، يبرزها ذلك العصر البطولي . فبطروف متشابهة في أماكن مختلفة يتشابه النتاج الادبي والفني لهذه الأماكن ، بالرغم من تباعد هذه الأماكن وتباين ازمانها . وقد راينا كيف تأثرت الاليادة جلجامش تحت وطأة ظروف حضارية واحدة . لكن الاليادة مع ذلك اخذت طابع اليونان وتميزت به ، مع تأثر ملحوظ بالملحمة العربية . هذا بالنسبة لتغير الزمان والمكان والبشر ، واتحاد الظروف ، فاذا عدنا أدراجنا الى الايام التي صاغتها نفس اليد التي صاغت الملاحم الاولى ونفس المكان والمناخ الحضاري ، واتصال لزمان ولا اتعاده ، ظهرت لنا صلة واضحة . يؤيد ذلك ما توصل اليه الباحث الانكليزي (مونرو جادويك) في دراسته لآداب الشعوب المختلفة ، حيث اطلق على الفترات التي ظهرت فيها الانواع المتشابهة في الادب باسم «عصور البطولة» ، وضرب مثلاً بعصر البطولة الاغريقي والهندي وشمال اوربا في القرن الرابع الى القرن السادس الميلادي^(٧٨) وهذا الاخير يشبه الى حد كبير عصر البطولة الجاهلي ، وملاحم ايام العرب . بل

(٧٦) طبيعة الادب السومري ونشأته . الدكتور فوزي رشيد (مجلة الاقلام عدد ١٩١ لسنة ١٩٧٣) .

هو معاصر له تماما . فأقوام هاتين الوجدتين السياسيتين ، العربي وشمال اوربا ، عبارة عن ممالك صغيرة يحكمها ملك أو أمير ، حصل على حكمه عن طريق مهارته وحنكته في الحرب ، وإن ينبوع قوته مستمد من اتباع مسلحين ، وكذلك الزاحية الدينية تميزت بعبادة آلهة على صور بشر . وإن أهم الأمور التي حققتها عصور البطولة ، كان إبداع قصص البطولة في صور شعرية تتلى أو تغنى في مناسبات دينية أو دينوية ، فمن هذه النتائج نستطيع أن نخمن نوعية آداب الشعوب القديمة .

إن كل بطل ملحمي في الأيام ، مؤهل لكي يدخل في نموذج « مونرو جاوديك » فجميعهم شجعان يحمون أراضيهم بمجموعات مسلحة من رجال القبيلة وإن كل قبيلة من هذه القبائل تقدر حدودها ، وربما لقي كثير من الرجال مصارعهم وهم يجتازون عن طريق السهو أو الخطأ أو العمد ، حدود قبيلة أخرى^(٧٨) . وكذلك مذكره بالنسبة للآلهة . وأما الصور الشعرية التي تتلى في المناسبات المختلفة ، فهي مؤيدة لكون هؤلاء الأبطال ، بل كل شخص في الأيام شعراء ، وهذا يدل على الأصل الملحمي للأيام ، فالذي نلاحظه أن كل أفراد الأيام ، الصغير والكبير ، يقول الشعر فيها ، مهما كان نوع أو مقدار هذا الشعر .

أذن بطل الأيام : كائن موضوعي ، يستمد صفاته من نفس صفات

(٧٧) المصدر السابق نفسه .

(٧٨) البيان والتبيين للجاحظ ١/٣ وتاريخ الشعوب الإسلامية لبروكلمان

البطل العربي المثالي الذي استخرج رينولد نكلسن^(٧٩) نموذجه من قصيدة « الشنفرى » وهي لامية العرب او نشيد الانتقام ومن شعر تأبط شرا ، وخاصة قصيدته الكافية ، ومن مظاهر الشرف العربي القديم : الشجاعة ، والجلادة والقوة . واعتبر شجاعة العرب كشجاعة قدامى الأغريق معتمد على الاثارة ، ومتلاشية بسرعة امام القنوط والابطاء . فالبطل العربي متحد فخور ، كما تظهره معلقة عمرو بن كلثوم ، وعندما لا يجد كبير خير في الهرب يمتطي راحلته ويغادر بلا خجل ، ولهم في هذا التصرف تبرير ، وقال عمرو بن معد يكرب^(٨٠) :

أجاعلة أم الثوير خزاية
على فرارى أن لقيت بنى عسر

وليس يعيب المرء من جبن يومه
إذا عرفت منه الشجاعة بالأمس

وفي وم « فيف الريح »^(٨١) يعطي عامر بن الطفيل نفس التبرير :

اتونا بشهران العريضة كلها
وأكلها ميلاد بكر بن وائل

فبتنا ومن ينزل به مثل ضيفنا
بيت عن قرى أضيافه غير غافل

أعاذل لو كان البداد لقوتلوا
ولكن أتانا كل جن وخابل

(٧٩) تاريخ العرب الادبي ١٣٦ .

(٨٠) ديوانه ص ١٠ وام الثوير زوجه ، وكان يكنى بأبي ثور .

(٨١) النقائض ٤٧٢/٢ والكامل لابن الاثير ٦٤/١ وايام العرب ٤٠٥ .

وختعم حتى يعدلون بمذحج

وهل نحن الأمثل إحدى القبائل

وإذا رجعنا ثانية إلى البطل المثالي في نموذج نكلسن ، أضفنا إليه قتاله حتى الموت في الدفاع عن أهله اللائي كن في الغالب يصحبه في غاراته وحروبته • ولنا من يوم الضعينة خير مثل يتجلى فيه ربيعة بن مكرم ، يدافع عن ضعيفته ، وهي في الهودج حتى يصرع جملة فرسان معلومين (٨٢) •

وبعض نعوت الأبطال ، الواردة في الأيام ، هي في حقيقة أمرها طقوس اجتماعية زائلة • فقصة الحارث بن ظالم مع المرأة ديهث التي شدت حبال دلوها بحبال دلوه ، لتكون جارة له ، كي تستغيث به ، ليرد لها ابلا مسروقة ، أخذها رجال الملك النعمان ، لا تتجاوز في واقعها رمزا لوفاء البطل الملحمي ، ومثلها اشتهار حاتم بالكرم ، وبسطام بن قيس بالعفو عند المقدرة ، والحارث بن عوف بالمرؤة ، وهي جميعا نعوت للأبطال ، ورموز لصفات قادمة من شعائر وأصول ذات معتقد ، لذلك تستمطر الشناء والحمد ، كقول زهير (٨٣) :

فلو كان حمدٌ يخلدُ الناسَ لم تمتْ

ولكنَّ حمدَ الناسِ ليس بمخلد

ولكنَّ منه باقيات ورائة

فاورثُ بنيك بعضهما وتزوّد

تزوّد إلى يوم المماتِ فانه

وان كرهته النفسُ آخر معهد

(٨٢) أيام العرب (أيام عامر و غطفان)

(٨٣) الحيوان للجاحظ ٤٧٥/٣ •

واشار زهير في البيت الثاني الى هذه الرموز الباقيات وراثه .
وقد مر بنا حديث هذه الشعيرة في الفصل السابق ، وقد كان من جملة
هذه الثناء : البطولة . فكأن الايغال في ضروب التفاني ، من شأنه ان
يكسب صاحبه الحمد ، الذي فيه خلوده . وهي المشكلة الكبرى في
الايام ، نلتقى بها مع جميع الملاحم العربية الكونية القديمة ، وكان
هدفها البحث عن الخلود في الحياة نفسها ، ومن هذا السبيل انطلقت
فكرة المعمرين في ابطال الايام ، فقليل عن دريد بن الصمة الجشمي انه
عاش نحو من مائتي سنة ، وهو بطل يوم « اللوى »^(٨٤) وفيه
قتل اخوه عبد الله بن الصمة ، وحاول دريد ان يذب عنه فلم يغن
شيئا ، وجرح ، فكفوا عنه ، فنجوا بأعجوبة ، وقتل دريد في هوازن
كافرا ، وانما خرجت به هوازن لتتيمن به ، وله في تقديس الملوك
كلمة ، قالها بعد هرمه^(٨٥) : اما اول ما انهاكم عنه ، فانهاكم عن محاربة
الملوك ، فانهم كالسيل بالليل ، لا تدري كيف تأتية ، ولا من اين ياتيكم .
واذا دنا منكم الملك واديا ، فاقطعوا بينكم وبينه واديين ، وان اجدبتم
فلا ترعوا حمى الملوك ، وان اذنو لكم . فان من رءاه غانما لم يرجع
سالما » . فهذه الخوارق ، وهذا التكهن ، صفات تجعل منه شخصية
مهولة في نظر القبيلة .

ومثل ثان لظاهرة المعمرين في الايام ، هو ما يقال في الربيع بن ضبيع
الفزاري ، احد المناهضين بالصلح في ايام داحس ، خطب بعكاظ لا يقاف
هذه الحرب ، وقد عاش — على زعم الاسطورة — اربعين وثلاثمائة

(٨٤) خبره في العقد انفريد وكتاب الايام .

(٨٥) كتاب المعمرين للجستاني ٢٧ .

سنة ، فقال لما بلغ مائتي سنة واربعين (٨٦) :

ها انذا آملُ الخلودَ وقد
ادركَ عقلي ومولدي حُجُرا
أبا امرئ القيس هل سمعت به
هيهات هيهات طال ذا عمرا
اصبحتُ لا أحملُ السلاح ولا
أملكُ رأس البعير ان تقرا
والذئبُ أخشاه ان مررت به
وحدي وأخشي الرياح والمطرا

واذن فاقتحام الموت لا يمكن ان يفسر الا من قبيل المعالجة الجادة
لمسألة الخلود ، او المشكلة التي تشغل النفس الانسانية ، منذ فجرها
الاول ، وهي قضية : الذي يأتي بعد الموت .

فالملاحم الكونية الكبرى مثلت أصدق تمثيل ، جهاد النفس
البشرية ، من أجل تفسير اوضح لمسألة الصراع الابددي بين الحياة وبين
الفناء الذي هو قدر الانسان ومصيره الذي لا يرد ، اوبين ارادة البشر
المغلوبة او المقهورة ، وبين المحاولات اليائسة من أجل التشبث بكل
سبب لبلوغ الوسيلة ، مهما صعبت ، الى الخلود النهائي . فهذه
الملاحم تمثل الميلاد ، والحياة ، والموت .

واذا كانت شخوص الايام من مادة بشرية ، فان صانعها لا يدخر
جهدا كي يسبغ على شخوصه صفات تسمو بهم فوق المادة . لكن
ترتبت على ذلك حتمية لامفر منها ، هو الموت الذي ادرك جلجامش

(٨٦) انظر التيجان لوهب بن عنبه ١٢٢ والمعمرين ٨ .

نفسه ، وادرك كل ابطال الملاحم البابلية واليونانية وغيرها • وادرك
ايضا ابطال الايام ، فتساقطوا الواحد تلو الآخر ، يسقط هذا بسيف
ذاك ، حتى افنى بعضهم بعضا ، والخلود بعيد عن منالهم • وليس
هذا الموت الذي تدور رحاه بعنف ووحشية ، الا صور من صور الخلود
التي يحققها الانسان عن طريق البطولة ، بعد ان عجز عن تحقيقها في
الواقع • فهو خلود معنوي بعد ان اصبح الخلود الجسدي ضربا من
المحال ، لان الالهة استأثرت بالحياة الابدية ، وقدرت الموت نصيبا
لل بشرية ، وهو نفس النهج الفلسفي لملمحة جلجامش^(٨٧) • لكن اله
الجاهليين استأثروا بالمعاني الخالدة الاخرى ، وحرّم البشر الفانين منها ،
كما يصرح بذلك شاعرهم^(٨٨) :

استأثر الله بالوفاء وبالعدل وولّى الملامة الرجال

ثم وضع الاسلام حلوله لمشكلة الخلود ، فظهر ان الله عز وجل ،
استأثر ايضا الى جانب الصفات المذكورة ، بالبقاء في هذه الحياة وحده ،
ثم يأتي الخلود بعد البعث •

(٨٧) ملحمة جلجامش - نشر طه باقر ص ١٨ •

(٨٨) الاغاني ١١٢/٩ •

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

في توثيق كتاب الايام . . .

لم يكن يفارقني ، وحتى اللحظات الحاسمة التي اعطيت فيها
لنفسي اشارة التحرك نحو تدوين الاحرف الاولى لهذا الكتاب ،
شعور بأن الاسماء الكبيرة التي اضاءت سماء الاوساط الفكرية
المزدهرة في ارجاء الامبراطورية العربية المترامية ، كانت ممثلة حياة
تنبض بالحس الادبي المرهق ، والادراك الفني العميق ، لعملية الخلق
والابداع التي تجرد بها قرائح الموهوبين من الابداء ، في عطاء فكري
دافق ، يفيض على الملايين : يمنح ، ويثرى ، ويخصب .

وكلما وسعت في مساحة الدائرة التي اتجول فيها ، رسخ في
الاعماق ، معتقد ظل يخالجنني منذ البدء ، ان ليس رجلا مثل ابي
عمرو بن العلاء ، لا يتعدى كونه وعاء بشريا ، وفما يلفظ الرواية ،
ويقوم العبارة ، وينطلق بالغريب الصحيح ويفسره ، ولا المفضل
ولا الاصمعي ولا ابو عبيدة . فهم على هذا التصور المغلوط ،
لا يخرجون من اعتبار واحد : انهم يؤدون محض وظيفة تعليمية ،
تطيف بهم مجموعات التلامذة والدارسين ، محدودين ، يكررون في
سمعهم وسمع الناس ، حكايات القرون العتيقة . انهم اكثر من
ذلك ، وان لشخصياتهم العلمية من الابعاد الثقافية ، مايؤلهم ان

يسلكوا في عداد كبار المفكرين ، وهم اعمدة الثقافة العربية في عصرهم •

فلما اصاب الظاهرة العلمية المبحوثة ، ماصابها من التنقية والفرز الحقيقيين ، انكشفت عوالم مدهشة ، لم تكن نهذاً او نظمناً لسواها ، وانجلت ملام ابصارنا الحقائق الكبيرة ، تتراعى على نفوسنا مثل امطار موسمية ، جاءت بعد جذب طويل ، اذا رجل مثل ابي عبيدة ، يتعامل مع الكلمة تعامل فنان عبقرى ، وعالم كالاصمعي يتمثل اداب الاجيال في صدق التجربة واحتواء الاديب • فتتطلق من اعماق هذين الرجلين وسواهما ، اعمال الفكر المدوية في السهول والوديان والهضاب العالية ، مسافرة ، تنشداً ابعداً قريبة في اقصى الحدود ، لتستقر فيها : ادبا وفنا وثقافة •

وتشاء الاهداف النائية من البحث والاستفتاء ، ونحن نسعى اليها ان تستقر في لون من الوان الادب ، لم يكن لينال دراسة حقة من لدن الباحثين المحدثين ، عرب ومستشرقين وغيرهم ، لنظرة ساذجة اغلقت نوافذ الرؤية الواضحة ، فاظلمت الفكرة في اعماقهم ، غير محدود ، اكثر من غموض ، وتميط اللثام عن اكثر من استفهام العربية الاولى ، وتغلى بالحركة المستمرة ، وتفسر وفق رصيد ثقافي غير محدود ، اكثر من غموض ، وتحيط اللثام عن اكثر من استفهام يدور حول الانسان والارض والطبيعة والكون ، نقول اعتبروها مجرد قصص ساذج يتناقلها رواة محترفون وضاعون ، ويأخذها منهم

مؤرخون ، يودعونهم في كتبهم على انه تاريخ وحقيقة وخير لامة
تقدمت ، ثم تحجرت وصارت الى زوال .. ومانعرفه عنها ، عن هذا
هذا الطريق ، لايمت الى واقع الحال بصلة . كانت تلك نظرتهم الى
ملاحم الايام ، ولن احاول في هذه السطور ان اصحح النظرة
السادجة ، لان تيار الدراسات العلمية الحديثة للتراث الفكري
والثقافة ، تولى ذلك بنفسه ، والدراسة الموسعة ، المرفقة بالكتاب ،
يقوم كل سطر وحرف منها ، بعملية الرد هذه ، بل جعلنا في يد كل
عبارة عن عباراتها معولا نهدم به ابنية الادعاءات الزائفة لادبنا القديم ،
والمبظلة لاجمل اناشيد هذه الامة ، واروع ملاحمها .

انا لانسى ، ونحن في غمرة هذه الحماسة ، ان مادوته الصحف
الاولى والالواح ، لم يكن قليلا فحسب ، بل اقل من القليل . وان
الملاحم الكبيرة المتكاملة ، ضاعت كلها ، ولم يصل اليها منها سوى
اصداء هذه الملاحم ، نجسها من كتب اختصرتها واوجزتها ، لاسباب
تتعلق اما بالتاريخ او التمثيل بها في معرض شرح او تفسير او مثل ،
وهي آفة ذلك العصر ، وحتى يومنا هذا ، فنحن نرى اليوم بأمر
اعيننا انصراف الاقلام الكثيرة ، حتى الذكية منها ، الى الاختصار
والايجاز والتفسير والشروح المدرسية ، دون الاعمال الاكاديمية
الضخمة التي توليها الشعوب الاخرى اكبر جانب من راحتها
وسعادتها .

وعندما التقيت بالرجل الذي الهمني الفكرة ، وفتح لي صدره ،

استاذنا الدكتور لطفي عبدالبدیع^(١) ، شعرت ، كأن كل شيء جاهز ومتيسر .

ولم اكن ، وانا هنا اقر حقيقة وواقعا ، اتوسم لعملي مثل هذه المسيرة التي اختطها الرجل لي ، ولا وضعت لها حساب هذه لارباح في النتائج ، لكنني لكي لاظلم نفسي ، كنت قد اعددت منهجي اعدادا ، فوجد الرجل عندي استعدادا . فلم اكن ازاء ذلك كله ، الا متلقيا لفكر او متقبلا لتوجيه ، فكان يملئ علي في لحظات اشراق فني مذهل ، واكون قد انطلقت الى غايتي ، انطلاق المهتدي الى دروبه ، والعارف لما تريد منه نفسه ، ويريد منه بخته .

فلما اشار ، بعد ان وجدني جمعت شعر الايام ، وحققته ، الى ضرورة الابقاء على نثر الايام معه ايضا ، لانهما يتلازمان في القصة كالشيء الواحد ، ويكملان بعضهما بعضا ، فعلت .

لكننا بعد فترة وجيزة، وجدنا ان هذا العمل لايمكن ان تحدده حدود رسالة دكتوراه ، في اطار زمن محدود ، فهو يستغرق العمر كله ، لكثرة الاخبار والاشعار ، وتعدد الرواية واختلافها واضطراب القول فيها ، فأخذنا نجيل ابصارنا في المادة المتجمعة ، فكان ان تنبهنا الى مسألتين جوهريتين في المادة :

(١) هذا العمل الذي بين يدي القاريء هو في الاصل رسالة دكتوراه ، اعددها صاحبها تحت اشراف الاستاذ المذكور ، قد نالت مرتبة الشرف الاولى مع التوصية بطبعها وتبادلها مع الجامعات وذلك في ١٩٧٣/٨/٩ .

الاولى : ان ابا عبيدة - معمر بن المثنى ، احد رجال القرن الثاني الهجري ، والمتوفى في خلال للعقد الاول من القرن الثالث ، قد ذهب بكل روايات الايام واخبارها ، واستأثر بقسط وافر من حديثها ، فلا يقاس غيره به ، بل ان جميع الروايات في الايام ، لو جمعت عدا روايته ، لاتعدل ثلث ما روى وقال وكتب .

فلقد حصر ابو عبيدة عمله في الحقل الكبير الذي يبحث في الانسان ونشاطه الاجتماعي والفكري ، ولم يكن الادب يومئذ ، يجود بشيء ، احسن مما جادت به هذه الملاحم الزاخرة بثقافة العصور المتعاقبة ، فاصبحت بمثابة المرجع البشري الزاخر بخضم التجربة والابداع والخلق الانساني . ومن هنا انبثقت عبقرية ابي عبيدة ، تتلمس طريقها نحو العالم العربي تلم تراثه ومآثوراته ، وتجمع نتائج الاعمال المنجزة في مسيرة طويلة عبر الاجيال . واتجهت اهتماماته ، منصبه على الانسان اكثر من اي شيء سواه . فهو مالك اكبر عقلية ثقافية في عصره ، هيأت له الرؤيا البعيدة في خطورة العمل الذي ينهض به للاجيال . فاذا اردنا اليوم ان نضع في كفتي ميزان ما انجزه عالم مثل ابي عبيدة في الثقافة العربية والانسانية ، في ضوء كتابه : الايام ، مع أي عالم اخر شغلته فروع العلم الاخرى ، لخرجنا بنتيجة تؤكد ان عمل ابي عبيدة انجاز كبير خدم الثقافة العربية ، واحتفظ لنا بصورة نادرة لمسيرة مجتمع بائس في ابعدهمدي تاريخي ، فاذا صح ما يصفه مصنفو الكتب القدماء من انه قصر في جانب او اخر من جوانب المعارف القديمة ، فذلك لان ابا عبيدة لم يضع نفسه

في زاوية حادة لاتفضى الى نتائج منتظرة ، بل انطلق في فضاء
المعرفة الرحب .

وقد امدد عقله القادر ، وعلمه الغزير ، وحافظته الخلاقة، وتمكنه
من اطراف المعرفة ، والمامة بصنوف الثقافة ، واتقانه لبعض اللغات ،
وربما غير الفارسية التي لاجدال في اتقانه لها ، امدته المؤهلات ليؤدي
المهمة التي نذر نفسه لانجازها .

لذلك كانت اكبر جهوده مركزة على كتابه الكبير في « الايام »
والذي يخبر عنه المؤرخون انه بلغ الفا ومائتي يوم . . وهو عميل
خالد ، لانه الحقل الوحيد الذي تتبعث منه ، مع تعاقب العصور ،
شخصية الامة ومزيج تكوينها من تداخل التاريخ والوطن والشعور
القومي والثقافة . لذلك كانت نظرة الرجل ترمى الى ابعد مدى فبي
اعطاء الجانب الثقافي حيوية ، فأخرجه من محيطه الضيق ووضعه في
مداره الواسع الرحب . فلم تكن العقول المحدودة ، حاملة الثقافة
التقليدية ووارثة الاداب المفرقة في رسميتها وجمودها ، لتدرك مذهب
الجديد الواعي في نقد الاشياء بنظرة المتطلع الى المدى الأبعد في
الثقافة العربية الزاخرة بالقيم الانسانية، والتي احتوتها اداب « الايام »
اي حتواء (٢) . فكان ان لقي بسبب ذلك ، الآلام ، وموآمرات
الخصوم ، والطعن ، واثارة الشبهات حوله ، لان صانعي الثقافة
التقليديين ، كانوا وحدهم يجولون وسط الحلبة . لكن لم يعدم
العصر يومئذ ، رجالا اذكياء ، يعطون قضايا عصرهم ابعادها الحقيقية

(٢) يأتي الكلام بعد قليل عن مذهب ابي عبيدة في النحو .

من امثال ابي عمرو بن العلاء ويونس بن حبيب وخلف الاحسر
والاصمي وغيرهم كثير .

والنقطة الجوهرية الثانية ، كانت نتيجة لما تقدم ، بعد ان
اكتشفنا مادة الايام ورواية ابي عبيدة لها ، ووضعها كتابا فيها ، نظرنا
في فكرة البحث عن هذا الكتاب وبعثه واخرجه الى النور . وهي
فكرة جذابة ، شجعتني عليها انني وجدت ان قطعة كبيرة من ايام
ابي عبيدة موجودة في كتاب نقائض جرير والفرزدق والعقد الفريد
والاغاني والانوار في محاسن الاشعار للشمشاطي (مخطوطة) وتاريخ
ابن الاثير ، فضلا عن الكتب الكبيرة الاخرى مثل شرح المفضليات
وشروح الحماسة وسواهما ، وان بعض هذه الكتب يشير الى نقله
عن كتاب الايام نفسه ، والبعض الاخر يشير الى اسم ابي عبيدة ،
والقسم الثالث منها لم يذكر شيئا ، لكن مقارنة النصوص دللتنا الى
المؤلف الاصلي ، او الراوية الحقيقي لها ، وهو في الغالب الاعم
ابو عبيدة .

فلما وضعت المسألة في هذا الاطار ، بدأت الملاحظات القيمة
والذكية من لدن الاستاذ المشرف ، تغني اصول الجمع والتحقيق
لخلق هذا الكائن المنطس وتخليصه من اسوار سجنه ، وانهاء وقفته
الطويلة خلف النصوص التاريخية واكداس المواد والمعارف الغريبة
عن طبيعته ، وكان يبدو فيها بوجه غريب . . فكانت الولادة .

« أبو عبيدة : فكر وثقافة ... »

ان خير مانستعين به في الدخول الى فكر ابي عبيدة ، المتسم بالعمق والاحاطة والشمول ، والى ثقافته المتسمة بالتجدد والتنوع والغزارة ، هو نتاجه الذي وضعه في عشرات الكتب الصغيرة والكبيرة ، والتي يعظم الرواة شأنها ، فيبلغ عندهم رقمها السى (٢٠٠) مائتي كتاب ، يحصون منها ، باسمائها ، ما يربو على الثمانين^(٣) ، وعن هذا الطريق فقط نعرف فكر ابي عبيدة^(٤) . فليس بالامكان اعطاء صورة عن الرجل ، عن طريق مذكرته كتب

(٣) انظر الاحصاء التحقيقي لكتب ابي عبيدة في نوادر المخطوطات ٣٣٨/٢-٣٤٩ في مقدمة كتابه : العققه والبررة . وانظر مقالة بقلم الدكتور ناصر حلاوى في مجلة المورد ص ٢٢٥ العدد الرابع لسنة ١٩٧٤ بغداد « مؤلفات ابي عبيدة ، اخرج صاحبها لابي عبيدة في الايام جملة كتب اهمها (كتاب الايام الكبير وكتاب الايام الصغير وكتاب الايام وكتاب ايام العرب ، وكتب اخرى بايام القبائل ..) ولعل في هذا التفصيل المسهب ما يحمل التكرار ، او ربما يكون كلام بعض المستشرقين قريبا من الصواب ، بأن هذه الكتب قد لا تتجاوز العشرين ورقة احيانا فيطلق عليها اصحاب التراجم تجوزا تسمية كتاب ، فهي بمثابة بحوث في هذه الايام .

وانظر ايضا حول كتاب الايام لابي عبيدة مذكرة ابن الانباري في نزهة الالباء ١٠٤ وبروكلمان ١٢٨/١ .

(٤) انظر مقدمة الازهري لكتابه تهذيب اللغة ١٤ طبقات النحويين واللغويين للزبيدي ١٩٢ وابن النديم (المقالة الثالثة - الفن الاول) وانباه الرواة للقفطي ٢٧٦/٣ وابن خلكان ٣٢٦/٤ ياقوت معجم الادباء ١٦٤/٧ ودائرة المعارف الاسلامية العدد ٣ المجلد ٣ ص ١٤٠ .

التراجم^(٥) ، لانك ستظل تتابع تكرار الاقوال والنعوت فيه حتى النهاية ، يأخذ بعضهم من الآخر ، بلا تروي ولا تحييص . لذلك فلن التفت الى شيء مما قيل فيه بدافع الخصومة . وان اسباب هذه الخصومة ستتكشف لنا واضحة جلية . ونعرف مبدأ هذه الخصومة واصلاها . ولا اريد ان اشير الى عشرات الكتب التي دونها باحثون في هذا العصر حتى الساعة ، لا يختلفون فيما يكتبون عن اي مصنف كتب قديم ، يتصف بكل شيء الا اصول البحث العلمي الدقيق ، فيكيلون الذم لهذا والمدح لذاك دون التفات الى خطورة ما يكتبون او ينقلون على مستقبل المعرفة في بلادنا . ولكنني ربما سأضطر اثناء الكلام ان اذكر مما قيل بهذا الشأن ، لاشير الى الصواب في المسألة ، وارد باطلا سار بين ظهرانينا اجيالا ، فلم يجد من يضرب على يده الى اليوم .

لقد اجمعت كتبهم على ان السنة التي ولد فيها ابو عبيدة هي سنة عشر ومائة (١١٠ هـ) وهو اجماع او اتفاق^(٦) غريب ، اذا قيس مع اختلافهم في سنة وفاته ، فقد ذكروا انه مات في سنة (٢٠٧ هـ) ثم شكوا بها ، فقالوا : (٢٠٩ هـ) حتى بلغوا (٢١٣ هـ) . فكيف

(٥) انظر ترجمته في المصادر المذكورة في الهامش السابق والمعارف لابن قتيبة ٢٢ والنجوم الزاهرة ١٨٤/٢ وابن النديم ايضا ٥٣-٥٤ ومعجم الادباء لياقوت ١٥٤/١٩ وتاريخ بغداد ٢٥٢/٣ ومراتب النحويين ٧١/٧٢ ، وغيرها . واصدرت سلسلة الاعلام كتابا صغيرا عنه .

(٦) شذ السيوطي عنهم في بقية الوعاة ٣٩٥ قال : ولد سنة اثنتي عشرة ومائة .

عرفت سنة ولادته بسهولة ، ولم يكن انذاك ابا عبيدة ولا شيئا منه .
ولم تعرف سنة وفاته ، مع انه اصبح علما من الاعلام في عصره ؟!
وعندما نعرف سرا اخر في المسألة ، ينكشف زيف ما يروون وما يكتبون
عن هؤلاء الرجال الكبار . لقد زادت بعض الكتب ، بعد ان ذكرت
سنة ولادته ، انه ولد في الليلة التي مات فيها حسن البصري . فكأنهم
بذلك يتعمدون النكتة فيما يكتبون من العلم المحض ! .. وهم انما
يغفون ان يوردوا الشبهة لهذه الحادثة ، يذكرون القارىء بولادة عمر
بن ابي ربيعة الشاعر ووفاة عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) ، وقول
احدهم : أي حق رفع واي باطل وضع . ليرددوها في ابي عبيدة
والحسن البصري .. ثم تدور مهزلة شتم العلماء ابتداء من اول يوم
ولدتهم امهاتهم فيه ، الى ان ماتوا . وما ارى ايضا ان ابن ربيعة
يستحق ما قيل فيه ، على جلالة قدر ابن الخطاب (رض) ، وهي اساءة
للشبه والمشبه به على حد سواء ، لكنهم لا يفقهون ما يكتبون (٧) .

ولست اريد ان ادفع عن ابي عبيدة ، بقوة ، تهمة الصقت به
في كتب المصنفين القدماء ، وكان مفترى عليه ، لانني لم افهم حتى
الساعة ، من اين جاء الحكم عليه « بالشعوية » ، لانه الف كتابا في
مثالب العرب ؟ لكن الذين قالوا ذلك ، هم انفسهم ذكروا له كتابا
باسم « مناقب العرب » ، فالمسألة اما ملفقة تلفيقا او ان هذا النوع
من التصنيف كان موجودا ، فلم يكن يراد بالمثالب ، تلك التي ترسم
مفاهيمها في اذهاننا اليوم . قال ابو عبيد البكري ، (واما كتاب

(٧) ابن خلكان ٣٢٣/٤

المثالب والمناقب الذي بأيدي الناس ، فانما هو للنضر بن شميل الحميري ، وخالد بن سلمة المخزومي ، وكانا انسب اهل زمانها . امرهما هشام بن عبد الملك ، ان يينا مثالب العرب ومناقبها ، وقال لهما ومن ضم اليهما : « دعوا قريشا بمالها وما عليها » فليس لقريش في ذلك الكتاب^(٨) ذكر . ولو انه لم يؤلف كتابا في المناقب على وجه الاطلاق ، لما تركوه ، مدفوعين بالكره والعداوة ، ولغاظهم ان يضع كتابا في المناقب . ولنا غناء في كل ما قيل ويقال في الكتاتين ، فانهما لم يصلا الى ايدينا ، ولم يحسس لهما على اثر ، بخلاف ما تلمسه من الاشارات الى كتبه الضائعة الاخرى في المصنفات القديمة ، حيث يشار اليها في مناسبات مختلفة ، وينقل عنها . ولست استغرب منه ان يكتب في المثالب الى جانب كتاب المناقب ، وقد اخبرنا ابو عبيد انه نوع من التأليف ، شجع عليه رجال الدولة الاموية ، مع ما عرفوا به من التعصب للعرب ، وان هذا النوع من التأليف استغل فيما بعد اسوء استغلال ولامه ، ضد العرب . لكنني ادفع عن ابي عبيد ان يكون قد اساء في كتابه المزعوم قاصدا او متعمدا ، واحيل القارئ في ذلك الى كتاب ابي منصور الازهري في هذه المسألة ومسألة الاشارة الى كتبه في مناسبات مختلفة^(٩) .

(٨) شرح امالي القالي ٥١٩/٢

(٩) تهذيب اللغة ١٤ معجم ما استعجم ١٣٥٨/٤ - ١٣٥٩ ونزهة الالباء ص ١٠٤ تراجع ايضا الدراسة في الجزء الاول - فصل الحديث عن الرواة ورأينا في هذه المسألة مذكور هناك بالتفصيل .

الذلك كله سمي شعوبيا ، ام لانه كما استنتج باحث معاصر
تصدي لدراسة شروح النقائص^(١٥) ، وتعرض لجانب كبير منها
يتعلق بالأيام ، فرأى الظواهر الغريبة في بعض مشاهد الملحمة ، مثل
مارأى في (يوم الاياد) ، وقد ذهب مؤلف الرواية يصف ضوء
الفجر الساقط على جسم فرسه الشقراء من منسجها الى اخر ذنبها ،
وقد بدت « ام درداء السليطية » عرباته تعدو ، فألقى قعنب بن
عصمة ، عصاة كانت فوق ييضته عليها ، وهي صورة فنية لفرس
عارية يسقط عليها ضوء الفجر ، وامرأة عارية تعدو في ضوء الفجر
ايضا ، وكأن المؤلف يرمز الى تمازج عجيب بين الكون والخلائق
وعري الاشياء ، ورأى الباحث ايضا في (يوم اواردة) ، وقد وصفت
الرواية عمرو بن المنذر الملك ، وهو يأخذ امرأة زرارة بن عدس ،
وكان يطلبه ليقتله ، فبقر بطنها وانصرف . واخذ الحمراء بنت ضمرة ،
فقدف بها في النار ليتحلل من يمينه ، وكان اقسم ان يقتل من تميم
مائة ، فكانت الحمراء والشقى راكب البراجم ، تمام المائة^(١١) . وكان
هذا من مؤلف الرواية تلميحا لطقوس وثنية جاهلية ، يوم كانوا
يقدمون البشر ضحايا وقرايين لالهتهم ومعبوداتهم .

فعد الباحث هذه الاشارات الرمزية من مؤلف الرواية نزعة
شعوبية « اذ ليس هناك ما يدعو الى الالاحاح في تصوير المعانسي

(١٠) راجع كتاب نقائص جرير والفرزدق ١٦٧ للدكتور محمود
غناوي (رسالة دكتوراه) .

(١١) راجع يومي الاياد واواردة من هذا الكتاب (القسم
الثاني) .

المكشوفة ، وليس هناك ما يحملهم على ايراد هذه الاخبار ، الا رغبة
في النيل من تقاليد العرب وعقيدتهم » • على حد تعبيره (١٢) •
فالقدماء ينعوتهم شعوبيا عن طريق كتابه المثالب ، والمحدثون
عن طريق ايامه وما احتوت من الرموز الموحية في تصوير الاحداث •
فهل بذاك فقط عد شعوبيا أمس ، وهل بهذا وحسب عد شعوبيا
اليوم ؟! ••

انني ارى الشعوبية واضحة في نتاج الادباء والشعراء بالأمس ،
وعرفها القدماء ، والامثلة عليها كثيرة وميسورة ، ونعرفها اليوم ،
وربما ترددت امثلتها في نصوص شعرية او ثرية على السنة طلبتنا ،
يحفظونها كأمثلة مطلوبة منهم في دروس الادب وتاريخه ، وفي الادب
العباسي اوضح منها في ادب اي عصر اخر • وهي دعوة تشتق اسمها
من الشعوب لاعلاقة لها بالشعوب اصلا ، ولاهي بتلك الحركة
الانسانية كما يتوهم بعض زملائنا في اطلاق الصبغات غير المناسبة
عليها ، وليس ابو عبيدة منهم بعد ان رأيناه يؤلف في القرآن الكريم
كتابا وينفي عنه كل لفظ أعجمي او لفظ معرب • ويؤلف في الحديث
ويعتمد اصدق الروايات •

لم اتنه بعد من هذه القضية ، ولاستطرد قليلا ، كي ازكي
الرجل من مستنقع الشعوبية الذي زين لنفر من القدماء ان يسقطوه
فيه • فلقد بالغ احد الكتاب المعاصرين ، وهو يبحث في شخصية

(١٢) كتاب نقائض جرير والفرزدق - للدكتور غناوي ص ١٦٧

الاصمعي^(١٣) ، وقد افاض ليبرز الوجه العربي الحر للاصمعي ، وهي ملامح لا ننكرها على ابي سعيد ، احد رؤس اهل البصرة ، وصاحب علمها الغزير ، لكننا لانريد ان يكون ذلك على باطل وضعه نفر من قدمائنا ، او على حساب عالم اخر من علماء العربية المشتغلين في حقلها الكبير . فصور الباحث وفود الاصمعي الى بغداد وكيف اختاره الخليفة العباسي ، الرشيد ، لنفسه منادما ومحدثا ، وكيف حجب مثل هذا التكريم عن ابي عبيدة . فاندفع الكاتب يني على هذا الاساس مادة بحثه ، واضعا فرضياته ومصدرا احكامه ، والمبرء اذا جمع به خياله ضرب في الكلام كل مضرب . فاذا كان شيء من هذا قد وقع حقا ، فلا سبب خارج النزعة التي ذكرها الباحث ، وخارج فرضياته التي وضعها وساقها ، وهي كما يقول « بأن البرامكة لم يلتزموا ابا عبيدة ، لانه كان بذيئا مفضوحا ، فالتزامهم له انكشاف لامرهم ، فظهرت شخصية الاصمعي عليه » مارأى الكاتب اذا ماقلت له : ان العكس هو الصواب . وان البرامكة ، انما التزموا الاصمعي وزينوه في نظر الخليفة العباسي ، لانه كان مقربا من جانب سعيد بن سلم الباهلي ، وكان الاصمعي باهليا^(١٤) ، وان سعيدا هذا كان مقدما من البرامكة ، لخصومة شديدة بين البرامكة وبين الفضل بن الربيع ،

(١٣) انظر كتاب الاصمعي للدكتور عبد الجبار الجومرد ٦٥ وما

بعدها .

(١٤) لقد وضع ابو عبيدة كتابا في مآثر باهلة او مناقب باهلة ،

قبيلة الاصمعي ، هذا مما يجعله فوق شبهات مصنفي الكتب القديمة من اصحاب التراجم والسير .

المعادي للشعوبية ، لذلك اقصى يحيى بن خالد البرمكي ، الفضل بن الربيع ، عندما تولى الرشيد الخلافة فابعده عن الوزارة ثلاثة اعوام (١٥) . والفضل هو الذي اقدم ابا عبيدة على الرشيد ، بمشورة من ابراهيم بن اسحاق الموصلى (١٦) . ألا يمكن ، بناء على هذا المنطق التاريخي ، ان نوجه الامر في غير صالح الاصمعي ؟ نقول : لا . لانا نعتقد بان ما بين ارباب الحكم ورجال السياسة ، لم يبلغ العلماء به مبلغ هؤلاء ، على ما كان بينهم من تنافس العلم . وان مثل هذه المهارات لا يمكنها ان تصرف نظر الباحث المعاصر عن رجل عالم مثل ابي عبيدة .

(١٥) انظر الطبري حوادث سنة ١٧٣ والعقد الفريد (١٣٦/٣ ط . القاهرة) .

(١٦) نجد في روايات الاخباريين اضطرابا حول قدوم الاصمعي وأبي عبيدة الى دار الخلافة العباسية ، فبعضهم يذكر انهما استدعيا سوياً ، فلما قدم الاصمعي نزل على سعيد بن سلم الباهلي ، ونزل ابو عبيدة على الفضل بن الربيع . وكان سعيد مقدما من البرامكة ، فقدموا الاصمعي . هذه رواية العقد (١٣٦/٣ القاهرة) وجاء في الاغانسي (١٤١/٥١ بولاق) ان اسحاق الموصلى كان يأخذ عن الاصمعي ، ويكثر الرواية عنه ، ثم فسد ما بينهما ، فهجاه اسحاق وثلبه ، وكشف للرشيد معايبه ، وأخبره بقلّة شكره وبخله وضعة نفسه ، وان الصنعة لاتزكو عنده ، ووصف له معمر بن المثنى - ابا عبيدة - بالثقة والصدق والسماحة والعلم ، وفعل مثل ذلك عند الفضل بن الربيع ، واستعان به ، ولم يزل حتى وضع مرتبة الاصمعي واسقطه عندهم ، وأنفذوا الى ابي عبيدة من اقدمه . وهكذا تتضارب الاخبار في المصادر التي ذكرناها . وقال ابن خلكان ٣٤٣/٤ كان استقدام الرشيد لابي عبيدة الى بغداد سنة ثمان وثمانين ومائة .

هذه مسألة تعرضت لها مسرعا ، وانما قصدت ان اخفف حدة
الهجمة المحمولة عليه ، القادمة الينا على صفحات كتب المصنفين
القدماء ، يأخذها عنهم المحدثون ، فكانت سببا في صرف العقول عنه ،
فلم تتأمل ماذا فعل وقدم للثقافة العربية ، واي عمله مضى به الزمن في
جريه الشديد ؟ واي عمله افلت من يد الزمن فوصل الينا ؟ ولا اعلم
لمثل هذه الظاهرة تفسيراً ، فلقد دأبنا ان نبخس كل من يقف عمله
وعمره لآدابنا ، وأمم العالم تصرف من اجله الكثير . واما وقد قال
نفر من القدماء ايضا ، انه كان خارجيا او يرى رأي الخوارج ،
مستدلين بقول قاله ابو حاتم السجستاني^(١٧) ، فلا تعليق لي عليه .
لانه ليس بشيء . وانخوارج فرقة في المسلمين لها رأي في الخلافة
وشؤون الدولة الاسلامية . لكنني ارد ايضا على ابي حاتم ، ان صح
النقل عنه ، وعلى غيره . ما الذي لمسه او يلمسه احدنا في اقوال ابي
عبدة واعماله من خارجيته ، او ذهابه هذا المذهب ؟! ان اكبر تركيه
لمذهبه في الادب والثقافة ، تشهد له الى آخر الدهر ، هي اعماله النافعة
التي ماتزال قائمة شامخة في بطون الكتب . واجد نفسي في غنى عن

(١٧) الخبر في انباء الرواة ٢٧٦/٣ وابن خلكان ٣٢٧/٤ وانظر
رد ابن خلكان على الخبر . وراجع مراتب النحويين ٧٣ وكيف حور
رواية الابيات لتصح الرواية ويستقيم الخبر . وانظر ياقوت - معجم
الادباء ١٦٥/٧ نقلا عن الجاحظ : انه لم يكن في الارض خارجي ولا
اجماعي اعلم من ابي عبدة . وحكى عن غيره ان ابا عبدة كان يرى رأي
الخوارج الاباضية . وكونه خارجيا يقربه من العروبة ويرفعه درجات ،
ثم يبعده وينفي عنه صفة الشعوبية ، ن الخوارج عرب اقحاح .

الخوض في الاقوال الاخرى الواردة في كتب القديم عنه ، وهي ليست الا عبارات جافية نائية ، لاتليق ان تلصق بعالم او مثقف احتوى ثقافة عصره . واكتفى بمن مدحه من رجال عصره او تلامذته او العلماء ، يقول المبرد : كان ابو زيد اعلم من الاصمعي وابي عبيدة بالنحو ، وكانا بعده يتقاربان ، وكان ابو عبيدة اكمل القوم . وكان على بن المديني يحسن ذكر ابي عبيدة ، ويصحح روايته ، وكذلك ابو عبيدة القاسم بن سلام تلميذه . وقال الفراء : ابو زيد الانصاري اعلم الناس باللغة واحفظهم لها ، والاصمعي اعلمهم بالشعر واتقنهم للغة واحضرهم حفظا ، وابو عبيدة اكمل القوم ، واعلمهم بايام العرب ومذاهبها . وقال ابو الطيب اللغوي : كان في العصر العباسي ثلاثة هم ائمة الناس في اللغة والادب واخبار العرب ، لم ير الناس قبلهم مثلهم ، ولا بعدهم مثلهم ، وعندهم اخذ جل ما بأيدي الناس من هذه العلوم ، بل كلها ، وهم ابو زيد الانصاري والاصمعي وابو عبيدة^(١٨) ، وكان الفضل بن الربيع يثني عليه ويقول لجلسائه : هذا علامة اهل البصرة . ثم يبسط اهم فضله وعمله . وقال القفطي^(١٩) : ان الفضل بن الربيع استقدم ابا عبيدة الى الرشيد سنة ثمان وثمانين ومائة ، فأخذ الرشيد عنه وعن الاصمعي علما كثيرا . وكان الجاحظ يقول : لم يكن في الارض خارجي ولا جماعي اعلم بجميع العلوم منه . وحدث فسنده الحديث الى هشام ابن عروة وغيره . وقال ابو العباس المبرد كان

(١٨) المصادر المتقدمة والمزهر ٢/٢٤٩-٢٥١ ط . القاهرة .

(١٩) معجم الادباء ٧/١٦٥

ابو عبيدة عالما بالشعر والغريب والاخبار والنسب ، وقال ابن قتيبة :
كان الغريب اغلب عليه وايام العرب واخبارها (٢٠)

روى عنه من البغداديين : الاثرم بن المعيرة ، وابو عبيدة القاسم
ابن سلام ، وابو عثمان المازني السجستاني ، وعمر بن شبة
النميري (٢١) الذي نقل عن ابي عبيدة قوله : ما التقى فرسان في جاهلية
او اسلام ، الا وكان عندي خبرهما وخبر فارسيهما . وكان العلماء
يخبرون عنه انه كان في بيته ديوان العرب .

واما شيوخه ، فيكفي ان نضع في مقدمتهم ابا عمرو بن العلاء المازني ،
العالم بالعربية وانقرآن وايام العرب والشعر ، وقد اخذ عنه التخليل
بن احمد والاصمعي ، وشيخ آخر اخذ عنه ابو عبيدة هو يونس بن
حبيب . قال ابو عبيدة : اختلفت الى يونس اربعين سنة ، املا كل
يوم الواحي من حفظه . وسئل الشاعر ابو نواس عن رايه في ابي عبيدة
فقال : ذاك اديم طوى على علم . وقال في الاصمعي بلبل في قفص (٢٢).



« عمله في التأليف .. »

لقد وجد ابو عبيدة في « الايام » منطلقه ، فارسل خياله وقلمه
فيها ، ولم يستهوه حقل كما استهوته الايام . ومن ينظر في قائمة

(٢٠) انباء الرواة ٢٧٧/٣ .

(٢١) معجم الادباء ١٦٥/٧ .

(٢٢) انباء الرواة الموضع نفسه ، ابن خلكان ٣٢٥/٤ ومصادر

الترجمة الاخرى في هامش ٢ ص ٧

مصنفاته الطويلة يمكنه ان يحصي عددا ضخما لكثير من المؤلفات في فروع المعرفة ، على ان اهم عمله هو كتابه في « الايام » .
وانجز في الامثال عملا كبيرا ، لعلاقته القوية بملاحم الايام ، لكن كتابه في الامثال لم يصل الينا ، وذكر صاحب انباء الرواة : انه دفع الى جعفر بن سليمان امثالا في الرقاع ، اربعة عشر الف مثل . فانظر الى هذه السعة في الرواية ، بينه وبين ما رواه ابو عبيدة ، فانه لم اجتهد جاء بألف مثل (٢٣) .

والمثل تجربة امة باسرها ، تكنت في عبارات قصار ، خلال مسيرة تاريخية طويلة في وجدان الامة . وتقترب في لغتها من الشعر ، بما تحمله من احياءات الحدث ، ويتجسد المثل واضحا في موضعه من الرواية في الايام ، ويؤدي وظيفة الشعر ، وتتحدث الذات او (الانا) متفاعلة مع الرمز الدال على الحدث ، لتولد المأساة وتنمو متصاعدة حتى تتفجر في الآخر مع ابطالها المأساويين ، وقد ذكرنا هذا مفصلا في مواضعه من الدراسة التي اعددناها لملاحم الايام العربية .
ولم يضع كتابا في الانساب ، كما فعل غيره ، لانها عنده تؤلف سلسلة مكنته لحياة الملحمة داخل الاحداث ، فليس لعزلها من القصة ووضعها في كتاب ، اية فائدة . فهو ينظر الى سلاسل الانساب ، كأنها تقدم مدلولاً ميثولوجيا داخل القصة . وقد برهنت الدراسة الموسعة ان هذا السند الطويل من الاسماء هو في واقعه اسماء الالهة ، هم اجداد الملوك أو رؤساء القبائل .

(٢٣) يراجع الهامش المتقدم حول مؤلفاته .

وابو عبيدة يميل الى الاعمال الادبية التي يلمح من خلالها بشرا ومعارف ودورة حياة متكاملة لصراع اوسع واكمل ، فهو يميل الى الثقافات التي تأخذ بيده وتمضي به بعيدا ، نحو عوالم لانهائية من المعرفة ، لينظر في مسألة الكون والسكون والحركة ، بالعين التي لا يراها النحويون في عصره وفق منهجهم الذي ينهجون ، ويعود من رحلاته الطويلة ليقول : ترى النحوي يفرق بين الساكن والمتحرك ولا يفرق بين الموت والحياة . لذلك لم يفهم الناس كتابه : « المجاز » الذي وضعه في النحو ، ولم يكن يقصد المجاز المعروف في البلاغة ، بل هو مبحث في المعنى اللغوي ، او ما يعرف اليوم في الدلالة اللغوية ، ولا نبالغ اذا قلنا ان ابا عبيدة كان الرائد في هذا الباب ، ولا نقول هذا وحدها ، بل نستمتع الى المرحوم الاستاذ ابراهيم مصطفى حيث يقول (٢٤) : « وقد بدا لبعض النحاة مسلك آخر في درس العربية ، يتجاوز الاعراب الى غيره من القواعد العربية . فالف ابو عبيدة معمر بن المثنى ، المتوفى سنة (٢٠٨ هـ) كتابا في (مجاز القرآن) حاول ان يبين ما في الجملة العربية من تقديم او تاخير او حذف او غيرها ، وكان بابا من النحو جديرا ان يفتح ، وخطوة في درس العربية حرة ان تتبع الخطا الاولى في الكشف عن علل النحو ، ولكن النحاة - والناس من ورائهم - كانوا قد شغلوا بسيبويه ونحوه ، وقتنوا به كل الفتنة ، حتى قال الامام ابو عثمان المازني ، المتوفى سنة (٣٤٧ هـ) «

(٢٤) احياء النحو ص ١١ (لجنة التأليف ١٩٣٧) تحت فصل
عنوانه وجهات البحث النحوي .

من اراد ان يعمل كتابا كبيرا في النحو بعد كتاب سيبويه فليستحي ، فلم تتجه عنايتهم الى شيء مما كشف عنه ابو عبيدة في كتابه مجاز القرآن . واهمل الكتاب ونسي ، ووقع بعض الباحثين في ايامنا على اسمه فظنوه كتابا في البلاغة ، وما كانت كلمة المجاز الى ذلك العهد قد خصصت بمعناها الاصطلاحي في البلاغة ، وما كان استعمال ابي عبيدة لها الا مناظرة لكلمة النحو في عبارة غيره من علماء العربية فانهم سموا بحثهم النحو ، أي سبيل العرب في القول (٢٥) ، واقتصروا منه على ما يمس آخر الكلمة وسمى بحثه المجاز ، أي طريق التعبير ، وتناول غير الاعراب من قوانين العبارة العربية ، ولم يكثروا اكثر سيبويه وجماعته ، ولم يتعمق ماتعمقوا ، ولا احاط احاطتهم ، ولكنه دل على سبيل تبصرة الناس .

ثم مضى المرجوم ابراهيم مصطفى يتحدث عن مقدمة الكتاب ، ويستطرد في ايراد الامثلة المتعددة عن هذا المجاز . لاجل هذا كله ، كان ابو عبيدة غير راض عن اقتصار النحويين في دراستهم على حركة الاعراب ، وتركهم لهذا الجانب فكان يقول : النحو محدود (٢٦) . فأي فكر فذ وعقل فعال يصطبغ في رأس هذا الرجل ، وما الذي كان يريد ان يقوله فاشتد عليه الخصوم ، او قاله وكنتم انفاسه المعادون ، ومن هنا كان يضيق بالجهل المطيف بالناس ، ويتألم عندما ينظر فلا

(٢٥) اللسان مادة (نح) والخصائص ٢٢/١

(٢٦) الزبيدي - طبقات النحويين واللفويين ٧٤ ابن خلكان

يرى الا جهالا يتوجهون اليه بالسؤال الغبي والملاحظة السطحية ، حتى روى اصحابه انه خرج يوما عندما كثر عليه امثال هؤلاء بالاسئلة فاندفع وقد اشتد ساعيا في طرق البصرة يقول : من اين حشرت البهائم على اليوم •

وتظل احكام بعض المصنفين القدماء الجائرة في كتبهم ، تحمل شاهد جهلهم لما يقولون او ينقلون ، وتظل الاقلام تنقل هذه الاحكام على مر الدهور ، بلا تروي • بل ان بعضنا ليلتفت التفاتة ذكية ليوصي بالحذر من هذه الاحكام المنقولة^(٢٥) الا انه لا يلبث ان يسقط في المحذور لدى حديثه عن شخصية ابي عبيدة او ثقافته • فاندفع يجري وراء اقوال الذين لا علم عندهم ، لكن يعرفون كيف « يجهلون » العلم ، ويزينون الجهل للناس بتفجيرهم من العلماء ، واعطاء الصورة المشوشة عنهم ، فلم يسلم من شمتهم احد ، وأي عالم لم تصبه تراجمهم بشتيمة او تنقص او غمز من هذا الجانب او ذاك •

لذلك ظن الباحثون في ان المقولة المنقولة ، بان ابا عبيدة لم يفسر شعرا ، سوف تسيء الى شخصيته العلمية ، فلم يلتفتوا الى انها من صميم منهج ابي عبيدة وعمله • ألم يقولوا : ان اشعاره كان « الغريب » ؟ الا يكفي ان يفك اسرار الكلمات ، ويرفع غطاء غموضها ، لتصبح مقروءة واضحة في الرؤية ، أزيل عنها ختمها ، ثم يترك العبارة او البيت او القصيدة ، تأخذ منطلقها الرحب في ذهن

(٢٧) كتاب نقائض جرير والفرزدق - الدكتور غناوي ١٦٨

القارئ ، ليفسر بخياله ماتحس به نفسه ، قبل ان توضع الصور في اطار من التفسير المحدود . لقد كان ابو عبيدة في هذا السلوك «اكاديميا» ولو شاء ان يكون معلما في كتاتيب الصبية، لملا الدنيا شروحا وتفسير . فقولهم ان ابا عبيدة لم يفسر شعرا ليس ذما ولا تنقصا منه، لكنه منهج ، فيه بعد نظر المنهج العلمي في التثقيف ، والتوجيه الادبي . وقد كان هذا منهج علماء افاضل قبله وبعده ، اذ لم يكن المفضل النضبي ممن يفسرون الشعر . ان مسألة تفسير الشعر متأخرة عندما بدأ ذوق العصر يتغير .

وتعتبر ايام العرب ، ميدان جهده ، واصل نبوغه ، نانصرف اليها ، فكانت اكبر مؤلفاته فيها ، لانه كان يراها نهرا كبيرا تصب فيه جميع روافد الثقافة الاولى . فجمعها في كتاب سماه : ايام العرب . وهو مفقود ايضا ، والمصادر تصمت عنه فلا تزيد على عنوانه شيئا سوى عدد ايامه التي يقولون انها تصل الى الف ومائتي يوم . وكانت اقدم اشارة الى كتاب ابي عبيدة في الايام ، تلك التي وردت في الهرست لابن النديم وذكر الزبيدي وابن خلكان وياقوت الحموي كتبه واخبر عن مؤلفاته في الايام وعدد ما فيها من الايام^(٢٨)، وقد وجدت من يشير الى نقله من الكتاب ويذكر بعبارة صريحة مثل

(٢٨) ابن النديم ٥٣ - ٥٤ طبقات النحويين واللغويين ١٩٤
انباه الرواة ٢٧٥/٣ وفيات الاعيان ٣٢٦/٢ معجم الادباء ١٦٤/٧ نشر
(د.س . مرجليوث) مصر ١٩٢٥ . وشرنا سابقا الى مؤلفاته .

ابن الانباري وابي عبيد البكري والسيوطي والبغدادى (٢٩) . الا ان احد فصول ابن عبد ربه في كتابه : العقد الفريد منقول بكامله مبن ايام ابي عبيدة وكذلك فعل صاحب الانوار ومحاسن الاشعار . ونقل ابن الاثير في الكامل قطعة كبيرة منه ، ولم يشير الى الكتاب لكن اشاروا الى اسمه في مطلع الروايات ، والتفتت دائرة المعارف الاسلامية (٢٩) الى وجود تباين بن الروايتين ، يتعلق في الاختصار والتفصيل . فبينما اختصر ابن عبد ربه الرواية او اخذها من مختصر لابي عبيدة ، اذا بابن الاثير ينقل بتفصيل اكثر ، كأنه يأخذ من كتاب آخر لابي عبيدة في الايام ، اطول من ذلك الذي نقل عنه ابن الاثير . ولم ترجع الدائرة الى كتاب نقائض جرير والفرزدق لتجند اكثر الروايات المذكورة في العقد والكامل كليهما واردة في هذا الكتاب ، ومنقولة عنه . وقد فعل مثلها صاحب الاغانى . ولكن النويري ضمن كتابه فصول العقد الفريد في الايام ، سوى بعض الزيادة التي لا تغني شيئا ، وكان النويري حصل عليها من المصادر الاخرى التي ذكرناها .

« السوال الصعب !! »

هذه هي الصورة التي تتمثل في ذهن الباحث عن كتاب الايام ووجوده التاريخي والمصيري ، ولا تتمثل له اكثر من ذلك . وملاحظة اخرى

(٢٩) نزهة الالباء ص ١٠٤ ومعجم ما استعجم ١٣٥٩ - ١٣٥٤ / ٤
المزهر ١ / ١٦٨ ، ١٨ ، ٥٧٠ ، شرح شواهد المغنى ٢٠٥ ، خزانة الادب ٣ / ١٣٩ ، ٥١٨ وانظر بروكلمان ١ / ١٢٨

(٣٠) ١٨٠ / ٣ / ٣ .

ثبتها ما دمتنا في صدد ذكر المصادر التي نقلت روايات الايام ، وهي
انها كانت تستمد مادتها من كتاب النقائض ، او ان اغلب الروايات
المثبتة في الكتب ، لعلها مأخوذة من روايات كتاب النقائض ، فهل ذلك
يعني انهم كانوا يعتمدون النقائض اصلا ، ام انهم كانوا ينقلون عن
كتاب الايام المفقود من عندنا الآن ، وقد كان وقتئذ موجودا عندهم ؟
اتنا ، لكي نجيب على هذا السؤال الصعب • ملزمون بان نصل
الى كلمة حاسمة في كتاب نقائض جرير والفرزدق •

لقد كانت بداية الخطأ في هذه المسألة ناجمة من كثرة ماورد اليينا
من اقوال في مادة النقائض ، ومن نسب اليهم تأليفها : كأبي جعفر
محمد بن حبيب ، وابي سعيد السكري ، وابي عبد الله اليزيدي ،
وابي عثمان سعدان بن المبارك ، فضلا عن الشراح ، فاختلط الحابل
بالنابل ، وتكاثرت الاسماء ، فتعذر تمييز من جمعوا النقائض ومن
شرحوها • لكن الراوية الاولى للنقائض هو محمد بن حبيب ، تلميذ
ابي عبيدة ، وقد وضع كتابا في النقائض غير هذا الكتاب ، وروى
ديوان جرير وديوان الفرزدق •

فاذا عرفنا هذا كله ، ادركنا ان الامر كله على خلاف ما شاع
وذاع ، فالنقائض الذي بين ايدينا اليوم ليس من صنع ابي عبيدة ، وانما
هو من صنع محمد بن حبيب ، ودليلنا الى ذلك ، ترجمته في الفهرست ،
حيث يذكر ابن النديم انه صنع كتاب نقائض جرير والفرزدق ، ويذكر
غيره ذلك ايضا (٢١) • واقترن اسم ابن حبيب باسم آخر هو ابو عبد

(٣١) ابن النديم ص ١٥٥ باقوت ٢١٦/١٨

الله اليزيدي ، وهذا ما افضى بنشر الكتاب في طبعته الاوربية الى الشك في نسبة الكتاب الى مؤلف واحد (٣٢) .

ان الرواية التي اثبت معظمها محمد بن حبيب في هذا الكتاب ، معزوة الى ابي عبيدة ، والا فاننا لم نقف على مصدر قديم ينسب النقائض صراحة لابي عبيدة ، لكن اجمعوا على ان هذا الكتاب ، انما هو من تأليف محمد بن حبيب (٣٣) .

أما الحسن بن الحسين السكري فقد تولى شرح الالفاظ اللغوية في شعر جرير والفرزدق ، وجاء ابو عبد الله محمد بن العباس اليزيدي فزاد على هذا الشرح . وأما محمد بن حبيب فهو صاحب القدح المعللى ، والمصنف الحقيقي للكتاب الذي تضمن ثلاثة مواد ادبية .

١ - قصائد جرير والفرزدق .

٢ - شروح لغوية .

٣ - اخبار متعلقة بايام العرب .

اما القصائد وجمعها ، فقد كان هذا ن عمل ابن حبيب ، وقد عرف بذلك . فهو الذي جمع ديوان جرير وديوان الفرزدق .

(٣٢) نشر الكتاب سنة ١٩٠٥-١٩١٢ المستشرق بيفسان

Antony Asheley Bevan وقال ص ٢٥ من مقدمته

باللغة الانكليزية (اننا ازاء كتاب اشترك في تصنيفه عدة مؤلفين ، وليس مؤلفا واحدا) .

(٣٣) انظر المصدرين في الهامش ٣١

كما ذكرنا وصرح به اكثر من واحد ، اما الشروح ، فجعلها من عمل
السكري ، وهذا هو الذي يؤخذ من عبارة ييفان Bevan
المذكورة (٣٤) .

بقي الجزء الاخير ، وهو الاخبار المتعلقة بالايام ، فلم يكن لدى
محمد بن حبيب من مصدر سوى كتاب الايام لابي عبيدة ، فنقله ، او
نقل قطعة كبيرة منه على اقل تقدير ، وعزاه الى ابي عبيدة وهذا
على ما نرجح هو الذي احدث اللبس في نسبة الكتاب برمته الى ابي
عبيدة ، مع اننا عرفناه انه لم يفسر شعرا ، لكن لكثرة ما نقل عنه
في كتاب النقائض نسبوه اليه ، وشجعهم على ذلك ان محمد بن
حبيب كان احد تلامذته . اما دخول الاسماء ، فهذا لا يمنع ان يكون
قد اضيف الى النقائض قصائد ومقطعات من غير رواية ابن حبيب ،
كما حدث في المفضليات وغيره من كتب الشعر .

فنحن اذ ثبت رواية محمد بن حبيب عن ابي عبيدة ، انما
ثبت اقدم رواية لكتاب الايام عرفها العالم ، ولا يستطيع احد ان يشك
فيها ، لاتصال ابن حبيب بابي عبيدة وسماعه روايته عنه . وقد سلك
في ذلك سلوكه في كتبه الاخرى التي ربما نقلها بتمامها ، حتى لقد اتهم
من اجل ذلك بالاغارة على كتب سواه (٣٥) . وهو انما كان يمضي

(٣٤) بعض كتب تاريخ الادب اوردت انه كتاب مشهور لابني
عبيدة ، وهو الشائع ، وربما كانت عبارة جورجى زيدان اكثر تحفظا في
تاريخه للادب العربي ، وكذلك بروكلمان ٢١٨ ت : النجار . .
(٣٥) ياقوت - معجم الادباء ٢١٧/١٨

على سنة معهودة عند المصنفين في ذلك الزمان ، وكانت الملكية الادبية غير معروفة عندهم ، كما هي معروفة عندنا الان . ومن ثم فلم يجد حرجا في ان ينقل كتاب ابي عبيدة في « الايام » ويدخله في شروح النقائض .

وما ورد في النقائض من الايام ، تعززه النقول التي تضمنتها كتب الادب والتاريخ ، وفي مقدمتها كتاب العقد الفريد والانوار ومحاسن الاشعار (مخطوطة) وتاريخ ابن الاثير وغيرها . فالقصة تكاد تروى بالفاظها في هذه الكتب . مثال ما نراه في يوم شعب جيلة ص ٦٥٣ في النقائض وقد ورد بحروفه في الاغانى ١١ / ١٣١ حتى ان محقق الكتاب اعتمد رواية النقائض و اشار اليها في سد فراغات النسخة الخطية التي حقق عليها و اضاف الزيادات الموجودة في النقائض . وهكذا في جميع الايام الموجودة في النقائض تقريبا . اما بالنسبة للعقد فانه يوجز احيانا ، وعلى هذا فلا يعدو كتاب النقائض ان يكون كتاب الايام لابي عبيدة عدا المناقضات والشروح التي عليها . لان الايام هي المادة الوحيدة التي ينفرد بها ابو عبيدة ، وما سواها فهو عمل متداخل لعدد من العلماء ، والشعر لعدد من الشعراء . غير ان ناشر النقائض كان قد استعان بنسخ اخرى غير نسخة « بودليانا » الموجودة في جامعة اكسفورد برقم ١ / ١٢٢٤ في نشر الكتاب (٣٦) ، لذلك دخل يوم او يومان ذكر انها برواية ابن الكلبي ، ويوم او يومان بروايتين متكررتين

(٢٦) انظر مجلة المشرق ١٠ / ٦٣٥

وهما لابي عبيدة مع اختلاف بسيط في الرواية ، وبذلك نستطيع ان نقول مطمئنين ان عملنا كان مثمرا ، فقد رممنا كتاب « الايام » لابي عبيدة ترميما ، وصنعناه صنعة ، واخرجناه ، واتينا بالدعم التاريخي لنصوصه ، عندما رأينا ابن حبيب يفرش الايام في ثانيا كتابه ، النقائض ومثله فعل صاحب الاغاني ، ويحولها غيره الى قطع في كتابه مثل ابن عبد ربه في العقد الفريد والشمشاطي في الانوار ومحاسن الاشعار (مخطوطة) وابن الاثير في الكامل واخرين تتصل بنا اسماؤهم في مصادر كل يوم من متن الكتاب .

عملنا في هذا الكتاب :

بعد ان خالصنا الايام من بين سطور النقائض ، ظهرت للعيان بوجهها الواضح . فلما نقلنا القطعة التي ادخلها ابن عبد ربه وابن الاثير في كتابيهما جعلنا نقرن الروايات مع بعضها ، مستعينين بالنصوص الاخرى المبعثرة في كتاب الاغاني وغيره كالفخر لابي طالب المفضل بن سلمة وشرح الحماسة للتبريزي والامالي للشريف الرضي ومجمع الامثال للميداني وشرح المفضليات للانباري ونهاية الارب للنويري وخزانة الادب للبغدادي ، وغير العشرات المدعمة لتحقيق النصوص الشعرية . وعثرت على رواية « يوم داحس والغبراء » دخلت في كتاب الامثال للمفضل الضبي مع انها في كتاب « الايام » الذي في « النقائض » وايد ذلك ابو الفرج الاصبهاني وغيره ، وهي في الحقيقة رواية الكلبي الاب اخذها منه المفضل وابو عبيدة .

وحافظنا على عبارة ابي عبيدة سليمة في جميع النصوص التي نستعين بها ونضعها في مواضعها من القصة ، فلم نضف الى النص

حرفاً واحداً لم يقله أبو عبيدة أو لم تذكره الرواية ، فإذا تكررت النصوص أخذنا أسلمها في نظرنا • وربما اضطررنا إلى الاستغناء عن الخبر القصير ، وربما الطويل نعر عليه في المظان الأخرى ، عندما لا نجد له المكان المناسب داخل الرواية التي ينتمي إليها ، لكننا نبخل به على القارئ ، فأثبتناه في الهامش • وقد تركنا « أياما » فلم ندخلها في الكتاب بادئ بدء ، ذكرها ابن عبد ربه وابن الأثير لأن المؤلف لم يذكر أنها لأبي عبيدة ، وهذا صنيعنا مع بقية المصادر ، فإذا تأيد لنا في موضع آخر أن اليوم لأبي عبيدة رجعنا واثبتناه •

ولم نتشدد في التحقيق فنثقل النص بالتعليقات الطويلة ، لذلك لم نرجع في شعر المشهورين أصحاب الدواوين إلى المراجع في أشعارهم بل حبسنا جهدنا على شعراء الأيام وإبطال الرواية الذين لم ينل شعرهم وخبرهم التحقيق العلمي المطلوب •

وعمدت إلى سلسلة السند وإضافات الشراح واللغويين وغيرهم فرفعتها من الرواية ، لأن وجودها يؤثر في نمو الحدث وتسلسله في وجدان القارئ ، وهو مقحم على الرواية وليس من أصل القصة • فلما حذفنا هذه الزيادات الدخيلة ، تماسكت القصة ، واندفعت الأحداث تتنامى مع نمو المأساة ، إلى أن تتفجر في نهاية الخبر ، فيشعر القارئ بتكامل الملحمة واحتوائها كل صفات العمل الفني المحبوك •

ولم أحاول أن أحذو في تسلسل الأيام حذو القدماء كأبن عبد ربه في توزيعها على القبائل ، ولا فعلت فعل ابن الأثير وهو يحاول

ان يرتبها ترتيبا تاريخيا ، او كما فعل المحدثون وكانهم يؤدون عملا عقليا او منطقيا ، غافلين انها قصص ، فمضيت اجمع بين جملة ايام يكمل بعضها البعض ، فاستكملت حلقاتها ، وربطناها ربطا دراميا ، فأبعدنا الايام عن الاطار التاريخي الذي افتعله المؤرخون ، او بوجب خارطة التوزيع القبيلي التي اصطنعها نفر من الادباء والباحثين . واما الايام التي لم تتمكن من ربطها ببعضها ، فهي لم ترد متكاملة برواية ابي عبيدة ، لانها مفقودة . وكان يمكن ان تجمع لو كانت معها الايام التي برواية عالم اخر غير ابي عبيدة . وقد حاول جماعة من الباحثين اليوم ان يرتبوا الايام برأيهم ايضا (٣٧) .

وبعد ، فاني اختتم هذه المقدمة المتواضعة بقول تشر Thatcher (٣٨) ، انه لا يوجد بين القصص المتداولة في زمن الرسول ذات قيمة الا « أيام العرب » . وقد عدها جونار اولندر Gunnar Olinder احداثا احتوت على شيء من الحقيقة ، نسجت حولها الاقصوصة ، وان الايام واشعارها ، اكثر المصادر اصالة ، وغالبا تضمنتها البحوث التاريخية المتأخرة او استفادت منها (٣٩) وقد اوضح متوخ Mittwoch في بحثه عن الايام ، كيف ان المجموعات

(٣٧) انظر كتاب « أيام العرب » لمحمد الهجاوي وجماعته وكتاب (العصبية القبلية) لاحسان النص وغيرهما .

Enc. Brit. 2 — 263

(٣٨) راجع

(طريق الميثولوجيا عند العرب ١٩٢)

(٣٩) ملوك كندة ص ٤٠

الاولى لاقاصيص ايام العرب وقد ضاعت لسوء الطالع الى الابد ،
محفوظة في كتب المؤلفين بعد ذلك (٤٠) والى الآن •

وانني فضلا عن ذلك ، ادعو قارئى الكريم ان يرجع الى
دراسة (الملاحم العربية) ، ليجد فيه رؤية علمية جديدة لهذه
الملاحم العربية في ضوء المقارنات الادبية مع الملاحم الكونية السامية ،
والتي تم اكتشافها في هذا العصر في المدينتين الاثريتين : نينوى
واوغاريت ، وسواهما ، والله الموفق •

الدكتور عادل جاسم البياتي

كلية الاداب - جامعة بغداد

(٤٠) المصدر نفسه ص ٤١

كتاب ايام العرب
قبل الاسلام

لابي عبدة

٢٠٩ هـ

ملقطات من الكتب والمخطوطات

يوم خزاز (*)

وكان من حديث خزاز ، وكان يعقب يوم السلان^(١) ، ان ملكا من ملوك اليمن كانت في يده أسارى من ربيعة ومضر وقضاة ، فوفد عليه وفد منهم ، من وجوه قومه ، منهم سدوس بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة^(٢) ، وعوف بن محلم بن ذهل بن شيبان^(٣) ، وعوف بن عمرو بن جشم بن ربيعة بن زيد مناة بن عامر الضحيان وحشم بن هلال بن ربيعة بن زيد مناة بن عامر الضحيان^(٤) .

فلقيهم رجل من بهراء ، يقال له عبيد بن قرار ، كان في الاسارى ،

مصادره : يذكر ابو عبيدة في تفسيره لآيات السفاح الواردة في متن الرواية معنى كلمة خزاز . النقائض ١٠٩٤/٢ (نشرة اوربا) العقد الفريد ٢٤٥/٥ الكامل في التاريخ ٣١١/١ ومراجع التحقيق الاخرى المذكورة في متن الرواية . وقد ورد بأسم خزازى ايضا .

(١) لم اقع على رواية ابي عبيدة ليوم السلان حتى الان . واما ما ذكره ابن الاثير في الكامل ٣١١/١ فهو سوء منه ، وكان يريد ينسوم « السؤبان » . وقد حققنا في هذا السهو ، ويجده القارىء في اول يوم « السؤبان » . وان يوم السلان من ايام العرب المتقدمة جدا ، وسيأتي حديثه ضمن الايام المروية عن طريق اخر غير ابي عبيدة . وهو يسبق يوم خزاز .

(٢) لسدوس بن شيبان خبر في يوم (البردان) .

(٣) كان عوف بن محلم عظيما ، وجاء في المثل « لاجر بوادي عوف » . وام اناس ابنة عوف ، مدح بشير بن ابي خازم الاسدي ابنها عمرو بن ام اناس ذاكرهم العريض . الديوان ٣٩ والاشتقاق ٢١٥

(٤) الضحيان من بني عامر ، وهم اول من كسا البيت بالحرير ، وكان ذلك على اثر نذر نذروه على انفسهم . الروض الانف (٧٧/١) .

وكان شاعرا ، فسألهم ان يدخلوه في عدة من يسألون ، فيكلموا الملك فيه وفي الاسارى فوهبهم لهم ، فقال عبيد بن قرار في ذلك (٥) :

نسي الفداء لعوف الفعا

ل وعوف ولا بن هلال جشم

تدركني بعد ما قد هوي

ت مستمسكا بعراقي الودم (٦)

وناديت بهراء كي يسمعوا

وليس باذانهم من صمم

ومن قبلها عصمت قاسط

معدا اذا ما عزيز أزم (٧)

فاحتبس الملك عنده بعض الوفود رهينة ، وقال للبقية :

— ايتوني برؤساكم الاخر لاخذ عليهم مواثيقهم بالطاعة ، والا

فاعلموا اني قاتل اصحابكم ، ومحاربكم .

فرجعوا الى قومهم ، فأخبروهم الخبر .

فبعث كليب في ربيعة فجمعهم ، ثم بعث على مقدمته السفاح

(٥) اشار ابن الاثير في الكامل اشارة صريحة الى ابي عبيدة لدى رواية الابيات .

(٦) قطعة سير من جلد بين اذان الدلو وعراقيها تشد ، او هو سير تشد به العراقي في العرى (اللسان وذم) .

(٧) الازمة : الشدة . وتأتي ازم ايضا بمعنى امسك عن الكلام او المساعدة .

التغليبي^(٨) ، وهو سليمة بن خالد بن كعب بن زهير بن تميم بن اسامة
ابن مالك بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب . وأمره ان
يؤفد على خزازي ليهتدوا بناره .

وقال له :

ان غشيك العدو فارفع نارين .

وبلغ مذحج اجتماع ربيعة ومسيرها ، فاقبلوا بجموعهم واستنفروا
من يليهم من قبائل اليمن .

فلما سمع اهل تهامة بمسير مذحج ، انضموا الى ربيعة ، وهجمت
مذحج على خزاز ، فلا رأى كليب النارين ، اقبل اليهم بالجموع ،
فصباحهم ، فالتقوا بخزاز ، فاقتتلوا قتالا شديدا ، فانهزمت جموع
مذحج وانقضت .

فقال السفاح في ذلك^(٩) :

(٨) كليب بن ربيعة واخوه مهلهل بن ربيعة الشاعر ، بظلا
ملحمة البسوس التي انتهت الى الملحمة الشعبية المعروفة باسم : الزير
سالم . والزير لقب مهلهل ، وسالم من اسمائه ، روى ذلك ابو عبيدة .
والسفاح هو سلمة بن خالد . لقب بالسفاح لانه شق مزادا صاحبه
في يوم الكلاب الال حتى سفح الماء (يراجع خبر اليوم المذكور وكذلك
نسب السفاح ص ٥٤) وتراجع ايضا مخطوطة الانوار ومحاسن الاشعار
للشمساطي (الورقة ٥٩) .

(٩) صدر البيت الاول في مجمع الامثال للميداني ٤٣٣/٢ (ونحن
غداة نوقد في خزازي) وعلى هذه الرواية كهو صدر بيت وقع في
شعر عمرو بن كلثوم نذكره في هامش قادم من هذا اليوم .

وليلة بت اوقد في خزازي (١٠) هديت كتابا متحيرات

(١٠) خزاز ومتالع وكير : اجبال ثلاثة بطخفة ، ما بين البصر الى مكة فمتالع على يمين الطريق الذهاب الى مكة ، وكير عن شماله ، وخزاز ينحر الطريق ، الا انها لا يمر الطريق عليها هذا الشرح وارد في متن الراوية في المصادر . وقال ابن السكيت : خزازي جبل ، ويقال موضع قال : واجتمعت معد على كليب بن وائل في يوم خزازي . وذكر البكري في معجمه ٤٩٦/٢ (مادة خزاز على وزن فعال بفتح الفاء) بأنه جبل لغني ، احمر ، له هضبات حمر ، وأورد قول عمرو بن كلثوم . وقال : خزاز في ناحية منعج دون امرة على يسار طريق البصرة الى المدينة . وذكر قول الهمداني في موضع خزازي ايضا . وقد ذكره مهلهل وزهير بن جناب ولبيد في شعره . قال زهير بن جناب : شهدت الوافدين على خزاز وبالسلان جمعا ذا ثواء ورواه ياقوت في معجم البلدان في رسم السلان : الموفدين بدل الوافدين وذا زهاء بدل ثواء .

واوهمت رواية معجم البلدان ٤٣٠/٣ والمحرر لابن حبيب ٢٤٩ ان هذا اليوم كان بين سلمة بن الحارث عم امرئ القيس الشاعر ومعه جموع من اليمن وبين تغلب ومن انضم اليها من قبائل ربيعة ومضر . وهي رواية ابي زياد الكلابي . واما رواية الاضمعي فهي اوجه من السابقة ، فقد جعل يوم خزازي بين المنذر بن ماء السماء وتغلب وفضاعة من جهة وبين بني اكل المرار وبكر بن وائل من جهة اخرى (يراجع الفصل للدكتور جواد علي ٣٥٥/٣ طبعة بيروت ١٩٦٩) واقرب للصواب رواية ابي عبيدة التي جعلت اليوم بين ملك من ملوك اليمن وبين قبائل معد ، وهي رواية ابي عمرو بن العلاء . بهذا اليوم انتصر اولاد معد على اولاد قحطان ، وكان حدا فاصلا لانتهاه الهيمنة الجنوبية اليمنية على الشمال ، فنبهت القبائل العربية الشمالية بعد ذلك . ثم جاء حكم الاسلام . وهذا الخطأ او الخلط هو الذي جعل من يوم (السويان) قريبا في روايته من يوم السلان . وكثيرا ماتخلط الايام بسبب تشابه اسماء المواضع .

ضللن من السهاد وقلن لولا

سهاد الققوم احب هاديات

وقال عمرو بن كلثوم (١١) :

ونحن غداة اوقد في خزازي وفقدنا رفد الرافدين

(١١) هذا البيت من معلقته المشهورة ، والابيات التي تليه هي :

ونحن الحابسون بذى اراطى

تسف الجللة الخور الدريشا

ونحن الحاكمون اذا اطعنا

ونحن العازمون اذا عصينا

ونحن التاركون لما سخطنا

ونحن الاخذون لما رضينا

وكننا الايمنين اذا التقينا

وكان الايسرين بنو ابيينا

فصالوا صولة فيمن يليهم

وصلنا صولة فيمن يلينا

فأبوا بالنهباب وبالسبايا

وأبنا بالملوك مصفدينا

وجاء في العقد الفريد : قال ابو عبيدة : قال ابو عمرو بن العلاء :

ولقد سألت منذ ستين سنة ، فما وجدت احدا من القوم يعلم من

رئيسهم ومن الملك . غير ان اهل اليمن ، كان الرجل منهم يأتي ومعه

كاتب وظيفته يقعد عليها ، فيأخذ من اموال نزار ماشاء كعمال صدقاتهم

اليوم . وكان اول يوم امتنعت معد عن الملوك ، ملوك حمير . وكانت نزار

لم تكثر بعد ، فأوقدوا نارين على خزاز ثلاث ليال ، ودخنوا ثلاثة ايام .

ف قيل له : وما خزاز ؟ قال : هو جبل قريب من « امر » على يسار

الطريق ، خلفه صحراء منعج ، يناوحه كور وكوير اذا قطعت بطن عاقل .

ففي ذلك اليوم امتنعت نزار من اهل اليمن ان يأكلوهم . ولولا قول

عمرو بن كلثوم ، ما عرف ذلك اليوم ، حيث يقول :

ونحن غداة اوقد في خزاز ... الابيات
قال ابو عمرو بن العلاء : لو كان جدة كليب وائل قلنهم ورئيسهم
مادعى الوفادة وترك الرئاسة ... يوما مايت احدا عرف هذا اليوم ،
ولا ذكره في شعره قبله احد .

وقد ذكر ابو عبيدة كل هذا في معرض مناقشة او جدل جرى
في مجلس ابي عمرو بن العلاء وبحضور عامر ومسمع ابني عبد الملك
وجماعة من وجوه اهل البصرة .

وجاء في متن رواية النقائض قوله : (رجعت القصيدة) وهي
عبارة مقحمة ، فليس هناك اي حديث عن قصيدة ، وانما ذكر بيتين
لجرير يختلفان في وثنهما ورويتهما عن القصيدة التي كان بصدها .
وروى صاحب النقائض في موضعين من كتابه (٨٨٤ ، ٨٨٧) احد
البيتين بالاختلاف بسيط ، وزاد بيتا اخر ، فتكون رواية النقائض ثلاثة
ايات وهي تتعلق بفخر جرير بهذا اليوم :

لنولا فوارس تغلب اينة وائل

دخل العدو عليك كل مكان

سقومي هم قتلوا ابن هند عنوة

عمرا وهم قسطوا على النعمان

ضربوا الصنائع والملوك واوقدوا

نارين قد علتنا على النيران

والاول والثالث وزادا في الكامل لابن الاثير منسوبين للفرزدق

يخطب جريرا يهجوهم وروى (اشرفنا مكان علتنا) .

قال الاصمعي : واما قوله :

ضربوا الصنائع والملوك واوقدوا

نارين قد علتنا على النيران

قال : وذلك انهم في يوم خزازي ، اسروا خمسين من بني اكبل

المرار ، وكان يوم خزازي للمندر بن ماء السماء ولبنو تغلب وقضاعة

على اكل المراب من كتدة ، وعلى بكر بن وائل .

ففي ذلك يقول عمرو بن كلثوم :

فلبوا بالنهاب وبالسبابا

وابننا بالملوك مصفدينا

يوم البردان (*)

اقبل تبع ، ايام سار الى العراق ، فنزل بارض معد ، فاستعمل عليهم حجر بن عمرو ، وهو اكل المرار^(١) ، فلم يزل ملكا حتى خرف ، وله من الولد : عمرو ، ومعاوية وهو الجون .

(×) ابو الفرج - الاغانى ٣٥٥/١٦

الميداني - مجمع الامثال ٢٤٥/٢

ابن الاثير - الكامل في التاريخ ٣٠٢/١

مراجع التحقيق والرواية ، غير ماذكرنا نثبتها في الهامش .

يستمد ابو الفرج روايته من رواية ابي عبيدة ، ويضم اليها رواية ابن الكلبي ، وينبئ الى انهما متفقتان ، الا في بعض المواضع ، فيشير لذلك الاختلاف ، وكلاهما ينقلها عن الكلبي ، لكن ابن الاثير ينقل روايته عن كتاب ابي عبيدة ، ويشير الى الرواية بوضوح تام ، ولا يشير لسواه .

اما الميداني ، فروايته مختلفة عنهما في كثير من المواضع ، ومع اننا لانبعدها عن ابي عبيدة فالرجل كان يروي لليوم عدة روايات ، كما لاحظنا في غير هذا ، من الايام ، لكننا ، دفعا للشبهة ، الحقناها مع بقية الايام ، في الكتاب الثاني ، وهو الملاحق والهوامش . وليس للبردان ذكر داخل الرواية ، لكنه موضع . قال في اللسان (برد) والبردان بالتحريك ، موضع ، قال ابن ميادة :

ظلت بنهى البردان تفتسل

تشرب منه نهلات وتعل

(١) المرار (يضم الميم) جمع ، والواحدة مرارة ، من العشب ، وهو افضل العشب واضخمه ، ولونه الى السواد ، وزهرته صفراء وطعم المرار مر ، وهو افضل عشب تأكله الابل ، فتقلص مشافرها وتبـسـدو اسنانها وتسمن . قال الشاعر :

ثم ان زياد بن الهبولة^(٢) بن عمرو بن عوف بن ضجعم بن حماطة بن سعد بن سليح القضاعي ، اغار عليه ، وهو ملك في ربيعة ابن نزار ، ومنزله بغمر ذي كندة ، وكان قد غزا ربيعة البحرين ، فبلغ زيادا غزاته فأقبل حتى أغار في مملكة حجر ، فأخذ مالا كثيرا ، وسبى

→ رفع المزار من الربيع ع سنامها
فنوت واردف نابها بسديس

« نوت » اي « سمنت » . والناوية السمينية
قال ابو عمرو : المزار من الذكور . وعن الاعراب القدم : المزار بقلة
تعود في القبط شجرة .

وقد قيل لجدا امريء القيس الشاعر « آكل المزار » تشبيها بالجمل
الذي قد اكل المزار فقلصت مشافره وبدت اسنانه . (نقلا عن كتاب
النبات لابي حنيفة الدينوري ٢٦٧/٢) مادة مزار رقم ١٠١٢ طبعة
المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة ١٩٧٣ عناية وجمع محمد
حميد الله .

وانظر كتاب : ملوك كندة لجورنار اولندر « الفصل الرابع المتعلق
بحجر آكل المزار » ومناقشته لهذا اللقب ص ٧٩ وكيف كان يطلق على
ملوكهم ، واخطاء المؤرخين والرواة العرب في اول ملك لقب به .

(٢) في الميداني : الحارث بن مندله ، ملك الشام ، من ملوك
سليح ، من ملوك الضجاعم ، وهو الذي ذكره مالك بن جوين الطائي في
شعره فقال :

هنالك لاعطى رئيسا مقادة
ولا ملكا حتى يؤوب ابن مندله

وفي شرح البساسة ١١٩-١٢٠ انه (عبد ياليل) واختصر خبر يوم
البردان .

امراة حجر ، وهي هند بنت ظالم بن وهب بن الحارث بن معاوية ،
واخذ نسوة من نساء بكر بن وائل ، وام اناس بنت عوف بن محلم
الشياني ، وهي ام الحارث بن حجر ، وهند بنت حجر ولابنها الحارث
ابن يقال له عمرو ، وله يقول بشر بن ابي خازم :

فالى ابن أم أناس اعمل ناقتي
عمرو فتتجح حاجتي أم ترجف
ملك اذا نزل الوفود يباه
غرفوا غوارب مزبد ماينزف

وبنتها هند ، هي التي تزوجها المنذر بن ماء السماء اللخمي .
وكان ابن الهبولة ، بعد ان غنم ، يسوق ما معه من السبايا
والنعم ، ويتصيد في المسير ، ولا يمر بواد الا اقام به يوما او يومين ،
حتى اتى على ضرية ، فوجدها معشبة ، فاعجبته فاقام بها اياما . وقالت
له ام ناس :

— اني لارى ذات ودك^(٤) ، وسوء درك ، فاني قد نظرت الى
رجل اسود ادلم ، كان مشافره مشافير بعير آكل مرار^(٥) ، قد اخذ

(٣) ظالم وظلام وظلم : نوع من الشجر غريب (انظر كتاب
النبات مادة ظالم ٦٧٥) هذا من معانيها ولا نحكم انه المقصود هنا .

(٤) الودك الدسم من اللحم والشحم .

(٥) المرار نبت مر ، اذا اغتذى البعير منه ، تقلصت مشافره .

وانظر الهامش (١) في الصفحة ٣٨٥

برقبته (فسمى حجر آكل المرار بذلك^(٦)) .
فلما بلغ حجرا ، وبلغ بكر بن وائل مغاره ، وما أخذ ، اقبلوا
معه ، ومعه يومئذ اشراف بكر بن وائل ، منهم عوف بن محلم بن
شيبان وصليح بن غنم بن ذهل بن شيبان ، وسدوس بن شيبان بن
ذهل وضبيعة بن قيس بن ثعلبة ، وعامر بن مالك بن تيم الله بن
ثعلبة . فتعجل عمرو بن معاوية ، وعوف بن محلم ، قالا لحجر :
— انا متعجلان الى الرجل ، لعلنا نأخذ منه بعض ما اصاب

منا .

فلقياه دون « عين اباغ » ، فكلمه عوف بن محلم ، وقال :

— ياخير الفتيان ، اردد على ما اخذته مني .

وكلمه عمرو بن معاوية في فعل ابله ، فقال :

— خذه .

فأخذه عمرو ، وكان قويا ، فجعل الفحل ينزع الى الابل ،

فاعتقله عمرو ، فصرعه . فقال له ابن الهبولة :

— اما والله يا بني شيبان ، لو كنتم تعتقلون الرجال كما تعتقلون

الابل ، لكنتم انتم انتم .

فقال عمرو :

— اما والله لقد وهبت قليلا ، وشتمت جليلا . ولقد جررت

على نفسك شرا ، ولتجدني عند ماساءك .

(٦) سوف يرد في الرواية تكرار لهذه العبارة ، لكن على لسان

هند زوجة حجر ، وسنعلق على سبب هذا التكرار في موضعه
هناك .

ثم ركض حتى صار الى حجر ، فأخبره الخبر (٧) .

(٧) اما رواية الميداني في غزوة بن الهبولة ومسيره الى الشام في طريق عودته فقال : وكان قد اغار على ارض نجد ، وهي ارض حجر ابن الحارث هذا ، وذلك على عهد بهرام جور ، وكان بها اهل حجر ، فوجد القوم خلوفاً ، ووجد حجراً قد غزا اهل نجران ، فأستاق ابن مندله مال حجر ، واخذ امرأته هند الهنود ، ووقع بها ، فاعجبها ، وكان آكل المزار شيخاً كبيراً ، وابن مندله شاباً جميلاً ، فقالت له :

— النجاء .. النجاء .. فأمره طالباً حثيثاً ، وشيخاً كبيراً ، وراياً صليبا ، وحزماً وكيداً .
فخرج ابن مندله الى الشام ، وجعل يقسم المرباع نهاره اجمع ، فاذا كان الليل اسرجت له السرج يقسم عليها . فلما رجع حجر ، وجد ماله قد استيق ووجد هنداً قد اخذت ، فقال :

— من اغار عليكم ؟!

قالوا :

— ابن مندله .

قال

— مذكم ؟!

فقالوا :

— منذ ثمانى ليال

فقال حجر :

— ثمان في ثمان ، لاغزو الا التعقيب .

فارسلها مثلاً . يعني غزوة الاول والثاني .

ثم اقبل مجداً في طلب ابن مندله ، حتى دفع الى واد دون منزل ابن مندله فكم نفيه .

اما ابن الاثير ، فانه يروي الخبر كما ذكره ابو عبيدة وابن الكلبي ، وزاد في مخاطبة عمرو ، الذي جعله ابن ربيعة لامعاوية ، لزياد فقال : « لقد اعطيت ، وسميت جليلاً ، وجررت على نفسك ويلاً طويلاً ، واتجدن منه . ولا والله لا تبرح حتى اروي سناني من دمك » .

فأقبل حجر في أصحابه ، حتى اذا كان بمكان يقال له «الحفير»
بالبر ، وهو دون عين اباغ ، بعث سدوسا وصليعا يتجسسان له
الخبر ، ويعلمان له علم العسكر •
فخرجتا حتى هجما على عسكره ، وقد اوقد نارا ، ونادى
مناد له :

— من جاء بحزمة من حطب ، فله فدرة^(٨) من تمر •
وكان ابن الهبولة ، قد اصاب في عسكر حجر تمرا كثيرا • فضرب
قبابه ، واجج ناره ، وثر التمر بين يديه ، فمن جاء بحطب اعطاه
تمرا •

فاحتطب سدوس وصليع ، ثم اتيا به ابن الهبولة ، فطرحاه بين
يديه ، فناولهما من التمر ، وجلسا قريبا من القبة •
فأما صليع فقال :

— هذه آية وعلم ما يريد •
فانصرف الى حجر ، فأعلمه بعسكره ، واراها التمر •
واما سدوس فقال :

— لا أبرح حتى آتية بأمر جلي •
فلما ذهب هزيع من الليل ، اقبل ناس من أصحابه يحرسونه ،
وقد تفرق اهل العسكر في كل ناحية ، فضرب سدوس بيده الى جليس
له ، فقال له :

— من انت ؟

(٨) القدرة : القطعة :

• مخافة ان يستنكر •

فقال : انا فلان ابن فلان •

فقال : نعم •

ودنا سدوس من القبة ، فكان حيث يسمع الكلام •

فدنا ابن الهسبولة من هند امرأة حجر ، فقبلها وداعبها ، ثم

قال لها فيما يقول :

— ماظنك الان بحجر ، لو علم بمكاني منك ؟؟

قالت :

— ظني به والله ، انه لن يدع طلبك حتى يطالع القصور الحمر ،

وكأني انظر اليه في فوارس من بني شيبان ، يذمرهم ويذمرونه ، وهو

شديد الكلب ، سريع الطلب ، يزيد شذواه كأنه بعيرا كل مرار •

فسمى حجر آكل المرار يومئذ^(٩) •

(٩) وردت في الهامش (٦) ص ٣٨٨ هذه العبارة على لسان ام حجر ، وترد الان على لسان زوجته وسبب هذا التكرار ، ان رواية ابن الكلبي قد اختلطت برواية ابي عبيدة كما ذكرنا في اول تعليق ، وعلى رواية ابي عبيدة ، فلا ذكر لعبارة المرار الا على لسان امه ، وذكر ابو عبيدة ايضا ، ان حجرا ليس هو آكل المرار بل ابوه الحارث ، وروى ايضا انه لما اتاه سدوس بخبر ابن الهبولة ، ومداعبته لهند ، وان رأسه كان في حجرها ، وحدثه بقولها وقوله ، جعل يسمع ذلك وهو يعبث بالمرار ، وهو نبت شديد المرارة ، وكان جالسافي موضع فيه من المرار شيء كثير ، فجعل يأكل من ذلك المرار غضبا ، وهو يسمع من سدوس ولا يعلم انه يأكله من شدة الغضب ، حتى انتهى سدوس الى اخر الحديث ، فعلم حينئذ بذلك ، ووجد طعمه ، فسمى يومئذ آكل المرار . وانظر تفصيل هذه المسألة في كتاب : ملوك كندة من بني آكل المرار . لجونار اولندر .

فرفع يده فلطمها ، ثم قال :
- ماقلت هذا ، الا من عجبك به ، وجبك له .
فقلت :

- والله ماابغضت ذا نسمة قط ، بغضى له ، ولا رأيت رجلا
قط احزم منه نائما ومستيقظا . ان كان لتنام عيناه ، وبعض اعضائه
حي لا ينام ، وكان اذا اراد النوم ، امرني ان اجعل عنده عسا مملوءا
لبنا ، فيينا هو ذات ليلة نائم ، وانا قريبة منه انظر اليه ، اذ اقبل أسود
سالخ الى رأسه ، فنحى رأسه ، فمال الى يديه ، واحداهما مقبوضة
والاخرى مبسوطة ، فأهوى اليها فقبضها ، فمال الى رجله ، وقد
قبض واحدة ، وبسط الاخرى ، فأهوى اليها فقبضها ، فمال الى
رجليه ، وقد قبض واحدة ، وبسط الاخرى ، فأهوى اليها فقبضها ،
فمال الى العس : شربه ثم مجه ، فقلت : يستيقظ ، فيشرب ، فيموت ،
فاستريح منه . فأتبه من نومه فقال : «علي بالاناء» فناولته ، فاشتبه ،
فاضطربت يداه ، حتى سقط الاناء فأهريق ، (فقال اين ذهب ؟ فقلت
مارأيت . فقال : كذبت والله (١٠)) .

(١٠) زيادة بن الاثير . واراد بالاسود السالخ : الافعوان .
اما رواية الميداني : وبعث سدوس بن شيبان بن ذهل ثعلبة ، وكان
من مناكير العرب .
فقال حجر :

- اذهب متنكرا ، الى القوم ، حتى تعلم لنا علمهم .
فانطلق سدوس ، حتى انتهى الى ابن مندلة ، وقد نزل في سفح
الجبل ، واوقد نارا ، واقبل يقسم المربع ، ونثر تمرا وقال :
- من جاء بحزمة فله قبضة من تمر .



وذلك كله ، بأذن سدوس .

فلما نامت الاحراس ، خرج يسري ليلته ، حتى صبح حجرا
فقال (١١) :

فأتى بحزمة حطب والقاها على النار ، واخذ قبضة من تمر ،
فالقها في كنانته ، وجلس مع القوم ، يستمع الى مايقولون ، وهند
خلف ابن مندلة ، تحدثه ، فقال ابن مندلة :

— ياهند ماظنك الان بحجر ؟

قالت :

— اراه ضاربا بجوشنه على واسطة رجله ، وهو يقول : «سيرا . .
سيرا . . لاغزو الا التعقيب » . وذلك مثلما قال زوجها سواء . ثم
قالت لابن مندلة :

— والله مانام حجر قط ، الا وعضومته حي .

قال ابن مندلة :

— وماعلمك بذلك ؟!

وانتهرها .

قالت : بلى كنت له فاركا ، فبينما هو ذات يوم في منزل له ، قد خرج
اليه رابعا ، فضربت له قبة من قبابه ، ثم امر بجزر فنحرت ، وشاء
فذهبت فصنع ذلك ، ثم ارسل للناس فاطعمهم ، فلما طعموا وخرجوا ،
نام كما هو ، مكانه ، وانا جالسة عند باب القبة . فأقبلت حية ، وهو
نائم باسط رجله ، فذهبت الحية لتنهشه ، فقبض رجله ، ثم تحولت
من قبل يده ، لتنهشه ، فقبض يده اليه ، ثم تحولت من قبل رأسه ،
فلما دنت منه ، وهو يغط ، قعد جالسا ، فنظر الى الحية ، فقال :
« ماهذه ياهند ؟ » فقلت : ما فطنت لها حتى جلست . قال : لا والله .
وذلك كله بمسمع سدوس .

فلما سمع الحديث ، رجع الى حجر ، فنثر التمر من الكتانة بين
يديه وقال :

اتاك المرجفون بأمر غيب على دهش وجنتك باليقين
(١١) البيتان في الاغاني ، وابن الاثير . والاول في الميداني .

اتاك المرجفون بأمر غيب
على دهش وجتك باليقين
فمن يك قد اتاك بأمر لبس
فقد آتى بأمر مستبين

ثم قص عليه جميع ما سمع •
فأسف ونادى في الناس :
- الرحيل •

فساروا حتى انتهوا الى عسكر ابن الهبولة، فاقتتلوا قتالا شديدا،
فانهزم اصحاب ابن الهبولة ، وعرفه سدوس (فحمل عليه فاعتنقه
وصرعه واخذه اسيرا ، فلما رآه عمرو بن ابي ريعة ، حسده ، فطعن
زيادا فقتله •

فغضب سدوس ، وقال :
- قتلت اسيري ، وديته دية ملك •

فتحاكما الى حجر ، فحكم على عمرو وقومه ، لسدوس بديعة
ملك ، واعانهم في ذلك ، من ماله •

وقال سدوس ، في ذلك يعاقب بني شيبان :
مابعدكم عيش ولا معكم
عيش لذى انف ولا حسب
لولا بنو ذهل وجمع بني
قيس وما جمعت من نشب

ما سمتوني خطبة عينا
وعلى ضربة رمتهم غلبي

واخذ حجر هنداً فربطها بين فرسين ، ثم ركضا بها حتى قطعها
قطعا .

وقال حجر في هند (١٢) :

(١٢) والابيات في الاغاني . واورد ابن الاثير : الثلاثة الاخيرة .
والميداني ايضا . وان الاقواء واضح في الابيات الثلاثة الاخيرة عنها في
البيتين الاولين ، وقد جمع روايتها صاحب الاغاني . وانظر رواية
الميداني بعد هذه السطور .

وقال الميداني في نهاية ابن الهبولة :
« فلما حدثه بحديث امراته مع ابن مندلة ، عرف انه قد صدقه ،
فضرب بيده على المرار ، وهي شجرة مرة ، اذا اكلت منها الابل قلصت
مشافرها فاكل منها من الغضب ، فلم يضره ، فسمته العرب : آكل
المرار .

ثم خرج حتى اغار على ابن مندلة فنذر به ابن مندلة ، فوثب على
فرسه ، ووقف فقال له اكل المرار :

— هل لك في المبارزة ؟ فأينا قتل صاحبه ، انقاد له جند المقتول .
قال له ابن مندلة :

— انصفت .

وذلك بعين هند . فأختلفا بينهما بطعنتين ، فطعنه اكل المرار
طعنة جندله عن فرسه ، فوثبت هند الى ابن جندلة ، تفديه ، وانتزعت
الرمح من نحره ، وخرجت نفسه .

فظفر اكل المرار بجنده ، واستنقذ جميع ما كان ذهب من ماله ،
ومال اهل بلاده ، واخذ هنداً فقتلها مكانه ، ثم انشأ يقول :



- (١) لمن النار اوقدت بجفير
لم تنم عند مصطل مقررور
(٢) اوقدتها احدى الهنود وقالت
انت ذا موثق وثاق الاسير
(٣) ان من غره النساء بشيء
بعد هند لجاهل مقررور
(٤) حلوة العين والحديث ومر
كل شيء أجن فيه الضمير
(٥) كل اثى وان بدا لك منها
آية الحب جها خيتعور

→
لمن النار اوقدت بجفير
لم ينم غير مصطل مقررور
ان من يأمن النساء بشيء
بعد هند لجاهل مقررور
كل اثى وان تبينت منها
آية الحب ، جها خيتعور

وخيتعور لا يدوم على حال .
وذكر ابن الاثير ، في اخر الرواية ، مناقشة تاريخية في شخصية
زياد بن الهبولة ، وهل هو حقا ملك الشام من سليح ؟! ، ام انه احد
ملوك غسان ؟ وهي مناقشة ماوجدتها ذات جدوى بالنسبة للايام كادب
لاكتاريخ ، لذلك لم ادرجها في هذا الهامش ، فمن شاء زيادة في العلم
فليرجع اليها .

يوم الكلاب الاول (*)

قال ابو عبيدة : وكان من حديث الكلاب^(١) الاول ، ان قباذ ، ملك فارس لما ملك كان ضعيف الملك^(٢) ، فوثبت ربيعة على المنذر بن ماء السماء^(٣) ، وهو ذو القرنين ، لانه كانت له ذؤابتان^(٤) ، فخرج هاربا منهم ، حتى مات في اياد ، وترك ابنه المنذر بن المنذر فيهم ، وكان ارجى^(٥) ولده ، فانطلقت ربيعة الى كندة ، فجاءوا بالبعث بن عمرو بن حجر آكل المرار فملكوه على بكرين وائل ، وحشدوا له ، وقاتلوا

(*) الكلاب بضم الكاف : ماء . وسوف يرد ذكره في متن الرواية . وينظر معجم البلدان مادة «الكلاب» مصادره : النقائض ٤٥٢ وما بعدها ، ١٠٧٢، ٨٨٧ وما بعدها (ط . اورد) و ٢٥٤/١ ، ١٥٣/٢ ، ١٥٦ (ط . الصاوي) . والعقد الفريد ٥/٢٢٢ وما يليها . والاغاني ١٢/٢٠٩ وما بعدها . وشرح المفضليات لابن الانباري ٤٢٧ - ٤٤٠ والكامل لابن الاثير ٣٣١/١ والانوار ومحاسن الاشعار (الورقة ٥٩) مخطوطة . ومصادر اخرى في حاشية الرواية .

(١) يذكر الشماطى في الانوار ومحاسن الاشعار رواية ابي عبيدة ، ثم يضيف قائلا : فيما حدث خراش وابن الكلبي هشام بن محمد .

(٢) تؤمىء القصة الى قضية قباذ والمزدكية ، لكن اختصار الرواية هنا وتبعثرها هو الذي ضيع حبكةها وسردها .

(٣) الانباري : النعمان الاكبر او المنذر الاكبر ، وقد تفرد بهذه الرواية ، وهو وهم ، لانه بعد قليل يقول : فهو ذو القرنين بن النعمان .

(٤) الزيادة في الاغاني وابن الانباري .

(٥) الاغاني : اذكى .

معه ، فظهر على ما كانت العرب تسكن من ارض العراق (٦) .
وأبى قباذ ان يمد المنذر بجيش ، فلما رأى ذلك المنذر ، كتب الى
الحارث بن عمرو : « اني في غير قومي ، وانت احق من ضمني
واكتنفي ، وانا متحول اليك » .

فحواله اليه ، وزوجه ابنته هنداً ، وهي التي يقول لها القائل : ياليت
هنداً ولدت ثلاثة . . فولدت ثلاثة ذكورة ، بعضهم على راس بعض .
ولدت عمراً ، مضط الحجارة ، ابن هند ، سمي بذلك لشدة (٧) ،
وقابوس ، قينة العراق ، ابن هند ، وكانت فيه حلية اي لينا ، وليس بالمختل ،
لقب له . والمنذر بن هند الاكبر . فتهادنا وكف المنذر عنه ، وطفت
النائرة بينهما ، ورجع الى الحيرة (٨) . ففرق الحارث بنيه في قبائل

(٦) في العقد الفريد : انهم لما اتوا تبعا ، ملك عليهم الحارث بن عمرو
آكل المرار الكندي ، فقدم فنزل بطن عاقل ، ثم غزا ب بكر بن
وائل ، حتى انتزع عامة ما في يد ملوك الحيرة اللخمين ، وملوك
الغسانيين ، وردهم الى اقاصي اعمالهم ، ثم طعن في نيطة ، اي
مات ، وقد دفن بطن عاقل . واختلف ابنه شرحبيل ، وسلمة
في الملك ، فواعدا الكلاب . . . الخ . ثم تستمر الرواية كما نجدها
في المصادر الاخرى . وتذكر رواية اخرى ان الحارث مات في
الصيد بمسحلان ، وهو يوم مسحلان . ويذكر غير ذلك .

(٧) مثال على شدته مانراه في « يوم اوراة » تراجع مخطوطة الانوار
ومحاسن الاشعار ورقة ٦٤ وكذلك خبر هذا اليوم في النقائض .
(٨) جاء في النقائض ٣٥٣/١ ، ٣٥٤ (الصاوي) ولذلك فخر الفرزدق
حيث يقول :

منا الذي جمع الملوك وبينهم حرب يشب سعيها بضرام
فالذي سعي في تزويج هند بنت الحارث بن عمرو من الملك المنذر
هو سفيان بن مجاشع بن دارم ، جد الفرزدق . ويقال ان الذي
سعى في تزويج هند بنت الحارث الملك الكندي من المنذر الاكبر ←

العرب ، فصار شرحبيل بن الحارث في بكر بن وائل ، وحنظلة بن مالك وبني اسيد وطوائف من بني عمرو بن تميم والرباب . وصار معد يكر ب - وهو غافاء^(٩) - في قيس . وصار سلمة بن الحارث في بني تغلب والنمر بن قاسط وسعد بن زيد مناة .

وكانت مع شرحبيل طوائف من بني درام بن مالك ، من ولد اسيدة^(١٠) بنت عمرو بن ربابة بن عمرو بن امرى الغيس بن فتية بن النمر بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة^(١١) ، اخوة التغلبيين لامهم بني اسيدة بنت عمرو ، وهي ام عمرو بن دارم ، وربيعة بن مالك ، ودارم بن حنظلة (ورزام بن مالك بن حنظلة)^(١٢) ،

الملك اللخمي هو زرارة بن عدس ابن زيد دارم . ويقال ان زرارة اجار عيال ثلاثة املاك من آل المنذر ، وذلك ان ملوك العراق كانوا يحاربون ملوك الشام ، فاذا ارادوا المسير الى الشام ، جعلوا عيالاتهم في جوار اعز العرب ، وفي ذلك يقول مسكين الدرامي :

اجرنا ابن ماء المزن وابن محرق

جميعا وشر القول ما هو كاذب

ثلاثة املاك ثووا في بيوتنا

الى ان بدت منهم لحي وشوارب

يشير بابن ماء المزن الى المنذر الاكبر ، وبابن محرق الى قتيل بني تميم يوم اواره ، وملك ثالث قتله الحارث بن ظالم كان من بني ذبيان ايام حرب غطفان وعامر التي سنذكرها في الايام التي رواها ابو عبيدة .

(٩) سمي بغلفاء لانه كان يغلف رأسه بالطيب . وهم كلهم اعمام امرىء القيس الشاعر .

(١٠) ابن الانباري قال هشام : بنو اسيد ، بغير هاء ، وهي امرأة بنت عمرو بن ربابة ، وهي ام دارم بن مالك .

(١١) يراجع في هذا النسب الجمهرة لابن حزم ٤٢٥ .

(١٢) زيادة من التبريزي .

واخوتهم لامهم جشم بن بكر بن حبيب بن عمرو بن تغلب ، وهم زهير
ومالك وسعد ومعاوية والحارث وعمرو وعامر بنو جشم .
ومع معه يكرب ، الصنائع وهم الذين يقال لهم بنو رقية ، ام لهم
ينسبون اليها ، وكانوا يكونون مع الملوك ، من شذاذ الناس .
فلما هلك ابوهم الحارث بن عمرو ، تشتت امر شرحبيل وسلمة ،
وتفرقت كلمتهما ، ومشى الرجال بينهما ، فكانت المغاورة بين الاحياء
الذين معهما ، وتفاقم امرهما حتى جمع كل واحد منهما لصاحبه
الجموع ، وزحف اليه بالجيوش ، فسار شرحبيل في بني بكر ومن معه
من القبائل ، فنزلوا الكلاب ، وهو ماء بين الكوفة والبصرة ، وهو من
اليمامة على سبع ليال او نحوها . واقبل سلمة بن الحارث في تغلب
والنمر « واحلافها وسعد بن زيد مناة بن تميم » (١٣) ومن معه من
القبائل ، وفي الصنائع (وهم اتباع الملوك) يريدون الكلاب .
وكان نصحاء سلمة وشرحبيل نهوهما عن الفساد والتحاسد ،
وحذروهما الحرب وعثراتها ، فلم يقبلا ولم ينزجرا ، وايا الا التتايح
واللجاجة .

فقال سلمة في ذلك (١٤) :

اننى على استتب لومكما

ولو تلوما عمرا ولا عَصْما

كلا يمين الاله يجمعنا

شيء واخواننا بني جُشْما

(١٣) زيادات ابن الانباري .

(١٤) وردت الابيات في موضعين من النقائض، فهي هنا ٤٥٣ مع الرواية
منسوبة لسلمة وكذلك عند الانباري وفي موضع آخر من النقائض
١٠٧٢ منسوبة لامرئ القيس .

حتى تزور السباع ملحمة

كانها من ثمود او ارميا

يعني عمرو بن كلثوم بن مالك بن عتاب بن سعد بن زهير بن
جشم ، وعصم بن النعمان بن مالك بن عتاب بن سعد بن زهير . وعصم
هو ابو حنش ، يعني : لوموا هؤلاء فهم قتلوه .

وزعم ابو المنذر عن ابيه : ان اول من اشتد ملكه من كندة ، بارض
معد حجر بن عمرو بن معاوية . ومعاوية آكل المرار . فهلك فملك ابنه
عمرو وملك ابيه لم يعده ، فسمي المقصور ، لانه قد قصر على ملك
ايه .

فاستتجد عمرو المقصور ، مرثد بن عبد ينكف الحميري ، على
ربيعة ، فامده بجيش عظيم ، فالتقوا بالقنان^(١٥) ، فشد عامر الجون
على عمرو المقصور فقتله ، وبذلك يقول ابو عدي النمري :

منعنا لكم يوم القنان نساءكم وقد كدن يمنعن ساقا ومئزرا .
فتزوج عمرو ام اناس بنت عوف^(١٦) بن محلم بن ذهل بن شيبان ،
وامهما امامة بنت زهير بن جشم بن تغلب ، فولدت له الحارث .

وكان اخوي ام اناس لامهما ، حارثة وقيس ، ابنا عمر بن ابي
ربيعة ابن ذهل بن شيبان . فملك الحارث اربعين سنة ، المدر والوبر ،
وصالح قباز على ان لقباز ما خلف الصراة ، وللحارث ما دونها من
ارض العرب .

(١٥) هذا هو يوم القنان ، ولم اجد له رواية لابي عبيدة .

(١٦) عوف المشهور بوفائه وكرمه . وفيه يقول المثل : لا حر في وادي
عوف .

وقد كان الحارث قبل ان يسوت ، خرج يتصيد ، فرفعت له عانة؛ فشد فانفرد منها بتيس ، وألظ به الحارث ، فاعياه ، فألى بالية لا يأكل اول الا من كبده، وهو يومئذ بمسحلان^(١٨)، فطلبت الخيل ثلاثة ايام، فاتى بعد ثلاثة ، وقد كاد يسوت من الجوع . فضهبت لحمه على النار فاخذ فلذة من كبده حارة ، فأكلها ، فمات من حرارتها^(١٩) .

وكان^(٢٠) بدء يوم الكلاب ، ان الغلفاء سلمة بن عمرو بن الحارث الكندي ، كان في بني تغلب ملكا ، وكان اخوه شرحبيل ملكا على تميم وقيس وبطون من بكر بن وائل^(٢١) ، فعلا الشر بين الملكين . فبعث شرحبيل ، مجاشع بن العقيلة التميمي في خيل من بني تميم ، فاغاروا على ناحية لبني تغلب ، فاصابوا افراسا سائمة ، فقال رجل من بني ذهل بن شيبان كان معهم^(٢٢) :

(١٧) العانة : القطيع من بقر الوحش .
(١٨) هذا هو يوم مسحلان . والزيادة من الانباري . ومعنى الظ به أي لازمه والح عليه في المطاردة ليصطاده . وهذا اليوم يرد في تفصيل اكثر ، على عادة الملاحم العربية المتأثرة بسابقتها السامية ، وذلك في يوم حجر او « ماقط » وهو يوم لم يروه ابو عبيدة ، وفيه مقتل والد امرئ القيس .

(١٩) زيادات ابن الانباري .
(٢٠) من هنا تبدأ روايته مخطوطة الانوار ومحاسن الاشعار . الورقة ٥٩ وهي تنفرد في بعض الاحداث وتتفق في خطوطها الرئيسة والفاظها وشعرها مع الروايات .

(٢١) يعود القاص الى تكرار لاحداث . وكما ذكرت في الدراسة ، ان هذه صفة مشتركة مع الملاحم السامية .

(٢٢) هذا المشهد يشبه بداية مشهد ايام داحس والغبراء عندما بعث احد الشيوخ بابيات يحث على تبديل الخيل بالاسرى

لا تأخذن افراس تغلب انها
يا ابن العقيلة شوب سم نافع
والشر مبدؤه الصغير وهذه
فيها مهالك نهشل ومجاشع

ثم اقبل يزري على بني تغلب ويضع منها •
وكان حنش بن مالك التغلبي زوارا للملوك عظيم القدر فيهم، وكان
عنده (٢٣) ابنه معبد بن حنش قائم على رأسه بيده قوس له عراية،
فرفع معبد قوسه فضرب بها هامة الملك فطيرها عن رأسه • وسقط
الملك مغشيا عليه، وتصايح الناس :
— قتل الملك !! —

فدخل ابنه عمرو فرأى ما بآبيه، فاستوثق من معبد • فلما افاق
قدّم معبدا فضرب عنقه، وجعل رأسه بين يديه • فدخل حنش فقال :
— لاخير لك في صحبتي بعد هذا الرأس، فسر حني سراها جميلا •
فوالله لا اغسل رأسي حتى القاك في الخيل التي ازريت عليها •
فسرّجه واجله ثلاثا، فلحق ببني تغلب •
وقال حنش بن مالك •

لعمرك مالي في جوارك حاجة
ولا خير عيش بعد قتلك معبدا
أمن ضربة بالقوس لم يدم كلمها
ضربت بمصقول الذباب مقلدا

(٢٣) يريد عند الغلفاء سلمة بن عمرو الملك •

فتى مال ريعان الشباب بحلمه
ولم يصدر الامر الذي كان اوردا
ولو كنتم اذ زلت النعل زلة
دخرتم بها عندي لقومكم يدا
فان تبقني الايام اجزك مثلها
شرحيل في شبليك عمرو واسودا
والا انل ثأري من اليوم أجزه
بما قدمت كفاه في معبد غدا
ولن يسبقوا آل المرار بشأره
مدى الدهر ما ناح الحمام وغردا
فان انا لم اغش الكلاب بفتية
على كل محبوبك الرحالة اجردا
وكل سبوح في العنان مقلص
كسرب القطا يحمان مجدا وسؤدا
فوارسها من تغلب ابنة وائل
بنو كل اباء الدنية اصيدا
فلا يدعني القوم الحديد لمالك
ولا زلت وعلا في الندامى مربدا
واخبر حنش بني تغلب بالخبر ، ووضع ظبة سيفه على سرته ،
وحلف ليغمدن عليه حتى يخرج من ظهره او يدركوا له بتاره .
فسارت بنو تغلب متساندين بسادتهم ، والتقينه الى سلمة بن
خالد .

وكانت بنو دارم مع اخوالها بني تغلب ، ورئيسهم سفيان بن مجاشع . فقال سلمة بن خالد لبني تغلب :

— ان حالوا بينكم وبين ماء الكلاب ، ظفروا بكم .
واعدوا السير حتى نزلوا على الكلاب .

ونزل شرحبيل ومعه بنو تميم وبطون من اليمن باسفله ، وكان (٢٤)
اول من ورد الكلاب من جمع سلمة ، سفيان بن مجاشع بن دارم بن
مالك بن حنظلة (٢٥) ، وكان نازلا في بني تغلب مع اخوته لامة ، فقتلت
بكر بن وائل ستة بنين له ، فيهم مرة بن سفيان (٢٦) ، قتله سالم بن كعب
بن عمرو بن ابي ربيعة بن ذهل بن شيبان . فقال سفيان وهو يرتجز
ويجود بنفسه (٢٧) :

الشيخ شيخ ثكلان والجوف جوف حران

(٢٤) من هنا تشترك الروايات الاخرى مع مخطوطة محاسن الاشعار .
(٢٥) زيادة الانباري . ورد في المصادر انه جد الفرزدق وقد قال فيه :

شيوع منهم عدس بن زيد وسفيان الذي ورد الكلابا

(٢٦) في مخطوطة الانوار ومحاسن الاشعار ، ان القتل ابن مرة بن
سفيان . وان مرة هذا حضر الكلاب مع ابيه سفيان واخيه عامر .

(٢٧) ذكرت في النقائض في موضعين ٤٥٢ ، ١٠٧٣ وفي الموضع
الثاني حذف عجز البيت الاول . وذكر البيتان في الاغاني بحذف
كلمة (اليك) لتصلح الوزن ، مع ذلك يبقى الخزم داخلا عليه
بزيادة حرفين في اوله . وهي عند ابن الانباري بترتيب مختلف
وذكر (قرط) بدل (مرة) وعرف بنسبه . وفي محاسن الاشعار
(مرة) .

والسورد ورد عجلان اشكو اليك مرة بن سفيان

واول من ورد الماء من بني تغلب ، رجل من بني عبد جشم ، يقال له
النعمان ابن فريع^(٢٨) بن حارثة بن معاوية بن عبد بن جشم ، ورجل يقال
له عبد يغوث بن دوس من بني مالك بن جشم على فرس له يقال له :
الخروب^(٢٩) ، وبه كان يعرف .

ثم ورد سلمة في تغلب وسعد وجماعة الناس . وعلى بني تغلب
السفاح ، وهو سلمة بن خالد بن كعب بن زهير بن تميم بن اسامة بن
مالك بن بكر بن حبيب ، والسفاح جد هشام بن عمرو والتغلي ، وهو
يقول^(٣٠) :

ان الكلاب مأؤنا فخلوه وساجرا والله لن تحلوه

فاقتل القوم قتالا شديدا ، وثبت بعضهم لبعض ، وكان على ميمنة
تميم واليمن وبكر ، عمرو بن شرحبيل ، وعلى الميسرة الاسود بن
شرحبيل ، وفي القلب ابو عمير المجاشعي . فقصد حنش بن مالك الميمنة
وحمل على عمرو بن شرحبيل ، فطعنه فصرعه ، وقال :
- يا ابن المرار ، لهذا دعتك تميم ، وهذا بما كسبته يداك ويدي
ايك .

وحمل السفاح على ابي عمرو المجاشعي فطعنه فقتله .

(٢٨) الانباري : فرثع .

(٢٩) الاغانى : الحروف . وثبتنا ما في النقائض والحماسة .

(٣٠) كذا في جميع مصادر التحقيق الا الميداني في امثاله ، ٤٣٣/٢ لم
ينسبه لقائله وروى الصدر : « ان كلابا مأؤنا فخلوا » وساجر :
مرضع .

• وكثرت القتلى بينهم ثم ولت تميم واسرفت تغلب في قتلهم •
• ونادى شرحبيل •

— يا لتميم !!

• فلم يجبه احد •

حتى اذا كان في آخر النهار من ذلك اليوم ، خذلت بنو حنظلة
وعمرو بن تميم والرباب ، بكر بن وائل ، وانصرفت بنو سعد والفاها
من بني تغلب ، وصبر ابنا وائل وبكر وتغلب ، وليس معهم غيرهم •
حتى اذا غشيهم الليل ، نادى منادي سلمة :

• — من اتاني برأس شرحبيل فله مائة من الابل •

ونادى منادي شرحبيل :

• — من اتاني برأس سلمة فله مائة من الابل (٣١) •

وكان شرحبيل نازلا في بني حنظلة وعمرو بن تميم ، ففروا عنه ،
وعرف ابو حنش مكانه ، وهو عصم بن نعمان بن مالك بن
عتاب (٣٢) بن سعد بن زهير بن جشم بن بكر بن حبيب ، فعمد نحو
شرحبيل ، فلما انتهى اليه ، راه جالسا وطوائف من الناس يقاتلون
حوله ، فطعنه بالرمح ثم نزل اليه فاحتز راسه ، واتى به سلمة ، والقاء
اليه (٣٣) •

ويقال ان بني حنظلة وبني عمرو بن تميم والرباب ، لما انهزموا
خرج معهم شرحبيل ، فلحقهم ذو السنين (انما سمي ذا السنين ، لانه

(٣١) زيادة ابن الانباري وابن الاثير •

(٣٢) الاغانى : غياث • والمثبت عن النقائض وشرح الحماسة •

(٣٣) سيعود القاص الى تفصيل هذه الحادثة ، وهو هنا كعادته يعطي
ملخص الحدث •

كانت له سن زائدة ، فيها سمي (٣٤) واسمه حبيب بن عتبة بن حبيب ،
فالتفت اليه شرحبيل ف ضرب ذا السنية على ركبته ، فاطنّ رجله ، وكان
ذا السنية اخا ابي حنش لأمه ، وامهما سلمى بنت عدي بن ربيعة ،
بنت اخي كليب ومهلل . فقال ذو السنية :

— (يا ابا حنش) قتلني الرجل .

(وهلك ذو السنية) (٣٥) .

فقال ابو حنش :

— قتلني الله ان لم يقتله .

وحمل على شرحبيل ، فلما غشيه التفت فقال :

— يا ابا حنش ، اللبن .. اللبن .

قال :

— قد هرقت لبنا كثيرا .

فقال :

— يا ابا حنش ، املك بسوقة ؟! ..

قال :

— انه كان ملكي (٣٦) .

فطعنه ابو حنش فاصاب رادفة السرج ، فورعت (٣٧) عنه . ثم
تناوله ، فالتقاء عن فرسه ، ونزل اليه فاحتز راسه ، فبعث به الى سلمة ،

(٣٤) زيادة ابن الانباري .

(٣٥) زيادة ابن الانباري .

(٣٦) يعني ولده المقتول .

(٣٧) رادفه السرج : مؤخرته ، ورعت : منعت .

مع ابن عم له يقال له : أبوأجأ ، من كعب بن مالك بن عناب^(٣٨) ، فالتقاء
بين يدي سلمة، فقال :

— لو كنت القيته اللقاء رفيقا .

فقال :

— ما صنع به وهو حي اعظم من هذا^(٣٩) .

وعرف أبو أجأ الندامة في وجهه ، والجزع على أخيه ، وهرب
أبو حنش ، فتنحى عنه . وقال :

قتلت شرحبيل بن عمرو حارث

هماما عليه التاج وابن همام

فلا ترجون يا ابن المرار نصيحتي

ولا ود قوم مغصبين رغام

قتلت لك الساعي عليه وحوله

تميم ، وراميت الذين تترامى

فقال معد يكرب اخو شرحبيل ، وكان صاحب سلامة فعتزلا عنهما

وعن حربهما^(٤٠) .

الا ابلغ ابا حنش رسولا فما لك لاتجىء الى الثواب

(٣٨) الاغاني : غياث .

(٣٩) الاغاني : اشد . ابر الانباري : شر من هذا .

(٤٠) في العقد الايات الثلاثة الاولى (وميتا بدلا طرا) منسوبة لسلمة

بن الحارث . والتبريزي في الشرح ٣/٣٠٢ (الاول والثاني)

واتفقت بقية مصادر التحقيق فيها . والجعاسيس : جمع جعسوس

وهو القصير الذميم (اللسان مادة جعس) وقد روى البيت لعمر

بن معد يكرب . وهو سهو منه .

وَمَالِكَ لَا تَجِيءُ إِلَى هِجَانَ
تَعْلَمُ أَنَّ خَيْرَ النَّاسِ طَرَا
تَدَاعَتْ حَوْلَهُ عَمْرُو بْنُ غَنَمٍ
قَتِيلٌ مَا قَتِيلُكَ يَا ابْنَ سَلْمَى
مَنْصِبَةُ الْغَوَارِبِ بِالْهَضَابِ
قَتِيلٌ بَيْنَ أَحْجَارِ الْكَلَابِ
وَأَسْلَمَهُ جَعَاسِيْسُ الرَّبَابِ
تَضَرَّرَ بِهِ قَتِيلُكَ أَوْ يَحَابِي
وَهِيَ طَوِيلَةٌ يَهْدُدُ فِيهَا أَبَا حَنْشٍ • وَيُقَالُ أَنَّ الشَّعْرَ لِسَلْمَةَ وَلَيْسَ
لَمَعْدٍ يَكْرَبُ •

فَاجَابَهُ أَبُو حَنْشٍ (٤١) :

أَحَاذِرُ أَنْ أَجِيئَكَ ثُمَّ تَحْبُو
وَكَانَتْ غُدْرَةٌ شَنْعَاءُ سَارَتْ
تَتَابَعُ سَبْعَةً كَانُوا لَأَمَمٍ
كَاجِرَامِ النَّعَامِ الْحَائِرَاتِ (٤٢)

وَقَوْلُهُ يَوْمَ صَنْبِيعَاتِ (٤٣) : أَنَّ ابْنَ الْخَارِثِ ، كَانَ مُسْتَرْضِعًا بَيْنَ
حَيَيْنَ مِنَ الْعَرَبِ تَمِيمَ وَبَكْرَ (وَابْنُو تَمِيمَ وَبَكْرُ فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ عَلَى
صَنْبِيعَاتٍ) فَمَاتَ • يُقَالُ لِدَغْتِهِ حَيَّةٌ ، (فَاتَهُمُ الْحَيَيْنُ جَمِيعًا ، فَجَاءُوا
يَعْتَزُّونَ إِلَيْهِ) (٤٤) فَاخَذَ خَمْسِينَ رَجُلًا مِنْ بَكْرٍ ، فَقَتَلَهُمْ بِذَلِكَ ، فَهَذِهِ
هِيَ الْغُدْرَةُ (٤٥) •

(٤١) الْآبِيَاتُ وَارِدَةٌ فِي مَصَادِرِ التَّحْقِيقِ ، وَهِيَ فِي النِّقَاطِ مَذْكُورَةٌ
فِي مَوْضِعَيْنِ وَفِي ص ١٠٧٥ (تَهْفُو بِدَلِّ سَارَتْ) وَكَذَلِكَ الْآغَانِي •
وَإِبْنُ الْأَنْبَارِيِّ (كَاخْرَاجُ بَدَلِ كَاغْرَامِ) •
(٤٢) جَاءَ فِي النِّقَاطِ : فِي نَسْخَةِ ابْنِ سَعْدَانَ (كَاخْرَاجُ النَّعَامِ ، يَعْنِي
الْبَيْضَ) •

(٤٣) هَذَا هُوَ يَوْمُ صَنْبِيعَاتٍ ، يَذْكُرُهُ هُنَا بِصُورَةٍ مُخْتَصَرَةٍ جَدًّا •

(٤٤) زِيَادَةُ ابْنِ الْأَنْبَارِيِّ •

(٤٥) الْهَامِشُ السَّابِقُ •

(٤٦) الْهَامِشُ السَّابِقُ نَفْسَهُ •

وكان معد يكرب بن عكب بن عكب بن كنانة بن تميم بن مالك بن
بكر بن حبيب من سادات العرب من بني تغلب واشرافهم ، وله يقول
الشاعر :

ان سرك العز التليد في العرب فالحق باولاد عكب بن عكب
وكان اخذ درع شرحبيل يومئذ ، فطلبها منه ابو حنش واصحابه ،
فابي ان يدفعها اليهم ، فاغار رهط ابي حنش ، فاخذوا ابلا لرجل من
بني تميم بن اسامة بن مالك ، من رهط عكب بن عكب .
فقال الذي اخذت ابله (٤٧) :

الا ابلغ بني تميم رسولا فاني قد كبرت وطال عمري
وان الدهم قد علمت معد محبسة لدى عصم بن عمرو
وطار بها بنو حسان عني بافراس لهم حوّ وشقر
وارماح لهم سمر طوال كأن كعوبهن حباب قطر
وبلغ الخبر غلفاء معد يكرب ، اخا شرحبيل ، فقال يرثي اخاه ،
ويكي مصابه (٤٨) :

(١) ان جنبي عن الفراش لنابي كتجاني الاسر عند الظراب
(٢) من حديث نما الى فما ترقأ عيني ولا اسينغ شرابي

(٤٧) الثاني في شرح الانباري (مخبة) بدل (محبة) والثالث
(بنو خشبان) بدل (حسان) .

(٤٨) الابيات في مصادر التحقيق . الانباري (فوق) بدل (عند) .
والتبريزي في شرح الحماسة ٣/٣٠٣ (اطعم نومي بدل ترقأ عيني)
وفي مخطوطة محاسن الاشعار بعض الاختلاف في رواية الابيات
وهو اختلاف بسيط جدا .

- (٣) مرة كالزغاف اكنمها لنا
 (٤) من شرحييل اذ تعاوره الارماح من بعد لذة وشباب
 (٥) يا ابن امي ولو شهدتك اذ تدعو تميما وانت غير مجاب
 (٦) لترك الكماة حولك صرعى
 (٧) لترك الحسام تجري ضباه
 (٨) ثم طاعنت من ورائك حتى
 (٩) احسنت وائل وعادتها الاحسا
 (١٠) يوم فرت بنو تميم وولت
 (١١) ويحكم يا بني اسيد اني
 (١٢) اين معطيكم الجزيل وحاييكم عن الفقر بالئين الكباب
 (١٣) والثمانين قد تخيرها الراعي ككرم الزيب ذي الاعناب
 (١٤) فارس يضرب الكتبية بالسيف على نحره كنضج الملباب
 (١٥) فارس يضرب الكماة جرىء تحته فارس كلون الغراب
- وقال السفاح (وهو مسلمة بن خالد بن كعب بن زهير بن تميم)
 في ذلك (٤٩) :

(١) هلا سألت ورب الدهر ذو غير
 ان كيف صفقتنا ذهل بن شيانا

(٢) صدوا عن الماء ما يسقون ذا كلم
 ونحن نسقي على الاحساء كلما

(٤٩) الزدياة في ابن الانباري ، والابيات التي في النقائض (١ ، ٤ ، ٥)
 والزيادة في الابيات عن ابن الانباري ايضا وفيه الضباب بدل
 الرباب .

- (٣) في كل حي من الحين ابتهمة
ونحن اكثر مغبوطا وجذلانا
- (٤) اما بنو الحصن اذا شالت نعمتهم
فيخرج المرء من ثوبه عريانا
- (٥) اما الرباب فولونا ظهورهم
واجزرونا ابا سلمى وسفيانا

وقال ابو حنش مجيبا له :

قل لذا الاكل المرار خذ الملك ولا تبكين قتل الكلاب
قد تركنا اخاك في حمس النقع صريعا مخرج الاثواب
اسلمته على الكلاب تميم بعد طعن الكلبى وضرب الرقاب
واجبناك اذ دعوت وذو التاج شرحيل ثم غير مجاب
تنتمي حولك الارقم في النقع كاسد طريرة الانساب
فانشئت عنه دارم وبنو الفزر ويربوعها وحي الرباب
بين كابى الجبين منعقر الخد وعان مشدب الاصحاب
فقتلنا لك ابن امك والملك عقيم مقطوع الانساب
اصبحو بالكلاب تعتقر الضبع عليهم وعاويات الذئاب
فاعتديا ابن ذي المرار عن القصد ولا يغرك تيه الشيا
واخترن بين ما يقول لك الناس وحرب تحرق برد الشراب
ودخل معد يكر ب بن عكب بن فورة وجماعة من رؤساء
تغلب الى الملك وقالوا :

ان الغدر وقلة الوفاء لا يحسن بالملوك ، فان انصفتنا من

نفسك ، والا انصفنا انفسنا منك ، ولا نقنع الا بان تعطي أبا حنش
ما وعدته •

قال :

— فاني افعل •

وامر له بمائة ناقة ، وقال لابي حنش :

— تربت يدهاك ، كريم قتل ملكا •

وقد قال السفاح بن خالد وعمرو بن كلثوم وافنون بن معشر
وجماعة شعراء بني تغلب في ذلك اليوم اشعارا كثيرة تركناها لطولها •
وقوله اجزرونا ابا سلمى ، يقول صيروننا جزرا للاعداء ، وابو سلمى
من بني رياح ، احد بني هرمي بن رياح^(٥٠) ، وسفيان بن حارث بن
سليط بن يربوع • (واسم سليط كعب بن الحارث بن يربوع ، وانما
سمى سليطا ، لانه كان سليط اللسان ، بذيثا)^(٥١) •
وقال السفاح في ذلك^(٥٢) :

وردنا الكلاب على قومنا

بأحسن ورد لهيجا شعارا

وقد جمعوا جمعهم كله

وجمع الرباب لنا مستعارا

وقال ابو اللحام التغلبي ، واسمه سريع بن عمرو ، وعمرو هو

اللحام بن الحارث بن مالك بن ثعلبة بن بكر بن حبيب^(٥٣) :

(٥٠) خبره في يوم طخفة •

(٥١) زيادة عن ابن الانباري •

(٥٢) البيتان روي باتفاق المصادر •

(٥٣) ابن الانباري (الابيات الثلاثة الاولى) مع اختلاف بسيط في
الرواية •

ربعنا بالكلاب وما ربعتهم وانهبنا الهجائن بالصعيد
 سقيننا الابل غيا بعد عشر وغبا بالمزاد من الجلود
 وجرد كالقдах مسومات شواذب محلسات باللبود
 بكل فتى اطار الغزو عنه بشاشة كل مربال جديد

وقال جابر بن حنى في ذلك (٥٤) :

ويوم كلاب (٥٥) قد ازلت رماحنا شرحيل اذا آلى أليّة مقسيم
 ليستلبن ادراعنا فأزاله ابو حنش عن ظهر شقاء صلدّم
 تناول به بالرمح ثم ثنى له فخر صريعاً لليدن وللقم
 وكان معادينا تهرء كلابه مخافة جمع ذي زهاء عرمرم

ولما قتل شرحيل ، قامت بنو سعد بن زبد مناة بن تميم ، دون
 عياله ، فمنعوه ، وحالوا بين الناس وبينهم ، ودافعوا عنهم ، حتى
 الحقوهم بقومهم ، ومأمنهم . وولى ذلك منهم عوير بن شجنة بن
 الحارث بن عطار بن عوف بن كعب بن سعد ، وحشد له في ذلك
 رهطه ، ونهضوا معه ، فائى عليهم امرؤ القيس بن حجر ، لذلك ، في
 اشعاره ، وامتدحهم ، وذكر وفاءهم وقتالهم ، ووصف صبر قبائل بكر
 بن وائل ، وحسن قتالهم ، وخص بني قران (وقران حصن باليمامة) (٥٦) ،

(٥٤) هذه رواية النقائض والابيات في مفضلية ص ٤٣٤ من شرح ابن
 الانباري ولم استقصها ، لاننى وجدت بقية ابيات القصيدة دارت
 حول احداث تبعد عن هذا اليوم . وكذلك فعل الشمشاطي في
 الانوار ومحاسن الاشعار . حي بدلا من حنى .

(٥٥) في محاسن الاشعار : الكلاب .

(٥٦) زيادة عن ابن الانباري .

قرية عبدالله بن عبدالعزيز بن سحيم بن مرة بن السدؤل بن حنيفة
(ومحرق بن سعد بن مالك بن ضبيعة ، وجعل قران ابالهم ، ونسبهم
اليه ، قال هشام هذه الاسماء ، والقرى ، مما ذكر في شعرهم ، قران
ومحرق (وما يجيء بعد ذلك) بن قيس بن ثعلبة ، وبني مرثد بن سعد
بن مالك ، وهجا بني حنظلة) وما كان من خذلانهم شرحبيل (وفرارهم
عنه ، واسلامهم اياه ، وخص قبائل حنظلة قبيلة فعم البراجم ، وهم
قيس ابن حنظلة ، وكلفة بن حنظلة ، وغالب بن حنظلة ، والظليم بن
حنظلة ، وغيرهم من بني دارم بن مالك بن حنظلة ، وخص قبائل نهشل
بن دارم بن مالك بن حنظلة ، وهم قطن بن نهشل وزيد بن نهشل ،
وامهما ماوية بنت المنقر ، من الارقم ، من بني تغلب ، الذين) (٥٧) قال
لهم امرؤ القيس (٥٨) :

(١) ابلغ ولا تترك بني ابنة منقر وفقرهم انى افقر خابرا
(افقرهم أي ميزهم قبيلة قبيلة) (٥٩) .

(٢) وابلغ بني زيد اذا ما لقيتهم
٣ اليس ابنكم أم ليس وسط بيوتكم
(٤) ألم تك آلاء توات وانعم
(٥) ومن حل في نجد ومن صاف مخيفا

وابلغ بني لبنى وابلغ تماضرا
بني دارم ام ليس جارا مجاورا
له فيكم باشر من حل غائرا
يسوف آناء العشى البرائرا

قال هشام : سمعت خراشا ينشد هذا البيت على وجهين يسوقون

(٥٧) زيادة من ابن الانباري .
(٥٨) في النقائص وشرح الحماسة (بلا اختلاف)
(٥٩) زيادة ابن الانباري .

في اهل الحجاز البرائرا يريد الغنم الصغار ، ومخيفا اتى الخيف
والخيف ما ارتفع من الوادي ، وانحدر عن الجبل) •

(٦) احتظل اذ لم تشكروا وغدرتم فكونوا اماء ينتسجن المعاصرا

(المعاصر : برود تلبسها الاعارب ، قال وبنو تماضر : جندل
وصخرا ابنا نهشل ، وامهم تماضر بنت عطارد بن عوف بن مالك بن
كعب بن سعد بن زيد مناة) •

(٧) احتظل لو كنتم كراما صبرتم حياء ولا تلقى التميمي صابرا

(٨) فلو شهدته عصبة ربيعة طوال الرماح يعتلون المكائرا

(٩) لآب سليما او لاردت سيوفهم وارماحهم يوم الكلاب معاشر

(يعتلون يسوقون ، والمكائر الجيوش) •

وقال امرؤ القيس :

(١) ان بني عوف اثلو حسبا ضيعه الدخللون اذ غدروا

(الدخللون بنو حنظلة ، وهم خاصة شرحبيل فاسلموه ، وبنو
عوف بن كعب بن سعد ، رهط عوير بن شجنة) •

(٢) ادوا الى جارهم ذمامهم ولم يضيعوا بالغيب من نصروا
ويروى : خفارته ، ويروى : ولم يضع بالغيب ...

(٣) لم يفعلوا فعل حنظل بهم بشن لعمرى بالغيب ما ائتمروا

وقوله حنظل يعني حنظلة ، ويروى :

لم يفعلوا فعل آل حنظلة انهم جئير بشما ائتمروا

- (٤) لا حميري وفي بذمته ولا است غير محكما ثقر
حميري : رياح بن يربوع ، وعدس بن زيد بن عبدالله بن دارم .
(٥) لكن عوير وفي بذمته لا عور ضره ولا قصر
(٦) كالبدري طلق حلو شمائله لا البخل أزرى به ولا الحصر
(٧) من معشر ليس في نصابهم عيب ولا في عيدانهم خور
(٨) بيض مطاعيم في المحول اذا استروح ريح الدخان والقمر^(٦٠)

وقال امرؤ القيس ايضا ليعيرهم :

- (١) احنظل لوحا ميتم وكرمتم لا ثنيت خيرا صادقا ولا رضاني
(٢) ولكن أباي خذلانكم فافتضحتم وخبثتم من سعيكم كل احسان
(٣) وقد كان اصفاكم باخلص وده على غيركم فكنتم شر خلصان
(٤) وكم قطرت كفاء من فضل نائل له فيكم فاش وكم فك من عان
(٥) أحنظل لا شكر بصالح فعله ولا عفة اذ نصركم خاذل وان
(٦) فألقيتم عند الجوار أدلة وعيدانكم في الجهد اخور عيدان
(٧) الا ان قوما كنتم أمس دونهم هم منعوا جاراتكم آل غدران
(٨) عوير ومن مثل العوير ورهطه واسعد في يوم التلاتل صفوان
(٩) هم قلدوا الحي المضلل امرهم وسارورا بهم يوم العراق ونجران
(١٠) فقد اصبحوا والله اصفاهم به أبر بأيمان واوفى بجيران
(١١) ثياب بني عوف طهاري نقيه واوجههم عند الهزاهز غران
(١٢) هم أمحصوا بالطعن افناء خندف واتبعهم قيس الظلال بن عيلان
(١٣) بنو مرئد اقوا وال محلم ويالط عند الموت ابناء قران

(٦٠) في النقائض وشرح الحماسة ، باتفاق تام ، وهي في الاغاني
٨٩/٩ مع خبر يوم حجر وهنا اصح .

واجلو لكم وجه الحديث بتيان
بشهوة فوق العلاء بنيران
فيا شر اتباع ويا شر أخدان

(١٤) احتفل هذا ذكر ما قد فعلتم
(١٥) سأوقد حتى يعلم الناس غدركم
(١٦) وابتم بلا غنم ولا بسلامة

وقال ايضا (٦١) :

وقبح يربوعا وجدع دارما
منون اماء يغتبن المغارما
ولا آذفوا جارا فيرحل سالما
واصبحت منهم مانع الود لائما
وحامل شن بالقضيحة جازما
لدى باب هند اذ تجرد قائما
الى مشرب صفو وعافوا مطاعما
ولم يجشموا عند الحفاظ المجاشا
مسيرا بعيدا آب للمجد غانما
فلا تنسهم ان كنت بالخير عالما
مصاليت يضا بالاكف صوارما
طوال الرماح يدعون الارقما
اذا كان داعي الموت قرنا ملازما
يهينون للمجد النفوس الاكارما
عظام ترى منها النسور جوارما
فقد فعلوا يا هند ما لست كاتما
وحبلا متينا كان للجار عاصما

(١) الا قبّح الله البراجم كلها
(٢) واثّر بالمخزاة آل مجاشع
(٣) فما قاتلوا عن ربهم وربيبهم
(٤) ألا كربوع اصبخوا قد تروعوا
(٥) وكان فريقا خاذل النصر واهنا
(٦) ولم يفعلوا فعل العوير ورهطه
(٧) عميد اناس قد اجابوا دعاءه
(٨) واوفى بنوعوف وعفوا واطيبوا
(٩) فسار بنو عوف بجار أخيم
(١٠) بلاء بني عوف ومنع حماهم
(١١) فناداهم يا للصباح فجر دوا
(١٢) ولو شهدته عصبة تغليية
(١٣) او الحي بكر ذوالعلاء بن وائل
(١٤) اناسا يرون الغدر عارا وسبة
(١٥) لآب بملك او لكانت ملاحم
(١٦) قبيل تميم من مسيء ومحسن
(١٧) سأذكر حبلهم ضعيفا مقصر

(٦١) الايات في الاغاني ٩/٩٠ مع خبر يوم حجر ، وهنا اصح .

(فسيرت بنو تغلب ، سلمة ، فأخرجوه ، فلجأ الى بكر بن وائل ،
فانضم اليهم ، ولحقت تغلب بالمنذر بن امرئ القيس . قال هشام :
قال ابي : فأصاب معد يكرب الوسواس^(٦٢) ، وضرب سلمة الفالج ،
فانخرق ملكهم حين اصابهم هذا ، وتفرق . ودخلوا حضرموت ،
فخرج الملك من بني آكل المرار . وساد بنو الحارث بن معاوية .

(٦٤) ويقال : الجنون . وقال ابو عبيدة :

وكان الكلاب يوما من ايام العرب المشهورة المذكورة ، فقال
فيه شعراء الاسلام ، وافتخروا بفضلهم فيه ، وعير بعضهم بعضا ،
فقال الاخطل في ذلك مما يدل على تصديقه :

ابني كليب ان عمى اللذا

قتلا الملوك وفككا الاغلالا

واخوهما السفاح ظلما خيله

حتى وردن جبي الكلاب نهالا

وقال :

ابا غسان انك لم تهني

ولكن قد اهنت بنى شهاب

ترقوا في النخيل وانسئونا

دماء سراتكم يوم الكلاب

ولم نستطرد في الشعر الاسلامي فليس هذا موضعه .

فأول من ساد منهم قيس بن معد يكرب ، أبو الاشعث بن قيس ،
فأسلم الاشعث وهو متوج (٦٣) .

(٦٥) زيادة من ابن الانباري ، وجاء في النقائض ٨٨٧ قال : وقتلوا
شرحبيل بن الحارث بن عمرو بن حجر ، يوم الكلاب ، وقتلوا غلفاء ،
وهو معد يكرب بن الحارث بن عمرو ، يوم اوراة . ففي ذلك يقول
جابر بن حنى اخو معاوية بن بكر :

نعاطى الملوك الحق ما قصدوا بنا وليس علينا قتلهم بمحرم

وهو من ابيات تقدمت الاشارة اليها ، ضمن هذا اليوم .
وتجدر الاشارة الى ان يوم الكلاب الاول هذا يعقبه « يوم
حجر » ثم « يوم الملك الضليل امرئ القيس » لكننا لم نوردتهما
هنا لانهما ليسا برواية ابي عبيدة ، فاذا انضم هذان اليومان الى
يوم الكلاب الاول ، تكاملت خطوط ملحمة كبيرة من ملاحم الايام
العربية .

يوم الكلاب الثاني والصفقة(*)

قال ابو عبيدة :

اخبرنا ابو عمرو بن العلاء قال (١) :

كان يوم الكلاب متصلا بيوم الصفقة (٢) . وكان من حديث

(*) النقائض ١٤٩ (اوربا) (١ / ١٣٦ ط . الصاوي) العقد الفريد
٥ / ٢٢٤ والاغاني ١٦ / ٣٢٩ ، ١٧ / ٣١٨ ، ٣٢٩ دار الكتب
(١٩ / ١٤٠ ساسي) والانباري شرح المفضليات ٣١٧ ، ٧٠٨
الميداني - مجمع الامثال ٢ / ١٨٧ والطبري - تاريخ ٢ / ١٦٩
وابن الاثير - الكامل في التاريخ ١ / ٣٧٨ ويراجع الاشنقاق لابن
دريد (١٢٣) والخزانة ١ / ١٩٧ - ١٩٩ وتراجع ايضا مصادر
التحقيق الواردة في هامش المتن .

(١) كذا في العقد ، وهي نفس رواية الاغاني التي يذكر ابو الفرج
انها مروية عن ابي عبيدة والمفضل الضبي . ينظر البكري - معجم
ماستعجم . مادة (حمض) ٤٦٨/٢ موضع بين البصرة والبحرين .
(٢) العقد والاغاني : يعتبر هذا اليوم ، الصفقة ، متصلا بيوم الكلاب
الثاني ، مع انه ليس منه ، لكن الكلاب الثاني وقع بسبب هذا
اليوم ، وسوف توضح الرواية ذلك . ورواية هذا اليوم في
جميع المصادر عن ابي عبيدة عن ابي عمرو بن العلاء .

ويلحق يوم الكلاب الثاني بالكلاب الاول ويتممه ، لانه ياتي
كرد فعل من قبل ملوك اليمن وكندة الذين غضبوا على تميم حين
فرطو بشرحبيل وخذلوه فقتل ، يؤيد مانذهب اليه ، شعارهم
الذي رفعوه في الحرب : يالشارت شرحبيل ، وهو مذكور في
آخر الحرب .

وننبه مرة اخرى الى ضرورة ربط يوم الكلاب الاول بيوم حجر
الذي ثار فيه امرؤ القيس الشاعر . ومع يوم الكلاب الثاني حتى



الصفقة^(٣) ، ان باذام^(٤) عامل كسرى باليمن ، بعث الى كسرى عيراً ،
تحمل ثياباً من ثياب اليمن ، ومسكا وعنبراً ، وخرجين فيها مناطق
محللة ، وخفراء تلك العير ، بعض الناس ، بنو الجعيد المراديون ،
فساروا من اليمن ، لا يعرض لهم احد ، حتى اذا كانوا بحمص^(٥) ،
من بلاد بني حنظلة بن يربوع وغيرهم ، أغاروا عليها ، فقتلوا من فيها
من بني جعيد^(٦) ، والاساورة واقتسموها . وكان فيمن فعل ذلك ،

مقتل الشاعر امرئ القيس ، تكتمل ملحمة شعرية قادمة الينا
من عصر الابطال ، يبرز فيها امرؤ القيس وعبد يغوث الشاعر
وعبيد بن الابرص الشاعر وعشرات الشعراء والابطال .

(٣) يوم الصفقة ، ويطلق عليه ايضاً يوم المشقر . وفي اللسان مادة
(نطف) : صفة المشقر . قال الميداني : حصن بناحية البحرين .
وقال الانباري نقلاً عن الحر مازي : المشقر مدينة هجر . ويعرف
بيوم نطاع ايضاً (الانباري - الشرح ٧٠٨ في شعر للفرزدق)
وتسمية اليوم بالصفقة من قولهم ان كسرى اصفق باب المشقر
ليحبس التميميين وينزل فيهم تفتيلاً ، ففعل . ينظر ابن خلدون
(٦٥ / ٢) .

(٤) الانباري : باذان . والطبري وابن الاثير : وهرز . ولكن ابن الاثير
يعود في موضع آخر فيذكره باسم : باذان . وكذلك اللسان
(نطف) . وكان عامل كسرى هذا (باذان او هرز) قد بعث
بالضرائب وخيرات الامة العربية عن طريق البحرين فكان هذا
اليوم . وسيبعث بها عن طريق الحجاز فيتصدى اليها بنو
كنانة ، فتكون بسببها ايام الفجار ، وسيصل خبره .

(٥) موضع بين البصرة والبحرين يراجع البكري مادة (حمض) .

(٦) سيشارك بعد قليل عمرو بن الجعيد في يوم الكلاب الثاني ثائراً
لهم ، وسيقتل ايضاً .

ناجية بن عقال^(٧) ، وعتبة بن الحارث بن شهاب^(٨) ، وقعب بن عتاب ،
وحزء بن سعد ، وابو مليل عبدالله بن الحارث^(٩) ، والنطف بن
جبير^(١٠) ، وأسيد بن جناذة . فبلغ ذلك الاساورة الذين بهجر مع
كزارجر المكعب^(١١) .

فساروا الى حنظلة بن يربوع ، فصادفوه على حرص^(١٢) ،
فقاتلوه قتالا شديدا ، فهزمت الاساورة ، وقتلوا قتلا شديدا ذريعا .

-
- (٧) ابن الاثير - صعصعة بن ناجية المجاشعي - جد الفرزدق .
(٨) ينظر خبره في يوم الفبيط . وهو الذي اسر بسطام بن قيس في
ذلك اليوم .
(٩) ينظر خبره في يوم نعض قشاوة .
(١٠) اللسان مادة (نطف) : (خيبري) بدل (جبر) . وقال : وهو
احد بني سليط ابن الحارث بن يروع . ويقال (سمه : لطان .
قال ابن ربي : ويقال النطف رجل من بني يربوع ، كان فقيرا يحمل
الماء على ظهره فينطف أي يقطر . وكان اغار على مال بعث به
باذان الى كسرى .
(١١) الانباري : (جوان بوذان) وانما سمي المكعب لكعبرته الرؤوس .
ابن الاثير : « أزاد فيروز جشيش » سمي المكعب لانه كان يقطع
الايدي والارجل . الطبري : أزاد فيروز بن جشس . وانما سمي
المكعب لانه كان يقطع الايدي والارجل . الميداني : المكعب الضبي .
وايد صاحب اللسان ما ذهب اليه الميداني من انه كان عربيا
ضبيا ، لكنه نقل التسمية وشرحها عن ثعلب ، واورد اسمين
احدهما : المكعب العجمي والمكعب العربي الذي ضرب قوما
بالسيف . ولعل الحادثتين مختلفتين .
(١٢) حرص وأد . قال الهمداني : وادي حرص باليمن ، يسكنه بنو
عامر من همدان (يراجع البكري . معجم ما استعجم) (٢ / ٤٣٩) .

ويومئذ أخذ النطف الخرجين اللذين يضرب بهما المثل (١٣) :
(أصاب كنزا النطف) • فلما بلغ ذلك كسرى ، استشاط غضبا ، وأمر
بالطعام ، فادخر بالمشقر ، ومدينة اليمامة ، وقد أصابت الناس سنة
ثديدة ، ثم قال : « من دخلها من الناس فأمروه » (١٤) •

فبلغ ذلك الناس • وكان اعظم من اتاها بنو سعد ، فنادى منادي
الاساورة : « لا يدخلها عربي بسلاح •• »

فأقيم بوابون على باب المشقر ، فاذا جاء الرجل ليدخل قالوا :

— ضع سلاحك ، وامتر ، واخرج من الباب الآخر •

فيذهب به الى رأس الاساورة ، فيقتله •

فيزعمون ان خيرى بن عبادة بن النوال بن مرة بن عبيد — وهو
مقاعس — قال :

— يا بني تميم ، ما بعد السلب الا القتل (١٥) ، وارى قوما يدخلون

(١٣) الزيادة منقولة عن الطبري •

(١٤) أمروه • ي زودوه بما يحتاج من الطعام واللباس • من الميرة •

(١٥) الميداني : المثل : ليس بعد السلب الا الاسار • قاله حمري بن

عبادة ، يوم المشقر • وقال ايضا : ليس بعد الاسار الا القتل •

وسمي مقاعس ، لانهم تقاعسوا عن دعواه ، كذا في الاغانى ١٦ /

ولا يخرجون • فانصرف منهم من انصرف من بقيتهم ، وتركوا بعضا
محتبسين عندهم (١٦) •

(١٦) قال في الاغاني : هذا حديث المفضل • واما ما وجد عن ابن الكلبي
في كتاب حماد الرواية ، فان كسرى بعث الى عامله باليمن بعير ،
وكان باذام على الجيش الذي بعثه الى اليمن ، وكانت الحمير تحمل
نبتا ، فكانت تبذر من المدائن ، حتى تدفع الى النعمان ،
ويبذرقتها النعمان بخفراء من بني ربيعة ومضر حتى يدفعها الى
هوذة بن علي الحنفي ، فيبذرقتها حتى يخرجها من ارض بني
حنيفة ، ثم تدفع الى سعد ، وتجعل لهم جعالة ، فتسير فيها ،
فيدفعونها الى عمال باذام باليمن •

فلما بعث كسرى بهذه العير ، قال هوذة للاساورة :
— انظروا الذي تجعلونه لبني تميم • فاعطوني ، فانا اكفيكم
امرهم ، واسير معكم حتى تبلغوا مأمنكم •
فخرج هوذة والعير معهم من هجر ، حتى اذا كانوا بنطاع ، بلغ
بني سعد ما صنع هوذة ، فساروا اليهم ، واخذوا ما كان معهم ،
واقتسموه ، وقتلوا عامة الاساورة ، وسلبوهم ، واسرورا هوذة
بن علي ، فاشترى هوذة نفسه بثلاثمائة بعير ، فساروا معه الى
هجر ، فأخذوا منه فداءه ، ففي ذلك يقول شاعر بني سعد :

ومنا رئيس القوم ليلة ادلجوا بهوذة مقرون اليدين الى النحر
وردنا به نخل اليمامة عانيا عليه وثاق القد والحلق السمر

فعمد هوذة عند ذلك الى الاساورة الذين اطلقهم بنو سعد ،
وكانوا قد سلبوا ، فكساهم ، ثم انطلق معهم الى كسرى •
وكان هوذة رجلا ليبا ، فدخل عليه ، فقص امر بني تميم
وما صنعوا ، فدعا كسرى بكأس من اذهب ، فسقاه بها ، واعطاه
اياها ، وكساه قباء ديباج منسوجا بالذهب واللؤلؤ ، وقلنسوة
قيمتها ثلاثون الف درهم ، وهو قول الاعشى :

له اكاليل بالياقوت فصلها صواغها لاترى عيبا ولا طبعا

وذكر ان كسرى سأل هوذة عن ماله ، ومعيشته ، فأخبره انه في عيش رغد ، وانه يغزو المغازي فيصيب .

فقال له كسرى : كم ولدك : فقال عشرة . قال : فايهم احب اليك ؟

قال : غائبهم حتى يقدم : وصغيرهم حتى يكبر ، ومريضهم حتى يبرأ . قال كسرى : الذي اخرج منك هذا العقل ، حملك على ان طلبت مني الوسيلة . وقال كسرى لهوذة : ارايت هؤلاء الذين قتلوا اساورتي ، واخذوا مالي ، ابينك وبينهم صلح ؟ قال هوذة : ايها الملك ، بيني وبينهم حساء الموت . وهم قتلوا ابي . فقال كسرى ، قد ادركت تأرك ، فكيف لي بهم . قال هوذة : ان ارضهم لاتطبقها اساورتك ، وهم يمتنعون بها ، ولكن احبس عنهم الميرة ، فاذا فعلت ذلك بهم سنة ، ارسلت معي جندا من اساورتك فأقيم لهم السوق فانهم ياتونها ، فتصيبهم عند ذلك خيلك .

ففعل كسرى ذلك ، وحبس عنهم الأسواق في سنة مجدية ، ثم سرح الى هوذة فأتاه ، فقال: ائت هؤلاء فاشفني منهم واشتف . وسرح معهم (جوار بودار) ورجلا من اردشير خرة . فقال لهوذة سر مع رسولي هذا ، فسار في الف اسوار ، حتى نزلوا المشقر ، من ارض البحرين ، وهو حصن هجر .

وبعث هوذة الى بني حنيفة ، فأتوه . فدنوا من حيطان المشقر ، ثم نودى : ان كسرى قد بلغه الذي اصابكم هذه السنة ، وقد امر لكم بميرة ، فتعالوا فاختراروا . فانصب عليهم الناس ، وكان اعظم من آتاهم بنو سعد ، فجعلوا اذا جاءوا الى باب المشقر ، ادخلوا رجلا رجلا . . حتى يذهب به الى المكعب ، فتضرب عنقه ، وقد وضع سلاحه قبل ان يدخل ، فيقال له ادخل من هذا الباب ،

واخرج من الباب الآخر . فاذا مر رجل من بني سعد ، بينه وبين
هوذة اخاء او رجل يرجوه ، قال للمكعب : هذا من قومي ، فيخليه
له .

فنظر خيبري بن عبادة ، الى قومه يدخلون ولا يخرجون ،
وتؤخذ اسلحتهم ، وجاء ليمتار ، فلما رأى ما رأى قال : ويلكم
اين عقولكم ؟! . . فوالله ما بعد السلب الا القتل ، وتناول سيفاً
من رجل من بني سعد ، يقال له مصاد ، وعلى باب المشقر سلسلة
ورجل من الاساورة فابض عليها ، فضربها فقطعها ويد الاسوار .
فانفتح الباب ، فاذا الناس يقتلون ، فثارت بنو تميم .
ويقال ان الذي فعل هذا رجل من بني عبس ، يقال له عبيد بن
وهب .

فلما علم هوذة ، ان القوم قد نذروا به ، امر المكعب ، فاطلق
منهم مائة من خيارهم ، وخرج هارباً من الباب الاول ، هو
والاساورة فتبعته بنو سعد والرباب ، فقتل بعضهم ، وافلت
من افلت .

انتهت رواية ابن الكلبي في كتاب حماد .

والبيت المذكور للاعشى في الرواية ، هو في ديوانه من
قصيدة (ص ٧٢ - ٨٧) .

وقال عبيد بن وهب في يوم الصفقة ، عندما شد على الباب
وقطع سلسلتها :

تذكرت هنداً لات حين تذكر

تذكرتها ودونها سير اشهر

حجازية علوية حل اهلها

مصاب الخريف بين زور ومنور

الاهل اتى قومي على النأى أننى

حميت ذماري يوم باب المشقر

يوم الكلاب الثاني :

وكان من حديث يوم الكلاب (١٧) ، انه لما اوقع كسرى بيني تميم ،
يوم « الصفقة » « المشقر » ، فقتلت المقاتلة وبقيت الذرية والاموال ،

→ ضربت رتاج الباب بالسيف ضربة

تفرج منها كل باب مضرب

الطبري - (تاريخ) / ١٧٠ (طبع مصر دار المعارف) .
وادعى الفرزدق ان صعصعة بن ناجية ، جده ، كان رئيس
القوم فيها ، من قوله بيت شعر :
ورئيس يوم نطاع صعصعة الذي حينا يضر وكان حينا ينفع
ابن الانباري - شرح المفضليات ٧٠٨ .

(١٧) وقد اتفقت رواية الاغانى مع رواية النقائض ، واختلفت رواية
العقد ، مع ان صاحبه نقلها عن رواية ابي عبيدة ايضا . وهي
تتضمن اخبارا وزيادات جديدة ، ولعله نقل من غير مصدر النقائض
والاغانى . ودعاه ابن رشيقي بيوم الشعبية .
العمدة (٢٠٦/٢) . ويقال لهذا اليوم ايضا يوم حزالدوابر
بسبب بيت الشعر الذي قاله وعلة الجرمي :

فدى لكما رجلى ، امي وخالتي غداة الكلاب اذ تحز الدوابر
وذلك ان قيس بن عاصم امرهم ان يقطعوا عرقوب من يلحقوا
بهم ، وسرد الخبر في آخر اليوم . والكلاب ماء (انظر البكري
٤ / ١١٣٢) . وجاء في العمدة (حر الدوابر) وهو تصحيف .
وصحف في المصادر الاخرى الى (جز الدوابر) والجز للصوف .
والصحيح هو (حر الدوابر) كما ورد في الشعر اعلاه وهو من
قصيدته التي نذكرها بعد قليل (المفضلية ٣٢) لان الحز يعني
القطع ، وهو المراد من قطع دوابر الخيول اي عرقوبها .
ويقال ليوم الكلاب هذا : يوم الشعبية (انظر النقائض ٢٧٩/١
ط . الصاوي) .

بلغ ذلك مذحج ، فمضى بعضهم الى بعض^(١٨) ، وقالوا :

— اغتنموا بني تميم •

ثم بعثوا الرسل في قبائل اليمن واحلافها من قضاة • فقال
مذحج للمأمور الحارثي الكاهن :

— ما ترى ؟

فقال :

— لا تغزو بني تميم ، فانهم يسرون أغبابا ، ويردون مياها
جبابا ، فتكون غنيمتكم ترابا^(١٩) •

(يعني انهم يسرون منقلتين من منقلة واحدة ، أُخِذَ من الغب) •
فزعموا انه اجتمع من مذحج ولفها ، اثنا عشر الفا ، وكان رئيس
مذحج عبد يغوث بن وقاص بن صلاءة ، ورئيس همدان رجل يقال
له مشرح • ورئيس كندة : البراء بن قيس بن الحارث الملك •
فاقبلوا الى بني تميم •

(١٨) في العقد : ان بني تميم ، داروا امرهم ، وقال ذو الحجا منهم :
انكم قد اغضبتم الملك ، وقد اوقع بكم حتى وهنتم ، وتسامعت بما
لقيتم القبائل ، فلا تأمنون دوران العرب عليكم •

(١٩) ابن الاثير : فحذرهم كاهن كان مع بني الحارث ، واسمه سلمة
بن المغفل وقال : انكم تسيرون اعيانا ، وتغزون احيانا ، وتغزون
احيانا ، سعدا وديانا • وتردون مياها جبابا ، فتلقون عليها ضرابا ،
وتكون غنيمتكم ترابا •

فبلغ ذلك سعدا والرباب ، فانطلق ناس من اشرافهم الى اكثم بن صيفي (الاسيدي ، « وهو قاضي العرب »)^(٢٠) والاغيمر بن عصمة التميمي ، والنعمان بن الجساس التميمي ، وأبير بن عمرو السعدي ، والزيرقاني بن بدر السعدي ، فقالوا لهم :
— ماذا ترون ؟

فقال اكثم بن صيفي ، وكان يكنى (ابا حنش)^(٢١) .

(٢٠) ، (٢١) زيادة من الاغاني والعقد ، وجاء في النقائض (الصاوي) (ص ١ / ١٢٦) و (ص ٢ / ١٤٣) وكان حكام بني تميم في الجاهلية ستة : ربيعة بن مخاشن احد بني اسيد بن عمرو بن تميم ، وزرارة بن عدس بن زيد عبد الله بن دارم ، وجمزة بن ضمرة النهشلي ، واكثم بن صيفي ، وابوه صيفي بن اسيد بن عمرو ، ويقال ان الاقرع بن حابس اول من حابى في الحكومة في منافرة جرير بن عبد الله وخالد بن أرطاة الكلبي . (انظر خبر المنافرة هناك) . فكان آخر من ولي القضاء حتى جاء الاسلام . وكان الحكام والائمة في الموسم بعد عامر بن الظرب في بني تميم . فكان الرجل يلي الموسم منهم ، ويلي غيره القضاء . فكان ممن اجتمع له الموسم والقضاء جميعا سعد بن زيد مناة ثم ولي ذلك حنظلة بن مالك بن زيد مناة ووليه ذؤيب بن كعب بن عمرو بن تميم ثم وليه مازن بن مالك بن عمرو بن تميم ثم وليه ثعلبة بن يربوع بن حنظلة ، ثم معاوية بن شريف ، ثم جروة بن اسيد بن عمرو بن تميم ثم الاضبط بن قريع بن عوف بن كعب بن سعد ثم صلصل بن اوس بن مخاشن بن معاوية بن شريف بن جروة . وكان آخر تميمي اجتمع له القضاء والموسم سفيان بن مجاشع ، فمات فافترق الامر فلم يجتمع القضاء والموسم لاحد منهم حتى جاء الاسلام وكان محمد بن سفيان بن مجاشع يقضى بعكاظ ، فصار ميراثا لهم ، فكان آخر من قضى منهم ، الذي وصل الى الاسلام ، الاقرع بن حابس ابن عقال محمد بن سفيان .

— اقلوا الخلاف على امرائكم ، واعلموا ان كثرة الصياح من
الفشل ، والمرء يعجز لا المحالة ، (يا قوم) (٢٢) تثبتوا ، فان احسن
الفريقين الركين ، ورب عجلة تهب ريثا ، وابرزوا للحرب ، وادرعوا
الليل ، فانه اخفى للويل ، ولا جماعة لمن اختلف .

ان الناس قد بلغهم ما قد لقينا ونحن نخاف ان يطمعوا فينا .
ثم مسح يده على قلبه وقال :

— اني قد نيفت على التسعين ، وانما قلبي بضعة من جسمي ،
وقد نحل كما نحل جسمي ، واني اخاف الا يدرك ذهني الرأي لكم ،
واتم قوم قد شاع في الناس امركم ، وانما كان قوامكم اسيفا
وعسيفا — يريد العبد والاجير — وصرتم اليوم انما ترعى لكم
بناتكم (٢٣) — فليعرض على كل رجل منكم رأيه ، وما يحضره ، فاني
متى اسمع الحزم اعرفه .

فقال كل رجل منهم ما رأى ، واكثر ساكت لا يتكلم ، حتى قام
النعمان بن الجساس (٢٤) ، فقال :

— يا قوم ، انظروا ماء يجمعكم ، ولا يعلم الناس بأي ماء اتم ،
حتى تنفرج الحلقة عنكم ، وقد جمتم ، وصلحت احوالكم ، وانجبر

(٢٢) زيادة الاغاني . وقال لامحالة بدل لا المحالة .

(٢٣) يشير الى هزيمتهم يوم الصفقة ، وذهاب اموالهم وعبيدهم ،
وكثرة القتل فيهم .

(٢٤) العقد : الحساس ، والتصويب في النقائض والاغاني وابن
الانباري .

كسيركم ، وقوى ضعيفكم ، ولا اعلم ماء يجمعكم الا قِدة (٢٥) .
فارتحلوا ، ونزلوا قِدة ، وهو موضع يقال له الكلاب وبين ادناه
واقصاه ، مسيرة يوم ، واعلاه مما يلي اليمن ، واسفله مما يلي العراق ،
فنزلت سعد والرباب باعلى الوادي ، ونزلت حنظلة باسفله .

قال ابو عبيدة :

وكسانوا لا يخافون ان يغزو في القيظ ، ولا يسافر فيه
احد ، ولا يستطيع احد ان يقطع تلك الصحارى لبعده مسافاتها ، وليس
بها ماء ، ولشدة حرها . فاقاموا بقية القيظ ، لا يعلم احد مكانهم حتى
اذا تهور القيظ - اي ذهب - بعث الله ذا العينين ، وهو من اهل
مدينة هجر ، فمر بقِدة وصحرائها ، فرأى بها ما بها من النعم ،
فانطلق حتى اتى اهل هجر ، فقال لهم :

- هل لكم في جارية عذراء ، ومهرة شوهاء ، وبكرة حمراء ، ليس
دونها نكبة ؟

فقالوا :

- ومن لنا بذلك ؟

قال :

- تلك تميم ، القاء مطروحوون بقِدة .

قالوا :

- اي والله .

فمشى بعضهم الى بعض ، وقالوا :

(٢٥) زيادة العقد . وقِدة : ماء بالكلاب .

— اغتنموها من بني تميم .

فاخرجوا منهم اربعة املاك^(٢٦) يقال لهم اليزيديون : يزيد بن هوبر، ويزيد بن عبد المدان ، ويزيد بن الكيشم^(٢٧) بن المأمور ، ويزيد بن المخرم . وكلهم حارثيون ، ومعهم عبد يغوث الحارثي^(٢٨) . فكان كل واحد

(٢٦) الاملاك جمع الملك بكسر اللام . وأما بسكون اللام فجمعه ملوك وجمع المليك ملكاء .

(٢٧) في الاغاني : الطيشم . ويروى الكيسم . ورجحه د . جواد علي (اليكسم) ليساير اسماء ملوك العربية الجنوبية المفضل ٣٥٢/٥ .

(٢٨) عبد يغوث بن الحارث بن وقاص بن صلاء بن المففل ، والمففل ربيعة بن كعب . وينتهي نسبه في الاغاني (١٦ / ٣٢٨) الى كهلان ابن سبأ بن يعرب بن قحطان . ثم يمضى به علماء الانساب بعد قحطان الى عابر بن شالح بن ارفخشذ بن سام بن نوح . وهو نسب يطعن في أعماق الاسطورة ايغالا ، ويضفى على شخوص الايام سمات الملاحم الاسطورية .

وعبد يغوث من اهل بيت شعر معرق في الجاهلية : منهم اللجلج الحارثي ، واخوه مسهر فارس شاعر . وهو الذي طعن عامر بن الطفيل في عينه في يوم فيف الريح المذكور في الايام القادمة وقال فيه عامر :

لعمرى وما عمري علي بهين

لقد شان حر الوجه طعنته مسهر

وقال مسهر في هذه الطعنة :

وهصت بخرص الرمح مقلة عامر

فاضحى بخيصا في الفوارس اعورا

وكنا اذا قيسية برقت لنا

جرى دمعها من عينها فتحدرا

وهي ابيات .

انظر في عبد يغوث واهل بيته ايضا الخزانة ١ / ٣١٧

(بولاق) .

منهم على العين ، والجباة ثمانية الاف (٢٩) ، فلا يعلم جيش في
الجاهلية ، كان اكبر منه ، ومن جيش كسرى يوم ذي قار ، ويوم
شعب جيلة .

فمضوا حتى اذا كانوا ببلاد باهلة . قال جزء بن جزء الباهلي
لابنه :

— يا بني ، هل لك في اكرومة لا يصاب ابدا مثلها ؟
قال :

— وما ذاك !!؟

قال :

— هذا الحي من تميم ، قد ولجوا هناك مخافة ، وقد قصصت
اثر الجيش يريدونهم ، فاركب جملي الارجحي ، وسر سيرا رويدا ،
عقبه من الليل — يعني ساعة — ثم حل عنه حبله ، وانخه ، وتوسد
ذراعه ، فاذا سمعته قد افاض بجريته (٣٠) ، وبال فاستنقعت قهاته في
بوله (٣١) ، فشد عليه حبله ، ثم ضع السوط عليه ، فانك لاتسال جملك
شيئا من السير الا اعطاك ، حتى تصبح القوم .

ف فعل ما امره به .

(٢٩) سبق ان قرر ابو عبيدة في اول الرواية ان عدتهم اثنا عشر الفا ،
ولعله كان الرقم الاجمالي للجيش بعد ان التحق بهم من التحق ،
اما هذا الرقم — وهو في رواية العقد — فانه يضم رقم الجيش
الاصلي ، وهو الذي انطلق في البداية عندما انفصل من مدحج .

(٣٠) اي اذا افاض في مشيه البطيء حتى يرتع .

(٣١) الثفات : ما يقع على الارض من اعضاء البعير اذا استنخ .

قال الباهلي :

فحللت بالكلاب قبل الجيش ، وانا انظر الى ابن ذكاء يعني
الصبح - فناديت : « يا صباحاه » فانهم بالكلاب ، ليشبون الي ،
ليسألوني :

- من انت ؟!

اذ اقبل رجل منهم من بني شقيق على مهر ، قد كان في النعم ،
فنادى :

- يا صباحاه ، قد اتى على النعم .

ثم كر راجعا ، نحو الجيش ، فلقيه عبد يغوث الحارثي وهو اول
الرعييل ، فطعنه في رأس معدته ، فسبق اللبن الدم ، وكان قد
اصطبج .

فقال عبد يغوث :

- اطيعوني ، وامعنوا بالنعم ، واخلوا العجائز من تميم ساقطة
أفواهها .

قالوا :

- اما دون ان ننكح بناتهم فلا (٣٢) .

وجعل رجل من اهل اليمن (يرتجز) (٣٣) ويقول (٣٤) :

في كل عام نعم تتابه على الكلاب غيا اربابه
يسنقط في آثاره غلابه

(٣٢) زيادة من العقد .

(٣٣) زيادة من الاغاني .

(٣٤) النقائض والاغاني: الاول فقط . والزيادة من ابن الاثير .

فاجابه غلام من بني سعد ، كان في نعم على قرب فقال (٣٥) :

عما قليل تلحقن اربابه
صلب القناة حازما شنباه
على جياذ ضمير عيابه
مثل النجوم حسرا سحابه
ليمنعن النعم اغتصابه
سعد وفرسان الوغى اربابه

واقبلت بنو سعد والرباب ، ورئيس الرباب النعمان بن جساس ،
ورئيس بني سعد ، قيس بن عاصم ، واجمع العلماء ان قيس بن
عاصم ، كان الرئيس يومئذ فقال رجل من بني ضبة ، حين دنا من القوم (٣٦) :

في كل عام نعم تحوونه
يُلْقِحه قوم وتنتجونه
اربابه نوكى فلا يحمونه
ولا يلاقون طعانا دونه
أَنَعَمَ الابناء تحسبونه
ايها تَ أَيها تَ (٣٧) لما ترجونه

-
- (٣٥) صدر الاول في النقائض ، وتكملة الابيات من الاغاني وابن الاثير ،
ونسبها الاخير لقيس بن عاصم المنقري . والاولى في الاغاني
ستري بدل تلحقن .
(٣٦) نسبها ابن الاثير لقيس بن عاصم ، وانظر الابيات ايضا في
البغدادى ١ / ١٩٩ .
(٣٧) الاغاني : هيهات هيهات .

الابناء ، كل بنى سعد بن زيد مناة ، الا بنى كعب بن سعد .
فقال ضمرة بن لبيد الحماسي (ثم المذحجي الكاهن) ، والحماس
ربيعة بن فلان بن كعب بن الحارث بن كعب
— انظروا اذا سقتم الابل (٣٨) ، فان اتاكم الخيل عسبا ، العصبه
تقف للاخرى حتى تلحق ، فان امر القوم هين ، وان لحق بكم القوم ،
ولم ينظروا اليكم حتى يردوا وجوه النعم ، ولا ينظر بعضهم بعضا ،
فان امر القوم شديد .

وتقدمت سعد والرباب ، فالتقوا في اوائل الناس ، فلم يلتفتوا اليهم
واستقبلوا النعم من وجوهه ، فجعلوا يصرفونه بارماحهم . واختلط
القوم فاقتتلوا قتالا شديدا ، يومهم ، حتى اذا كان آخر النهار قتل
النعمان بن جساس ، رماه (٣٩) رجل من اهل اليمن ، كانت امه من بني
حنظلة ، يقال له عبد الله بن كعب ، فقال حين رمى :
— خذها وانا ابن الحنظلية .
فقال النعمان :

— ثكلتك امك ، رب ابن حنظلية قد غاضني (٤٠) .

(٣٨) العقد : النعم . والمعنى واحد .

(٣٩) الاغاني : قتله بدل رماه .

(٤٠) الانباري : وفي هذا اليوم قتل النعمان بن جساس من تميم
الرباب ، وكان من فرسانهم ، عظيم الفناء في هذه الحرب ، فهزمت
الرباب من يليهم من اليمن ، وهزمت اليمن بنى سعد بن زيد مناة ،
فجاء النعمان يفيث بنى سعد ، وكان رجلا ثقيلا ، لا تكاد تحمله
دابه ، فاعيت به فرسه ، فنزل للتحويل على اخرى ، فطعنه رجل
من القوم في عضده ، ففتها (أي كسر ها) وقال « خذها مني ،
وانا ابن الحنظلية » فقال « وابيك انى للملقى من ابناء الحنظليات ،
فقتل النعمان .

فطن اهل اليمن ان بني تميم (ليسوا بكثير) (٤١) حتى قتل
النعمان ، فلم يزددهم ذلك الا جرأة ، فاقتتلوا حتى حجز بينهم الليل ،
فباتوا يحرس بعضهم بعضا ، فلما اصبحوا غدوا على القتال ، فنادى
قيس بن عاصم :

— يال سعد .

ونادى عديغوث :

— يالسعد

قيس يدعو سعد بن زيد مناة ، وعبد يغوث يدعو سعد العشيرة .
فلما سمع ذلك قيس ، نادى :

— يال كعب .

ونادى عبد يغوث :

— يال كعب .

قيس يدعو بني كعب بن سعد ، وعبد يغوث يدعو بني كعب بن
عمرو (٤٢) ، فلما رأى قيس صنيع عبد يغوث ، قال :

— ما لهؤلاء ، اخزاهم الله ، لا تدعو بشعار الا ودعو بمثله .

ونادى قيس : يال مقاعس ، يعنى الحارث بن عمرو بن كعب ،
وكان يلقب مقاعسا ، فتقاعسوا عن دعواهم . فلما سمع الصوت
وعلة بن عبد الله الجرمي ، جرم قضاة ، وكان صاحب اللواء يومئذ ،

(٤١) هذه عبارة النقائص واما الاغاني : ان بني تميم سيهدهم قتل
النعمان .

(٤٢) العقد : كعب بن مالك .

تفأل به ، فطرح اللواء وكان اول من انهزم منهم • وحملت سعد
والرباب ، فهزموهم ، وجعل رجل منهم يقول :

ياقوم لايفلتكم اليزيدان يزيد حزن ويزيد الريان
مخرّم" اعنى به والديان

مخرم بن شريح بن جرم بن زياد بن مالك بن الحارث بن مالك
ابن ربيعة بن كعب بن الحارث •

— يا آل تميم ، لاتقتلوا الا فارسا ، فان الرجالة لكم •
وجعل يرتجز ، ويقول (٤٤) :

لما تولوا عسبا شوازيا اقسمت لا اطعن الا راكبا

انى وجدت الطعن فيهم صائبا

وجعل يأخذ الاسرى ، فاذا اخذ اسيرا قال :
— ممن انت ؟

قال :

— من بنى زعبل •

وهو زعبل بن كعب ، اخو الحارث بن كعب ، وهم اندال ، فكأن
الاسرى يريدون بذلك رخص الفداء •

(٤٣) الافاني: مخرما •

(٤٤) العقد : هواربا بدل شوازيا • والابيات في نهاية الارب ٥/١٠
والشازب الشاحب ، الضامر •

فجعل قيس اذا اخذ منهم اسيرا ، دفعه الى ثلاثة من بني تميم ،
فيقول :

— امسكوا حتى اصطاد لكم زعبله اخرى .
فذهبت مثلاً . فما زالوا في آثارهم يقتلون ويأسرون .

وقتل يومئذ علقمة بن سباح القريعي ، وهو فارس هبود وهو
فرس عمرو بن الجعيد المرادي ، وكان علقمة قتل عمرا واخذ فرسه
من تحته . واسر الاهتم وهو سنان بن سمى بن سنان بن خالد بن
منقر رئيس كندة ، ويومئذ هتم الاهتم ، وقتلت التيم الاوبر بن ابلان .
ابن ذراع الحارثي وآخر من بني الحارث يقال له معاوية ، قتلهم
النعمان بن جساس قبل ان يقتل ، وكان قد قتل يومئذ خمسة من
اشرافهم .

وحمل عبد يغوث اصحابه ، فلم يوصل الى الجانب الذي هو
فيه ، فالظ به مصاد بن ربيعة بن الحارث ، فلما لحقه مصاد ، طعنه
فالقاه عن الفرس فاسره ، وكان مصاد قد اصابته طعنة في مابضه (٤٥) ،
وكان عرقه يهمل — أي يسيل — فعصبه وكنفه — يعني عبد يغوث —
ثم اردفه خلفه ، فنزف الدم ، فمال عن فرسه مقلوبا ، فلما رأى ذلك
عبد يغوث قطع كتافه ، واجهز عليه وانطلق على فرسه ، وذلك في
اول النهار ، ثم ظفر به بعد ، في آخره ، ونادى مناد :

— قتل اليزيديون (٤٦) .

(٤٥) المابض ما تحنت الفخذين من جسم الانسان ، وباطن الركبتين .
(٤٦) سبق ان ذكرنا ، ان في الجيش اربعة الوية ، على كل لواء رجل
يدعي يزيد ، فاصبح كل شخص في الجيش منسوباً اليهم .

وشد قبيصة بن ضرار الضبي ، على ضرة بن لبيد الحماسي
الكاهن ، فطعنه فخر صريعا ، فقال له قبيصة :
- الا اخبرك تابعت بمصرعك اليوم؟! ..
واسر عبد يغوث ، اسره عصمة بن اير التميمي .

قال ابو عبيدة :
اتتهى عصمة بن اير الى مصاد ، وقد امعنوا في الطلب ، فوجده
صريعا وقد كان قبل ذلك راي عبد يغوث اسيرا في يديه ، فعرف انه
هو الذي اجهز عليه ، فاقتص اثره ، فلما لحقه قال له :
- ويحك ، انى رجل احب اللبن ، وانا خير لك من الفيلة
والعطش .

قال عبد يغوث :

- ومن انت ؟

قال :

- عصمة بن اير .

قال عبد يغوث .

- او عندك منعة ؟

قال :

- نعم .

فالقى يده في يده . فانطلق (٤٧) به العبشمى الى اهله ، وكان
العبشمى اهوج فقالت له امه ، ورأت رجلا شريفا عظيما جليلا جميلا
فقالت لعبد يغوث :

(٤٧) زيادة ابن الاثير .

— من انت ؟

قال : انا سيد القوم .

فضحكت وقالت :

— قبحك الله من سيد قوم ، حين اسرك هذا (الاهوج) (٤٨) .

فقال عبد يغوث :

وتضحك من شيخخة عبشمية كأن لم ترى قبلي اسيرا يمانيا

ثم قال لها :

— ايتها الحرة ، هل لك الى خير .

قالت : وماذا ؟!

قال :

— اعطى ابنك مائة من الابل (٤٩) ، وينطلق بى الى الاهتم (٥٠) ،

فاني اتخوف ان تنتزعني سعد والرباب منه .

فضمن لها مئة من الابل ، وارسل الى بني الحارث فسرخوا بها

اليه ، فقبضها العبشمي ، وانطلق به الى الاهتم ، فقال عبد يغوث :

أأهتم يا خير البرية والدا

ورهما اذا ما الناس عدوا المساعيا

تدارك اسيرا عانيا في جبالكم

ولا تتقنى التيم القى الدواهيا

ويروى : فان تثقنى التيم ، القى الدواهيا .

فاجتمعت الرباب الى الاهتم ، فقالت :

(٤٨) زيادة الاغاني .

(٤٩) ابن الانباري : ثلاثين من الابل .

(٥٠) وهو سنان بن سمي بن سنان بن خالد بن منقر ، رئيس كندة .

— ثأرنا عندك ، وقد قتل مصاد والنعمان ، فاخرجه الينا •
فابى الاهتم ان يخرجه اليهم • فكاد ان يكون بين الحيين ، الرباب
وسعد ، فتنة حتى اقبل قيس بن عاصم المتقرى ، فقال :

— ايؤتى قطع حلف الرباب من قبلنا ؟
وضرب فمه بقوس فهتمه ، فسمى الاهتم •
فقال الاهتم :

— انما دفعه الى عصمة بن أبيير ، ولا ادفعه الا الى من دفعه
الى ، فليجىء فليأخذه •
فاتوا عصمة فقالوا :

— يا عصمة ، قتل سيدنا النعمان ، وفارسنا مصاد ، وثأرنا اسيرك
وفي يدك ، فما ينبغي لك ان تستحييه •
فقال :

— اني ممحل ، وقد اصبت الغنى في نفسى ، ولا تطيب نفسى من
اسيري •

فاشتراه بنو الحساس بمائة بعير •
وقال رؤية بن العجاج ، بل ارضوه بثلاثين من حواشي النعم •
فدفعه اليهم ، فخشى ان يهجوهم ، فشدوا على لسانه نِسعة ، فقال :
— انكم قاتلي ولا بد ، فدعوني اذم اصحابي ، يا بني تميم : اقتلوني
قتلة كريمة •

فقال عصمة :

— وما القتلة الكريمة ؟!

قال :

— اسقوني الخمر ، ودعوني انوح على نفسي •

فجاء عصمة بالشراب .

ومضى عصمة وجعل معه ابنين له ، فقالا لعبد يفوت :

— جمعت اهل اليمن ثم جئت لتصلحننا فكيف رأيت الله
« عز وجل » صنع بك ؟

فاطلقوا لسانه وامهلوه حتى قال قصيدته (٥١) . وروى انهم
سقوه الخمر وقطعوا له الاكل ، فكان يشرب ودمه يسيل ، حتى
جف جسمه من اية قطرة دم ، وامتلا جوفه خمرا .. ومات .

- | | |
|----------------------------------|-------------------------------|
| (١) الا لاتلوماني كفى اللوم مايا | فما لكما في اللوم نفع ولا ليا |
| (٢) الم تعلمنا ان الملامة نفعها | قليل وما لومى اخى من شماليا |
| (٣) فياراكبا اما عرضت فيلغن | نداماي من نجران ان لا تلاقيا |
| (٤) ابا كرب والا يهمن كليهما | وقيسا باعلى حضرموت اليمانيا |
| (٥) جزى الله قومي بالكلاب ملامة | صريحهم والآخرين المواليا |
| ولو شئت نجتنى من الخيل نهدة | ترى خلفها الحو الجياد تواليا |
| (٧) ولكنى احى ذماراً أيبكم | وكان الرماح يختطفن المحاميا |
| (٨) اقول وقد شدوا لساني بنسعة | امعشر تيم اطلقوا عن لسانيا |

(٥١) الابيات العشرون في المفضليات ٣١٥ بشرح ابن الانباري ، والبيت
الحادي والعشرون في ابن الاثير . وقد وردت مقاطع من القصيدة
٤١٢ ، والبغدادى ١ / ٣١٤ .

في مصادر التحقيق وامالي القالى ١٣٣/٣ ونهاية الارب ١٥ /
ويروى البيت (٨) معاشر تيم اطلقوا لى لسانيا . وروى ابو
عبدة في النقائض البيت (٥) لحا الله قوما بالكلاب دعوتها .
والبيت ٦ ولو شئت نجتنى كميت رميلة .

- (٩) امعشر تيم قد ملكتم فاسججوا
 (١٠) فان تقتلونني تقتلوا بي سيّدا
 (١١) احقا عباد الله ان لست سامعا
 (١٢) وتضك مني شيخة عبشميّة
 (١٣) وظلّ نساء الحيّ حولي ركدا
 (١٤) وقد علمت عرسي مليكة انني
 (١٥) وقد كنت نحر الجزور ومعمل المطي وامي حيث لاحي ماضيا
 (١٦) وانحر للشرب الكرام مطيتي
 (١٧) وكنت اذا ما الخيل شمصها القنا
 (١٨) وعادية سوم الجراد وزعتها
 (١٩) كاني لم اركب جوادا ولم اقل
 (٢٠) ولم اسبأ الزق الروي ولم اقل
 (٢١) فيا عاصي فكّ القيد عنى فانتى
 (٢٢) أأهت يا خير البرية والدا
 (٢٣) تدارك اسيرا عانيا في جبالكم
 قال ابو عبيدة ، فلما ضربت عنقه قالت ابنة مصاد :

— بؤ بمصاد .

فقال بنو النعمان : يالكاع ، نحن نشتره باموالنا ، ويؤء بمصاد
 فوقع بينهم بذلك الشر ، ثم اصطلحوا .
 وكان الغناء كله من الرباب لتيم ، ومن بني سعد لمقاعس (٥٢) .

(٥٢) هذه الزيادة من العقد . وقال ابو عبيدة ايضا في النقائص عن اسر
 عبد يغوث وقتله ، انه لما جاءوا ليقتلوه ، طلب منهم ان يسقوه
 الخمر .

وقالت صفية بن الخرع التيمية ، ترثي النعمان بن جساس (٥٣) :

نطاقه هندواني وجبته
فضفاضة كأضاة النهى موضونه
غابت تميم فلم تشهد فوارسها
ولم يكونوا غداة الروع يخزنه
لقد اخذنا شفاء النفس لو شفيت
وما قتلنا به الا امرءا دونه

وقال علقمة بن السباح ، لعمر بن الجعيد ، وكان كاهنا فيما
يذكرون (٥٤) :

لما رايت الامر مخلوجة
اكرهت فيه خرصا مارنا
قلت له خذها فاني امرؤ
يعرف رمحي الرجل الكاهنا

قوله : « يعرف رمحي الرجل الكاهنا » يريد ان عمرو بن الجعيد
كان كاهنا . وهو احد بني عامر بن الديل بن شن بن اقصى بن عبد
القيس ، وام يزل ذلك في ولده ، ومنهم الرباب بن البراء . كان

(٥٣) الثالث ذكره الانباري في شرح المفضليات ٣٢٠ يحذونه بدل
يخزونه والاضاة ميل الماء الى الفدير ، والنهى الفدير ، وموضونة:
متشن بعضها على بعض لسعتها .

(٥٤) في الاغاني لعلقمة بن سباع ، وذابلا بدل خرصا . ومعنى المخلوجة
يقال امرهم مخلوج : غير مستقيم ، ووقعوا في مخلوجة من
امرهم ، اي اختلاط ، المارن اللين في صلابة .

متكهننا ، ثم طلب خلاف اهل الجاهلية ، فصار على دين المسيح عليه السلام .

فذكر ابو اليقظان ، ان الناس سمعوا في زمانه مناديا ينادى في الليل ، وذلك قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم . . . :
- خير اهل الارض رباب الشنى ، وبحيرا الراهب ، واخر لم

يأت بعد .
قال : وكان لا يموت احد من ولد الرباب ، الا رأوا على قبره طشا (٥٥) .

ومن ولده مخربة ، وهو احد اجواد العرب ، وانما سمي مخربة لان السلاح خربه ، لكثرة لبسه اياه ، وقد ادرك النبي ، صلى الله عليه وسلم ، فاسلم (٥٦) .

واما وعلة (بن عبدالله الجرمي) فانه لحقه رجل من بني اسد ، فعقر به فرسه ، فنزل الجرمي وعلة يحضر على رجله ، فلحق رجلا من نهدي يقال له سليط بن قعنب . فقال له وعلة :
- اردفنى خلفك .

فابى ان يردفه ، فنجا الجرمي يحضر ، وادركت بنو سعد النهدي فقتلوه .

وعن ابي عبيدة ، ان قيس بن عاصم ، يوم الكلاب ، خرج يلتمس ان يصيب رجلا من ملوك اليمن له فداء ، فبينما هو في ذلك ادرك وعلة الجرمي ، وعليه مقطعات له ، فقال له :

(٥٥) الطش : المطر الضعيف .

(٥٦) زيادات من الاغاني .

— على يمينك •

قال :

— على يساري اقصد لي

قال :

— هيهات منك اليمن •

قال :

— العراق مني ابعد •

قال :

— انك لن ترى اهلك العام ••

قال :

— ولا اهلك اراهم (٥٧) •

وجعل وعلة يركض فرسه ، فاذا ظن انها قد اعيت ، وثب عنها ، فعدا معها ، وصاح بها فتجري ، وهو يجاريها ، فاذا اعيأ ، وثب فركبها ، حتى نجا •

فسأل عنه قيس ، فعرف انه وعلة الجرمي ، فانصرف عنه •

فقتل وعلة حين اتى اهله ، وكان اول منهزم انهزم يوم الكلاب وكان بيده لواء القوم (٥٨) •

(٥٧) يريد انه لن يقع في الاسر فيقتاده الى قومه •

(٥٨) وهي المفضلية (٣٢) . ويراجع شرح الأتباري ٣٢٨ وقد وردت في مصادر التحقيق عدا الرابع والحادي عشر في المفضليات . ويروى التاسع في النقائض : وقد قلت للنهدي هل انت مرفي ←

١ - فدى لكما رجلى امي وخالتي (٥٩)
غداة الكلاب اذ تحز السيوار

٢ - نجوت نجاء لم ير الناس مثله
كأنى عقاب عند تيمن كاسر

٣ - خدارية سفعاء لبديش هليلج
من الطل يوم ذو اهاضيب مياطر

٤ - كانا وقد حالت حذنة دوننا
نعام تلاه فارس متواتر

٥ - فمن بك يرجو في تميم هوادة
فليس لجرم في تميم اوامر

→ ... البيت لكي يطابق الحدث في الرواية . لذلك قال في
البيت الذي بعده (والعاشرا) : افشله بالرحم بيني وبينه ...
والمعنى في البيت : لو اني لم اجد في نفسي ...
واورده الضبي بمعنى معاكس .
والاول في الفاخر ١٥٩ واللسان مادة (دبر) وخزانة البهتادي
١٩٩/١٠٠ تراجع ترجمة وعلة الجرمي في المفضليات ص ١٦٤
ت : احمد محمد شاكر . طبعة رابعة - دار المعارف بمصر .
(٥٩) : الخطيب يهاقيه وفديا . لهما بامه . واختها . (خالته) . لانهما اي
ساقه حملته وانقذته بسرعهما الاسطورية من اسر وموت
محققين .

(٦٠) سبق ان تعرضنا لهذه الكلمة في مطلع حديثنا عن هذا اليوم
وتسميته يوم الدواب .
قال الأنباري : ان هذه القصيدة يروي لعباس بن الحصين ،
احد بني قدامة بن جرم بن ريان . وقال قائل : هذا وقد عورض
في هذه القصيدة وانها لوعلة بن الحارث ، رادا على من عارضه ،
اما يعلم انه كان في بني نمير ، ولم يشهد هذه الحرب مع قومه .
خالد ٥٥٤ -

- ٦ - ولما سمعت الخيل تدعو مقاعا
تطالعي من ثغرة النحر جائر
- ٧ - فان استطيع لا تلتبس بي مقاعس
- ٨ - ولا يرني مبداهم والمجاضر
- ولا تبك لي حدا مضرية
- اذا ما غدت قوت العيال تبادر
- ٩ - يقول لي النهدي انك مردفي
- وكيف رادف الفيل امك عابر
- ١٠ - يذكرني بالرحم بيني وبينه
- وقد كان في نهد وجرم تدابر
- ١١ - ولما رأيت الخيل تترى اثناء
- علقت بجان اليوم احسن فاجر
- وذلك ان قيس بن عاصم ، لما اكثر قومه القتل في اليمن ، امرهم
بالكف عن القتل ، وان يحزوا عراقبيهم ، فقالت نائجة عمرو بن الجميد:
اشاب قذال الرأس مصرع سيد وفارس هبود اشاب النواصيا (٦١)
- وقال مجرز بن المكعب الضبي (٦٢):
- فدى لقومي ما جمعت من نشب اذ ساقت الحرب اقواما لاقوام

(٦١) فارس هبود ، عمرو بن الجميد ، وهبود فرسه . وهو من
المراديين الذين قتل اهلهم في يوم الصفقة .

(٦٢) الابيات في المفضليات والنقائض والعقد عدا الرابع والاعاني عدا
السادس مع اختلافات بسيطة في الرواية .

قد حدثت مذحج عنا وقد علمت ان لن يورع عن احسابنا حامى
 دارت رحاكم قليلا ثم وجهكم ضرب يصيح (٦٣) منه مسكن الهام
 ساروا اليها وهم صيد رؤوسهم فقد جعلن لهم يوما كأيام
 ظلت ضباع مجيرات يعدنهم (٦٤) والحموهن منهم اي الحمام
 ولا حذنة لم تترك لها سبعا الا له جزر من شلو مقدام
 جذنة ارض لبني عامر بن صعصعة .

ظلت تدوس بنى عمرو بكلكلها وهم يوم بني سعد باظلام
 وقال اوس بن مغراء :

وفي يوم الكلاب اذ اعترتنا (٦٥) قبائل اقبلوا متناسينا
 قبائل مذحج اجتمعت وجرم وهمدان وكنة اجمعينا
 وحمير ثم ساروا في لهام على جرد جميعا قادرينا
 قلما ان اتونا لم نكذب ولم نسألهم ان يمهلوننا
 قتلنا منهم قتلى وولى شريدهم شعاعا هاريننا (٦٦)

(٦٣) قيل في معناه : تصوت . وفي العقد : تصدع .

(٦٤) العقد : تجررهم .

(٦٥) اعترتنا : جاءتنا ، أي غزتنا .

(٦٦) شعاعا : فرقا وخوفا .

وفاظت منهم فينا اسارى لدينا منهم متخشعينا (٦٧)

(٦٧) فإظت : هلكت .

وفي الاغانى : قال ذو الرمة غيلان بن عقبة في ذلك :

وعمي الذي قاد الرباب جماعة

وسعدهم الراس الرئيس المؤمر

عشية اعطتنا ازمة امرها

ضرار بنو القوم الاغر ومنقر

وعبد يفوث تحجل الطير حوله

قد احتز عرشه الحسام المذكر

عشينة مر الحارثيون بعدما

قضى نجه في معرك الخيل هوبر

وقال اخو جرم الا لاهوادة

ولا وزر الا النجاء المشمر

ابي الله الا اننا آل خلف

بنا يسمع الصوت الانام ويبصر

اذا ما تمصرنا فلا ناس غيرنا

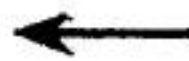
ونضعف احيانا فلا نتمصر

وهي في ديوانه ٤٠٧ مع اختلاف في الرواية . ويلاحظ كيف
يستشرف الشاعر العربي في الاسلام هذا التراث الكبير ويستبطن
هذه الملاحم العظيمة ، وهي ظاهرة فقدت من الادب العربي بعد
ذلك حتى اليوم . وقد كان الامويون عندما ايقظوها اتهموا
بالعصبية ، ولم تكن هذه غايتهم بل اتصال الفكر العربي ومواصلة
تطوره عبر الاجيال .

واورد صاحب الاغانى لذي الرمة ايضا :

فما شهدت خيل امرئ القيس غارة

بشعلان تحمي عن ثغور الحقائق



وقال البراء بن قيس الكندي

قتلتنا تميم يوما جديدا قتل عاد وذاك يوم الكلاب
يوم جئنا يسوقنا الحين سوقا نحو قوم كأنهم أشد غاب
مرت في الازد والمذاجح طرا بين صل وكاشر الانياب
ربنى كندة الملوك ولخم وجدام وحمير الارباب
ومراد وخثعم وزبيد وبني الحارث الطوال الرقاب
وحشدنا الصميم نرجو نهبا فلقينا البوار ذون النهاب
لقيتنا اسود سعد وسعد خلقت في الحروب سوط عذاب
تركوني مسهدا في وثاق ارقب النجم ما أسى شرابي
خائفا للردى ولولا دفاعي بمثني عن مهجتي كالهضاب
لسقيت الردى وكنت كقومي في ضريح مغيبا في التراب
تذرف الدمع بالعويل نسائي كنساء بكت قتيل الرباب (٦٩)

اثرنا به تقع الكلاب واتم
تثيرون تقع الملقى بالمعارف
اذرنا على جرم وافناء مندحج
رحى الموت فوق الغاملات الخوافق
صدمناهم دون الامالي صدمة
عماسا بأطواد طوال شواهدق
اذا نطحت شهباء شهباء بينها
شعاع القنا والمشرقي البوارق

والقصيدة في الديوان ٤٠٧ مع اختلاف في روايتها .

(٦٨) عنى به الملك شرحبيل عم امرئ القيس قتل يوم الكلاب الاول .

فلعيني على الاولى فارقتي درر من دموعها بأشكاب (٦٩)
 كيف ابغى الحياة بعد رجال قتلوا كالا سود قتل الكلاب
 منهم الحارثي عبد يغوث ويزيد الفتيان وابن شهاب
 في مئين نعدّها ومئين بعد ألف منوا يقوم غضاب
 برجال من العرائن شمم اسد حرب محوطة الانساب

وقال وعلة بن عبدالله الجرمي :

هذلتني نهد فقلت لنهد حين حاست على الكلاب اخاها (٧٠)
 يوم كنا عليهم طير ماء وتميم صقورها وبزاهها
 لاتلوموا على الفرار فسعد يال نهد .. يخافها من يراها
 انما همها الطعان اذا ما كره الطعن والضراب سواها
 تركوا مذحجا حديثا مشاعا مثل طيسم وحمير وصداها
 يال قحطنان وادعول جي سيعد وابغوا سلمها وفضل نداها
 ان سعد السعود اسد غياض بلاسل بأسنها شديف قواها
 فضحت بالكلاب حار بن كعب وبنو كندة الملوك اباهها
 اسلموا للمنون عبد يغوث ولعن الكبول حولها يراها
 بعد الف سيقوا المنية ضرقا فأجابت في ذلك سعاد مناهها
 ليت نهدا وجرمها وميرادا ولما حيج ذو أنباء نهاها
 عن تميم فلم تكن فقح قاع تبندرها زباها ومناهها
 قبل لبكر العراق تستر عمرا عمرو قيس فرأى عمرو قراها

(٦٩) الفرز جمع درة ، الدفعة من المطر .
 (٧٠) حاست وطئت .

عن تميم ولو غزتها لكانت مثل قحطان مستباحا حماها (٧١)

(٧١) وختم ابن عبد ربه روايته في العقد بقوله :
قال ابو عبيدة : حدثني المنتجع بن نيهان قال : وقف رؤية
بن العجاج على التيم . بمسجد الحرورية فقال :

— يا معشر تيم ، اني سمعت عند الامير تلك الليلة فتذاكرنا يوم
الكلاب ، فقال : يا معشر تيم ، ان الكلاب ليس كما ذكرتم ،
فأعفونا من قصيدتي صاحبينا — يعني عبد يقوث ووعلة الجرمي —
ومن قصيدة ابن المكبر صاحبكم ، وهاتوا غير ذلك ، فأنتم أكثر
الناس كلاما وهجاء . قال رؤية : فأنشدناه في ذلك اليوم شعرا
كثيرا ، فجعل يقول : هذه اسلامية كلها .

وهذا يكفي للاستدلال على مبلغ الخسارة في هذه الملاحم
الشعرية .

لم يذكر اسم الامير لكن احدى نسخ كتاب العقد (المخطوطة ن)
ورد انه : بلال .

أيام عامز وخطفان*

يوم متفتح (١) :

قال أبو عبيدة ، مغمز بن المتش

ان شأس بن زهير بن جذيمة ، اقبل من عند ملك - اراه النعمان (ابن المنذر) وكان بينه وبين زهير صهر - وكانت ابنة زهير عنده - فأقبل شأس بن زهير من عنده ، وقد جاءه افضل الحبة : مسكا وكسا وقطفا وطنافس . فاناخ ناقته في يوم شمال ، ومر على ردهة في جبل ، ورياح بن الاسك (٢) احد بنى رياح بن عبيد بن سعد بن عوف بن جلان على الردهة ، ليس غير بيته بالجبل ، فانشأ شأس يفتسل بتيق الناقة والبيت ، فاستدبره رياح ، فأهوى له بسهم ، فبتر صلبه . قال

(*) النقائض ٢٢٦ ، ١٠٦٠ ، العقد الفريد ١٣٣/٥ ، ١٥٠ - الاغانى ٧٥/١١ ، ٨٢ ، ٩٤ ، ١٠٦ - ابن الاثير (الكامل) ٣٣٣/١ ، ٣٣٧ ، ٣٣٩ ، ٣٤١ - والفاخر ١٦٥ - والبكري فصل المقاتل ٣٥٥ - والميداني مجمع الامثال ٨٩/٢ ، ٣٠٦ ، ٣٧٦ - والنويري ٣٤٦/١٥ ، ٣٥٠ - والبغدادى (خزانه) ٥٦/٣ ، ٣٧٧/٤ وراجع امثال المفضل الضبي ص ٤٦ بالنسبة ليوم بطن عاقل . وايامها هي : منعج ، النفراوات ، بطن عاقل ، رحرخان ، الخربة . ولم تذكرها المصادر مجموعة هكذا ، وانما نفعل ذلك لنوحد فيها عنصر الحدث المتسلسل .

(١) في العقد ١٣٣/٥ والاغانى وفي معجم البلدان : منعج : واد يأخذ بين جفر ابي موسى والنياج ويدقع في بطن فلج . وذكره الشاعر الكميت باسم يوم الحصينيين .

(٢) في الاغانى (الاسك) وابن الاثير (رياح الاشل) واثبتنا رواية العقد .

ابو عبيدة ، وحدثني رجل يخيل الي انه ابو يحيى الغنوي قال : ورد
شأس ، وقد حباه الملك بحبوة فيها قطيفة حمراء ذات هذب وطيب ،
فورد منعجا ، وعليه خباء ملقى لرياح بن الاسك ، فيه اهله في الظهيرة .
فالقى ثيابه بفنائها ، ثم قعد يهريق عليه الماء وجعل يغتسل ، والمرأة
قرية منه ، يعني امرأة رياح تنظر اليه ، فاذا هو مثل الثور الابيض .
فقال ريلج لامرأته :

انطيني قوسى . (٣) .
فمدت اليه قوسه وسهما ، وانتزعت المرأة نصله ، لئلا يقتله ،
فأهوى عجلان اليه ، فوضع السهم في مستدق الصلب ، بين فقارتين
ففصلهما ، وخر ساقطا ، وحفر له حفرا ، فهدمه عليه ، ونحر جملة ،
واكله ، اكل ركوبته ، وأولج متاعه بيته ، وغيب أثره .
وفقد شأس بن زهير ، وقص أثره ، ونشد ، وركبوا الى الملك
فسألوه عن حاله ، فقال لهم الملك :

حبوته وسرحته .
فقالوا :
وما متعته به ؟
قال :
مسك ووكسا ونطوع وقطف .

(٣) انطيني ، لغة في اعطيني . وهي لغة الاستطاء في بكر (انظر
مادة عطى في اللسان والتهذيب) .

فأقبلوا يقصون أثره ، فلم تتضح لهم سبيله ، فمكثوا كذلك
ما شاء الله ، لا أدرى كم ، حتى رأوا امرأة رياح باعت بعكاظ قطيفة
حمراء أو بعض ما كان من حباء الملك ، فعرفت ، وتيقنوا أن رياح
تأرهم . فانقطع ذكره على منعج ، وسط غنى ، ثم أصابت الناس
جائحة وجوع ، فنحر زهير ناقة ، فأعطى امرأة شطيها (٤) فقال :

— اشترى لي الهدب والطيب .

فخرجت بذلك الشحم والسنام تبيعه ، حتى دفعت إلى امرأة
رياح ، فقالت :

— ان معي شحما ابيعه في الهدب والطيب .

فاشترت المرأة منها .

فأتت المرأة زهيراً بذلك ، فعرف الهدب ، فأتى زهير غنيا ، وهم
حلفاء في بني عامر بن صعصعة ، فاجتمعوا عنده ، فسألهم عن ابنه ،
فحلفوا أنهم لم يعلموا خبره ، قال :

— لكنى اعلمه .

فقال ابو عامر :

— فما الذى يرضيك منا ؟

قال :

— واحدة من ثلاث : اما تحيون ولدي ، واما تسلمون لي غنيا

حتى اقتلهم بولدي ، واما الحرب ما بيننا وبينكم ما بقينا وبقيتم .
فقالوا :

(٤) اي جانبي سنامها .

تـ ما جعلت لنا في هذه مخرجا : اما احياء ولدك ، فلا يقدر
عليه الا الله ، واما تسليم غني اليك ، فانهم يمتنعون ما يمتنع منه
الاحرار ، واما الحرب بيننا فوالله انا لنحب رضاك ، ونكره سخطك ،
ولكن اذا شئت الدية ، وان شئت تطلب قاتل ابنك ، فنسلمه اليك او
تهب دمه ، فانه لا يضيع في القرابة والجوار .

فقال :

ـ ما افعل الا ما ذكرت .

فلما رأى خالد بن جعفر بن كلاب ، تعدي زهير على اخواله من

غني قال :

ـ والله ما رأينا كاليوم تعدي رجل على قومه .

فقال له زهير :

ـ فهل لك ان تكون طلبتي عندك ، واترك غنيا ؟

قال :

ـ نعم .

فانصرف زهير ، وهو يقول :

فلولا كلاب قد اخذت قرينتي

برّد غني أبدا ومواليا

ولكن خمتهم غصبة عامرية

يهزون في الأرض القصار العواليا^(٥)

(٥) القصار لعلها الفضاء فتستقيم مع المعنى .

مساعد في الهيجا مصاليت في الوغى
أخوهم عزيز لا يخاف الأعداء
قيمون في دار الحفاظ تكرموا
إذا ما فنى القوم أضحت خواليا^(٦)

فقالوا :

— نعم ، قتله رياح بن الأسيل ، ونحن براء منه ، وقد لحق بخاله
من بني الطماح ، وبني أسد بن خزيمه .
فكان يكون الليل عنده ، ويظهر في « أبيان »^(٧) إذا احس
الصبح ، يرمي الأروى^(٨) ، إلى أن أصبح ذات يوم ، وهو عنده ،
وعبس تريفه^(٩) . فركب خاله جملا ، وجعله على كعب وراه ، فبينما
هو كذلك ، اذ دبت ، فقالوا :

— هذه خيل عيس تطلبك .
فطر^(١٠) في قاع شجر ، فخر في أصل سوقه .
ولقيت الخيل خاله ، فقالوا :
— هل كان معك أحد ؟
قال :
— لا .

(٦) الزيادة من ابن الأثير .
(٧) أبيان جبل .
(٨) الأروى : اسم جمع للأروية ، وهي أنثى الوعل .
(٩) تريفه : طلبه .
(١٠) أي استخفى .

فقالوا :

سب ما هذا المركب وراءك ؟ لتخبرنا او لنقتلك .

قال :

لا كذب ، وهو رياح في ذلك القاع .

فلما دنوا منه ، قال الحصينان : (١١) :

— يا بني عبس ، دعونا وثأرنا .

فخسبوا (١٢) غنهما : فاخذ رياح نعلين من شبت (١٣) ، فصيرهما

على صدره ، حيال كبده ، ونادى :

— هذا غزالكما الذي تريغان (١٤) .

فحمل عليه اخذهما ، قطعنه ، فأزالت النعل الوميح الى حيث

شاكلته ، ورماه رياح موليا فجذم (١٥) صلبه . قال : ثم جاء الآخر ،

قطعنه ، فلم يغن شيئا ورماه موليا فصرعه ، فقالت عبس :

— اين تذهبون الى هذا ، والله ليقتلن منكم عدد مراميه ، وقد

جرحاه ، فسيموت .

قال : واخذ رياح رمحيهما و سلبيهما ، وخرج حتى سند السي

أبان . فأتته عجوز ، وهو يستدمي ، على الحوض ليشرب منه ،

وقالت :

(١١) الحصينان : حصين بن زهير اخو المقتول وحصين بن اسيد
ابن عمه .

(١٢) اي تنحوا وتأخروا .

(١٣) الجلد الملبوغ .

(١٤) الاغاني : تبغيان . واراغ : طلب .

(١٥) يطأ رأسه ، يقطر منه الدم ، وجذم قطع .

— استأمر يحيى •

فقال :

— جنّيني حتى أشرب •

فأبت ، ولم تنته ، فلما غلبته ، اخذ مشقفا (١٦) ، وكنع (١٧) به
كرسوعى يديها •

فلما استبان لزهر بن جذيمة ، ان رياحا ثاره قال يرثي شاسا :

بكيت لشاس حين خربت انه

بماء غنى آخر الليل يسلب

لقد كان مآناه الرداء لحنقه

وما كان لولا غرة الليل يغت

قتيل غنى ليس شكل كشكله

كذلك لعمرى الحين للشرب يغلب

مأبكى عليه ان بكيت بعبرة

وحق لشاس بيرة حين تسيكب

وحزن عليه ما حيت وعولية

على مثل ضوء البدر او هو اعجب

اذا لم يسم ضيما كان للضم متكررا

وكان لدى الهيجاء يخشى ويرهب

(١٦) نصل عريض او سهم فيه ذلك النصل

(١٧) كنع قطيع

وان صوت الداعى الى الخير مرة
اجاب لما يدعوه حين يكرب
فخرج عنه ثم كان عليه
فقلبي عليه لو بدا القلب ملهيب

وقال زهير بن جذيمة حين قتل شأس :

— « شأس ، وما شأس !! .. والبأس وما البأس !! .. لولا
مقتل شأس ، لم يكن بيننا بأس !! » .

ثم انصرف الى قومه ، فكان لا يقدر على غنوى الا قتله .
فغزت بنو عبس غنيا ، قيل ان يطلبوا قودا او دية ، مع اخي
شأس ، الحصين بن زهير بن جذيمة ، والحصين بن اسيد بن جذيمة
بن اخي زهير .

ف قيل ذلك لغنى فقالت لرياح :

— انج ، لعلنا نصالح على شيء ، او نرضيهم بدية وفداء .

فخرج رياح رديفا لرجل من بني كلاب — وزعم ابو حية النميري ،
انه من بني جعد — وكان معهما صحيفة ، فيها ارباب لحم ، لا يريان^(١٨)
الا انهما قد خالفا وجهة القوم ، فاوجفا ايديهما في الصحيفة ، فأخذ
كل واحد منهما وذرة^(١٩) لياكلها مترادفين ، لا يقدران على النزول .

(١٨) الذي في كتب الانساب ، وفي المظان الاخرى : بنو جعدة .
وارباب اللحم : قطع منه .

(١٩) الذرة : قطعة اللحم الخالية من العظم .

قال : فمر فوق رؤوسهما صرد^(٢٠) ، فصرصر ، فألقيا اللحم ، وامسكا
بأيديهما ، وقالوا :

— ما هذا ؟

ثم عادا الى مثل ذلك ، فأخذ كل واحد منهما عظما ، وصر الصرد
فوق رؤوسهما ، فصرصر ، فألقيا العظمين ، وامسكا بأيديهما ، وقالوا :

— ما هذا ؟

ثم عادا الثالثة ، فأخذ كل واحد منهما قطعة ، فمر الصرد فوق
رؤوسهما فصرصر ، فألقيا القطعتين ، حتى فعلا ذلك ثلاث مرات ، فاذا
هما بالقوم ادنى ظلم ، (وادنى ظلم : اي ادنى شيء) . وقد كانا
يظنان ، انهما قد خالفا وجهة القوم ، فقال صاحبه لرياح :
— اذهب فاني اتى القوم اشاغهم عنك واحديثهم حتى تعجزهم ،
ثم ماض ان تركوني .

فانحدر رياح عن عجز الجمل ، فأخذ ادراجه ، وعدا اثر الراحلة
حتى اتى الضفة ، فاحتقر تحتها مثل مكان الارنب ، فولج فيه ، ثم اخذ
نعليه ، فجعل احدهما على سرتة والاخرى على صفتة ، ثم شد عليهما
العمامة .

ومضى صاحبه ، حتى لقي القوم ، فسألوه فحدثهم ، وقال :

— هذه غنى كاملة ، وقد دنوت منهم .

(٢٠) الصرد : طائر كثير التنقل بين الشجر ، وهو جارح من سباع
الطير ، كانت العرب تتطير منه ، ابقع ضخم الرأس والمنقار ،
عظيم البرثن .

فصدقوه ، وخلو سربه (٢١) . فلما ولى روأوا مركب الرجل خلفه ،
فقالوا :

— من الذى كان خلفك ؟

فقال :

— لا مكذبة ، ذلك رياح في الاول من السمرات (٢٢) .
فقال الحصينان لمن معهما :

— قفوا علينا حتى نعلم علمه ، فقد امكننا الله من ثأرنا ، ولم
يريدا ان يشركهما فيه احد ، فمضيا ، ووقف القوم عنهما .
قالوا : قال رياح « فاذا هما ينقلان فرسيهما ، فمازالا بريغانى ،
فابتدراني ، فرميت الاول ، فبترت صلبه ، وطعنني الاول قبل ان ارميه ،
واراد السرة فاصاب الريلة (٢٣) ، وهر القرس يهوى به ، فاستدبرته
بسهم ، فرشقت به صلبه ، فاتفقر منحني الاوصال ، وقد بترت
صليبهما . قال رياح : استدبرته بسهم ، وقد خرجت قدمه ، فقطعتها ،
فكانما نشرت بمنشار .

وند فرساهما ، فلاحقا بالقوم .

فاخذت رمحيهما ، فخرجت بهما حتى اتيت رملة ، فسندت فقرزت
الرمحين فيهما ، ثم انحدرت « .
وظلبه القوم ، حتى اذا رفع لهما الرمحان ، لم يقربوهما ، علم
الله ، حتى وجدوا اثر رياح خارجا ، قد فات .

(٢١) سربه : اي طريقه

(٢٢) في العقد : الصعدات ، والسمرات شجر معروف ، واحدة
سمرة .

(٢٣) الريلة : باطن الفخذ .

وانطلق رياح خارجا ، حتى ورد ردهة ، عليها بيت النمار بن بغيض ،
وفيه امرأة ، ولها ابنان قريبان منها ، وجمل لها راتع في الجبل ، وقد
مات رياح عطشا . فلما راته يستدمي ، طمعت فيه ، ورجت ان ياتيها
ابناها . فقالت له :

— استأسر .

فقال لها :

— دعيني ، ويحك ، اشرب .

فأبت .

فاخذ حديدة ، اما سكيئا ، واما مشقصا (٢٤) ، فجذم به رواهشها
فماتت ، وعب من الماء حتى نهل (٢٥) . ثم توجه الى قومه ، فقال رياح
فيها وفي الحصينين (٢٦) :

قالت لي استأسر لتكتفني
حينما ويعلو قولها قولي
ولانت اشجع من اسامة او
مني غداة وقفت للخيل

(٢٤) انظر ص ٤٦٣ هامش (١٦) .

(٢٥) نهل : روى .

(٢٦) الابيات في الاغاني ٨١/١١ وفي موضع اخر برواية الاصمعي
٩١/١١ وقد جمعت بين الروايتين في الابيات . ومعنى نهنه
زجر ، وفتله صرفه ولواه ، وجاشت ، هاجمت وغلت . والرجازة
شيء يكون مع المرأة في هودجها ، فاذا مال احد الجانبين ، وضعت
في الناحية الاخرى ليعتدل ، واراد تحصين الاول ابن زهير
والثاني ابن اسيد وهو ابن عمه .

إذا الحصين لدى الحصين كما
عذل الرجاسة (٢٧) جانب الميل

وإذا انهنها لاقتلها
جاشت ليغلب قولها قولي

(٢٧) الرجاسة شيء يكون مع المرأة في هودجها ، فإذا مال من ناحية
وضعته في الناحية الأخرى ليعتدل .
قال أبو عبيدة ، قال عبد الحميد : والله لقد سمعت هذا
الحديث على ما حدثك به منذ ستين سنة . وما سمعت أن
بني عيسى أدركوا بواحد منهم ، ولا اقتادوا ولا اندروا ، ولا
سمعت فيه من الشعر لنا ولا لغيرنا في الجاهلية بأكثر مما
نشدتك . وإلى هذا انتهى حديثنا وجديته ، ولا والله ما قبل
خالد بن جعفر زهير بن جذيمة في حربنا ، غير أن الكميت بن زيد
الأسدي ، وكانت له أمان من غني ، ذكر من قتل من أخواله من
غني في بني عيسى ومن قتلوا من بني نمير بن عياصر في كلمة
واحدة ، فليعلم لهذا الحديث قالها وذكر أدراكاتهم وذكر قتل
شبيب بن سالم النميري فقال في ذلك :

أنا ابن غني والدي كلاهما
لأمي فيهم في الفروع وفي الأصل
هم استودعوا هوى شبيب بن سالم
وهم عدلوا بين الحصين بالنبل
وهم قتلوا شأس الملوك ورغموا
أباه زهيراً بالذلّة والثكل
فما أدركت فيهم جذيمة وترها
بما قود يوماً لديها ولا عقل

هذه رواية الأغاني ، وقد رويت في العقد مع اختلاف ،
وحذف الرابع .

يسوم النفراوات (*) :

فكان بين انصراف حديث شأس وحديث قتل خالد بن جعفر ،
 زهير بن جذيمة ، ما بين العشرين سنة ، الى الثلاثين سنة .
 وهوازن بن منصور ، لا ترى زهير بن جذيمة الا ربا « وهوازن
 يومئذ ، لا خير فيها ، ولم تكثر عامر بن صعصعة بعد ، فهم اذل من يد
 في رحم (٢٨) ، وانما هم رعاء الشاء في الجبال . وكان زهير يعشرهم (٢٩) ،
 وكان اذا كان ايام عكاظ ، اتاها زهير ، ويأتيها الناس من كل وجه ،
 فتأتيه هوازن بالاتاوة التي كانت له في اعناقهم ، فيأتونه بالسمن والاقط
 والغنم ، وذلك بعدما خلع ذلك من ابي الجناد ، اخي بني اسيد بن
 عمرو بن تميم . ثم اذا تفرق الناس عن عكاظ نزل زهير بالنفراوات (٣٠) .

(★) ابن عدي - العقد الفريد ١٣٥/٥

ابو الفرج - الاغانى ٨٢/١١

السيد المرتضى - الامالي ١٥٢/١

البكري - معجم ما استعجم مادة (ركة) ٦٦٩/٢ (رميثة)

٦٧٦/٢ (نفري) ١٣١٧/٤

ابن الاثير - الكامل في التاريخ ٣٣٧/١

النويري - نهاية الأرب ٣٤٦/١٥

البغدادي - خزائن الادب ٣٧٧/٤

(٢٨) هذا مثل يضرب في الضعف والهوان

(٢٩) يأخذ عشر أموالهم .

(٣٠) جميع المصادر والمراجع ذكرت اليوم وموضعه بأسم النفراوات

الا الاغانى فسماه (النفراوات) ، وليس لهذا الاسم وجود في

المطان وذكره البكري في معجم ما استعجم مادة (نفري) بالنفراوات ،

ثم عاد اليه في مادتي (ركة) و (رميثة) فسماه النفراوات ،

لذلك ثبتنا الذي في العقد وغيره ، وقد احتوت رواية الاغانى

المنقولة عن ابي عبيدة ، كل الروايات الاخرى .

فاتته عجوز رهيش^(٣١) في بني نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن . قال : بل اتته عجوز من هوازن بسمن في نحى ، واعتذرت اليه ، وشكت السنين التي تتابعن على الناس . فذاقه فلم يرض طعمه ، فدعسها بقوس في يده ، عطل^(٣٢) ، في صدرها ، فاستلقت لحلاوة القفا ، فبدت عورتها ، فغضبت من ذلك هوازن وحقدت عليه الى ما كان في صدرها من الغيظ والدمن ، واوحرها من الحسك^(٣٣) . قال وقد امرت^(٣٤) عامر بن صعصعة يومئذ ، فتألى^(٣٥) خالد بن جعفر ، فقال :
 — والله لاجعلن ذراعى وراء عنقه ، حتى اقتل او يقتل^(٣٦) .

وفي ذلك يقول خالد بن جعفر بن كلاب(*) :

(٣١) رهيش ضعيفة مهزولة .

(٣٢) هذه رواية العقد : واما بقية المصادر بما فيها الاغاني «دعها» ، ومعناها دفعها ، والعطل : الخالي من الوتر .

(٣٣) الدمن : الاحقاد . اوحرها : جعلها توحرا اي تحقدوتغضب ، والحسك العداوة .

(٣٤) امرت : كثرت .

(٣٥) تألى : اقسم . ورواية الاغاني : آلى .

(*) في كتاب نسب الخيل وامالي المرتضى والخزانة رواية البيت الاول : (اريفوني اراغتك) . والارافة : الطلب . والبيت الثاني : (عدا نسب الخيل) روايته : (مقربة اواسيها بنفسي) .

وقد وقعت ابيات مشابهة من قصيدة لشداد ابي عنتره في يوم داحس ضمن هذه القصيدة .

(٣٦) رواية الاصمعي : فقال خالد لزهير :

— اما آن لك ان تشتفي وتكف .

ادبروني ادارتكم فاني
وحذفة (٣٧) كالشجا تحت الوريد

مقربة اسويها بجزء (٨٣)
والحفها ردائي في الجليد

واوصي الراغبين ليؤثراها
لها لبن الخلية والصعود (٣٩)

يعني مما قتل بشأس . فأغلظ له زهير وحقره . وكان ذلك
بعكاظ عند قريش . فلما حقره زهير وسبه قال خالد :
- عسى ان كان ؟؟؟ .
يتهدده . ثم قال :
- اللهم امكن يدي هذه الشقراء القصيرة من عنق زهير بن
جذيمة ، ثم اعني عليه .
فقال زهير :
- اللهم امكن يدي هذه البيضاء الطويلة من عنق خالد ، ثم
خل بيننا .
فقلت قريش :
- هلك والله يا زهير .
فقال :
- انكم والله الذين لا علم لكم . (الاغاني ١١ / ٩٢) .

(٣٧) حذفة : فرس خالد بن جعفر .

(٣٨) جزء بن خالد بن جعفر .

(٣٩) الخلية : الناقة يخلى بينها وبين ولدها فيكون اغزر لها في
الجلب ، والصعود : الناقة التي تعطف على ولدها باللبن مبكرا لانها
وضعت قبل اوانه .

تراهما في الغزاة وهن شعث
 كقلب العاج في الرسخ الجديد^(٤٠)
 بيت رباطهما بالليل كهي
 على عود العثيش وغير عود
 لعل الله يمكنني عليهما
 جهارا من زهير أو أسيد^(٤١)
 فاما تثقوني فاقتلوني
 فمن اتقف فليس الى خلود
 وقيس في المعارك غادرته
 قناتي في فوارس كالاسود
 ويروى بن غيظ يوم ساق^(٤٢)
 تركنهم كجارية وييد^(٤٣)
 تركت بها نساء بين عصيم
 أرامل ما تحن الى وليد

-
- (٤٠) قلب العاج : حلية ، وهو السوار . وقد وصفه بأنه جديد .
 (٤١) أسيد اخو زهير .
 (٤٢) يوم ساق : لم يقع لهذا اليوم على خبر في مصادر ، وساق
 جبل لبني اسد بين النجاج والنقرة . قال لبيد بن ربيعة العامري :
 يصرف احناء الامور تخاله باحقاف ساق مطلع الشمس مائلا
 وساق جبل حذاء عناب في طريق المدينة وفيه اقوال اخرى .
 (انظر البكري مادة ساق ٧١٤/٣) .
 (٤٣) البيد الصحراء . وقد رجح محقق الاغاني (ط : الدار) ان
 تكون العبارة : كجارية وييد . اي موعودة . وهي التي تدفن حية .

يلذن بحارث جزعا عليه
 يقلن لحارث لولا تسمود(**)
 ومنسى بالظويلم قارعات
 تيسد المخزيات ولا تيسد
 وحكت بر كهها^(٤٤) بيني جحاش
 وقد اجروا اليها من بعيد
 تركت ابني جذيمة في مكر
 ونصرا قد تركت لها شهودي

قال ابو عبيدة : وحدثني ابو سرار الغنوي :

وكان زهير رجلا عدوسا^(٤٥) ، فانتقل من قومه بينيه وبني
 اخويه : زنباع واسيد « بركة »^(٤٦) يرغ الغيث ، في عشروات له
 وشول ، وبنو عامر قريب منهم ، ولا يشعر بهم . قال عبدالحميد قال
 ابو حية بل بنو عامر (بدمخ)^(٤٧) ، وزهير (بالنفراوات)^(٤٨) ، وبينهم ليلتان او

(**) في هذا البيت ، والذي بعده اقواء . وسيرد البيت ومعناه
 في يوم بطن عاقل .

(٤٤) اي صدرها .

(٤٥) اي قويا ، يسير الليل .

(٤٦) البكري : قال ابو عبيد : وكان زهير ينزلها ، وهناك وافاه
 بنو عامر على غرة متدثرا القعساء فرسه مغلوطةا (اي ركبها بلا سرج)
 فادر كوه بالنفراوات .

(٤٧) دمخ جبل له واديان ، وهو مشهور بثقله . (البكري مادة

دمخ) .

(٤٨) انظر هامش ٣٠ .

ثلاث ، فأتى الحارث بن عامر . والله ما تغير طعم اللبن الذي زوده الحارث
ابن عمرو بن الشريد السلمي ، حتى أتى بني عامر فأخبرهم (٤٩) .
قال أبو عبيدة : أخبرني سليمان بن المزاحم المازني عن أبيه قال :
بل كانت بنو عامر بالجريثة (٥٠) ، وزهير بالنفقات . وكانت
تماضر بنت عمرو بن الشريد بن رياح بن يقظة بن عصية بن خفاف
السلمي ، امرأة زهير بن جذيمة ، وهي أم ولده ، فمر بها أخوها
الحارث بن عمرو فقال زهير لبنيه :
- ان هذا الحمار لطيفة عليكم ، فأوثقوه .
فقلت اخته لبنيها :
- ايزوركم خالكم ، فتوثقوه ، فتحرموه .
فخلوه . فقلت تماضر لأخيها الحارث :
- انه ليريني اكبتنالك وقروبك ، فلا يأخذن فيك ما قال زهير ،
فانه رجل ييذارة غيذارة شنوءة (٥١) .

(٤٩) اي خرج مسرعا ليخبر به . وهذا مختصر الرواية وسوف
يعود الى تفصيلها على عاداتهم في سرد الروايات .
(٥٠) لا وجود للجريثة في المظان ، والصحيح ما ذكره البكري في
معجم ما استعجم مادة (رميثة) حيث ذكر انه الموضع الذي ادرك
خالد بن جعفر واصحابه زهير بن جذيمة وولده ، فقتلوا زهيرا ، فقال
خالد :
هل كان سر زهيرا يوم وقعتنا بالرمث لو لم يكن شأس له ولدا
وقال ورقاء بن زهير ، يرثي اياه :
اردوا فوارس منا سادة حشدا يوم الرميثة بين القف والقاع
(٥١) الاكبتنان : الغم والقروب السكوت . البيذارة الكثير الكلام ،
والفيذارة السيء الخلق ، والشنوءة المبغض .

ثم حلبوا له وطبا ، واخذوا منه يمينا الا يخبر عنهم ، ولا ينذر
بهم احدا ، قال ابو عبيدة : وزعم ابو حية النميري انه لما اتوه بقراهم ،
اراهم انه يشربه في الظلمة وجعل يهوي به الى جيبه فيصبه بين
سرياله وصدره اسفا وغيضا . وكان الذي حلب له الوطب وقراه ،
الحارث بن زهير ، وبه سمى .

فخرج يطير ، حتى اتى عامرا عند ناديم ، فأتى حاذة (٥٢) او
شجرة غيرها ، فالتقى الوطب تحتها ، والقوم ينظرون ، ثم قال :
— ايتها الشجرة الذليلة ، اشربي من هذا اللبن ، فانظري ما طعمه .
فقال اهل المجلس : هذا رجل مأخوذ عليه عهد ، وهو يخبركم خبرا .
فأتوه فاذا هو الحارث بن عمرو ، وذاقوا اللبن فاذا هو حلو ،
لم يقرص بعله ، فقالوا :

— انه ليخبرنا ان طلبنا قريب .
فركب معه ستة فوارس ، لينظروا ما الخبر ، وهم خالد بن جعفر
ابن كلاب على « حذفة » ، وحنديج بن البكاء ، ومعاوية بن عباد
ابن عقيل ، فارس الهزار ، وهو الاخيل ، جد ليلى الاخيلية — قال :
والاخيل ، هو معاوية ، وهو يومئذ غلام له ذؤابتان ، وكان اصغر
من ركب — وثلاثة فوارس من سائر بني عامر ، فاقتصوا اثر السير ،
حتى اذا رأوا ابل بني جذيمة نزلوا عن الخيل . فقالت النساء :
— انا لنرى حرجة من عضاه ، او غابة رماح بمكان لم يكن نرى
به شيئا (٥٣) .

(٥٢) الحاذة واحدها الحاذ ، وهو ضرب من الشجر .
(٥٣) الحرجة الفيضة ذات شجر كثيف ملتف . العضاه شجر له
شوك ، هو اعظم الشجر . وهذا شبيه بما رآته زرقاء اليمامة .

ثم راحت الرعاء ، فاخبروا بمثل ما للنساء • واخبرت راعية
أسيد بن جذيمة اسيدا ، بمثل ذلك • فأتى اسيد اخاه زهيرا ، فأخبره
بما اخبرته به الراعية ، وقال :

— انما رأيت خيل بني عامر ورماحها •

فقال زهير :

— كل ازب^(٥٤) نفور •

فذهب مثلاً ، وكان اسيد كثير الشعر ، خناسيا^(٥٥) — واين بنو
عامر ! •• اما بنو كلاب فكالحية ، ان تركتها تركتك ، وان وطئتها
عظتك ، واما بنو كعب ، فانهم يصيدون اللاي ، (يريد الثور
الوحشى) ، واما بنو نمير ، فانهم يرعون ابلهم فى زؤوس الجبال •
واما بنو هلال ، فيبيعون العطر •

فتحمل عامة بني رواحة ، وآلى زهير لا يبرح مكانه ، حتى يصبح •
وتحمل من كان معه ، غير ابيه ورقاء والحارث • قال وكان
لزهير ربيثة^(٥٦) من الجن ، فحدثته ببعض امرهم حتى اصبح ، وكانت له
مظلة دوح يربط فيها افراسه ، لا تريمه^(٥٧) حذرا من الحوادث •

(٥٤) الازب كثير شعر الحاجبين من الابل ، ينفر لان الريح تضرب
هذه الشعرات •

(٥٥) هذه العبارة معترضة لكلام زهير • وربما اراد بالخناسي ان
انفه افطس ، وربما انه يخنس في الاحداث فلا يظهر ، يقرب من معنى
الجبان ، لذا رجح محقق الاغاني (الدار) انها مصحفة عن كلمة (جباناً) •
(٥٦) ربيثة : اي طليعة يستطلع له الاشياء ويخبره بها • فزهير
احد كهان العرب •

(٥٧) لا تريمه : لا تبرحه •

فلما أصبح ، صهلت فرس منها حين احست بالخيل ، وهي القعساء
فقال زهير :

— مالها ؟!

فقال ربيئة :

— احسبت الخيل فصهلت اليهن •

فلم تؤذنههم بهم ، الا والخيل دوائس محاضير^(٥٨) بالقوم غدية •

فقال زهير ، وظن انهم اهل اليمن :

— يا أسيد ، ما هؤلاء ؟!

فقال :

— هؤلاء الذين تسمى حديثهم منذ الليلة •

وركب اسيد ، فمضى ناجيا • ووثب زهير ، وكان شيخا نبيلًا ،

فتدثر القعساء فرسه ، وهو يومئذ شيخ قد بدن ، وهو يومئذ عقوق

مستهم • واعرورى^(٥٩) ورقاء والحارث ابناه ، فرسيهما •

ثم خالفوا جهة مالهم ، ليعموا على بنى عامر مكلان مالهم ، فلا

يأخذوه •

فهتف هاتف من بنى عامر :

— يا ليحامر ••

(يريد يحامر ، وهو شعار لاهل اليمن) لان يعمى على

الجدمين^(٦٠) من القوم •

(٥٨) دوائس : قادمة يتبع بعضها بعضا . ومحاضير : شديدة

الحضر واراد العدو وهو الجري . جمع محضير او مجضار .

(٥٩) اي ركب فرسه عارية بلا سرج .

(٦٠) نسبة الى جذيمة •

فقال زهير :
 — هذه اليمن ، وقد علمت انها اهل اليمن •
 وقال لابنه ورقاء : انظر يا ورقاء ما ترى ؟
 قال ورقاء :
 — ارى فارسا على شقراء ، يجهدا ويكدها بالسوط ، قد اح
 عليها ، (يعني خالدا) • فقال زهير :
 — شيئا ما يريد السوط الى الشقراء •
 فذهبت مثلا • وقال (٦١) في المرة الثانية : (شيئا ما طلب السوط
 الى الشقراء) وهي (حذفة) فرس خالد بن جعفر ، والفارس خالد بن
 جعفر • وكانت الشقراء من خيل غنى • وتمردت (٦٢) القعساء بزهير ،
 وجعل خالد يقول :
 — لانجوت ان نجا مجدع •
 (يعني زهيرا) •
 فلما تمعظت (٦٣) القعساء بزهير ، ولم تتعلق بها حذفة ، قال خالد
 لمعاوية الاخيل بن عبادة ، وكان على الهرار — حصان اعوج (٦٤) —

(٦١) القول لابي حية النميري ينقله عنه ابو عبيدة : اي انه عدل
 العبارة لينقل كلام زهير بن جذيمة نصا .
 (٦٢) كذا في العقد والاغاني ، والذي في نهاية الارب ارمدت ،
 ومعناها عدت عدو الرمد اي النعام .
 (٦٣) تمعظت : اي جرت • وهو نوع من الجري • انظر اللسان
 (معط) .

(٦٤) قال جرير يمتدح افراس قومه :
 ان الجياد يبتن حول قبابنا من آل اعوج او لذي العقال
 واعوج فرس لبني هلال .

— ادرك معاوية •

فادرك معاوية زهيرا ، وجعل ابنه : ورقاء والحارث ، يوطشان (٦٥)
عنه ، (اي عن ابيهما) ، فقال خالد :
— اطعن يا معاوية في نساها •

فطعن في احدى رجلها ، فانخذلت القعساء ، بعض الانخذال ،
وهي في ذلك تمعظ ، فقال زهير •
— اطعن الاخرى •

يكيده بذلك ، لكي تستوى رجلاه فتحامل (٦٦) • فناداه خالد :
— يا معاوية ، افد طعنك •

(اي اطعن مكانا واحدا) فشعشع الرمح في رجلها ، فانخذلت •
ولحقه زهير على حذفة ، فجعل يده وراء عنق زهير (٦٧) فاستخف به
عن الفرس حتى قلبه ، وخر خالد فوق فوقه ، ورفع المغفر عن راس
زهير وقال :

— يا عامر ، اقتلونا معا •
فعرفوا انهم بنو عامر ، فقال ورقاء :

(٦٥) يوطشان : يدفعان •

(٦٥) اي فتتحامل •

(٦٧) في غير رواية ابي عبيدة ، ذكر ان خالدا قال : اللهم امكن
يدي هذه الشقراء القصيرة من عنق زهير ثم اعني عليه . فقال زهير :
اللهم امكن يدي ، هذه البيضاء الطويلة ، من عنق خالد ، ثم خل بيننا ،
فقلت قريش : هلكت والله يا زهير . فقال : انكم والله الذين لا علم
لكم ، وذلك كله في سوق عكاظ . وهي رواية الاصمعي — الاغانسي
٩٢/١١ وامالي المرتضى ١٥٢/١ •

— وانقطاع ظهراه ، انهم لبنو عامر ، سائر اليوم •
ولحق حندج بن البكاء ، وقد حسر خالد المغفر عن رأس زهير ،
فقال :

— نح راسك يا ابا جزء ، ولم يحن يومك •
فنحى خالد راسه ، وضرب حندج راس زهير ، وضرب ورقاء
ابن زهير راس خالد بالسيف ، وعليه درعان (وكان اسجر العينين (٦٨) ،
ازب اقمر (٦٩) ، مثل الفالج (٧٠) فلم يغن شيئا •
واجهض ابنا زهير القوم عن زهير ، فانتزعا مرثا ، فقال خالد
حين استنقذ زهير ابناه :

— والهفتاه ، كنت اظن ان هذا المخرج سيسعكم •
ولام حندجا فقال حندج وكان لجلالجا به غصة (٧١) اذا تكلم :
— السيف حديد ، والساعد شديد ، وقد ضربته ورجلاي
متمكنتان في الركابين ، وسمعت السيف قال : قب ، حين وقع برأسه ،
ورأيت على ظبته مثل المرار ، وذقته فكان حلوا •
فقال خالد :

(٦٨) اسجر العينين : اذا خالط البياض حمرة •
(٦٩) ازب : كثير الشعر • والقمرة : بياض فيه كدرة ، او الى
الخضرة •
(٧٠) الفالج : الجمل الضخم ذو السنامين •
(٧١) في الاصول (لجلالته غصة) وقد رجح لها محقق الاغاني
هذا التخريج ، ولعلها لجلالجة ، وهي ليست في مصادر التحقيق الاخرى •

— قتله بأبي انت (٧٢) .

ونظر بنو زهير ، فاذا الضربة قد بلغت الدماغ ، ونهى بنو زهير
ان يسقوا اباهم الماء ، فاستسقاهم فمنعوه ، حتى نهك عطشا (وذلك ان
الماموم (٧٣) يخاف عليه الماء) ، حتى بلغ منه العطش ، فجعل يهتف :

— اميت انا عطشا (٧٤) !! ..

وينادى :

— يا ورقاء

وقال ابو حية ، فجعل ينادى :

— يا شأس (٧٥) .

فلما رأوا ذلك ، سقوه فمات لثالثة . فقال ورقاء بن زهير (*) :

(٧٢) رواية الاصمعي : — ان كنت صدقت فقد قتله .

(٧٣) الماموم : المصاب في ام راسه .

(٧٤) رواية الاصمعي : اموت عطشا ..

(٧٥) يكلم ولده المقتول في يوم منعج ، ليثير عطفهم فيسقوه .

(*) الاغانى : روى الثالث على الوجه الاتي :

فشلت يميني ان ضربت ابن جعفر . واحرزه مني الحديد المظاهر

قال ابو عبيدة وستمغت ابا عمرو بن العلاء ينشد هذا البيت فيها :

وشلت يميني يوم اضرب خالدا وشل بنالها وشل الخناصر

قال ابو عبيدة : وانشدني ابو سرار ايضا فيها : البيت حسب

روايته الاولى . والبيتان (٦) ، (٧) زيادة من ابن الاثير . وامالى
المرتضى : فياليت اني يوم ضربة خالد .

(١) رايت زهيرا تحت كل كل خالد
فاقبلت اسعى كالعجول (٧٦) ابادر

(٢) الى بطلين ينهضان كلاهما
يريدان نصل السيف والسيف نادر (٧٧)

(٣) فشلت يميني يوم اضرب خالدا
ويمنعه مني الحديد المظاهر

(٤) فياليت انى قبل ايام خالد
ويوم زهير لم تلدننى تماضر

(٥) لعمرى لقد بشرت بى اذ ولدتنى
فماذا الذى ردت عليك البشائر

(٦) فطر خالد ان ان كنت تستطيع طيرة
ولا تقعن الا وقلبك حاذر

(٧) ابتك المنيا ان بقيت بضربة
تفارق منها العيش والموت حاضر

(٧٦) -العجول من النساء او الابل : الوالدة التي فقدت ولدها ،
او الثكلى : قيل لها ذلك لعجلتها في جيئتها وذهوبها جزعا .

(٧٧) هذا البيت من رواية الاصمعي ، وهو منسوب لمعقر البارقي
في يوم جبلة من ايام داخس من قصيدة مطلعها :

امن آل شعناء الحمول البواكر مع الليل ام زالت قبيل الابعر

وقال خالد بن جعفر يمن على هوازن بقتله زهيرا ، ويصدق
الحديث . قال ابو عبيدة : انشدني مالك بن عامر بن عبدالله بن بشر
بن عامر بن ملاعب الاسنة (٧٨) :

بل كيف تكفرني هوازن بعدما
اعتقهم فتوالدوا الحرارا

وقلت ربهم زهيرا بعدما
جدع الانوف واكثر الاوتارا

وجعلت مهر بناتهم ودياتهم
عقل الملوك هجائنا وبكارا (٧٩)

وجعلت حزن بلادهم وجبالهم
ارضا فضاء سهلة وعشارا

قال ابو عبيدة : الا ترى انه ذكر في شعره ، ان زهيرا كان
ربهم ، وقد كان جدعهم ، وانه قتله من اجلهم ، لا من اجل غنى ، وان
غنيا ليسوا من ذلك في ذكر ، ولا لهم فيه معنى .

(٧٨) البيت الرابع في الاغاني زيادة على ما في العقد ، والاول
مطلعه في ابن الاثير ، ابلغ هوازن كيف تكفر بعدما ... البيت . والاول
في شرح التبريزي لديوان الحماسة ٥٦/٣ والابيات في البغدادي
٣٧٨/٤ مع اختلاف بسيط في رواية بعض الكلمات .

(٧٩) في الاغاني : ابكارا . والهجائن : الابل البيض الكرام .
والبكار جمع بكر وهي الناقة التي ولدت بطنا واحدا .

وقال ورقاء بن زهير (٨٠) :

اما كلاب فانا لانستالهما
حتى يسالم ذئب الثلة الراعى

بنو جذيمة حاموا حول سيدهم
الا اسيدا نجا اذ ثوب الداعى

وقال خالد بن جعفر :

هل كان سر زهيرا يوم وقعتنا بالرمث لو لم يكن شأس له ولدا

وقال ورقاء بن زهير يرثي اياه :

اردوا فوارس منا سادة حشدا يوم الرميثة بين القف والقاع

(٨٠) الثلة بالفتح الجماعة من الغنم ، وبالضم الجماعة من الناس .
هذه رواية ابي عبيدة ، بعدها ينتقل ابو الفرج الى رواية الاصمعي .
وابيات الفرزدق في النقائض ٣٨٤ .

قال : ثم نعى الفرزدق على بني عيس ضربة ورقاء خالدا ، واعتذر
بها الى سليمان بن عبد الملك فقال :

ان يك سيف خان او قسطنطين
لتأخير نفس حتفها غير شاهد

فستيف بني عيس وقد ضربوا به
نبا بيدي ورقاء عن رأس خالد

كذلك سيوف الهند تبعدو ظباتها
وتقطع احيانا مناط القلائد

ولو شئت قد السيف ما بين عنقه
الى علق تحت الشراسيف جامد

قال : وكان ضلع بني عيس مع جرير .

يوم يعن عاقل (٨١) :

قال ابو عبيدة :

فكان الذي هاج من الامر بين الخارث بن ظالم (٨٢) ، وخالد بن جعفر ، ان خالد بن جعفر ، اغار على رهط الخارث بن ظالم ، من بني يربوع بن غيظ بن مرة (٨٣) ، وهم في واد يقال له حراض (٨٤) ، فقتل الرجل حتى اسرع ، والخارث يومئذ غلام ، وبقيت النساء .

(٨١) يتفرد ابو الفرج برواية ابي عبيدة ، واورد ابن عبد ربه جزءا منها ، ونص على ذلك ، اما الآخرون فيخلطون بين روايات : الضبي والاصمعي وابن الكلبي . والواقع ان جميع الروايات متشابهة لانهم يروون من مصدر واحد ، والاختلاف في حروف الرواية احيانا . وانظر الخبر ايضا في الفاخر للمفضل بن سلمة ١٦٥ وهو من سلسلة الاحداث الملحمية المفقودة من هذا اليوم الكبير ، وقد سبق ان مر بنا يوم آخر هو يوم ساق لم نعلم من امره شيئا ايضا ، وسرد في الابيات القادمة .

(٨٢) ظالم . نبات ، وقد يراد المعنى المشتق من الظلم .

(٨٣) مرة : نبتة . والجمع مر . صمغة تعرف في جزيرة سقطري ، انظر كتاب الدينوري النبات مادة ١٠١١ .

(٨٤) هذا يوم حراض ، ولا نعلم من امره شيئا .

وقد ذكره تحت المثل (من يشتري سيفي وهذا اثره) وهذا عجز بيت للخارث ، صدره :

انا ابو ليلي وسيفي الملوب من يشتري سيفي وهذا اثره

انظر البيت في ضميمه لبيات في مجموعته الشعرية ص ٣٥٥ في مجلة كلية الاداب - بغداد - العدد ١٥ .

وزعموا ان ظالما هلك فى تلك الوقعة ، من جراحة اصابته يومئذ ،
وكانت نساء بني ذبيان لا يحلبن النعم ، فلما بقين بغير رجال ، طفقن
يدعون الحارث ، فيشد عصاب الناقة ، ثم يحلبنها ، ويكيّن رجالهن ،
ويكي الحارث معهن ، فنشأ على بغض خالد .
واردف ذلك قتل خالد ، زهير بن جذيمة^(٨٥) ، فاستحق العداوة
فى غطفان ، فقال خالد بن جعفر فى تلك الوقعة :

تركت نساء يربوع بن غيظ
ارامل يشتكين الى وليد

يقلن لحارث جزعا عليه
لك الخيرات مالك لاتسود^(٨٦)

تركت بنى جذيمة فى مكر
ونصرا قد تركت لدى الشهود

ومنى سوف تاتي قارعات
تبيد المخزيات ولا تبيد

وقيس ابن^(٨٧) الممارك غادرته
قناتى فى فوارس كالاسود

(٨٥) فى يوم النفراوات قبله .

(٨٦) هنا اقواء ، اختلفت حركة الروى من الكسر الى الرفع ،
والاقوم ية بين هاتين الحركتين : الرفع والكسر فقط . والابيات
سبقت روايتها فى يوم النفراوات . اختلاف فى الرواية ، مع ان
الرواية واحد ، وهو ابو عبيدة .

(٨٧) فى الرواية السابقة : (فى) بدل (ابن) ، وهو قيس بن زهير .

وحلت بركها بينى جحاش

وقد مدوا اليها من بعيد

وحى بنى سيع يوم ساق

تركناهم كجارية ويد

فمكث خالد بن جعفر برهة من دهر ، حتى كان من امره وامر
زهير بن جذيمة ما كان ، وخالد يومئذ راس هوازن . فلما استحق
عداوة بنى عبس وذبيان ، اتى النعمان بن المنذر^(٨٨) ، ملك الحيرة ،
لينظر ما قدره عنده . واثاه بفرس ، فالفى عنده الحارث بن ظالم ،
قد اهدى له فرسا فقال :

— ابيت اللعن^(٨٩) نعم صباحك واهلى فداؤك ، هذا فرس من
خيل بني مرة ، فلن تؤتى بفرس يشق غباره . ان لم تنسبه اتسب ،
كنت ارتبطته لغزوا بنىء امر بن صعصعة ، فلما اكرمت خالدا اهديته
اليك .

(٨٨) ابن الاثير : النعمان بن امرىء القيس ، ويقال الاسود بن

المنذر .

(٨٩) ابيت اللعن : تحية كان يحيى بها ملوك العرب في الجاهلية ،
وقد حرمها الاسلام ، كما حرم تحية : نعم صباحا . وهما ليستا بكفر
في ظاهرهما . لكن هما في اصلهما من تحيات الوثنيين ، ولسنا نعلم
اصلهما في الاستعمال لنعرف جيدا لماذا وكيف جاء هذا التحريم .

وفام الربيع بن زياد العبسي (٩٠) فقبال :
- ايتر اللعين ، نعم صباحك ، واهلي فداؤك ، هذا فرس من
خيل بني عامر ، ارتبطت اياه عشرين سنة ، لم يخفق في غزوه ، ولم
يمتلك في سفر . وفضله على هذين الفرسين ، كفضل بني عامر على
غيرهم .

قال : فغضب النعمان عند ذلك وقال :
- يامعشر قيس ، اري خيركم اشباها . اين اللواتي كان اذناها
شقاق اعلام ، وكان عيونها بغايا النساء ، دقاق المستطعم ، تعالك اللحم
في اشداقها ، تدور على مذاودها ، كانما يقظمن حصى .

قال خالد :
- زعم الحارث ، ايت اللعن ، ان تلك الخيل خيل آبائه .
فغضب النعمان عند ذلك على الحارث بن ظالم ، فلما امسوا
اجتمعوا عند قينة من اهل الحيرة ، يقال لها بنت عفرز ، فقال خالد
تغنى :

(٩٠) لعله يريد خالد بن جعفر فلا علاقة للربيع هنا ، يؤيده
قول خالد بعدئذ .

مسألة غريبة ان يمتلح الربيع بن زياد العبسي بني عامر ، وبينهم
حساء الموت ، ويجب ان يكون في الرواية خطأ ، واحسبه في الاسم ،
حيث وضع الناسخ اسم الربيع مكان خالد بن جعفر . وهو ترجيح
تؤيده السطور القادمة من الخبر نفسه ، ما يبدو ان الاسم مقحم سهوا
من ناسخه . وهذا السهو مبعثه رواية مشابهة تحكى عداء الربيع لخالد
ابن جعفر والعامر بن لذي الملك النعمان ايضا ، وكانت للبيد فيه وقفة
شعرية ، وهو صبي يومئذ ، وذلك في يوم « فاثور » .

دار لهند والرباب وفرتنى وليس قبل حوادث الايام (٩١)
وهن خالات الحارث بن ظالم (٩٢) ، فغضب الحارث بن ظالم ، حتى
امتلا غيظا وغضبا • وقال :
— ما تزال تتبع اولى بآخرة •

ثم ان النعمان بن المنذر (٩٣) ، دعاهم بعد ذلك ، وقدم لهم تمرا ،
فطفق خالد بن جعفر ، ياكل ويلقى نوى ما يأكل من التمر بين يدي
الحارث • فلما فرغ القوم ، قال خالد بن جعفر :
— اييت اللعن ، انظر الى ما بين يدي الحارث بن ظالم من النوى •
ما ترك لنا تمرا الا اكله •

فقال الحارث :
— اما انا فاكلت التمر والقيت النوى ، واما انت فاكلته بنواه •
فغضب خالد ، وكان لا ينازع • فقال :
— اتنازعنى يا حارث ، وقد قتلت حاضرتك ، وتركتك يتيما فى
حجور النساء •
فقال الحارث :
— ذلك يوم لم اشهده • وانا مفن اليوم بمكاني •

(٩١) البيت لامرئ القيس • وهو فى ديوانه ١١٤ وانظر حرب
داحس والغبراء حيث وردت هذه القصة بين قيس بن زهير وبين حليقة
ابن بدر •
(٩٢) انظر (الحارث بن ظالم) فى مجلة كلية الاداب ببغداد العدد
١٥ ص ٣٥٥ حيث ورد تعليق على هذا البيت وخبره •
(٩٣) ويروى : الاسود بن المنذر •
— ٤٨٩ —

قال خالد :
- فهلا تشكر لي ، اذ قتلت زهير بن جذيمة ، وجعلتك سيد
غطفان .

قال :
- بلى ، اشكرك على ذلك (٩٤) .
فخرج الحارث بن ظالم الى بنت عفرز ، فشرب عندها ، وقال
لها تغنى : (٩٥)
تعلم اييت اللعن اني فاتك
من اليوم او من بعده بابن جعفر

اخالد قد نبهتني غير نائم
فلا تأمنن فتكى يد الدهر واحذر

(٩٤) قال في الفاخر : فلما رأى خالد اقبال النعمان على الحارث
غاضه ، فقال :
- يا ابا ليلى الا تشكرني ؟
فقال :
- فيم ذا ؟!
قال :

- قتلت زهيرا فصرت بعده سيد غطفان .
وفي يد الحارث تمرات ، فاضطربت يده ، وجعل يردد ويقول :
- ا انت قتلته ؟!
والتمر يسقط من يده . ونظر النعمان الى ما به من الزمع ،
فنخص خالد بقضيبه ، وقال :
- هذا يقتلك ..
(٩٥) انظر الابيات وتخريجها في مجموعته الشعرية في المصدر
السابق .

اعيرتني ان نلت منا فوارسا
 غداة حراض مثل جنان عقرر
 اصابهم الدهر الختور بخرقة
 ومن لايق الله الحوادث يعثر
 فملك يوما ان تنوء بضربة
 بكف فتى من قومه غير جيدر
 يفص بها عليا هوازن ، والمنى
 لقاء أبي جزء بايضا مبتر
 فبلغ خالد بن جعفر قوله ، فلم يحفل به . فقال عبد الله بن
 جعدة ، وهو ابن اخت خالد ، وكان رجل قيس رآيا ، لابنه :
 - يا بني ائت ابا جزء فاخبره ان الحارث بن ظالم ، سفيه موتور ،
 فأخف مبيتك الليلة ، فانه قد غلبه الشراب . فان ابيت فاجعل بينك
 وبينه رجلا ليحرسك .
 فوضعوا رجلا بازائه ، ونام ابن جعدة دون الرجل ، وخالد من
 خلف الرجل . وعرف ان ابن عتبة (٩٦) ، وابن جعدة ، يحرسان خالدا .
 فاقبل الحارث ، فانتهى الى ابن جعدة ، فتعداه ، ومضى الى الرجل ،
 فعجنه بكللكه ، حتى كسره ، وجعل يكدمه لايقل ، فخلى عنه ،
 والرجل تحته ، ومضى الى خالد وهو نائم ، فضربه بالسيف حتى قتله ،
 فقال لعروة :

(٩٦) هو عروة الرحال بن عتبة بن جعفر (له خبر طويل في ايام
 الفجار) وكان ممن يفد على الملوك ، وقتله البراض في اليوم المذكور .

— اخبر الناس ، انى قتلت خالد (٩٦) . —

وقال فى ذلك (٩٧) :

الا سائل النعمان ان كنت سائلا
وحى كلاب هل فتكت بخالده !؟

عشوت عليه وابن جعدة دونه
وعروة يكلأ عمه غير راقد

وقد نصبا رجلا فباشرت جوزه
بكل كل مخشى العداوة حارد

فاضربه بالسيف يافوخ راسه
فصمم حتى نال نوط القلائد

وافلت عبد الله منى بذرة
وعروة من بعد ابن جعدة شاهدى

وفى ذلك يقول عبد الله بن جعدة يرثى خالد بن جعفر

شقت عليك العامرية جيها
اسفا وما تبكى عليك ضللا

يا حار لو نبهته لوجدته
لا طائشا رعشا ولا معزالا

(*) العقد الفريد : وزعم ابو عبيدة انه لم يشعر به حتى اتى
خالدا ، وهو نائم ، فقتله .
(٩٧) انظر مجموعته الشعرية ٣٧٩ .

واغرورقت عيناى لما اخبرت
بـالجعفرى واسبلت اسبالا
فلنقتلن بخالد سرواتكم
ولتجعلن للظالمين نكالا
فاذا رايتم عارضا متهللا
مننا فانا لا نحاول مالا

فاجابه الحارث بن ظالم :
بالله قد نبهته فوجدته
رخو اليدين مواكلا عسقالا
فعلوته بالسيف أضرب رأسه
حتى أضل بسنجه الشربالا
فلما ابت غطفان ان تجيره ، غضبت لذلك بو عبس ، وبعث اليه
قيس بن زهير بن جذيمة بهذه الايات (٩٨) :
جزاك الله خيرا من خليل
شفي من ذى ثبولته (٩٩) الخيلا
ازحت بها جوى ودخل نفس
تفخخ اعظمى زمنا طويلا

(٩٨) والايات في ابن الاثير ايضا ونهاية الارب ٣٤٩/١٥ وقيس
بن زهير بطل يوم داحس والغبراء .
انظر ابن الاثير ومجموعة الحارث الشعرية ٣٨١ .
(٩٩) مجموعة الشعرية ص ٤٣ .
(٩٩) التبولة جمع تبل : الثار .
٤٩٣ -

كسوت الجعفرى ابا جزى^٥
ولم تحفل به سيفاً صقيلاً

أبأت به زهير بنى بغيض^٥
وكنتم لمثلها ولها حمولا

كشفت له القناع وكنتم ممن
يجلّى العار والامر الجليلاً

فاجابه الحارث بن ظالم (١٠٠) :

اتانى عن قيس بنى زهير
مقالة كاذب ذكر التبولا

فلو كنتم كما قلتم لكنتم
لقاتل ثاركم حرزا اصيلاً

ولكن قلتم جاورة سوانا
فقد جللتنا حدثاً جليلاً

ولو كانوا هم قتلوا اخاكم
لما طردوا الذى قتل القتيلاً

(١٠٠) مجموعته الشعرية ٣٧٩ وجاء في الفاخر (ان سبب الخصومة بين الحارث وبين قيس بن زهير ترجع الى نهوض الحارث للثأر من خالد بن جعفر لانه قتل ظالماً اباه وزهيراً عمه ، ونهض قيس معه لمحاربة العامريين ، لكن الشتاء قد هجم ، فقال الحارث بن ظالم : (يا قيس انتم اعلم وحربكم ، فاني راحل الى خالد حتى اقتله) فقال له قيس : يا حارث قد اجاره النعمان . فقال الحارث : لاقتلنه ولو كان في حجره .

يوم رحرحان الثاني (*) :

واما (١٠١) رحرحان الثاني ، فان الحارث بن ظالم ، لما قتل خالد

(*) النقائض ٢٢٦ ، ١٠٦٠ (ط. اوربا) والنقائض ٢١٣ (ط.

الصاوي) . والعقد ١٣٩/٥ .

(١٠١) واما يوم رحرحان الاول . قال ابو عبيدة : وكان من

حديث رحرحان اول وثنان ، وهي ارض قريبة من عكاظ ، ان يثربي بن
عدي بن زيد بن عبدالله بن دارم ، غزا بني عامر بن صعصعة ، وعلى
بني عامر يومئذ الاحوص بن جعفر ، فالتقوا ، فاقتتلوا ، فقتل من بني
عامر قريظ بن عبدالله بن ابي بكر بن كلاب ، وقتل يثربي يومئذ .
فرغموا ان انسى بن خالد بن جعفر يومئذ ، كان يحمل ويقاثل قتالا
شديدا ، حتى يميل على شق فرسه ، فجعل يتعلق في جنبها ، فيجىء
رجل من غنى ، فيرفعه فيقول : استمسك ، بابي انت وامي .

وما هو يومئذ الا غلام ، فسمي البطان .

واما رحرحان الثاني . . «ثم يبدأ برواية اليوم» كذا في النقائض.

ووجدت في الاغانى ٢١/٥ رواية ليوم رحرحان ، وهو يوم ثالث قال :
فكان الطماح الحنفي ، اغار في بني حنيفة ، وبني قيس بن ثعلبة ،
على بني الحريش بن كعب ، وبني عبادة بن عقيل ، وطوائف من بني
عبس ، يقال لهم بنو حديقة « وهو تصحيف ، فهو اما جديمة او خريمة ،
يؤيد ذلك ما جاء في بعض نسخ الاغانى وفق ما ذكرنا ، كما ذكر المحقق
في الهامش » فركبت بنو جمدة وبني ابي بكر بن كلاب ، ولم يشهد
ذلك اليوم من بني كلاب ، غير بني ابي بكر ، فادركوا الطماح من يومهم ،
فاستنقدوا ما اخذه واصابوا ما كان معه ، وقتلوا عددا من اصحابه ،
وهزموهم .

وهذا اليوم ، اي رحرحان الثاني ، يسمى ايضا « يوم المصيفة »

قال المخبل السعدي :

فيومك فيهم بالمصيفة ابرد
وشاط بايديهم لقيط ومعبد

فان لك نالتنا كليب بكرة
هم قتلوا يوم المصيفة مالكا
الافاني ١٣٠/١١ .

ابن جعفر غدرا (١٠٢) عند النعمان بن المنذر بالحيزة ، هرب فأتى زرارة
بن عدس ، فكان عنده ، وكان قوم الحارث قد تشاء موايه ولا موه ،
فكره ان يكون لقومه زعم عليه ، فلم يزل في بني تميم ، عند زرارة ،
حتى لحق بقريش ، وكان يقال ان مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان ، هو
مرة بن كعب بن لؤى بن غالب ، وهو قول الحارث بن ظالم حيث انتهى
الى قریش (١٠٣) :

رفعت السيف اذ قالوا قریش
وبينت الشمال والقبابا
فما قومي بشعبة بن سعد
ولا بفزارة الشعر الرقابا

فأتاهم لذلك النسب •
فكان عند عبد الله بن جعدعان ، فخرجت بنو عامر يريدون
الحارث بن ظالم ، حيث التجأ الى زرارة ، وعليهم الاحوص • فاصابوا
امراة من بني تميم ، وجدوها تحتطب ، وكان في رأس الخيل التي
خرجت في طلب الحارث ، شريح بن الاحوص ، واصابوا غلمانا ،

(١٠٢) انظر في معنى الغدر والفتك والفيلة ، ومسألة التفريق
بينهما ، مقدمة المجموعة الشعرية للحارث بن ظالم المنشورة في مجلة
كلية الاداب - ببغداد العدد ١٥ ص ٣٤٥ •

(١٠٣) انظر شرح ابن الانباري للمفضليات ٦١٨ واقوال شراح
الشعر والنسابين في هذه المسألة ، والبيتان في مفضلية عدتها اربعة
وعشرون بيتا ، وهي ايضا في منتهى الطلب (مخطوطة رقم ٥٣ شس
ادب بدار الكتب المصرية ، الورقة ١٤٤) وانظر مجموعة الحارث الشعرية
ص ٣٧١ •

يجتنون الكمأة • وكان الذي اصاب تلك المرأة رجلا من غنى ، فارادت
بنو عامر اخذها منه ، فقال الاحوص :
— لا تأخذوا اخيذة خالي •

وكانت ام بني جعفر ، (يعنى ابا الاحوص)^(١٠٤) خيبة بنت رياح
الغنوى ، وهى احدى المنجيات^(١٠٥) • ويقال ان شريح بن الاحوص ،
اتى بتلك المرأة اليه ، فسألها عن بني تميم ، فأخبرته انهم لحقوا
بقومهم ، حين بلغهم مجيئكم ، فدفعها الاحوص بن جعفر الى الغنوى ،
وقال :

— اكفتها^(١٠٦) الليلة ، واياك ان تفلت •

فوطئها الغنوى ، ثم نام ، فذهبت على وجهها •

فلما اصبح ، دعوا بها فوجدوها قد ذهبت ، فسألوه عنها ، فقال :
— عهدي بها والمني يقطر من فرجها^(١٠٧) •

وكانت المرأة ابنة اخي زرارة بن عدس ، يقال لها حنطة ، فأت

(١٠٤) زيادة من الاغاني •

(١٠٥) كان العرب يطلقون اسم « المنجيات » على الامهات اللواتي
يلدن ذكورا تسمو بهم بيوتهم ، وتعز بشهرتهم قبائلهم ، ومنهن فاطمة
بنت الخرشب او الكلمة من عبس ، خبرهم سيأتي •

(١٠٦) الاغاني : « اعفجها » اي انكحها •

(١٠٧) هذه رواية الموضع الثاني • اما الرواية الاولى : « هذا
حري رطب من زبها » وهو جواب كان الرواية تعمده لتدل على ضعف
في عقل القائل او انه احمق ، لان الحري للانشى والزب للذكر وبخاصة
الانسان •

قومها ، فسألها عما زرارة ، عما رأت ، فلم تستطع ان تنطق ، فقال بعضهم :

— اسقوها ماء حارا ، فان قلبها قد برد من الفرق •
ففعّلوا ، ثم تركوها ، حتى اطمأنت من الفرق ، فقالت :
— يا عم ، أخذني القوم امس ، وهم فيما اري يريدونكم ، فاحذر
انت وقومك •

فقال :

— لا بأس عليك يا ابنة اخي ، فلا تدعري قومك ، ولا تروعيهم ،
واخبريني ما هيئة القوم ، وما نعتهم •

قالت :

— أخذني قوم يقبلون بوجوه الظباء ، ويدبرون باعجاز النساء •

قال زرارة :

— هؤلاء بنو عامر • فمن رأيت فيهم ؟

قالت :

— رأيت رجلا قد سقط حاجباه على عينيه ، فهو يرفع حاجبيه ،
صغير العينين ، عن امره يصدرون •

قال :

— ذلك الاحوص بن جعفر •

قالت :

— ورأيت رجلا قليل المنطق ، اذا تكلم اجتمع القوم لمنطقه ، كما

تجتمع الابل لفعلها ، وهو من احسن الناس وجها ، ومعه ابنان له ،
لا يدبر ابدا الا كانا يتبعانه ولا يقبل الا وهما بين يديه .
قال :

— ذلك مالك بن جعفر ، وابناه : عامر وطفييل .
قالت :

— ورأيت رجلا ابيض هلقامة (والهلقامة : افوه) (١٠٨) جسيما :
قال :

— ذلك ربيعة بن عبدالله بن ابي بكر بن كلاب .
قالت :

— ورأيت رجلا اسود ، أخنس ، قصيرا ، اذا تكلم عذم القوم
عذم المنخوس (١٠٩) .
قال :

— ذلك ربيعة بن قرط بن عبد بن ابي بكر بن كلاب .
قالت :

— ورأيت رجلا صغير العينين ، اقرن الحاجبين ، كثير شعر السبلة
يسيل لعابه على لحيته ، اذا تكلم .
قال :

— ذلك حدج بن البكاء .
قالت :

(١٠٨) زيادة من الاغاني .

(١٠٩) عذمهم : لامهم ، واخذهم بلسانه . واصله ان يعض الفرس

اللجام اذا نخسوه .

— ورأيت رجلا صغير العينين ، ضيق الجبهة ، طويلا يقود فرسا
له معه جفير لا يجاوز يده •

قال :

— ذلك ربيعة بن عقيل •

قالت :

— ورأيت رجلا آدم ، معه ابنان له حسنا الوجه (١١٠) ، اصهبان ،
اذا اقبلا نظر القوم اليهما حتى ينتهيا ، واذا ادبرا اتبعهما القوم
بابصارهم (١١١) •

قال :

— ذلك عمرو بن خويلد بن ثعلب بن عمرو بن كلاب ، وابناه :
يزيد وزرعة •

ويقال قالت :

— ورأيت فيهم رجلين احمرين ، جسيمين ذوي غدائر ، لا يفترقان
في مشى ولا مجلس ، واذا ادبرا اتبعهما القوم بابصارهم ، واذا
اقبلا ، لم يزالوا ينظرون اليهما حتى يجلسا •

قال :

— ذلك خويلد وخالد ابنا ثعلب •

قالت :

— ورأيت رجلا آدم جسيما ، كان رأسه مجز غضورة (١١٢) •

(١١٠) وفي رواية : الاوجه • وما اثبتناه عن الاغاني •

(١١١) رواية الاغاني • واما غيرها : واذا ادبرا نظروا اليهما •

(١١٢) الغضورة : حشيش دقاق خشن قائم يكون بمكة • تريد

ان شعره قائم خشن كأنه حشيش قد جز •

• تريد كان شعره كالحشيش
قال :

— ذلك عوف بن الاحوص •
قالت :

— ورأيت رجلا اشم ، طويلا ، يجول في القوم كأنه غريب •
قال :

— ذلك عبدالله بن جعدة •
ويقال ، قالت :

— رأيت رجلا كثير شعر الرأس ، صخابا ، لا يدع طائفة من
القوم الا اصخبها •

قال :

— ذلك عبدالله بن جعدة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة •
فدعا حاجب الحارث بن ظالم فاخبره برأيه وخبر القوم وقال :

— يا ابن ظالم ، هؤلاء بنو عامر قد اتوك ، فما انت صانع ؟

قال الحارث :

— ذلك اليك ، ان شئت اقمته ، فقاتلت القسوم ، وان شئت

تحتيت •

قال حاجب :

— تنح عني غير ملوم •

فغضب الحارث من ذلك وقال :

(١١٣) الابيات في مجموعته الشعرية ٣٨٧ •

لعمري لقد جاورت في حي وائل
ومن وائل جاورت في حي تغلب

فاصبحت في حي الارقم لم يقل
لي القوم يا حار بن ظالم اذهب

وقد كان ظني اذ عقلت اليك
بني عدس ظني باصحاب يثرب

غداة اتاهم تبع في جنوده
فلم يسلموا المرين في حي يحصب

فان تك في عليا هوازن شوكة
تخاف فقيكم حد ناب ومخلب

وان يمنع المرء الزراري جواره
فاعجب بها من حاجب ثم اعجب

فغضب حاجب فقال :

لعمرو اييك الخير يا حار اني
لامنع جارا من كليب بن وائل

وقد علم الحي المعدي اننا
على ذاك كنا في الخطوب الاوائل

وانا اذا ما خاف جار ظلامه
لبسنا له ثوبي وفاء ونائل

وان تميما لم تحارب قبيلة
من الناس الا اوقعت بالكواهل

ولو حاربتنا عامر يا ابن ظالم
لعضت علينا الامر بالانامل

ولاستيقنت عليا هوازن اتنا
سنوطئهما في دارها بالقنابل

ولكنني لا ابعث الحرب ظالما
ولو هجتها لم ألف شحمة اكمل

فقال عامر بن مالك يرد على حاجب بن زرارة :

الكنى الى المرء الزراري حاجب
رئيس تميم في الخطوب الاوائل

وفارسها في كل يوم كريهة
وخير تميم بين حاف وناعل

لعمري لقد دافعت عن حي مالك
شأيب عن حرب تلقح حائل

على كل جرداء السراة طمرة
واجرد جنوار العنان مناقل

نصحت له اذا قلت ان كنت لاحقا
بقوم فلا تعدل بابناء وائل

ولو الجأته عصبة تغلية
لسرنا اليها بالقنا والقنابل

ولو رمتهم ان يمنعوه رايتهم
هناك امورا غبها غير طائل

لشباب وليد الحى قبل مشيه
وعضت تميم كلما بالانامل

وقامت رجال منكم خندفية
ينادون جهرا ليتنا لم نقاتل-

وقال لقيط بن زرارة يوم خذله تميم على ايواء الحارث بن
ظالم :

فاما نهشل وبنو ققيم
فلم يصبر لنا منهم صبور

فان تعد طهية فى امرر
تجدها ثم ليس لها نصير

ويربوع باسفل ذى طلوح
وعمرو لاتحل ولا تسير
اسيد والهجوم لها حصاص(*)
واقوام من الجعراء عور(**)

(*) الحصاص بالضم شدة العدو في سرعة . والحصاص :
الصراط .

(**) الجعراء : بنو العنبر بن عمرو بن تميم (نقائض ٣٠٧) .

واسلمنا قبائل من تميم
لها عدد اذا حسبوا كثير

واما الاثمان : بنو عدي
وتيم اذا تلبرت الامور

فلا تنعم بهم فتیان حرب
اذا ما الحى صبحهم نذير

اذا ذهبتم رماحهم بزيد
فان رماح تيم لا تضير(*)

فتتحى الحارث بن ظالم عن بنى زرارة ، فلحق بعروض اليمامة ،
ودعا معبدا ولقيطا ابني زرارة ، فقال :

سيرا فى الظعن ، فموعدكما رحرحان ، فانا مقيمون فى حامية
الخيـل حتى تأتينا بنو عامر •

وخرج عامر بن مالك الى قومه بالخبر ، فقالوا :
— ماترى ؟

قال :

— ان تدعهم بمكانهم ونسبهم الى الظعن •
فلقوها برحرحان ، فاقتتلوا قتالا شديدا (١١٥) وفيهم يومئذ

(*) العقد الفريد ١٣٩/٥ وانظر النقائص ايضا ٣٠٧

(١١٥) زيادة من الاغانى •

الحارث بن ظالم ، فقاتل في القوم ، فلم يذكر منه بلاء يومئذ (١١٦) .
فتفرقت بنو درام ، وهرب معبد بن زرارة ، فقال رجل من غني
(يقال له ابو عميلة وهو عصمة بن وهب ، وكان اخا طفيل في
الرضاعة) (١١٧) لعامر والطفيل ابني مالك بن جعفر بن كلاب :

— هذا رجل معلم بسب احمر يستدمي ، يطأطيء رأسه ،
قدمه يسيل ، رايته يسند في الهضبة (١١٨) .

وكان معبد طعن طعنة في كدرة الخيل ، اي دفعتها ، فصرع ، فلما
اجلت عنه الخيل سند في هضبة من رحرحان ، ورحرحان جبل (١١٩) ،
فقال عامر والطفيل للغنوي :

— اسند فاحدره .

فسند الغنوي فحدره عليهما ، فاذا معبد بن زرارة ، فاثابا الغنوي
عشرين بكرة ، ثوابا له من معبد ، فكان اسيرهما .
واما درواس بن هني ، ويقال هني ، وبياءين وكسر الهاء ، احد
بنى زرارة ، فزعم ان معبد كان معتزلا ومعناه متتجيا عن قومه ، فسي
عشروات له فاخبر الاحوص بمكانه ، فاغتره .

(١١٦) كذا في النقائض والاغاني ، وهذا يناقض عبارته المتقدمة
قبل اسطر بانه تنحى عنهم فلحق بعروض اليمامة ، ولعلها رواية
اخرى .

(١١٧) زيادة من الموضع الثاني من الاغاني .

(١١٨) اصل السب : الخمار . وهو العمامة ها هنا . ويستدمي :

اي به جرح .

(١١٩) يلاحظ في اول هامش من يوم رحرحان ان المؤلف ذكر

بان رحرحان يومان ، اول وثنان ، وبان رحرحان ارض قريبة من عكاظ .

فوفد لقيط بن زرارة على عامر عامر بن مالك ، في الشهر الحرام ،
وهو رجب ، وكانت مضر تدعوه الاصم ، وانما سمي الاصم لانهم
لم يكونوا يتنادون فيه (يالفلان ويالفلان ، ولا يتغازون) (١٢٠) ، ولا
يتنادون بالشعارات ، وهو منصل الال ، ولال الاسنة ، وكانوا
ينصلونها فيه من الرماح ، حتى يخرج . فقال :

— لكم عندي ما ثتا بعير .

فقال :

— انك يا ابا نهشل سيد الناس ، واخوك معبد سيد مضر ، فلا
تقبل منك فداءه ، الا دية ملك .

فأبى ان يزيدهم . وقال :

— ان ابانا كان اوصانا ان لانزيد لاسير منا على ما آتني بعير ،
فيحب الناس اخذنا .

فقال معبد :

— والله لقد كنت ابغض اخوتي الى وفادة على ، لا تسعي ،
ويلك ، يالقيط فوالله ان غيب نعمي من المنح والفقر (١٢١) لاكثر من
الف بعير ، فافدني بالف بعير من مالي .

فقال لقيط :

— ما انا بمنط (١٢٢) عنك شيئا يكون على اهل بيتك سنة

(١٢٠) زيادة من رواية الاغانى .

(١٢١) اصطلاحان لنوع من الابل تعار ، او لا ينقطع لبنها بسرعة .

(١٢٢) لغة في اعطى اي بمعط . سبق الاشارة اليها في يوم منعج .
وهي اليوم في اللهجات العامية البغدادية .

سبكا (١٢٣) ، ويسرب (١٢٢) له الناس بنا .

فقال معبد :

— ويلك يا لقيط ، لا تدعني فلا تراني بعد اليوم ابدا .

فأبى لقيط ، ومنى معبدا ان يستنقذه ، ويفزوهم .
واما بنو ثعلبة العدوى ، ويقال ابو نعامة العدوى ، فقال :

قال معبد لآخيه لقيط :

— لا تردني الى مكاني الذي كنت فيه ، فهو لئن رددتني لاموتن .

فقال له لقيط :

— صبرا ابا القعقاع ، ان ابانا كان اوصانا ، ان لا تزيد بفداء
احد منا ، على فداء احد من قومنا (١٢٥) .

واما درواس فقال :

قال لقيط :

— فإين وصاة ايينا ان لا تؤكلوا العرب انفسكم ، ولا تزيدوا
بفدائكم على فداء رجل منكم ، فيدرب بكم ذؤبان العرب .

ورحل لقيط عن القوم ، فسقوا معبدا الماء ، وضاروه حتى هلك
هزلا .

(١٢٣) اي لازمة .

(١٢٤) يدرب : يعتاد .

(١٢٥) لكن حاجب بن زرارة في يوم جيلة فدى نفسه بفداء اكبر
من فداء الملوك ، وسيصلنا خبر هذا اليوم ضمن ايام داحس والغبراء .

فقال معبد لعامر بن مالك :

— انشدك الله الا خليت سبيلى ، فانما يريد ابن الحمراء ان ياكل
مالى • ولم تكن امه ام لقيط •

فقال له عامر :

— ابعذك الله ، ان لم يشفق عليك اخوك ، فاننا احق الا اشفق
عليك •

فعمدوا على معبد • فشدوا عليه القيد ، وبعثوا به الى رجل
بالطائف كان يعذب الاسرى ، فقطعه اربا حتى قتله •

فقال شريح بن الاخوص (٥٣٦) :

لقيط وانت امرؤ ماجد
ولكن حلمك لا يهتدى

ولما أمنت وساغ الشرا
ب واحتل بيتك في تهمسد
رفعت برجليك فوق الفراش تهدي القصائد في معبد
واسلمته عند جد القتا
ل وتبخل بالمال ان تفتدى

واما الوثيق ، فقال : لما ابى لقيط ان يفادى معبدا بالف بعير
ورجع عنهم ، ظنوا انهم سيغزوههم ، فقالوا :
— ضعوا معبدا فى حصن هوازن •

(١٢٦) النقائض والاغاني ١١/ ١٠٠ ، ١٢٨ •

فحملوه حتى وضعوه بالطائف • قال : فجعلوه اذا سقوه قراه
لم يشرب ، وضم بين فقميه ، وقال :
- أأقبل قراكم وانا فى القد اسيركم •

فلما رأوا ذلك عمدوا الى شظاظ ، فأولجوه فى فيه ، فشجبوا
به فاه ، ثم اوجروه اللبن ، رغبة فى فدائه ، وكراهية ان يهلك ،
فلم يزل حتى هلك فى القد •

فلما هجا لقيط عديا وتيما ، قال عوف بن عطية التيمى (٥٢٧) يعيره
اسر بنى عامر معبدا وفراره عنه :

(١) هلا فوارس رحران هجوتهم
عشرا تناوح فى سرارة واد

(٢) لا تاكل الابل الغرات نباته
ما ان يقوم عماده بعماد

اي هو اضعف العماد • ويروى : او لا يقوم ، ويروى : اذ
لا يقوم •

(٣) هلا كررت على ابن امك معبد
والعامري يقوده بصفاد

(٤) وذكرت من لبن المحلق شربة
والخيل تعدو بالصعيد بداد

(١٢٧) هو من تيم بنى تميم : عوف بن عطية بن الخرع التميمي ،
كان سيد قومه فى هذا اليوم • ذكر البغدادي ان له ديوانا صغيرا موجودا
منده (الخزانة ٨٣/٣) وانظر المرزبانى ٢٢٦ •

ويروى : وشربت ... والمحلق سمة ابل زرارة • قال ابو عبيدة :
وبقية القصيدة مصنوعة ، قوله : هلا كررت على ابن امك • وليس
امهما واحدة ، ولكن لهما امهات تجمعهما فوق ذلك •

(٥) لو كنت اذ ماتستطيع فديته

بهجان ادم طارف وتلاد

(٦) لكن تركته في عميق قعرها

جزرا لجيالة وطيير عوادي

(٧) لو كنت مستحيا لعرضك مرة

قاتلت او لفديت بالاذواد

يوم الغيرة (١٢٨) :

قال ابو عبيدة :

فلما قتل الحارث بن ظالم خالد بن جعفر في جوار الملك ، خرج
هاربا حتى اتى صديقا له من كنده ، يحل شعبي - شعبي غير
حتى اتى صديقا له من كنده ، يحل شعبي - شعبي غير
ممدود - فلما الح الاسود في طلب الحارث قال له الكندي :
- ما ارى لك نجاة الا ان الحقك ، بحضرموت ببلاد اليمن ، فلا
يوصل اليك •

فسار معه يوما وليلة ، فلما غربه قال :

— انني انقطع ببلاد اليمن فاعترب بها ، وقد برئت خفارتي •

فرجع حتى اتى ارض بكر بن وائل ، فلجأ الى بنى عجل بن
لجيم ، فنزل على زبان فجاره وضرب عليه قبة •

وفي ذلك يقول العجلي (*) :

ونحن منعنا بالرماح ابن ظالم فظل يغنى امنا فى خبائنا

قال ابو عبيدة : فجاءته بنو ذهل بن ثعلبة وبنو عمر بن شيبان
فقالوا :

— اخرج هذا المشئوم من بين اظهرنا ، لا يعرنا بشر ، فانا لا طاقة
لنا بالملحاء (والملحاء كتيبة الاسود) فابت عجل ان تخفزه (١٢٩) ، فقاتلوه
فامتنعت بنو عجل •

(١٢٨) رواه ابو الفرج الا انه لم يذكر اسم اليوم ، وذكره ابن عبد
ربه في العقد باسم « يوم الخربة » ، وياقوت في معجم البلدان مادة
« خربة » .

والرواية في الاغاني عن ابي عبيدة ، وكذلك في العقد وابن الاثير ،
لكن الاخيرين اوجزاها ايجازا مخلا ، مع انها كانا ينقلان من نفس
كتاب ابي عبيدة ، لذلك اعتمدنا رواية الاغاني ، واورنا الى مواضع
الاختلاف .

(*) زبان بن سيار العجلي •

(١٢٩) الاخفار : الغدر وتقض العهد •

فقال الحارث بن ظالم في الكندي وفيهم (١٣٠) :
يكتلني الكندي سير تنوفة اكابد فيها كل ذي صبة مشري

— الصبة : قطعة الغنم او بقية منها ..

واقبل دوني جمع ذهل كانتى

خلاة (١٣١) لذهل والزحائف من عمرو

ودوني ركب من لجيم مصمم

وزبان جارى والخفير على بكر

لعمرى لا اخشى ظلامة ظالم

وسعد بن عجل بمجموعى على نصرى

قال ابو عبيدة : ثم قال لهم الحارث :

انى قد اشتهر امرى فيكم ومكانى ، وانما راحل عنكم ..

فارتحل فلحق بطيء . فقال الحارث فى ذلك (١٣٢) :

لعمرى لقد حلت بى اليوم ناقتى

على ناصر من طيء غير خاذل

(١٣٠) انظر مجموعته الشعرية ص ٣٨٠ .

(١٣١) الخلاة النخيش الرطب : يريد انه ليس سهلا فيوء خذ .

(١٣٢) انظر تحقيق الابيات وتخريجها في مجموعته الشعرية ص ٣٨١ .

فأصبحت جارا للمجرة منهم
على باذخ يعلو على المتطاول

إذا اجأ لفت على شعابها
وسلمى فانى اقم من تناولي

قال ابو عبيدة : وحدثني ابو حية ان الاسود حين قتل العارث
خالدا سأل عن امر يبلغ منه .

فقال له عروة بن عتبة : ان له جارات من بلى بن عمرو ، ولا اراك
تنال منه شيئا اغيظ له من اخذهن واخذ اموالهن ، فبعث الاسود
فاخذهن واستاق اموالهن .

فبلغ ذلك العارث ، فخرج من الحين فانساب في غمار الناس
حتى عرف موضع جاراته ومرعى ابلهن ، فأتى فوجد حالبين يحلبان
ناقة لهن ، يقال لها : اللقاع ، وكانت لبونا كأغزر الابل ، اذ حلبت
اجترت ، ودمعت عيناها ، واصفت (١٣٣) برأسها ، وتفاجت (١٣٤) تفاج
البائل ، وهجمت في المحلب هجما حتى تسنمه (١٣٥) ، وتجاوبت
احاليها (١٣٦) بالشخب هشا (١٣٧) وهشما حتى تصف بين ثلاثة محالب .

(١٣٣) اصفت : دنت . وذهب محقق الاغاني ١٠٧/١١ هامش
(١) مذهبها بعيدا في تخريج هذا الفعل .

(١٣٤) اي باعدت بين رجليها .

(١٣٥) تسنمه تملؤه حتى يصير فوقه مثل السنام .

(١٣٦) الاحاليل جمع احليل : مخرج اللبن .

(١٣٧) اي اختلطت اصوات الحلب ، ولعل المقصود بهت وهشيم :
محاكاة اصوات الحلب .

فصاح الحارث بهما ورجز فقال (١٣٨) :

إذا سمعت حنة اللقاع
فادعى أبا ليلى ولا تراعى

ذلك راعيك فنعم الراعى
يجبك رجب الباع والذراع

منطقا بصارم قطاع
يفرى به مجامع الصداع

وتلك ذود الحارث الكساع
دعوت بالله فلا تراعى

(١٣٨) الأبيات من مجموعته الشعرية ص ٣٨٤ .
وأوردها المفضل الضبي في أمثال العرب ص ٤٩ على الوجه التالي:

أني سمعت حنة اللقاع
في النعم المقسم الأوزاع

ناقة ما وليدة جياع
أما إذا أجذبت الراعى

فإنها تجلب في الجماع
أما إذا إخصبت الراعى

فإنها تقي من النقاع
فادعى أبا ليلى ولا تراعى

ذلك راعيك فنعم الراعى
إلا يكن قام عليه ناعي

لا توءكلي العام ولا تضاعي
منتطقا بصارم قطاع

يفرى به مجامع الصداع

• خليا عنها : فعرفاه فضرط البائن •

فقال الحارث : « است الضارط اعلم » (١٣٩) فذهبت مثلاً •
— قال الاشرم : البائن الحالب الايمن ، والمستعلى الحالب

الايسر •

ثم عمد الى اموال جاراته والى جاراته فجمعهن ورد اموالهن ،
وسار معهن حتى اشتلاهن (اى اقلذهن) •

قال ابو عبيدة : ولحق الحارث ببلاد قومه مختفياً ، وكانت اخته
سلمى بنت ظالم عند سنان بن ابي حارثة المري •

وكان الاسود بن المنذر قد تبني سنان بن ابي حارثة المري ابنه
شرحبيل ، فكانت سلمى بنت كثير بن ربيعة من بني غنم بن دودان امرأة
سنان بن ابي حارثة المري وترضعه وهى ام هرم ، وكان هرم غنيا يقدر
على ما يعطى سائليه ، فجاء الحارث ، وقد كان اندس فى بلاد غطفان ،
فاستعار سرج سنان ، ولا يعلم سنان ، وهم نزول بالشربة ، فأتى به
سلمى ابنة ظالم فقال : يقول لك بعلك :

« ابعشى يا بن الملك مع الخلوت حتى استأمن له ويتخفر به ، وهذا
سرجه آية اليك » ثم دفعته الى الحارث ، فأتى بالغلام ناحية من الشربة
فقتله ، ثم انشأ يقول (١٤٠) :

(٣٩) والمثل في مظلانه : است البائن اعلم •

(١٤٠) القصيدة مفضلية ، وانظر تخريج ابياتها في مجموعته
الشعرية ٣٧٤ •

قما فاسمعا اخبر كما اذ سألتما
محارب مولاه وثكلان نادم

فأقسم لولا من تعرض دونه
لخالطه صافي الحديد صارم

حسبت ابا قابوس انك سالم
ولما تصب ذلا وانفك راغم

فان تك اذواد اصبن وصية
فهذا ابن سليمى راسه متفاقم

علوت بذى الحيلت مفروق راسه
وهل يركب المكروه الا الاكارم

فتكت به كما فتكت بخالد
وكان سلاحى تجتويه الجماجم

اخصى حمار بات يكدم نجمة
اتاكل جاراتى وجارك سالم

تمنيته جهرا على غير ريبة
احاديث طسم انما انت حللم

بدأت بهذى ثم اثنى بهذه
وثالثة تبيض منها المقادام

شفيت غليل الصدر منه بضربة
كذلك يابى المغضبون القماقم

ففى ذلك يقول عقيل بن علفة فى الاسلام وهو من بنى يربوع بن
غيظ بن مرة لما هاجى شبيب بن البراء ، وابوه يزيد ، وهو من بنى
نشبة بن غيظ بن مرة ابن عم سنان بن ابى حارثة فعيده بقتل الحارث
بن ظالم شرحبيل ، لانه ريب بنى حارثة بن مرة ن نشبة بن غيظ رهط
شبيب ، ففى ذلك يقول عقيل :

قتلنا شرحبيل ريب ايككم
بناصية المغلوب ضاحية نغصبا

فلم تنكروا ان يغمز القوم جارككم
باحدى الدواهي ثم لم تطلعوا نقبا (١٤١)

قال ابو عبيدة : وهرب الحارث ، فغزا الاسود بنى ذبيان اذ
نقضوا العهد وبنى اسد بشط اريك .
(هما اريكان الاسود والايض ، ولا ادرى يايهما كانت الواقعة) .
وان سلمى امرأة سنان التى اخذ الحارث شرحبيل من عندها
من بنى اسد . قال فانما غزا الاسود بنى اسد لدفع الاسدية سلمى
ابنه الى الى الحارث ، فقتل فيهم قتلا ذريعا وسبى واستاق اموالهم ،
وفى ذلك يقول (الاعشى ميمون) (١٤٢) ..

وشيوخ صرعى بشطى اريك
ونساء كأنهن السعالى (١٤٣)

-
- (١٤١) اي لم تخرجوا للثأر . والنقب الطريق الضيق فى الجبل .
(١٤٢) وهي فى ديوانه .
(١٤٣) السعالى جمع سعالاة بكسر السين ، مثل للمرأة القبيحة .
واصلها الغول او ساحرة الجن .

من نواصي دودان اذ تقضوا العهد
سد وذيان والهجان الغوالي

رب رفد هرقته ذلك اليو
م واسرى من معشر اقتال (١٤٤)

هؤلا ثم هؤلاء كلا احذ
ت نعلا محدودة بمشال

وارى من عصاك اصبح مخذو
لا وكعب الذى يعطيك بالى

ووجد نعل شرحبيل عند اضاخ ، وهو من الشربة فى بنى محارب
ابن حصفة بن قيس عيلان ، فاحمى لهم الصفا التى بصحراء اضاخ ،
وقال لهم :

انى اخذىكم نعلا •

فأمشاهم على الصفا المحمى ، فتساقط لحم اقدامهم • فلم
كان الاسلام قتل جوشن الكندى من رهط عباس بن زيد الكندى ،
فهجا بنى محارب بتحريق الاسود اقدامهم فقال :

على عهد كسرى نعلتكم ملوكنا صفا من اضاخ حاميا يتلهب
وصار ذلك مثلا يتوعد به الشعراء من هجوه ويحذرونهم مثل
ذلك •

(١٤٤) اقتال : الاعداء مفردها قتل بكسر القاف ، ويروى اقيال
ابى الملك ، ويخصونها بملوك حمير ، او من هو دون الملك الاعلى •

ومن ذلك ان ابن عتاب الكلبي ورد على بنى النوس من جديلة
طبيء ، فسرقتوا سهاماً له ، فقال يحذرهم :

بنى النوس ردوا سهمي ان سهمي كنعل شرحبيل التي في محارب
وقال في الجاهلية ابن ام كهف الطائي في مدحه لمالك بن حمار
الشمخي ، فذكر نعل شرحبيل فقال :

ومولاي الذي قتل ابن سلمى علانية شرحبيل ابن نعل
لانه لولا المنعل لم يعرف ، وانما عرف بما صنع ابوه ببنى محارب
من اجل نعله التي وجدت في بنى محارب .

واخذ الاسود سنان بن ابي حارثة ، فاتاه الحارث بن سفيان
احد بني الصارد (١٤٥) ، وهو الحارث بن سفيان بن مرة بن عوف
بن الحارث بن سفيان اخو سيار بن عمرو بن جابر الفزاري لأمه ،
فاعتذر الى الاسود ان يكون سنان بن ابي حارثة علم او اطلع ،
ولقد كان اطرده الحارث من بلاد عطفان ، وقال :

« على دية ابنك الف بعير دية الملوك »

فحملها اياه وخلي عن سنان ، فأدى الى الاسود منها ثمانمائة
بعير ثم مات . فقال ياسر بن عمرو اخوه لأمه :

« انا اقوم فيما بقي مقام الحارث بن سفيان » .

فلم يرض به الاسود ، فرهنه سيار قوسه ، فأدى البقية فلما

(١٤٥) كذا في الاغانى والاشتقاق لابن دريد ١٧٦ والسهمان

(صرد) .

مدح قراد بن حنش الصاردي بني فزارة جعل الحمالة كلها لسيار بن عمرو فقال (١٤٦) :

ونحن رهنا القوس ثمت فوديت
بالف على ظهر الفزاري اقرعا (١٤٨)

بعشر مئين للملوك سعى بها (١٤٨)
ليوفى سيار بن عمرو فاسرعا

رميناه صفاه بالمئين فاصبحت
ثناياه للساعين في المجد مهيعا

ويقال : بل قالها ربيع بن ثعلب ، فرد عليه قراد فقال :

ما كان ثعلب ذي عاج ليحملها
ولا الفزاري جوفان بن جوفان (١٤٩)

لكن تضمنها الفها فأخرجها
على تكاليفها حار بن سفيان

وقال عوف القوافي بن عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر في
الاستلام يفخر على ابي منظور الوبري حين هاجاه احد بني وبر بن
كلاب :

(١٤٦) الاول والثاني من الابيات في العقد الفريد ١٤٩/٥ (ليحمد
بدل ليوفى) ونهاية الارب ٣٥٥/١٥ والخزانة ٣٠٤/٣ .
(١٤٧) اي تام وكامل .
(١٤٨) كذلك في خزانة الادب ٣٠٤/٣ .
(١٤٩) ذو عاج : واد في بلاد قيس . والجوفان اير الحمار ، نبز
الفزاري ، لان به تعير فزارة .

فهل وجدتم حاملا كحامي
اذ رهن القوس بالف كامل

بديعة ابن الملك الحلاحل
فافتكها من قبل عام قابل

سيار الموفى بها ذو السائل

فلما قتل الحارث شرحبيل لحق ببني دارم فلجأ الى ضمرة . قال :
وبنو عبدالله يقولون : بل جاور معبد بن زرارة فاجاره ، فجر
جواره يوم رحرحان ، وجر يوم جبلة (١٥٠) . وطلبه الاسود بن المنذر
بخفرتة فلما بلغه نزوله ببني دارم ارسل فيه اليهم ان يسلموه فأبوا .
فقال يمن على بني قطن بن نهشل بن دارم بما كان من النعمان بن
المنذر في امر بني رشية وهي رميلة حين طلبهم من لقيط بن زارة حتى
استنقذهم . ورشية امة كانت لزرارة بن عدس بن زيد المجاشعي ، فوطئها
رجل من بني فهشل فاولدها ، وكان زرارة ياتي بني نهشل يطلب الغلمة
التي ولدت ، وولدت الاشهب بن رميلة والرباب بن رميلة وغيرهما
وكانوا يسمعون ما يكره ، فيرجع الى ولده فيقول : اسمعني بنو عمي
خيرا وقالوا : سنبحث بهم اليك عاجلا ، حتى مات زرارة . فقام لقيط
ابنه بأمرهم ، فلما اتاهم اسمعوه ما كره ، ووقع بينهم شر . فذهب
النهشلي الى الملك فقال اييت اللعن !! لا تصلني وتصل قومي بافضل
من طلبتك الى لقيط الغلمة ليكف عني . فدعاه فشرب معه ، ثم

(١٥٠) سيأتي حديث يوم « شعب جبلة » بعد هذا اليوم ، ضمن
ايام « داحس والفبراء » .

استوهم منه فوهم (١٥١) له . فقال الاسود بن المنذر في ذلك :

(١٥١) هذا يوم غول ، ذكره هنا ابو عبيدة ضمن خبر الحارث مختصرا ، وذكره المفضل الضبي بتفصيل اكثر . فانظره في امثاله ص ٨ .

وفيه يقول ضمرة بن جابر يخاطب لقيط بن زرارة ، وقد اساء لقيط معاملة الرهائن :

صرمت اخاء شقة يوم غول
واخوته فلا حلت حلالي

كأني اذ رهنت بني قومي
دفعتهم الى الصهب السبال

فلم ارهنهم بدم ولكن
رهنتهم بصلح او بمال

صرمت اخاء شقة يوم غول
وحق اخاء شقة بالوصال

امثال الضبي ٨ والفاخر ٦٧ ومجمع الامثال ٩٢٩/١ وشقة هو ابن ضمرة ، وامه هند بنت كرب بن صفوان ، وكان احد الرهائن . والصهب السبال ، اراد بهم الاعداء وهي كناية ، وشقة هو الذي سماه الملك المنذر : ضمرة اعجابا بابيه ضمرة ، فهو ضمرة الذي كان يغير ، بعدئذ ، على مسالح النعمان بن المنذر .

وقال لقيط بن زرارة ، يجيب ضمرة على ابياته المتقدمة :

ابا قطن اني اراك حزينا

وان العجول لا تبالي الحينا

اخي ان صبرتم نصف عام لحقنا

ونحن صبرنا قبل سبع سنينا

انظر المصادر المتقدمة . البيتان الاخيران وردت روايتهما فيها

على هذا الوجه المضطرب .

وقال ضمرة بن جابر :



كاين لنا من نعمة في رقابكم
بنى قطن فضلا عليكم وانعما

وكم منة كانت لنا في بيوتكم
وقتل كريم لم تعدوه مغرما

فانكم لاتمنعون ابن ظالم
ولم يمس بالأيدي الوشيح المقوما (١٥٢)

لعمرك انني وطلاب حبي
وترك بني في الشطر الاعادي

لمن نوکی الشيوخ وكان مثلي
اذا ما ضل ينعش بهادي

المصادر نفسها .

وقال لقيط بن زرارۃ ، وقد ندم على دفع الغلۃ الى المنذر بن ماء
السماء :

انك لو غطيت ارجاء هـوة
مفمصة لا يستهان ترابها

بشوبك في الظلماء ثم دعوتني
لجئت اليها سادرا لا اهلها

فاصبحت موجودا علي ملوما
كان نضيت عن حائض لي ثيابها

المصادر السابقة .

(١٥٢) الوشيح : شجر الرماح او هو من القناء اصله . والمقوم :
الذي ازيل عوجه .

فاجابه ضمرة بن ضمرة فقال (١٥٣) :

سنمنع جارا عائذا في بيوتكم (١٥٤)

باسيفنا حتى يؤوب مسلما

اذا ما دعونا درامنا حال دونه

عوايس يعلكن الشكيم المعجما (١٥٥)

ولو كنت حربا هما وردت طويلعا

ولا جوفه الا خميسا عرمرما

تركت بنى مناء السماء وفعلمهم

واشبهت تيسا بالحجاز مزنا (١٥٦)

ولن اذكر النعمان الا بصالح

فان له فضلا علينا واتعما

وبلغ ذلك بنى عامر ، فخرج الاحوص غازيا لبنى دارم طالبا بدم
اخيه خالد بن جعفر حين انطوا على الحارث وقاموا دونه ، فغزاهم
فالتقوا برجرعان ، فهزمت بنو دارم ، واسر معبد بن زرارة ، فانطلقوا

(١٥٣) البيت الاخير نسبه محقق وجامع ديوان عدي بن زيد
العبادي الى عدي مستندا في ذلك على تفسير الطبري مع اختلاف في
الرواية (الديوان ص ١٦٦) .

(١٥٤) لعلها : بيوتنا . فيستقيم المعنى .

(١٥٥) الشكيمة : حديدة اللجام . المعجم : العضوض .

(١٥٦) المزنم : اي له هنة معلقة في حلقه تحت لحيته . والمزنم
ايضا : الذي تقطع اذنه وتترك له زنمة .

به حتى مات في أيديهم ، وحديثه في يوم رحرحان يأتي بعد (١٥٧) . ثم
أسر بنو هزان الحارث بن ظالم ، وقال أبو عبيدة : خرج الحارث من
عندهم ، فجعل يطوف في البلاد حتى سقط في ناحية من بلاد ربيعة ،
ووضع سلاحه وهو في فلاة ليس فيها أثر ، ونام ، فمر به ثمر من بني
قيس بن ثعلبة ومعهم قوم من بني هزان من عنزة وهو نائم ، فآخذوا
فرسه وسلاحه ثم أوثقوه ، فاتبته وقد شدوه فلا يملك من نفسه شيئا ،
فسألوه من أنت ؟ فلم يخبرهم وطوى عنهم الخبر ، فضربوه ليقتلوه
على أن يخبرهم من هو فلم يفعل .

فاشتراه القيسيون من الهزانيين بزق خمر وشاة - ويقال : اشتراه رجل
من بني سعد باغلاق بكرة وعشرين من الشاء - ثم انطلقوا به إلى
بلادهم ، فقالوا له : من أنت ، وما حالك ، فلم يخبرهم . فضربوه
ليموت فأبى . قال وهو قريب من اليمامة . قال فبينما هو على تلك
الحال وهم يريدونه ضربا مرة وتهددا أخرى ولينا مرة ليخبرهم بحاله
وهو يأبى ، حتى ملوه فتركوه في قيده حتى أثقلت ليلا ، فتوجه نحو
اليمامة وهي قريب منه ، فلقي غلما يلعبون ، فنظر إلى غلام منهم اخلقهم
للخير عنده فقال : من أنت ؟ قال : أنا بجير بن ابجر العجلي ، وله ذؤابة
يومئذ وامي امرأة قتادة بن مسلمة الحنفي . فاتاه واخذ بحقويه والتزمه
وقال : أنا لك جار . فيقال : ان عجلا اجارته في هذا اليوم لا في
اليوم الذي ذكرناه في أول الحديث ، فأتى الغلام أباه فاخبره واجاره
وقال : أئت عمك قتادة بن مسلمة الحنفي فاخبره ، فأتى قتادة فاخبره
فأجاره .

(١٥٧) حديثه متقدم على هذا اليوم .

قال ابو عبيدة : واما فراس فزعم انه افلت من بني قيس فاقبل
شدا حتى اتى اليمامة واتبعوه حتى انتهى الى نادى بنى حنيفة وفيه قتاده
ابن مسلمة . فلما رأوه وهوى نحوهم قال : ان هذا لخائف ، وبصر
بالقوم فصاح به الحصن الحصن ! فاقبل حتى ولج الحصن ، وجاءت
بنو قيس ، فحال دونه وقال : لو اخذتموه قبل دخوله الحصن لاسلمته
اليكم ، فاما اذ تحرم بى فلا سبيل اليه . فقالوا : اسيرنا اشتريناه
باموالنا ، وما هو لك بجار ولا تعرفه ، وانما اتاك هاربا من ايدينا ،
ونحن قومك وجيرانك قال :

اما ان اسلمه ابدا فلا يكون ذلك ، ولكن اختاروا منى : ان
شئتم - فانظروا ما اشترىتموه به فخذوه منى ، وان شئتم اعطيته
سلاحا كاملا وحملته على فرس ودعوه حتى يقطع الوادى بينى وبينه
ثم دونكموه ، فقالوا : رضينا . فقال ذلك للحارث فقال نعم . فالبسه
سلاحا كاملا وحمله على فرسه ، وقال له : ان قتلتم فرد الى الفرس ،
والسلاح لك . فخرج وتركوه حتى جاز الوادى ثم اتبعوه لياخذوه ،
فلم يزل يقاتلهم ويطاردهم حتى ورد بلاد بني قشير ، وهو قريب من
اليمامة ايضا بينهما اقل من يوم . فلما صار الى بلاد بنى قشير يؤسوا
منه فرجعوا عنه وعرفه بنو قشير فانطوا عليه واكرموه . ورد الى
قتادة بن مسلمة فرسه وارسل اليه بمائة من الابل .

فقال الحارث بن ظالم في ابني حلاكة وهما من الذين باعوه من
القيسين وفيما كان امره - قال ابو عبيدة : ويقال اسره راعيان من
بني هزان يقال لهما ابنا حلاكة (١٥٨) :

(١٥٨) الابيات في مجموعته الشعرية ٣٨٠ .

ابلق لديك بنى قيس مغلفة
انى اقسام في هزان ارباعا
ابنا حلاكة باعاني بلا ثمن
وباع ذو آل هزان بما باعا
يا ابني حلاكة لما تأخذا ثمني
حتى اقسام افراسا وادراعا
قتادة الخير نالتي حذيته
وكان قدما الى الخيرات طلاعا

وقال في ذلك ايضا :

همت عكابة ان تضم لجيما
فابت لجيم ما تقول عكابة
فاسقى بجيرا من رحيق مدامة
واسقى الخفير وطهرى اثوابه
جاءت حنيفة قبل جيئة يشكر
كلا وجدنا اوفياء ذؤابه

وزعم ابو عبيدة ان الحارث لما هزمت بنو تميم يوم رحرمان
مر برجل من بنى اسد بن خزيمة ، فقال : « يا حار انك مشئوم وقد فعلت
ما فعلت ، فانظر اذا كنت بمكان كذا وكذا (من برقة رحرمان) فان

لى به جملا احمر فلا تعرض له « (١٥٩) . وانما يعرض له ، ويكره ان
يصرح فيبلغ الاسود فيأخذه . فلما كان الحارث بذلك المكان اخذ
الجميل فنجا عليه ، واذا هو لايسير من امامه ولا يسبق من ورائه ، فبلغ
الاسود ، فاخذ الاسدي وناسا من قومه ، وبلغ ذلك الحارث بن ظالم
فقال كانه يهجوهم لئلا يتهمهم الاسود (١٦٠) :

اراني الله بالنعم المندي
يرقة رحرحان وقد اراني

لحي الانكدين وحي عبس
وحي نعامه وبني قلدان

فلما بلغ قوله الاسود خلى عنهم ، ولحق الحارث بمكة واتمى
الى قریش لانه يقال ان مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان (١٦١) ، انما هو
مرة بن عوف بن لؤي بن غالب ، فتوصل اليهم بهذه القرابة .
وذلك قوله (١٦٢) :

(١٥٩) يريد خلاف ذلك ، اي انه يغريه على اخذه ، وقد ذكر ذلك
ابو عبيدة بعد العبارة مباشرة .

(١٦٠) البيتان في مجموعته الشعرية ص ٣٨٢ وقد فات المحقق
ان يشير الى موضع البيتين من كتاب الاغاني ، وانظر بقية التحقيق هناك .
(١٦١) هذه الزيادة من العقد ، واما رواية الاغاني فمختصرة فسي
هذا الموضع . وفي الطبري (ابا ذبيان) .

(١٦٢) الابيات من مفضلية . انظرها في مجموعته الشعرية ٣٧١
ورغبة الامل للمرصفي .

وما قومي بثعلبة بن سعد
ولا بفزارة الشعر الرقابا

وقومي ان سألت بنو لؤي
بمكة علموا مضر الضرابا
فزوده وحمله رواحة الجمحي على ناقة ، فذلك قوله :

وهش رواحة الجمحي رحلى
بناجية ولم يطلب ثوابا

كان الرجل والانواع منها
ومشرتي كسين اقب جابا

(يروى « حش » و « هش » وهما لغتان - وحش سوى)
وقال في ذلك (١٦٣) :

اذا فارقت ثعلبة بن سعد
واخوتهم نسبت الى لؤي

الى نسب كريم غير دغل
وحى من اكارم كل حى

فان يك منهم أصلي فمنهم
قرايين الاله بنى قصى (٦٤)

(١٦٣) تراجع مجموعته الشعرية .

(١٦٤) في قوله قرايين الاله اشارة الى تقديم القرايين البشرية
للالة ، وربما كانوا يفهمونه نذر ابراهيم لولده اسماعيل عليه السلام .

فقالوا :

هذه رحم كرشاء ، اذا استغنيتم عنها لن يترككم (١٦٥) .

قال : فشخص الحارث عنهم غضبان ، وقال في ذلك (١٦٦) :

الا لستم منا ولا نحن منكم

برئنا اليكم من لؤى بن غالب

غدونا على نشز الحجاز واتم

بمنشعب البطحاء بين الاخاشب (١٦٧)

خبر الحارث وعمرو بن الاطنابة (١٦٨)

قال ابو عبيدة : كان عمرو بن الاطنابة الخزرجي ملك الحجاز ، ولما بلغه قيل الحارث بن ظالم خالد بن جعفر ، وكان خالد مصافيا

له ، غضب الملك غضبا شديدا ، وقال : - والله لو لقي الحارث خالدا وهو يقفان لما نظر اليه ، ولكنه

قتله نائما ، ولو اتاني لعرف قدره .

(١٦٥) كرشاء : اي بعيدة ويأتي اسما ايضا كما في يومي الغبيظ والاياد وهو كرشاء بن عمرو الشيباني . ويترككم : اي لن ينقصكم ذلك .

(١٦٦) الابيات في مجموعته الشعرية .

(١٦٧) النشز المرتفع من الارض والبطحاء بطحاء مكة . والاخاشب

جبال مكة ومنى .

(١٦٨) رواية هذا اليوم وردت في الاغاني ، وقد ذكره بعد يوم

رحرحان وقال : انما ذكرها هنا لاتصاله بمقتل خالد بن جعفر ، لان فيما تناقضاه من الاشعار اغاني صالح ذكرها في هذا الموضع .

ثم دعا بشرابه ووضع التاج على رأسه ، ودعا بقيائه فتغنيين
له (١٦٩) :

عللاني وعللا صاحبيا واسقياني من المروق ريبا (١٧٠)
ان فينا القيان يعزفن بالدف لفتياتنا وعيشا رخيا (١٧١)
يتبارين في النعيم ويصبين من خلال القرون مسكا ذكيا
انما همهن ان يتحلين سموطا وسنبلا فارسيا
من سموط المرجان فصل بالشذر فأحسن بحليهن حليا
وفتى يضرب الكتيبة بالسيف اذا كانت السيوف عصيا
اتنا الانسر في غير نجد ان فينا بها فتى خزرجيا
يدفع الضيم والظلمة عنها فتجافى عنه لنا يامنيا
ابلغ الحارث بن ظالم الرعيد والناذر النذور عليا
انما يقتل النيام ولا يقتل يقظان ذا سلاح كمي (١٧٢)
ومعني شكتي معابل كالجمر واعدت صارما مشرفيا (١٧٣)

(١٦٩) الاطنابة امه . يراجع الاغاني ١٢٢/١١ ومعجم الشعراء
ص ٨ والمكامل في التاريخ ٦٦٨/١ وقد ترجمنا له في ايام الاوس والخزرج

(١٧٠) المروق من الشراب : المصفى .

(١٧١) العيش الرخي : الناعم .

(١٧٢) الكمي : الشجاع المتكفي في سلاحه ، لانه كمي نفسه
اي سترها بالدرع والبيضة . والجمع كماء ، كأنهم جمعوا كاميا مثل
قاض وقضاة .

(١٧٣) الشبكة : السلاح . والمعابل : جمع معبلة (بكسر الميم)
وهي نصل طويل عريض .

لو هبطت البلاد انسيك القتل كما ينسيء النسيء النسياء (١٧٤)

فلما بلغ الحارث شعره هذا ازداد حنقا وغيظا ، فسار حتى
أتى ديار بني الخزرج ، ثم دنا من قبة عمرو بن الاطنابه ، ثم نادى :
- ايها الملك .. أغثني فاني جار مكثور (١٧٥) ، وخذ سلاحك .
فأجابه وخرج معه

حتى اذا برز له ، عطف عليه الحارث ، وقال :

- انا ابو ليلي !!

فاعتركا مليا من الليل . وخشي عمرو ان يقتله الحارث فقال
له :

- يا حار ، اني شيخ كبير واني تعتريني سنة ، فهل لك فسي
تأخير هذا الامر الى غد ؟ ..
فقال :

- هيهات ، ومن لي به في غد !!
فتجاوؤا ساعة ، ثم القى عمرو الرمح من يده ، وقال :
- يا حار ، ألم اخبرك ان النعاس قد يغلبني ، وقد سقط رمحي
فاكفف .

فكف .

قال :

- انظرني الى غد .

(١٧٤) النسياء : اراد النسيء : شراب يذهب العقل من قبيل

الخمرة . قال عروة :
سقوني النسيء ثم تكتفوني
عداة الله ، من كذب وزور
(١٧٥) مكثور : اي كثر اعداؤه وغلبوه بكثرتهم .

قال :

— لا أفعل •

قال :

— فدعني اخذ رمحي

قال :

— خذه

قال :

— اخشى ان تعجلني عنه او تفتك بي اذا اردت أخذه •

قال :

— وذمة ظالم لا أعجلتك ولا قاتلتك ولا فتكت بك حتى تأخذه •

قال :

— وذمة الاطنابة لا آخذه ولا اقاتلك •

فانصرف الحارث الى قومه ، وقال مجيبا له :

اعزفالي بلـذة قـنتـيا

قبل ان يـكـر المنون عليا

قبل ان يـكـر العواذل اني

كنت قدما لأمرهن عصيا

ما أبالي أراشدا فاصبحاني

حسبتي عواذلي ام غويا (١٧٦)

بعد الاأصر لله اثما

في حياتي ولا أخون صفيا

(١٧٦) نقل ابو الفرج رواية ثانية لهذا البيت هي :

ما أبالي اذا اصطحبت ثلاثا ارشيدا حسبتي ام غويا

من سلاف كأنها دم ظبي
 في زجاج تخاله رازقيا (١٧٧)
 بلغتنا مقالة المرء عمرو
 فأنقنا وكان ذاك بدينا
 قد هممتا بقتله اذ برزنا
 ولقيناها ذا سلاح كمي
 غير ما نائم تعلل بالحلم
 معدا بكفه مشرفيا
 فمنا عليه بعد علو
 بوفاء وكنت قدما وفي
 ورجعنا بالصفح عنه وكان
 المن منا عليه بعد تلي
 ★ ★

نهاية الحارث بن ظالم

فلحق الحارث بالشام ، بملك من ملوك غسان - يقال هو
 النعمان ، ويقال بل هو يزيد بن عمرو الغساني (١٧٨) - فأجاره .
 وكانت للملك ناقة محماة ، في عنقها مديّة وزناد وصرة ملح ،
 (١٧٧) الرازقي : ضرب من عنب الطائف . وايضا الكتان او ثياب
 بيض تتخذ منه .
 (١٧٨) انظر ايضا العقد ١٤٧/٥ وذكر ان مقتله كان بالشام في
 موضع يقال له : الخربة .

وانما يختبر بذلك رعيته ، هل يجرىء عليه احد منهم^(١٧٩) . السي
رش امرأتان ، فوحمت احدى امرأتيه ، واصابت الناس سنة شديدة،
فطلبت الشحم اليه ، فقال :
ـ ويحك .. واني لي بالشحم والودك؟! ..

فألحت عليه .

فعمد الى الناقة ، فأدخلها بطن واد ، فلب في سبلتها « اي
طعن » فأكلت امرأته ورفعت مابقي من الشحم في عكتها .

وفقدت الناقة ... فوجدت نحيرا ، لم يؤخذ منها الا السنام،
فأعلموا ذلك الملك ، وخفى عليهم من فعله ، فأرسل الى الخمس
التغلي^(١٨٠) ـ وكان كاهنا ـ فقال :

ـ من نحر الناقة؟! ـ

فذكر ان الحارث نحرها .

فتذمم الملك وكذب عنه . فقال « الخمس التغلي^(١٨١) » : ـ

ـ ان اردت ان تعلم علم ذلك فدرس امرأة تطلب الى امرأته

شحما .

ففعل « الملك^(١٨٢) » .

(١٧٩) هذا تعليل العلماء المسلمين في القرون الوسطى . ويراجع
(فصل الناقة) وما ذكرناه حول الجوانب الميثولوجية لهذه القضية
بالذات وذلك في القسم الدراسي من هذا الكتاب ص ٢٤٦ .

(١٨٠) هذا كاهن من كهان روايات « الايام » وسيظهر ابن له ايضا
يتصل خبره من هذا اليوم بايام داحس .

(١٨١ و ١٨٢) ما بين الاقواس زيادة ضرورية وضعت من قبلنا
وليست في الاصل .

فدخل الحارث وقد اخرجت امرأته اليها شحما ، فعرف الداء
فقتلها ودفنها في بيته .

فلما فقدت المرأة ، قال الخمس :

— غالها ماغال الناقة ، فان كره الملك ان يفتشه عن ذلك فليأمر
بالرحيل ، فاذا ارتحل بحث بيته .

ففعل .

واستشار الخمس مكان بيته . فوثب عليه الحارث فقتله .

فأخذ الحارث فحبس ، فاستسقى ماء فأثاء رجل بماء . فقال :
— اتشرب ؟

فأنشأ الحارث يقول :

لقد قال لي عند المجاهد صاحبي

وقد حيل دون العيش هل انت شارب (١٨٣)

وددت بأطراف البنان لو اتني

بذي أرونى ترم؟ ورأيي الثعالب (١٨٤)

فأمر الملك بقتله . فقال :

— انك قد اجررتني فلا تغدرني (١٨٥) .

(١٨٣) البيتان في مجموعة الحارث الشعرية ص ٣٨٢ مجلة كلية
الاداب العدد ١٥ وقد فات المحقق ان يشير الى موضع البيتين في كتاب
الاغاني . وانظر هناك بقية مراجع التحقيق . ومعنى المجاهد : الشدائد .
واراد هنا شدة العطش ليحولوا بينه وبين الحياة ، او العيش كما عبر
هو في البيت .

(١٨٤) بنو ثعلبة . يقول : كانوا يرمون عني ويقومون بأمرى .

يحن الى حمايتهم .

(١٨٥) يقال غدره وغدر به .

فقال :

— لاضير ! ان غدرت بك مرة فقد غدرت بي مرارا •
فأمر مالك بن الخمس التغلبي ان يقتله بأبيه • فقال الحارث :
— يا ابن شر الاظماء (١٨٦) •• انت تقتلني؟! ••
وقال ابن الكلبي : لما قام ابن الخمس الى الحارث ليقتله
قال :

— من انت ؟

قال :

— ابن الخمس •

قال :

— انت ابن شر الاظماء

قال :

— وانت ابن شر الاسماء (١٨٧) •

فقال رجل من ضري ، وهم حي من جرهم ، يرثي الحارث بن
ظالم :

يا حار حنيا حرا قطاميا
ما كنت ترعيا في البيت ضجعيا

(١٨٦) يعيره باسم ابيه الخمس — بكسر الخاء — وهو تعطيش
الابل اربعة ايام ثم تسقى في الخامس •
(١٨٧) يعيره باسم ابيه «ظالم» •

ادعى لباخيا مملأ عيا (١٨٨)

واخذ الخمس سيف الحارث بن ظالم ، « المملوب » ، فأتى به
سوق عكاظ في الحرم ، فجعل يعرضه على البيع يقول :

— هذا سيف الحارث بن ظالم •

فاستراه (١٨٩) اياه قيس بن زهير (١٩٠) بن جذيمة فأراه اياه،
فعلاه به حتى قتله في الحرم • فقال قيس يرثي الحارث بن ظالم : (١٩١)

ماقصرت من حاضن ستر ييتها
أبر وأوفى منك حار بن ظالم

(١٨٨) هذا الشعر اشبه بشعر البدو في تراكيبه والفاظه • ولعل
معنى كلمة «حنيا» في البيت الاول تعني المنسوب الى الحن - بكسر
الحاء - وهو حي ، او ضرب من الجن • والقطامي (قيس) يفتحون
القاف وسائر العرب يضمنون) ، الصقر : ويستعمل في غير الصقر على
التشبيه به • ومعنى كلمة الترعي والترعية (بكسر التاء وضمها وتشديد
الياء) الذي يجيد رعي الابل ، لانه يحسن الالتماس والارتداد للكلأ ،
ولعله اراد هنا الترع ، وهو السفية السريع الى الشر ، والترعة :
الفاحشة الخفيفة • ومعنى الضجعي : الذي يلزم البيت ، لا يكاد
يبرح منزله ولا ينهض لمكرمة •

(١٨٩) استراه اياه : طلب اليه ان يريه اياه •

(١٩٠) قيس بن زهير : مر خبر مقتل ابيه في اول هذا اليوم ،
وسيتصل بنا خبر قيس في ايام داحس والغبراء ، وهو احد ابطل
الايام • وستعود قصة قتله لابن الخمس الى الظهور مرة ثانية في ايام
داحس •

(١٩١) البيتان في مجموعة شعر قيس بن زهير ص ٥٢

أعز وأحمى عند جار وذمة

وأضرب في كاب من النقع قاتم (١٩٢)

(١٩٢) جاء في كتاب الاغانى بعد هذا الخبر قوله : هذه رواية
ابى عبيدة والبصريين ، واما الكوفيون فانهم يذكرون ان النعمان بن المنذر
هو الذى قتله . قال المفضل الضبي : لما هرب الحارث الى مكة اسف
النعمان بن المنذر على فوته اياه ، فلطف له وارسله واعطاه الامان ، واشهد
على نفسه وجوه العرب من ربيعة ومضر واليمن انه لا يطلبه بدخل ولا يسوءه
في حال ، وارسل به الى جماعة ليسكن الحارث اليهم ، وامرهم ان يتكلفوا
له بالوفاء ويضمنوا له عنه انه لا يهيجيه ، ففعلوا ذلك . وسكن اليه الحارث ،
فاتى النعمان وهو فى قصر بنى مقاتل ، فقال للحاجب :

— استأذن لى .

والناس يومئذ عند النعمان متوافرون . فاستأذن له . فقال
النعمان :

— ائذن له وخذ سيفه .

فقال له الحاجب :

— ضع سيفك وادخل .

فقال الحارث :

— ولم اضعه ؟!

قال :

— ضعه فلا باس عليك .

فلما الح عليه ، وضعه ودخل ومعه الامان .

فلما دخل قال :

— انعم صباحا ابنت اللعن .

قال :

— لا انعم الله صباحك .

فقال الحارث :

— هذا كتابك .

قال النعمان :

— كتابي والله ما انكره ، انا كتبتك لك ، وقد غدرت وفتكت مرارا ،
فلا ضير ان غدرت بك مرة .

ثم نادى :

— من يقتل هذا ؟

فقام ابن الخمس التغلبي — وكان الحارث فتك بابيه — فقال :
— انا اقتله .

وذكر المفضل الضبي باقي الخبر في قصته مع ابن الخمس مثل
ما ذكره ابو عبيدة .

نقلت هذه الرواية عن الاغاني بحروفها . وتنتهي بذلك حياة هذا
الفارس الشاعر الذي عرف في العصر الجاهلي بلقب : الوفي الفاتك ،
لكن حياته ستمتد في ايام داحس والغبراء لتكون من اسبابها الكبيرة .

أيام بكر وشيبان

وهو:

« يوم البسوس »*

قال : عدي الذي لقبه المهمل ، وكليب ، وسالم ، وفاطمة ،
بنو ربيعة بن الحارث بن زهير بن جشم . قال : وانما سمي مهملًا ،

(*) نقائض ٥٥٠ - ٩٠٧ (وهذا أول الخبر فقط) وذكر صاحب
الاغاني ٣٤/٥ مصادر روايته فقال :

« أبو عبيدة من مقاتل الاحول بن سنان بن مرثد اخى بنى قيس
بن ثعلبة » وهذا السند فى رواية النقائض . لكن ابا الفرج زاد بعده
فقال « ونسخت بعضه فى رواية الكلبي ، واخبرنا به محمد بن العباس
اليزيدى عن عمه عبيد الله ، عن ابن حبيب ، عن ابن الاعرابى عن المفضل ،
فجمعت روايتهم ما احتيج الى ذكره مختصر اللفظ كامل المعنى » .

واذن ، فابو الفرج ، يجمع بين ثلاث روايات : الاولى لابی عبيدة
والثانية لابن الكلبي والثالثة رواية ابن الاعرابي عن المفضل .

ومواطن هذه الروايت فى المظان ، فضلا عن النقائض ، هى :

المفضل الضبى : امثال العرب ص ٥٥

ابن عبد ربه - العقد ٥/٢١٣ .

الاغاني ٥/٣٤ ، ١٢٧/٦ ، ٤٢/١١ ، ١٤٣/٢٠ (ساسى) .

التبريزي - شرح ديوان الحماسة ١/١١ ، ٣٢/٢ ، ٩٧ ، ١٩٩ .

المفضل بن سلمة - الفاخر ٩٣ .

الميدانى - مجمع الامثال ١/٣٧٧ ، ٤٢/٢ ، ٢٢١ .

ابن الانبارى - شرح المفضليات ٤٤١ .

الزمخشري - المستقصى من امثال العرب ١/٢ ، ١٧٦ ، ٢٤٦ ،

١/٢ ، ١٩ ابن الاثير - الكامل . ٣١٢/١ .

لأنه هلهل الشعر ، يعني سلسل بناءه ، كما يقال ثوب مهلهل ، اذا كان خفيفا . قال وفاطمة اختهم ، ولدت امرء القيس بن حجر الكندي . وكانت عند كليب بن ربيعة ، أخت لهمام ابن مرة ، وجساس بن مرة بن ذهل بن شيبان، ومعها ابن لها ، وناقاة يقال لها السحاب^(١) ، ومعها فصيل لها ، وزوجها الجرمي ، قال ، فبينما اخت همام وجساس تغسل رأس زوجها كليب بن ربيعة ، وتسرحه ذات يوم قال لها كليب :

— من اعز وائل ؟

فضمرت . (يعني سككت) . فأعاد عليها ، فضمرت . فلما كثر عليها في سوآله اياها مرة بعد اخرى ، قالت :

— اخوأي .

فنزح رأسه من يدها ، واخذ القوس ، فأتى ناقاة خالتهم ، فرمى فصيلهما ، فأقصده (يعني قتله) .

فاغمضوا على مافيها ، وسكتوا .

فلما رأى ذلك كليب ، لقي زوج البسوس ، رب القصيل ،

فقال :

= ابن عبدون — شرح البسامة ١٠٩ ١٠

البغدادى — خزانة الادب ٣٠١/١ .
حرب بكر بن تغلب (مخطوطة بدار الكتب المصرية) ابن الكلبى رقم

٢٠ ش ادب .
حرب البسوس (مخطوطة بدار الكتب المصرية) ٢٣ ش ادب من

ص ١١٣ — ١٧٢ .
مشارك الاثوار ومحاسن الاشعار للشمشاطي — مخطوطة —

طوبقبو سراي رقم ٢٣٩٢ .
(١) فى كثير من المصادر ان اسمها السراب .

— ما فعل فصيل السحاب ؟

قال :

— قتلته ، فأخليت لنا لبن امه •

فأغمضوا على ذلك •

ثم ان كليبا ، اعاد على امرأته ، فقال :

— من اعز وائل ؟

قالت :

— أخواي •

فأخذ القوس ، فأتى السحاب ، فرمى ضرعها ، فأختلط لبنها

ودمها •

واصابتهم سماء ، فغدا كليب غبها يتمطر ، فركب عليه جساس ،

ومعه ابن عمه عمرو بن الحارث بن ذهل بن شيبان •

فقطع عمرو كليبا ، فقصم صلبه • فلما تداوم الموت كليبا ،

(اي ركبه) ، يقال : (قد تداومت عليه الارض ، اذا غيبتة وعلته) ،

قال :

— يا جساس اسقني •

فلم يسقه •

وقد قال مهلهل ، تصداقا ان عمرو بن الحارث هو الذي قتل

كليبا (٢) :

(٢) البيت في الاغانى ايضا ٣٧/٥ والضرير الشدة ، وفلان ذو

ضرير ذو صبر ومقاساة وذو ضرير هنا صفة لقتيل •

ولم نجد للبيت ضميمه ، لكن وقع لمهلهل بيت مثله في جملة ابيات ،

تختلف قافيتها حيث قال :

قتيل ماقتيل المرء عمرو وجساس بن مرة ذو ضرير
وقال نابغة بني جعدة ايضا ، يقتص حديث كليب ، وما لقى
بظلمه ، يحذر مثل ذلك عقال بن خويلد العقيلي ، حين ايجار بني وائل
بن معن بن مالك بن اعصر ، وكانوا قتلوا رجلا من بني جعدة ،
فأجارهم عقال عليهم ، فقال النابغة في ذلك :
كليب لعمرى كان اكثر ناصرا
واهون جرما منك ضرج بالدم
رمى ضرع ناب فاستمر بطعنة
كحاشية البرد اليماني المسهم
ولا يشعر الرمح الاصم كعوبه
بنزوة اهل الأبلخ المتظلم
تجير علينا وائلا بدمائنا
كأنك عما ناب اشياعنا عم

→ قتل ما قتيلا المرء عمرو
وجساس بن مرة ذي ضرير
اصاب فؤاده باصم لادن
فلم يعطف هناك على صميم
فان غدا وبعد غد لرهن
لامر ما يقام له عظيم
جسيما ما بكيت به كليب
اذا ذكر الفصال من الجسيم
ساشر ب كاسها صرفا واسقى
بكاس غير منطقة مليم

انظر ابن الاثير ، والتبريزي ٢/ ٢٠٠ .
— ٥٤٥ —

فقال عقاب : لكن حامله يا أبا ليلى بدري فغلبه ، أي غلب الجعدي

بهذا الجواب •

وقال لجساس اغشي بشربة
تفضل بها طولا علي وانعم

فقال تجاوزت الأحص وماءه
وبطن شبيث وهو ذو ومترسم

وقال العباس بن مرداس ، يحذر كليب بن عهمة ، اخا بني سليم
ابن منصور ، حيث جحد ولد مرداس ، شرك مرداس في القرية (٣) ان

(٣) القرية غيضة شجر ملتفة لا يرام ، احرقها حرب بن امية
قائد بني امية ومن ما لاهم في يوم عكاظ ، وكان معه مرداس بن ابي عامر ،
فاحرقها لما انصرفا من هذه الحرب ، ليزد رعاها ، فكانت سببا في
موتهما ، فيقال ان الجن قتلتها ، وانهما عندما اضرماها واندلعت
النيران ، سمع من الغيضة انين وضجيج كثير ، ثم ظهرت حيات بيض
تطير حتى تختفي في الفضاء .

فقال مرداس بن ابي عامر في ذلك :

اني انتخبت لها حربا واخوته

اني بحيل وثيق العهد دساس

اني اقوم قبل الامر حجه

كيما يقال ولي الامر مرداس

قال : فسمعوا هاتفا يقول لما احترقت الغيضة :

ويل لحرب فارسا

مطاعنا مخالسا

ويل لعمر فارسا

اذا لبسو القوانسا

لنقتلن بقتله

جحا جحا عنايسا



يلقى ملقى كليب بن ربيعة ، فقال :

اكليب مالك كل يوم ظالما
والظلم انكذ وجهه ملعنون

افعل بقومك ماأراد بوائيل
يوم الغدير سميك المطعون

واخال انك سوف تلقى مثلها
في صفحتك سناتها المسنون

قد كان قومك يزعمونك سيذا
واخال انك سيد معيون^(٤)

وان حديثه طويل^(٥)

ولم يلبث حرب بن امية ، ومرداس بن ابي عامر ، ان ماتا . فأما
مرداس فدفن بالقرية . ثم ادهاعا بعد ذلك كليب بن ابي عهمة السلمى
= ثم الظفرى . فقال فى ذلك عباس بن مرداس :

اكليب مالك كل يوم ظالما ... الابيات
وينظر كتاب الاغانى ٣٤١/٦ والبكرى معجم ما استعجم ٧٣٥/٢ .

(٤) معين ومعين بمعنى واحد ، الاولى على النقص والثانية على
التمام ، اى المصاب بعين ، او فيه عين .

(٥) اى حديث يوم البسوس . لكننا لم نقع حتى الان على رواية
لابى عبيدة فى هذا اليوم أطول من هذه الرواية التى هى عبارة عن مقاطع
من معلومات يوم البسوس ، أطول ملحمة عربية تحوات الى شعبية هي
الزير سالم ، وهو البطل الاسطورى والملحمى مهلهل بن ربيعة اخو كليب .
وقد اشرت في هامش المصادر لهذا اليوم بان حديث ابن الكلبي في

.....
البسوس اطول حديث . وسيأشره مع بقية الروايات فى القسم الثالث
الذي يضم مختلف الروايات ، بعد انجازي القسم الثاني من كتاب ابي
عبدة .

وجاء فى مخطوطة الانوار ومحاسن الاشعار (الورقة ١٨) : ايام
العرب كثيرة ، وانها وقائع مشهورة طويلة . فأما المشهورة الطويلة منها
فوقائع بكر وتغلب التى فى حرب البسوس ، وتسميها العرب « البتراء » ،
لأنها اقلعت من غير تكافىء فى الدماء ولا عقل ، ودامت اربعين سنة فى
قول جميع الرواة .

يوم القريتين*

قال ابد عبيدة :

كان بنو عامر بن صعصعة حمسا، والحمس قریش^(١) ومن له فيهم

(*) هذا احد ايام المجابهة العربية ضد الاحتلال الاجنبى لبلاد العرب ، وهو شبيه بيوم الصفقة وذى قار والفجار . واسم اليوم فى النقائض ١٨٥/١ (ط . الصاوى) يوم القريتين ويوم السؤبان . وكذلك ورد باسم يوم ملزق (النقائض ٩٣٣ هامش ٣٨٦ ومجلة فهارسه ٢٥٨ ط اوربا) (٩١/٢ - ٩٢ ط . الصاوى) ويراجع كتاب العمدة ١٦٦/٢ والميدانى ٤٣٧/٢ ومعجم البلدان ١٠٤/٥ واللسان والصحاح مادة سيب . وذكر بان ملزق معركة بين عيس وبين بنى حنظلة ، واورد قول اوس :

كانهم بين الشميظ وقارة وحرثم والسؤبان خشب مصرع
واسم اليوم فى العقد الفريد ١٧٧/٥ السؤبان وقاع القريتين . وفى الكامل لابن الاثير ٣٩١/١ (السلان) وهو خطأ عالجناه فى الهامش رقم ٧ من هذا اليوم . وذكره ايضا باسم « يوم قاع القريتين » وينظر فى يوم ملزق ديوان سلامة بن جندل (٢٠٧ - ٢٠٨) .

(١) يذكر الرواة كتابا لابي عبيدة فى قریش والحمس . يراجع ابن خلكان ٣٢٦/٤ وقد ذكر ابو عبيدة مصطلح الحمس ثم فسرهم بانهم المتشدودن فى دينهم ، واراد دين الوثنية . والحمس قریش ومن له فيهم ولادة ، اى امهاتهم قریشيات وهم بنو عامر صعصعة وفهم وعدوان ابنا عمرو بن قيس عيلان ومن الحمس كنانة وجديلة قيس . والحمس سكان الحرم لا يخرجون فى الموسم الى عرفات انما يقفون بالمزدلفة يقولون: نحن اهل الله . وصارت بنو عامر من الحمس وليسوا من سكان الحرم لان امهم قریشية وهى مجد بنت تيم بن مرة . وكان الحمس لا يستظلون ايام منى ولا يدخلون البيوت من ابوابها وهم محرمون ولا يسلاون السمن ولا يلتقطون الجلة . وقد عرفوا بالتدين والشجاعة . (يراجع اللسان مادة حمس) .

ولادة • والحمس متشددون في دينهم • وكانت عامر أيضا لقاحا
لا يدينون للملوك •

فلما ملك النعمان بن المنذر ، ملكه كسرى أبرويز ، وكان يجهز
كل عام لطيمة ، وهي التجارة ، لتباع ، عرضت بنو عامر لبعض مآجهزه
فأخذوه • فغضب لذلك النعمان وبعث الى اخيه لأمه وهو وهبة بن
رومانس الكلبي (٣) ، وبعث الى صنائعه ووضائعه والصنائع من كان
يصطنعه من العرب ليغزيه ، والوضائع هم الذين كانوا اشبه
بالمشايع - وارسل الى بنى ضبة بن أد وغيرهم من الرباب وتميم ،
فجمعهم فاجابوه ، فاتاه ضرار بن عمرو الضبي في تسعة من بينه كلهم
فوارس ، ومعه حبيش (٤) بن دلف - وكان فارسا شجاعا - فاجتمعوا

(٢) يقال قوم لقاح وحى لقاح لم يدينوا للملوك ولم يصبهم قى
الجاهلية سباء قال الشاعر :

لعمرو اييك والانبياء تنمى
لنعم الحى فى الجلى رباح

ابو دين الملوك فهم لقاح

اذا هيجوا الى حرب اشاحوا

ينظر اللسان مادة (لقح) .

(٣) فى العقد الفريد : ورئيس ضبة حسان بن وبرة ، وهو اخو
النعمان لأمه •

(٤) حبيش على وزن امير ، فاذا صفق كان اسما لطائر (اللسان
حيش) • وجاء فى النقائض ان اسمه حبيش بن دلف (وقيل الهوذكس
ابن ذكوان) ابن السيد بن بكر بن مالك بن سعد بن ضبة ، وهو الذي
اسير عمرو بن الحارث ، واشترط عليه بعد ان جز ناصيته ان يبعث اليه
كل سنة بحباء حتى يموت •

فى جيش عظيم ، فجهز النعمان معهم عيرا^(٥) وامرهم بتسييرها وقال لهم :

— اذا فرغتم من عكاظ وانسلخت الحرم^(٦) ، ورجع كل قوم الى بلادهم ، فاقصدوا بني عامر ، فانهم قريب بنواحي «السلان»^(٧) . فخرجوا وكنتموا امرهم وقالوا خرجنا لئلا يعرض احد للطيمة

الملك .

فلما فرغ الناس من عكاظ ، علمت قريش بخالهم فارسل عبد الله بن جدعان قاصدا الى بني عامر يعلمهم الخبر ، فسار اليهم واخبرهم خبرهم ، فحذروا وتهيئوا للحرب ، وتحرزوا ووضعوا العيون . وعامر^(٨) عليهم عامر بن مالك « ملاعب الاسنة » .

واقبل الجيش فالتقوا بالسؤبان ، فاقتتلوا قتالا شديدا .
فبينما هم يقتتلون اذ نظر يزيد بن عمرو بن خويلد الصَّعَق الى وبرة بن رومانس اخى النعمان ، فاعجبه هيئته ، فحمل عليه فأسره، فلما

(٥) العير : الابل واريد هنا الاموال والتجارة .

(٦) شهور معلومة يمتنع فيها العربى عن القتال فى الجاهلية

لقدسيتها .

(٧) كان قبل يوم « خزاز » (النقائص ١٠٩٤ ط اوربا) وكان يوم خزاز قبل ايام البسوس ، لان كليب بن ربيعة هو الذى قاد القبائل فى يوم خزاز . وقد اثبتنا ما ذكره صاحب النقائص والعقد الفريد . وجاء فى مجمع الامثال للميداني ٤٣٩ قول زهير بن جناب ، وهو ملك قديم ايضا :

شهدت الموقدين على خزاز وبالسلان جمعا ذا زهاء

وقال : هى ارض تهامة من اليمن . والسؤبان فيما يذكر معجم

للميداني ١٠٤/٥ واللسان مادة (سيب) واد فى بلاد العرب . فالسلان

تصحيف السؤبان .

(٨) اى بنو عامر .

صار في ايديهم ، هم الجيش بالهزيمة ، فنهاهم ضرار بن عمرو
الضبي^(٩) ، وقام يأمر الناس ، فقاتل هو وبنوه قتالا شديدا ، فلما رآه
ابو براء عامر بن مالك ، وما يصنع بينى عامر هو وبنوه حمل عليه ،
وكان ابو براء رجلا شديدا الساعد . فلما حمل عليه اقتتلا ، فسقط
ضرار الى الارض ، فقال لابنه أدهم :

— اغنه عني .

فشد عليه فطعنه . فتحول من سرجه انى جنب ابدائه^(١٠) . ثم
لحقه ، فقال لأحد بنيه :

— اغنه عني .

— ففعل مثل ذلك .

ثم لحقه ، فقال لابن له اخر :

— اغنه عني .

— ففعل مثل ذلك .

فقال :

— فقال :

— ما هذا الا ملاعب الاسنة

فسمي عامر من يومئذ : ملاعب الاسنة . وقاتل عنه بنوه
حتى خلصوه فركب ، وكان شيخا ، فلما ركب قال :

(٩) فى العقد الفريد : وهو الرديم ، لكن الذى فى النقائض ١٧٥/١
(ط . الصاوى) ان الرديم عمرو ابو ضرار ، احد اجداد زيد الفوارس
الشاعر . وانما سمي رديما لانه كان يحمل على بعيرين ، يقرن بينهما
من ثقله .

(١٠) الابداء : المفاصل .

— من سره بنوه ساءته نفسه •
فذهبت مثلاً (يعني من سره بنوه اذا صاروا رجالاً ، كبر وضعف
فساءه ذلك) •

وجعل ابو براء يلح على ضرار طمعا في فدائه ، وجعل بنوه
يحمونه • فلما رأى ذلك ابو براء ، قال له :

— لتموتن او اموت دونك •
فلما دنا منه قال ضرار :

— اني اعلم ما تريد • اتريد اللبن (١١) ؟
قال :

— نعم
قال :

— انك لن تصل الي ومن هؤلاء عين تطرف ، كلمهم بني •
فقال له عامر :

• فأصلي على رجل له فداء •
فأوماً ضرار الى حبيش بن الدلف ، وكان سيداً ، وقال :
— عليك بذلك الفارس •

فحمل عليه ابو براء ، فأسره •
وكان حبيش اسود نحيفا دميماً • فلما رآه كذلك ، ظنه عبداً
وان ضرارا خدعه ، فقال :

— انا لله ، اعز سائر القوم الا في الشؤم وقعت ؟!
فلما سمعها حبيش منه خاف ان يقتله فقال :

— الست تريد اللبن •

(١١) اراد باللبن : المال ، وهي الابل تعطى فدية للاسير •

قال :

• بلنى •

قال :

• فأنا لك به •

فافتدى نفسه بأربعمئة بعير •

وهزم جيش النعمان •

فلما رجع انقل (١٢) اليه اخبروه بأسر اخيه ، وبقيام ضرار بأمر

الناس ، وما جرى مع ابي براء •

وافتدى وبره بن رومانس نفسه بألف بعير وفرس من يزيد

ابن الصعق ، فداء الملوك ، فكثر مال يزيد ونما ، وكان قبله جفيف

الحال • ثم اغار بعد ذلك يزيد بن الصعق على عسافير النعمان بسذي

ليان ، وذوليان عن يمين القريتين •

وقال لبيد يذكر ايام قومه (١٣) :

اني امرؤ منعت ارومة عامر

ضيبي وقد حنقت (١٤) علي خصوم

(١٢) الفل : بقية الجيش المهزوم •

(١٣) الابيات من قصيدة طويلة فى ديوان لبيد ص ١١٨ (ط •
الكويت ١٩٦٢) ومطلعها :

طل لخولة بالرسيس قديم فبعقل فالانعمين رسوم

وفيهما يذكر بعضا من ايام قومه •

(١٤) فى الديوان : جنفت • وفسرها الشارح بمعنى : جارت -
والارومة : الاصل •

وغداة قاع القرنتين (١٥) أتاها
دهوا يلوح خلالها التسويم

بكتائب رجح (١٦) تعود كبشها
نطح الكباش كأنهن نجوم

قوله : قاع القرنتين ، يعني يوم السلان (١٧) .

تم القسم الاول من كتاب ايام العرب قبل الاسلام لابي عبيدة
ويليه القسم الثاني مع فهارس الكتاب .

(١٥) في الديوان : القرنين . قال محقق الديوان في شرحها :
هو موضع ، ولم يعينه . ورجع الى معجم ياقوت فعرفه بأنه كانت فيه
وقعة لغطفان على بني عامر . ثم قال المحقق وهو الدكتور احسان عباس :
غير ان لبيد يفخر به . ونقول : لعل الارجح ما ثبتناه ، وهو قاع القرنتين ،
لان بني عامر انتصروا في هذا اليوم وفخر به لبيد . واما يوم القرنين
فهو يوم اخر ، اندحرت فيه عامر .

(١٦) في الديوان تردى بدل رجح . وتروى ربح . وأشار المحقق
الى رجح ايضا ، وتعنى راجحة . ومعنى تردى : تمشى وتعدو .
كبشها : كبيرها . كأنهن نجوم : من بريق الحديد .

(١٧) السلان : وردت في رواية ابن الاثير في الكامل وهو تصحيف
سبق ان نبهنا عليه في الهامش رقم (٧) والصواب : السؤبان .

Fourth Chapter:—

It is the last and it is devoted for analysing the poetry. We began with a small part call it "the general frame". In the second part we choose the symbols of the ox, the serpent, the female camel and other symbols belonging to plants, minerals, planets and trinities of the heathens. In the third part we deal with the kings, priests and chiefs who were mentioned too much in the "days". We intended to say our opinion which was issued from the fact of the phenomenon of returning to the sources from which came out their mysaerious rites. The fourth and last part in the thesis is a display for the world of "The days of the Arabs". We make a connection between the outer feature (the appearance and the inner weaving (the content)). In this way a great unit of activity and epic appears. It frames the events in various colours of conflict which srows the philosophy of the nation, the causes of its existence, the factors which form its bravery, its measures in generosity, manliness, fidelity and all the Arab values and ideals inhereted from the most ancient perods of the pre-islamic society.

First Chapter:—

It is specialized for the sources of the "Days" and their tellers, and for the cultural structure of these tellers. The chapter has two parts; the first about the narration of the "Days" and specially those of Abu Obeida. The second is about the tellers of the "Days", dealing with the culture of the tellers, and the cause of enmity amongst them.

Second Chapter:—

It discovers the fact of the "Days". The first part contains a comment for the meaning of the word "Day". We put a deep definition for the "Days". In the second part we indicate the mythical features and the historical events. In the third part we deal with the poetic language of the "days".

Third Chapter:—

We try to indicate the site of the "Days" in the map of the Arabic poetry because they are considered the most ancient text which reached us. The first part searches about the origin of the word "poetry". Since the ancient periods the scientists consider the "Days of Albasous" and the poetry of "Almouhalhal ibn Rabia" as the first feature for the poem in its present shape, and for the poetry with its rhymes and musics. These epic origins and the singing nature led us discover another fact which was not noticed before. This fact concerned with the universal epics as general, and especially with the epics of the "Days"

The old references told us a fact that Abu Obaida was the only author of a great book for the "Arab Days". It contains a thousand and two hundred days (wars). He wrote also another small book containing seventy-five days (wars). It is very necessary to find this lost book, to which referred and from which most of the ancient books retold.

We followed a scientific method in its gathering and narration. Our aim is to let people taste these songs with the fewest comment on the margins and footnotes; and without referring to the books of language and literature. If the teller was *Abu Obaida*, we put it in its place in the text. If the teller was another one we put it in the footnote. It must elucidate a difference, clear a difficulty, or comment an event not mentioned in the text.

When we finished gathering and narration of the book of "*The Days of Pre-Islamic*" we wrote a preface which authenticate the book, and represent its author, and clear the method which we followed while working in it. We discovered many scientific facts which were not noticed in the previous researches. We found that the narration of the days were scattered in the book of the contrarieties "*El-na-kaid*"; and that the book we attributed to men other than Abu Obaida.

The study took two directions: the first was the outer feature; the second was the inner inclosure.

The thesis was submitted to Heleopolis University, Faculty of Arts, Arabic Language Department, for the degree of Doctor of Arts. It has been undertaken under the supervision of Or. Lotfy Abdel Badie the Chief of the Arabic Language Department. It concerns of the poetry of the Pre-Islamic days (the wars of the Jahiliyah period).

A ummary:— This research depends upon two main elements. The first is investigation; and the second is the study. Every other objects are extensions from these two elements.

The investigation added to collecting or gathering is concentrated on issuing the book of "The Days" authorship of "Moamer Ibn Elmothana Altaimei (+207 of Hijra). This was an obligatory according to the results to which we have reached, when we were gathering the narrations of "The Days of the Arabs" from their references: by the purpose of picking the poetry from amongst the lines of the narration; and to put it in a private book. We have found that this operation was of few value: because the prose forms an essential part in the composition of the narration. It is better to leave the prose beside the poetry because they both form a complete unit; especially after the "Arab Days" came to elucidate its epic clear feature.

فهرست الموضوعات

فهرست القسم الاول من كتاب ايام العرب قبل الاسلام
لابي عبيدة

(١) محتويات كتاب الملاحم العربية

رقم الصفحة	اسم الموضوع وبابه
٢	الاهداء
٣	المقدمة
١٦ - ٦٠	الباب الاول : مصادر الايام ورواتها
١٧ - ٣٩	الفصل الاول : روايات الايام
٣٧ - ٦٠	الفصل الثاني : التكوين الثقافي لرواة الايام
٦٠ - ١١٠	الباب الثاني : حقيقة الايام

اسم الموضوع وبابه

رقم الصفحة
مبدأ في هذا الباب

الفصل الاول :

رسالة راسخة :

مدلول كلمة يوم ، وتعريف بالايام
٧٦-٧٧

الفصل الثاني :

رسالة راسخة :

احداث الايام بين التاريخ والاسطورة
٧٦-٧٧

الفصل الثالث :

رسالة راسخة :

لغة الايام الشعرية
٩٧-١١٠

الباب الثالث

اين تقع الايام من الشعر العربي
١١١-١٢٢

الفصل الاول :

رسالة راسخة :

اولية الشعر العربي
١٣٤-١٣٥

الفصل الثاني :

رسالة راسخة :

الملاحم العربية في التاريخ ، واسباب اختفائها
١٣٥-١٣٨

الفصل الثالث :

رسالة راسخة :

الاسلام ، وشعر الايام
١٣٨-١٣٩

الباب الرابع :

رسالة راسخة :

٨٦ تحليل شعر الايام
٢٢٣-٢٢٤

الفصل الاول

رسالة راسخة :

الاطار العام
٢٢٣-٢٢٤

الفصل الثاني :

٢٦٦-٢٣٥٥ الحيوان ومظاهر الطبيعة في شهر الأيام

الفصل الثالث :

٣٠٦-٢٩٣٧ الكاهن والرئيس

الفصل الرابع :

٣٤٤-٣٥٧٧ العالم الأيام

(٢) محتويات كتاب (أيام العرب) قبل الإسلام

دراسة في توثيق كتاب الأيام

ومؤلفه أبي عبيدة

٣٤٥

يوم خوزار

٣٧٩

يوم البردان

٣٨٥٥

٨٧١ يوم الكلاب الأول

٣٩٧

يوم الكلاب الثاني والصفقة

٤٢٧

٧٧٦ يوم غطفان

(١) يوم منعج

٤٥٧

٧٧٦ يوم بطن عاقل

٤٨٥

(٢) يوم رحرحان

٤٨٥٤

٧٧٦ يوم الخربة

٥١١

اسم الموضوع وبابه

رقم الصفحة

بجانبها يدرج راءه في هذا

٥٣١	(٥) خبر الحارث وعمرو بن الاطنابة
٥٣٥	(٦) نهاية الحارث بن ظالم
٥٤٢	اليام بذكر وشيخان (المبشورس)
٥٤٩	يوم القريتين
٥٥٩	ملخص بالانكليزية للاحم الايام العربية
٥٦٠	مفهرست بالموضوعات
٥٦٤	تعريف بمؤلف الكتاب

ملاحظة : المصادر والمفهرس في آخر القسم الثاني من الكتاب .

تعريف المؤلف بالكتب
الدكتور عادل جاسم البياتي

	١٧٥
□ ولد ببغداد عام ١٩٣٥ في أحد أحيائها الشعبية الكبيرة :	٥٢٥
(الفضل). حيث تلقى علومه الأولى في كتابيه ومدارسه، متأثراً	٢٧٥
بشعبيته مستنشقا نسيم الوطنية من ربوعه ومن دماثة خلق	٨١٥
أهله وعروبتهم .	٤٩٥
□ تخرج في كلية التربية بالبيكالوريوس من مرتبة الشرف الأولى .	١٢٥
□ تخرج في كلية الآداب (القاهرة) بالمجستير بدرجة (جيد جدا) .	١٢٥
□ تخرج في كلية الآداب (عين شمس - القاهرة) بالدكتوراه	١٢٥
من مرتبة الشرف الأولى ، والتبادل مع الجامعات .	
□ يدرس في كلية الآداب ، ويحاضر في الجامعة المستنصرية .	
□ عين رئيساً لتحرير مجلة كلية الآداب .	
□ عين مقرراً لقسم اللغة العربية بقسميه : البكالوريوس	
والدراسات العليا .	
□ أصدر مجموعة من الكتب أهمها : الشعر في حرب داحس	
والغبراء (١٩٧٠) ومجموعة من البحوث العلمية أهمها :	
١ - الشعر والتاريخ - مجلة الأقلام ١٩٧٤	
٢ - الملاحم العربية ومقارنتها بالملاحم الكونية - مجلة الكتاب ١٩٧٤	
٣ - المنابع الثقافية الأولى للشعر الجاهلي - مجلة الكتاب	
١٩٧٥	
٤ - البطل الأسطوري والملحمي في الأدب العربي - مجلة آفاق	
عربية ١٩٧٦	
٥ - ربيعة بن كلدان : حامي الظعينة . مجلة كلية الآداب ١٩٧٦	
٦ - أفنون التغلبي : شاعر وفارس جوال . مجلة كلية	
الآداب ١٩٧٦	
٧ - أصدر مجموعة شعرية بعنوان : ظل الفارس النحاسي	
(١٩٧١) ويعد الآن لأصدار مجموعته الثانية : عيون الليل	
والبراري . وكذلك كتاب : أيام العرب - القسم الثاني -	

الاهـداء ...

الى التي جعلت من روحها
نوراً يبدد قلب العتمة
ومن قلبها
سراجاً منيراً يضيء دروب الكلمة
الى زينب ،
الحبيبة ..
والزوجة ..
يصبرها وتديرها وتضحياتها
ولد هذا البحث ،
فكان الابن المنتظر الذي كحلت عيونها برؤيته
وقرّت به عيون شقيقاته ..
جمانة ووفاء ونداء وهناء ..
في حفظ الله ورعايته ..

عادل

KITAB AYYAM AL-ARAB

by

ABU UBAIDA

209 A. H .

EXTRACTS FROM BOOKS AND MANUSCRIPTS

Volume One

A COMPARATIVE STUDY OF ARAB EPICS

Dr. Adil Jasim Al - Bayaty

THE COLLEGE OF ARTS

University of Baghdad

سعر النسخة (٣) دنانير

مطبعة دار الجاحظ للطباعة والنشر - بغداد